ديــوان

عبد الله البَرَدُّوني

الأعمال الشعرية

1-12

المجلد الأول



مكتبة الإرشاد
شارع ٢٦ سبتمبر - صنعاء - ص.ب. ٣٠١٩
هاتف: ٢٧٢١٩٠ - ٢٧١٦٧٧ - ٢٧٩٢٨٩
الجمهورية اليمنيَة

ديوان
عبد الله البردوني

الأعمال الشعرية

12 - 1

المجلد الأول

6 - 1



مكتبة الإرشاد

صنعاء - اليمن

الطبعة الرابعة

١٤٣٠هـ - 2009 م

لوحة الغلاف للفنان: علاء البردوني

رقم الإيداع بدار الكتب بصنعاء

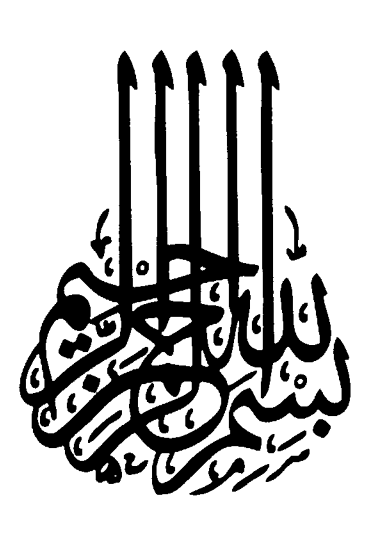
2009 / 181



مكتبة الأرشاد

الجمهورية اليمنية - صنعاء - ميدان التحرير

شارع ٢٦ سبتمبر - ص.ب ٣٠١٩ - تليفون ٢٧١٧٧٥-٢٧١٦٧٧


بسم الله الرحمن الرحيم

تنويه

هذه المجموعة الشعرية للشاعر عبد اللّه البردوني تشمل الدواوين التي كان قد تم نشرها في حياته، وهي اثنا عشر ديواناً، وإذا ما تأكد، وجود مخطوطات، لقصائد أو دواوين جديدة لم تنشر؛ فسوف يتم نشرها في الطبعة الثانية للمجموعة:

1 ـ من أرض بلقيس
2 ـ في طريق الفجر
3 ـ مدينة الغد
4 ـ لعيني أم بلقيس
5 ـ السفر إلى الأيام الخضر
6 ـ وجوه دخانية في مرايا الليل
7 ـ زمان بلا نوعية
8 ـ ترجمة رملية لأعراس الغبار
9 ـ كائنات الشوق الآخر
10 ـ جوّاب العصور
11 ـ رواغ المصابيح
12 ـ رجعة الحكيم ابن زايد

مُـذ بـدأنـا الشَّـوْطَ جـوهَـرْنا الحصى
بـالـدّمِ الـغـالـي وفَـرْدَسْـنـا الـرِّمـالْ

بين يَدَي البردُّوني

خالد عبد الله الرويشان

بعد أن غربتِ الشمسُ، وغاضتْ مياهُ النهر، ماذا بقيَ لنحتفلَ بظلامنا ونحتفيَ بموتنا؟

يا للعارِ! كيف استطعنا أن نبدّد ضوء تلك الينابيع التي تومئ لنا بينما نحن ندير رؤوسنا ونُقفلُ راجعين صوب آكام القسوة ودروبِ النسيان.

لا بدّ من أن أعترف - بين يَدَي هذا الديوان - بالشعور بوجلٍ وخجلٍ تصعبُ مواراتهما:

الوجل؛ لأن عالَمَ (عزّافِ الأسى.. عابرِ سبيل)(*) تجلّى لي عوالِمَ رحبةً، هائلةً، وساحرة، على المستويين الإبداعي والإنساني، وتكشّف هذا العالَمُ عن آفاقِ رحلةٍ في بحرٍ بلا ضفاف، زاخرٍ بزبدِ الدهشة، وروعةِ الاكتشاف.

والخجل؛ لأن تساؤلاً مُمضّاً أقضَّ هجعةَ الرضا، وأيقظَ أسِنّة اللّظى.. هل كان لا بدّ أن ينطفئ قلبُ البردّوني كي ندركَ كم كنا مفعَمِين باللاّمبالاة، مترَعِين بالأوهام!

ربما شعرت - بعد تأمّل وتمعّنٍ - أنّ الكلَّ أدار رأسَهُ وأغلقَ أذنيه (لعزّاف الأسى) كلٌّ بطريقته:

بعضهم أدار رأسه دورةً كاملةً، وربما بغضب،

وآخر أدار رأسه نصفَ دورةٍ وبلا اهتمام،

(*) من عناوين قصائد البردوني.

وثالثٌ نظر شزراً ومضى.

وفي هذه البلاد فإن النظر شزراً قد يكون طريقةً للتعبير عن الحب والصداقة والاكتشاف!

رُبَّما أحاط بعضٌ رابعٌ بعزَّاف الأسى، عابر السبيل، مستمتعاً بعزفه، متحلّقاً حول أحزانه، واهماً أنه قريبٌ منه.. لكنّ هذا البعضَ كان ينظرُ ولا يرى، ويسمعُ ولا يعي، وربّما ضحك وسخِرَ بينما عزّافُ الأسى يحسو بكاءه ويستفُّ خيباته وأشجانه.

قِلّةٌ أحاطت به عن قرب، وأصاختِ الفؤادَ، وأرهفتِ الروحَ لنشيدِ العازفِ ونشيجِه. ومن المؤكّد أنها كانت بعضَ عزائِه. لكنها تشعرُ بحسرةٍ ما، ربما لأنها لم تستطع أن تغيّر من أحواله ولو قليلاً وبما يُسعدُ قلبَه، ويُفرحُ رُوحَه.

هل أكونُ صريحاً؟.. ربما شعرتُ أنَّ الجميعَ مترعٌ بالحسرةِ، حسرةِ ما بعد غروبِ الشّمس.. حسرةِ ما بعد فواتِ الأوان.

هل يشعر أحدٌ ما في هذه البلادِ أنّه خفّفَ من عذاباتِ عزَّاف الأسى وبما يُسعدُ قلبَ شاعرٍ كفيف ووحيد وبما يُفرحُ روحَه؟

إنني أُهنّئُ كلَّ من لا يَشعرُ بالحسرة!

❊ ❊ ❊

كانَ يَبدو كصائمٍ ما تعشَّى ... الملايينُ فيه، جوعى وعطشى
أَثَّثَ القلبَ للعراةِ ويُحكى ... أنه ما أذاق جنبَيْهِ فَرْشا

❊ ❊ ❊

وحدي.. نعم كالبحرِ وحدي ... منِّي، ولِيْ جَزري وَمدّي
وحدي وآلاف الرُّبا ... فوقي، وكلُّ الدّهر عِندي

❊ ❊ ❊

لم يكن البردُوني مجردَ (عابر سبيلٍ) في حياتِنا، ولن يكون. وبالنسبة لليمن، فإنّه شاعرُ كلِّ العُصُورِ. إنّه شاعرُ الألفِ عاماً الماضيةِ على الأقل، وأحسب أنّ زمناً طويلاً سيمرُّ قبل أن تعرفَ اليمنُ شاعراً آخر يمكن أن يرتقي هذه الذّرا التي حلّقَ البردُوني في أجوائها، وقد كانت ذراً صعبةً مستحيلةً على المستويين الإبداعي والإنساني.

إنَّ مَا يُحزِنُ حَقاً أنّ الضّوءَ لم يُلقَ بما فيه الكفاية على تجربته الإبداعية، والأكثر مدعاةً للحزنِ أنّ الاهتمام ينصبُّ في العادةِ ـ وفي اليمن على وجه التحديد ـ على تأويلاتٍ مُباشِرةٍ لقصائدَ وربما لأبياتٍ ومواقفَ أو حتى لرأيٍ عابرٍ في ظرفٍ عابر.

وفي هذا الموضع رُبما وجبت الإشارة إلى أنه ليس خطأً اهتمام بعض المثقفين بقضايا كهذه أو مواقفَ معينة للشاعر الكبير، ولكنّ الخطأ بل الخطيئة ـ في ظني ـ هو التركيز عليها فقط، وتلخيص حياة ثريةٍ ضخمةٍ كحياة البردّوني وقامةٍ إبداعية سامقة كقامته في موقفٍ ما أو رأيٍ ما في ظرفٍ ما!

وفي سنواته الأخيرة، فإن هذه النوعية من الاهتمام البليد والقاسي بما يكتبه البردّوني من آراء وهو يقترب من الثمانين عاماً أوشكت أن تغمر شمسَ روحه المشعّة، وتطمرَ سنا هذه الشخصية الفذّة، وألَقَ إبداعها المعجز.

وللأسف، فإن ذلك لم يكن إلا من فعل بعض النقاد بحسن نيّةٍ أحيانا، وبسوئها في أحيانٍ أُخرى، وبرعونةٍ وجهلٍ في معظم الأحيان.

* * *

وإذا كانت التجربة الإبداعية للبردّوني لم تَلقَ اهتماماً كافياً، أو حتى عادياً، واذا كان ذلك محزناً ـ وهو مُحزنٌ بحق ـ فإن

تجربته الإنسانية الفريدة ـ وهي تعانق تجربته الإبداعية ـ لم تَلْقَ اهتماماً من أيِّ نوعٍ على الإطلاق.

وعند تأمّل تفاصيل هذه التجربة الإنسانية، وملامح هذه الشّخصية، لا تستطيع إلا أن تعجبَ وتتساءل.. كيف استطاعت وردةٌ أن تطفح بالحياة، وأن تشرقَ بالأملِ، بين صخور القسوة، وفي قيعان اليأس ووسطِ بيئةٍ، زهرُ أشجارِها شوكٌ، وأجملُ أيكِها طلحٌ عنيد، يُسقى بالريح ويتيهُ باليباس.

المفارقةُ أنّ صخورَ القسوة وقيعان اليأس هذه تُنبت أحلى عنبٍ تعرفه الدُّنيا! تماماً مثلما أنبتت درّةَ الشعر الخالدة وقيثارتَه العذبة (عبد اللّه البردُّوني) في وسطٍ اجتماعيٍ وظرفٍ تاريخيٍ غير مُواتٍ وأسرة فلاّحة بسيطة لم تعرف قلماً أو كتاباً ربما لمئات خَلَتْ من السنين. إنها عبقرية اليمن الخاصة، ومفارقاتها اللافتة!

* * *

أقولُ مَاذا يَا ضُحَى، يا غُرُوبْ؟ في القلبِ شَوقٌ غيرُ ما في القلوبْ

في القلبِ غيرُ البُغضِ غيرُ الهوى فكيفَ أَحْكِي يا ضَجِيجَ الدروبْ

لِمْ لا يَذوبُ القلبُ مِمّا بِه كم ذابَ. لكنْ فيهِ ما لا يَذوبْ

* * *

عند تأمّلِ حياة البردُوني (الإنسان) يتكشّفُ جانبٌ مغمورٌ لكنّه مُضيءٌ كبرقٍ، ومطمورٌ لكنّه سامقٌ كأُفُق، وهيهات أن تطمح عصورٌ من الشعر والشعراء إلى التحليق في سماواته الرّحبة، وأجوائه الإنسانية العذبةِ والمعذّبة في آنٍ!

تأمّل مَعي ـ أيّها القارئ العزيز ـ نُتَفاً صغيرةً من رِيْشِ هذا الطائر الضّخم. مُجرّد نُتفِ ريشٍ يُبهرُنا بهاؤها، ويغسِلُنا ضوؤها وتسحرنا نَمنماتُ ألوانِها.

كان البردُوني محبّاً لوطنه متشرّباً معاناةِ شعبِه، ولذلك فإنه كان يدفعُ من قُوْتِهِ الخاص أثمان دواوينِه وكتبِه، ليتمَّ بيعُها للجمهورِ بأقلّ من سعرِ التكلفة، وفي أحيانٍ كثيرةٍ بأثمان زهيدة لا تكاد تُذكر.

وأحسبُ أنّ نواصي الشوارع وتقاطعاتِها بصنعاء شهدت ولسنواتٍ طويلة هذه الظاهرة وما تزال.

إنها ظاهرةٌ فريدةٌ لشاعرٍ فريد يعرفها كلّ أبناء اليمن ويعرفها أكثر أطفالٌ وفتيانٌ فقراء عاش مُعظَمُهم ويعيش على ريعِ هذه الكتب وبيعها في الشوارع وتقاطع إشاراتها.

* * *

مُذ بدأنا الشَّوطَ جوهَرْنا الحصى ... بالدّمِ الغالي وفرْد سْنا الرّمالْ

واتّقدْنا في حشا الأرضِ هوىً ... وتحوّلنا حُقولاً وتلالْ

مِن روابي لَحْمِنا هذي الرُّبا ... من رُبا أعظُمِنا هذي الجبالْ

* * *

وما تزال كتبُ (البردُوني) ودواوينُهُ هي الوحيدة ـ من بين الكتب جميعِها ـ هي التي تحملها أكُفُّ هؤلاء الأطفال والفتيان الفقراء من البائعين المتجوِّلين! ربما لا يعرفُ هؤلاء الأطفالُ والفتيانُ أنّ شاعراً كفيفاً، فقيراً تجاوَزَ السّبعينَ من عُمُرِه، أصرَّ على دفع كلِّ ما يملك بما في ذلك القيمة الماليّة لجائزةٍ عربية ـ أكبر مبلغ حصل عليه في حياته ـ لناشري كتبِه ودواوينِه بهدفِ بيع هذه الكتب والدّواوين للجمهور بنصف التّكلفة وبرُبعِها أيضاً. !

هل عرف ذلك الفتى المتجوّلُ بائعُ الكتُب على ناصية الشّارع أنّ ثمّة فتىً آخر كفيفاً وفقيراً وغريباً كان قد قدِمَ من قريته (البردُون) ذات يوم قبل ما يقرب من ستين عاماً إلى المدينة ليتعلّم في

مدرستها الشهيرة، وأنّه وبعد عصر يومٍ مكفهرٌ بالغربةِ والجوع، والوحشةِ، شعر أنّه بحاجةٍ ملحّةٍ إلى ما يمكن أن يَسدّ رَمَقه، ويسنُدَ قَامَته المتهاوية، وأنّ ذلك الفتى الغريب الكفيف وهو في حَيرته البائسة لم يجد إلاّ ثُلَّة من صبيةٍ رفعوا عقيرتهم بالسخرية منه وملاحقته بالشتائم.. والحجارة أيضاً!

ولم يحمِهِ من أذيّتهم إلا قُبّةُ سبيلٍ مهجورة عند أطراف المدينة دخلها متعثراً داميَ الروح والوجه والكف.

وعندما حاصره الصّبية ممعنين في أذيّتهم خطر له أن يخيفهم بأن بدأ بإطلاق أصواتٍ مرعبةٍ تنطق بأسماء العفاريت!

ومن داخل القبّة المهجورةِ أطلقَ لصوتِهِ العنان حتى فرّ الصّبْيَةُ المحاصرون له؛ واهمين أنّ العفاريتَ سَتخرجُ عليهم من تلك القبّةِ النائيةِ عندَ أطراف المدينة.

ويمرّ الوقتُ بطيئاً، ثقيلاً على الفتى المختبئ في قبّة النجاة تلك، حتى تأكّد من ذهاب الصّبية. تحسّس بكفّيه المرتعشتين طريقه وخرجَ في هجير تلك الساعة اللافحة بعذاباتها، اللاهبة بأحزانها، واتجه صوب (مقشامة)(*) يَعرِف أنها في نهاية الشارع الترابي.

تأرجح بهامته بينما يداه تترنحان في الهواء وخطواته تئنّ على الثّرى المتلبّدِ باللامبالاة، وثمةَ عيونٌ متبلّدة تمرُّ بِه بلا فضول، وتتجاوزه بلا سؤال.

* * *

(*) المقشامة: قطعة أرض زراعية تكون عادة في وسط المدينة، يزرع بها الخضراوات وخصوصاً البصل والكرّاث والفجل، وغالباً ما تكون هذه الأراضي من أملاك الوقف.

هـل هُـنـا أو هـنـاك غـيـرُ جـذوعِ غـيـر طيـنٍ يـضـجُّ، يـعـدو ويـقـعـي
لـو عَـبَـرتُ الـطـريـقَ عـريـانَ أبـكـي وأُنـادي، مَـن ذا يَـعـي أو يُـوَعّـي
يافتى، يارجالُ، يا . . . يا . . . وأنسَى في دويِّ الـفـراغِ صـوتـي وسـمـعـي

❊ ❊ ❊

وللهفته وجوعه، وخوفه، فإنه نسي أنَّ (المقشامة) مسوّرةٌ بسُورٍ طينيٍّ عالٍ، ولم يُدرك مدى ارتفاع السّور إلا بعد ارتطام وجهه وكفّيه به.

يا لوجهه الذي فعلَتْ به النّدوبُ والجروحُ ما لم يستطع أن يفعله مرضُ الجدَري بكل جبروته وفتكه. !

تحسّس الفتى الكفيفُ السورَ بكفيّه واعتمدَ عليهما ليجلس على حافّة السّور متهيّئاً للقفز إلى داخل (مقشامة الفجل والبصل)!

أمّا كيف استطاع أن يصعد إلى أعلى السّور وكيف واتته قُواهُ الواهنة فإنّه لا يعرفُ كيف فعلها؟!

يا لجوع الساعة الخامسة قبل الغروب، ويا لرائحة الفجل والبصل في هذه الساعة!

إنه يدركُ الآن خطورَةَ بقائِه على حافةِ السّورِ متردّداً في القفز إلى الداخل، فما أسهل أن يلمحه عابرٌ ما من شياطين الإنس، أو كلبٌ ما من كلاب الشارع الضالة.

همَّ بالقفز لكنه أحجم بغتةً. . فقد تذكّرَ أنّه وإن كان قد عرف قدرَ ارتفاعِ السّورِ من الشارعِ وصعد سالماً، فإنّه لا يعرفُ قدرَ ارتفاعِهِ منَ الداخل! فربما أنَ هاويةً ستبتلعه فور أن يقفز! وحتى لو سَلِمَتْ حياته فإنّ كَسْر إحدى قدميه أو كلتيهما أمرٌ وارد. . ثم ما أدراه إن كانت هناك صخرةٌ ما تقف بالمرصاد أسفل السّور لتلتقف جسده الواهن إن هو قفز؟!

شعر بغثيانٍ له طعمُ الهباء، لعن اليومَ الذي غادرَ فيه قريته.

تحسّس بكفيّه المذعورتين السّورَ باحثاً عن حصياتٍ صغيرة بدأ بقذفها تحته، مصغياً بِروحِه وأذنيه، وبكلِّ مَسام جسمِه إلى وقعها محاولاً أن يُقدّر المسافة إثرَ كلّ حصاة مقذوفةٍ إلَى الأسفل.

قدّر الفتى أنَّ ارتفاعَ السّور الطينيّ الأملس من الداخل أعلى قليلاً من ارتفاعه من الخارج، وهمّ بالقفز ـ بعد أن تشهّد وأشْهد! وقفزَ أخيراً كمن يقفز في لُجّة ظلام أو هاوية بئر. ومثلما استوى على ذروة السّور وهو لا يعرف كيف استطاع ذلك، فإنه قام فور ارتطامِ جسدِه بالأرض ـ قريباً من البصل والفجل وهو لا يعرف كيف نَهضَ مَن وقْعَتِه المغامرة وهو أكثر حماساً وربما اندفاعاً صوب وجبته المشتهاة قبل غروب شمس ذلك اليوم الجائع البائس.

يا لِلذّة الوجبة، طعماً ورائحَة! هل عليه أن يملأ جيوبه أيضاً!

على عجلٍ، بدأ بملء جيوبهِ بعد أن ملأ معدته. لكنّ يداً ضخمةً عاجلته فَجأةً بضربةٍ في رأسه، وألحقتها بأخرى في كتفه، ثم انهمر سيلٌ من الشتائم قبل أن يُمسك صاحبُ (البصل والفِجل) بتلابيبه ويُجرْجِرهُ جرجرةً هي إلى السّحب أقرب، صوبَ مكانٍ مظلم خاص بالبهائم، بينما الفتى الكفيف صامتٌ مستسلمٌ بعد أن دهمتَه المفاجأة. . وأخرسته كفّ (القشّام) الشبيهة بالمجرفة.

مع اقتراب أذان المغرب فُتحت الزريبة المظلمة، ومرةً أخرى انهمر سيلٌ من الشتائم على رأس الفتى، الذي قُذف به أخيراً في الشارع. ورغم خجله، وفزعه، إلا أنه حمد الله أنّ المغامرة انتهت عند هذا الحد. . ثم إنّه قد شبع قليلاً!

وهبَّ ماشياً متعثّرَ الخطى مرتطماً بالمارّة وهم في طريقهم إلى المسجد، وتفضّل أحدُهم وقاده صوب المسجد دون أن يسأله حتى عن سبب الخدوش الظاهرة في وجههِ وكفّيه. .

* * *

المسافاتُ مَعِي تَمْشي، إلى رُكْبَتِي تأتي، ومن ساقي تُغادرْ
مِن هُنا، مِنْ نِصْفِ وَجْهي، وإلى نصفِ وجهي سائرٌ، والدربُ سائرْ

* * *

وفي المسجد وأثناء قيامه بالوضوء استعداداً للصلاة حدث له ما لم يخطر على باله أو على بال المدينة برمّتها! بل إنه شعرَ أنّ كل ما لحقه من إهاناتٍ وآلام في ذلك اليوم الأسود لا يُساوي آلام هذه اللحظات الرهيبة في المسجد. فقد حدث أثناء قيامه بالوضوء وفي وسطِ بِركةِ ماءٍ صغيرة أن فاجأه أحدُهم بالضّربِ. كان الضّربُ مؤلماً وقاسياً. لكنّ الأقسى والأكثر إيلاماً أن الفتى الكفيف لم يكن يعرف من أيّ اتجاه تأتيه اللطمةُ تلو اللطمة، ولسوء حظّه فإنه لم يستطع أن يتقي ولو لطمةً واحدةً!

ولعلّه ردّد: ملعونٌ أبو الشعر في هذه البلاد.. ملعونٌ أبو الهجاء.

كان اللاّطم من أعيان المدينة وأثريائها، وكان الفتى المغتربُ قد هجاه ببضعة أبياتٍ قبل بضعة أيامٍ، ولعلّ الرجل وقد رآه أمامه فجأةً في المسجد لم يتمالك نفسهُ، فانقضّ عليه دون وازعٍ من شفقة أو رحمة. ولعلّ الرجل أحسّ بالنّدم بعد أن أشبع الكفَيف ضرباً، ولعلّ نظرات المصلّين أصْلته بوابلٍ من عَتَبٍ أو استهجانٍ، فأعطى الفتى الكفيفَ خمسة ريالات فضيّة على الفور، وقبل أن يُكمل وضوءَه.

كانت فرحةُ الفتى بالريالات الخمسة كبيرةً، أكبر من آلامه، وأكثر من أحزانه في ذلك اليوم! وظل لسنواتٍ طويلة يتذكّر بحبوحة العيش التي عاشها لأسابيع بكنزه الصغير.. الريالات الخمسة!

كان ذلك مجرّدَ يومٍ أو نصفَ يومٍ من أيام صبا البردّوني

وشبابه! ولم تكن أيامه وسنواته الأُوَلُ في العاصمة أفضلَ حالاً . . ، فديوانه الأوّل والذي كان قد صدَرَ قبل الثورة بفترة وجيزة تَقطُرُ قصائدُه أسىً وأبياتُه غربةً وأحزاناً يصعُبُ التِجوالُ في حنايا آلامها وثنايا عذاباتها.

* * *

هو الشرُّ مِلءُ الأرضِ والشرُّ طَبعُها   هو الشرُّ مِلءُ الأمْسِ واليوم والغدِ

وهذا غُبارُ الأرضِ آهاتُ خُيَّبٍ   وهذا الحصى حَبَّاتُ دَمعٍ مُجمَّدِ

* * *

يستطيع ان يكتشف المتأمِّلُ للديوان الأول عبقريةً شعريةً فريدةً، وجديدةً توشكُ أن تَهلَّ بضوئها على المشهد الشعري اليمني والعربيِ، وسوف تَتَكشّفُ له من خلال ذلك رُوحٌ غامرةٌ بالحب، ناضحةٌ بالعطف والحنان، تأسى لأحوال ناسها، وأبناء مدينتها بينما هي في أمسِّ الحاجة إلى لمسةِ مواساةٍ أو همسةِ مَحبّة.

إنَّ هذه الميزة هي ذروةُ ذُرا الشاعر ذي القلب الكبير والحسّ المرهَف، والإحساس الشفيف بآلامِ البيوت والتوجّعِ لأنينها، في أزقّة المدينة البائسة اليائسة، بينما هو يمشي هائمَ الخطو، ساهمَ الروحِ، واجفَ القلب، تائهَ الأصابعِ، راجفَ القدم، متلمّساً ضوءَ ابتسامةٍ في ظلامِ نهارِه، أو يداً حانيةً في وحشةِ ليلهِ.

ورغمَ معاناته الطويلة وعذاباته المستديمة، لم يفقد البردُوني وفاءه وحبّه لأبناء شعبِه، وتحسُّسَه لأحوالهم وإحساسَه بأتراحهم طوال حياته.

تقول ذلك قصائدُهُ، بل دواوينُهُ جميعُها، وتقول ذلك مؤسّساتُ الدولة، وأروقةُ وزاراتها التي كان يؤمُّها ـ فقط ـ مراجعاً لأديبٍ ريفيٍّ شاب، أو لطالبٍ مُغتربٍ يبحث عن وظيفة، أو

لسياسيٍّ مُلاحَقٍ هارب! وكان يقوم بذلك بحماس، وهو الذي لم تفترسهُ غوايةُ حزبٍ، أو غوائلُ رؤيةٍ سياسيةٍ لفردٍ أو جماعة.

كان الناسُ وطنَه وسُباتُهم أرقَه، وكانت آمالُهم حزبَه وأحلامُهم قضيَّتَه وأنّاتُهم جُرحَه.

برعشة كفّيهِ التي أرعشَت دهوراً، أجفلتْ جبالُ نسيانٍ، وتململتْ رقدةُ أزمان.

ببصيرتِه أضاءت بلادٌ، وبأحزانِ جفنيه أشرقتْ وهادٌ، وبضوء أصابعه أسرجَ شعبٌ عزمَهُ، وفتَّقَ جيلٌ حُلْمَه، وشقَّ فجرٌ دربَه.

كان خُلاصةَ بلد، آهةَ عصور، عبقريَّةَ مكان، وردةَ قِفارٍ يباس، ندى صخورِ صبرٍ واصطِبار.

البَرَدُّوْني

1929 ـ 30/8/1999م
1348 ـ 19/5/1420هـ

كان (جوّاب العصور) القادم (من أرض بلقيس) يعبر (في طريق الفجر) متجهاً إلى (مدينة الغد)، ترافقه (كائنات الشوق الآخر) في (السفر إلى الأيام الخضر)، وعن بواعث سفره قال: إنه بصدد كتابة (ترجمة رملية.. لأعراس الغبار)، يتناول فيها (رجعة الحكيم ابن زايد). وإنه سيهديها (لعيني أم بلقيس)، التي أعياها (رواغ المصابيح) في (زمان بلا نوعية)، تعيشه (وجوه دخانيَّة في مرايا الليل).

كانت (رحلة ابن من شاب قرناها) أهم (رحلة في الشعر اليمني.. قديمه وحديثه)، نسي معها أن يموت وهو يحلم بقضاء لحظة (عشق على مرافئ القمر).

كتبت هذه الترجمة مستعيناً بأستاذي البردوني رحمه اللّه قبل وفاته بشهر تقريباً.

عبد اللّه بن صالح بن عبد اللّه بن حسن البردّوني:

ولد في قرية (البردّون)، من قبيلة (بني حسن)، في ناحية (الحدأ)، شرقي مدينة (ذمار).

والدته نخلة بنت أحمد عامر، وكانت ذكية، فلاحة، لا تقف عن العمل، وكانت نصف حارثة ونصف ربة بيت، وولدت لعمّ البردوني عبد ربه ابنتين وولدهم بخيتة وظبية وعبد اللّه، واستخلفها أبو شاعرنا بعد موت أخيه؛ فأنجبت له ثلاثة أبناءهم أحمد، وعبد

اللَّه، والثالث مات في شهر ميلاده، ولعل السبب أن ميلاده كان بعد سن الحمل.

وقد تعمرت أكثر من تسعين سنة، وهي حاطبة كالرجال، وسارية الليل كالرجال، تشارك في الفتن المحلية مع قبيلتها، وكانت شديدة على شاعرنا في صغره؛ لكونه يطلب ما لا تمكنها المحاصيل منه.

تاريخ ميلاد شاعرنا يمكن تقديره بعام 1929م، أو 1930م لا قبل ولا بعد، وهذا بالتقدير القائم على أحداث مثل ضرب الشمال بالطائرات البريطانية عام 1928م. وبغرق (محمد البدر) ابن الإمام (يحيى)، الذي كان ذا جهد علمي؛ فهو أول من طبع كتب الفقه وكتب السنة، مثل (نيل الأوطار) لـ(الشوكاني)، و(الدرر المضيئة)، و(الأدلة المجموعة في الأحاديث الموضوعة).

أصيب بمرض الجدري وهو في الخامسة أو السادسة من عمره، وعلى إثره فقد بصره. في قرية (البردُون) تلقى تعليمه الابتدائي الذي لا يتجاوز قراءة الحروف ومعرفة ضمها وفتحها وكسرها، وكان يسمى في أواخر أيام حكم الأتراك العثمانيين في اليمن كتاب (البياض) أو (الباب الصغير)، وحفظها سماعاً في قرية (البردُون) عن شيخه (يحيى حسين القاضي) ووالده. ثم درس ثلث القرآن الكريم. بادئاً من أول النصف الأخير، حيث السور القصيرة التي تساعد على تمرين الحافظة واللاقطة. ثم انتقل إلى قرية (المحلَّةْ)، في ناحية (عنس)، جنوبي شرق مدينة (ذمار)، حيث كانت له أخت متزوجة في تلك القرية، ولأن التعليم كان منتظماً فيها؛ فتعلم بقية القرآن الكريم حتى سورة (الأنعام) على يد الفقيه (عبد اللَّه بن علي سعيد).

ثم انتقل إلى مدينة (ذمار) في الثامنة أو التاسعة من عمره؛

حيث أكمل تعلم القرآن الكريم في الصف الأول من المكتب حفظاً وتجويداً، ثم انتقل إلى دار العلوم (المدرسة الشمسية)، نسبة إلى (شمس الدين بن شرف الدين) بانيها، وفيها أعاد تجويد القرآن مرة ثانية على القراءتين (نافع)، و(حفص)، والثالثة والرابعة على القراءات السبع المتواترة. ومن شيوخه في علم القراءات: العلامة (محمد الصوفي)، والعلامة (صالح الحودي)، والعلامة (حسين الدعاني)، والعلامة (أحمد التّويْرة).

وحين بلغ الثالثة عشرة من عمره: بدأ يُهَمْهِمُ بالشعر، وأخذ من كل الفنون؛ إذ لا يمر مقدار يومين ولا يتعهد الشعر؛ قراءةً، أو تأليفاً، ويقرأ ما وقع في يده من الدواوين القديمة. ثم انتقل إلى (الجامع الكبير) في مدينة صنعاء؛ حيث درس لمدة شهور على العلامة (أحمد الكحلاني)، والعلامة (حميد معياد).

ثم انتقل في مطلع الأربعينيات إلى (دار العلوم)؛ فدرس من بداية الصف الرابع الذي يحتوي على أربع شعب، وتعلم كل ما أحاط به منهجها حتى الغاية. ومن شيوخه فيها العلامة (جمال الدين الدبب)، والعلامة (الفخري الركيحي)، والعلامة (العزي البهلولي)، والعلامة (قاسم بن إبراهيم).

حصل على إجازة من دار العلوم برئاسة العلامة (علي فضة) في (العلوم الشرعية والتفوق اللغوي)، ثم التحق بالمنهج لكي يتقاضى مرتَّب الخرّيج الرمزي، ثم عُيِّن مدرساً للأدب العربي شعراً ونثراً في المدرسة العلمية نفسها، مع متابعة أطوار العصور من الجاهلية إلى عام (1363هـ/ 1944م) ملحقاً بشعراء الماضي شعراء النهضة كـ(شوقي) و(البارودي)، ومن العصر الحديث (إبراهيم ناجي)، و(علي محمود طه) من مصر، و(أبو القاسم الشابي) من تونس، و(عبد القادر الناصر) من العراق، وغيرهم.

ثم واصل إعادة ما قرأ، وبداية ما لم يقرأ؛ حيث كان يقرأ الكتاب أكثر من مرة في السنين الخمس، إلى جانب الدروس المعروفة بفوائدها والمبعدة رسمياً؛ مثل كتب السنة، وكتب المنطق والفلسفة في عهد حداثتها وفي نشوئها في زمن الإغريق.

شغل العديد من الأعمال الحكومية:

ـ رئيس لجنة النصوص في إذاعة صنعاء، ثم مديراً للبرامج فيها إلى عام 1405هـ/ 1980م.

ـ كان يستعان به في أي الْتباس لغوي أو فني في الإذاعة، إلى جانب برنامجه الإذاعي الأسبوعي (مجلة الفكر والآداب). والذي بدأ يصدر في عام 1384هـ/ 1964م، واستمرّ حتى تاريخ وفاته.

ـ عمل مشرفاً ثقافياً على مجلة الجيش من 1389هـ/ 1969م إلى 1395هـ/ 1975م، كما كان له مقال أسبوعي في صحيفة (26 سبتمبر) بعنوان (قضايا الفكر والأدب)، ومقالاً أسبوعياً في صحيفة (الثورة) بعنوان (شؤون ثقافية)، والعديد من المقالات والمقابلات في الصحف والمجلات المحلية والعربية والقنوات الإذاعية والتلفزيونية العربية والعالمية.

ـ كان مع الأوائل ممن سعوا لتأسيس اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، وقد انتخب رئيساً للاتحاد في المؤتمر الأول.

له اثنا عشر ديواناً مطبوعاً وثماني دراسات أدبية، وهي:

*** ـ الشعر:**

1 ـ من أرض بلقيس.

2 ـ في طريق الفجر.

3 ـ مدينة الغد.

4 ـ لعيني أم بلقيس.

5 ـ السفر إلى الأيام الخضر.

6 ـ وجوه دخانيّة في مرايا الليل.

7 ـ زمان لا نوعية.

8 ـ ترجمة رملية لأعراس الغبار.

9 ـ كائنات الشوق الآخر.

10 ـ رواغ المصابيح.

11 ـ جوّاب العصور.

12 ـ رجعة الحكيم ابن زايد.

*** ـ الدراسات:**

1 ـ رحلة في الشعر اليمني.. قديمه وحديثه.

2 ـ قضايا يمنية.

3 ـ فنون الأدب الشعبي في اليمن.

4 ـ اليمن الجمهوري.

5 ـ الثقافة الشعبية.. تجارب وأقاويل يمنية.

6 ـ الثقافة والثورة.

7 ـ من أول قصيدة إلى آخر طلقة.. دراسة في شعر الزبيري وحياته.

8 ـ أشتات.

*** ـ تحت الطبع:**

1 ـ رحلة ابن من شاب قرناها.

2 ـ العشق على مرافئ القمر.

كما كان يعكف على تأليف كتاب عن اليمن الموحد بعنوان (الجمهورية اليمنية).

نال العديد من الجوائز، وهي:

1 ـ جائزة أبي تمام بالموصل عام 1391هـ/ 1971م.

2 ـ جائزة شوقي بالقاهرة عام 1401هـ/ 1981م.

3 ـ جائزة الأمم المتحدة (اليونيسكو)، والتي أصدرت عُملة فضية عليها صورته في عام 1402هـ/ 1982م باعتباره معوّقاً تجاوز العجز وأقدره اللّه على المثابرة في مواصلة التعليم والتأليف نثراً وشعراً وإذاعة.

4 ـ جائزة مهرجان جرش الرابع بالأردن 1404هـ/ 1984م.

5 ـ جائزة سلطان العويس بالإمارات 1414هـ/ 1993م.

كتبت عنه العديد من الكتب والدراسات التي تناولت حياته وشعره، وهي:

1 ـ البردوني شاعراً كاتباً، لطه أحمد إسماعيل (رسالة دكتوراه ـ القاهرة).

2 ـ الصورة في شعر عبد اللّه البردوني، د. وليد مشوح ـ سوريا.

3 ـ شعر البردوني، محمد أحمد قضاة (رسالة دكتوراه ـ الأردن).

4 ـ قصائد من شعر البردوني، ناجح جميل العراقي.

5 ـ البردوني والمقالح شاعران مختلفان، حميدة الصولي.

أعماله المترجمة إلى اللغات العالمية:

1 ـ عشرون قصيدة مترجمة إلى الإنجليزية في جامعة ديانا في أمريكا.

2 ـ الثقافة الشعبية مترجمة إلى الإنجليزية.

3 ـ ديوان مدينة الغد ـ مترجم إلى اللغة الفرنسية.

4 ـ اليمن الجمهوري ـ مترجم إلى الفرنسية.

5 ـ كتاب بعنوان (الخاص والمشترك في ثقافة الجزيرة والخليج)، مجموعة محاضرات باللغة العربية لطلاب الجزيرة والخليج ـ مترجم إلى الفرنسية.

الحارث بن الفضل الشميري

تقديم

بقلم الدكتور
عبد العزيز المقالح

1

هل تستطيع الساقية أن تقدّم النهر؟

هل يستطيع النهر أن يقدّم البحر؟

ذلك ما يريده مني صديقي الشاعر الكبير الأستاذ عبد اللَّه البردُّوني. وهي إرادة عزيزة على نفسي، حبيبة إلى قلبي، ولكنها كبيرة على قلمي، ثقيلة على ذهني، هذا الذهن المجهد المكدود الذي أدركه الصدأ بعد أن عدت به إلى الوطن بعد غربة طويلة. فقد عدت مشوقاً لا لكي أكتب أو أتحدث وإنما لكي أرى وأسمع وأقرأ؛ لأرى الشوارع التي مشيت عليها منذ السنوات الأولى من عمري، ولكي أسمع المآذن التي أحببتها في طفولتي، وأقرأ الجبال التي أدهشتني وأخافتني وما تزال تدهشني وتخيفني!

أيها الصديق العزيز، لقد قرأت شعرك وأنا تلميذ في الابتدائية، وقرأته وأنا طالب في الإعدادية، وقرأته وأنا مدرس في الثانوية، وصار بيني وبينه ألفة العمر. ومن هنا تصورت ـ في فترة من الفترات ـ أنني أعرف الناس به، ثم اتّضح لي وأنا أعيد قراءته من جديد أن الأشياء التي نألفها لا نعرفها كما

ينبغي . لذلك فقد ابتعدت عنه، اغتربت عن شعرك كما اغتربت عن الوطن لا لكي أعرفه أكثر، ولا لكي أحبه أكثر، ولكن لكي أستطيع أن أتحدث عنه بعيداً عن عواطف الطفولة وسلطان المألوف!

وكما كان البعد عن الوطن مثاراً للحنين، ومبعثاً للتوله فقد كان البعد عن شعر البردوني مثاراً للجدل مع النفس، ومجالاً لامتحان الذاكرة.

إن اسم صنعاء حين نذكره في القاهرة أو الجزائر، في تونس أو روما أو برلين، غير اسم صنعاء حين نردده في الصافية أو في شارع عبد المغني، أو في ميدان التحرير. وديوان من (أرض بلقيس) الذي احتفلنا بمولده عام 1961م غير ديوان (لعينيْ أم بلقيس) الذي لم نحتفل بمولده عام 1975م، رغم أن أم بلقيس، هي أرض بلقيس. و(في طريق الفجر) ابن عام 1968م غير (السفر إلى الأيام الخضر) مع أنَّ كليْهما تعبير عن رحلة نفسية وروحية تبحث في قاع الروح اليمنية الغافية عن بقايا ريش الحضارة المطمورة علّها تصنع من تلك البقايا المتناثرة أجنحة جديدة للتحليق إلى (مدينة الغد)، و(مدينة الغد) ديوان من الشعر حبيب إلى نفسي، وقد يكون أحب دواوين شاعرنا البردوني إلى نفسه؛ لأنه القمة أو الذروة التي وصل إليها الشاعر في رحلته مع الحرف المنغم، وقبلها كان يجاهد إلى الوصول نحو تلك الذروة، وبعدها ظل يراوح في مكانه. ولولا بعض قصائد تمسكه في الذروة وتسكنه في (مدينة الغد) لانحدرت به قصائد أخرى جاءت بعد ذلك خطابية أو مناشيرية، كانت تستدعيها ظروف الوطن ويقتضيها وضع البلاد، وحينما أسمع من يهاجم هذا النوع من القصائد وفيهم

الحريص على الفن، والحريص على السيارة والقصر، أتذكر على الفور قول بريخت: «الحديث عن الأشجار يوشك أن يكون جريمة، لأنه يعني الصمت على جرائم أشد هولاً». تلك هي الحقيقة الناصعة فعندما يكون سيف الإرهاب مسلَّطاً على الرؤوس لا تنظر العيون إلى السماء حيث تتلألأ النجوم وإنما تنظر إلى الأرض حيث السيف يوشك أن يسقط على الرقاب فيحزّها كما تحز السكين رقبة الخروف!

2

الأيام - أيام الشاعر - جزء من فنه، وبعده الزمني ضارب في بعده الفني والموضوعي، وأيام البردوني هي أيام اليمن، في بلد ضرير كل ما فيه أعمى أو يدعو إلى العمى. ولد عبد اللّه في قرية (البردون)، وعندما كان طفلاً جاء موسم الجدري، وهو من المواسم الدائمة التي لم تكن لتتأخر عن (يمن الأئمة) كأنه فصل من فصول العام التي لا تتبدل ولا تتغير.

وفي طريقه - أي في طريق موسم الجدري - أخذ من كل قرية ومن كل مدينة ما استطاع حمله من الكبار والصغار ليلقي بهم في المقابر، بعد أن ترك بصماته على بعض الوجوه، وبعض الوجوه انتزع منها أغلى ما فيها/ العينين. وكانت عينا الطفل عبد اللّه من نصيب ذلك الموسم المتوحش!

ذهبت عينا الطفل فما قيمته؟ ماذا يساوي بعد في شعب ضرير، في شعب لا قيمة فيه حتى لذي العينين؟ إن أيام طفلنا كانت أحلك من سوداء.. هل يتذكر شيئاً منها الآن؟ حاولت من خلال الأحاديث المتفرقة مع الصديق الشاعر أن ألملم من الذاكرة

أطيافاً عن أيامه المليئة بالسواد المادي والروحي والنفسي فأفلحت حيناً وفشلت أحياناً. الكلمات نفسها تعجز عن حمل التجربة الليلية الرهيبة.

ولكن وبالرغم من ذلك الحاجز الأسود شق الضرير الصغير طريقه في الظلام، بين وحل القرية وشوكها، وعانى من هجير النهارات، ومن برودة الليالي، يلتقط كل شيء بقلب ذكي وعقل بصير، فضول في البحث لا حدود له، ورغبة شاسعة في معرفة كل شيء والاستفادة من كل شيء.

وكما انتقل الطفل الضرير طه حسين ـ مع الفارق ـ من قريته إلى (القاهرة)، انتقل الطفل عبد اللّه إلى (ذمار)، وفي مسجدها تعلم شيئاً من أصول الدين وقدراً من علوم اللغة على الطريقة التقليدية، وحين بدأ يعي ما حوله ويتنبّه إلى قلة الزاد الفكري في مسجد ذمار، أخذ يعاند ويكابر ويعادي، يهجو ويسجن، يجوع ويتعذب.

وكما سافر طه حسين ـ مع الفارق الشاسع ـ من القاهرة إلى باريس، سافر عبد اللّه من ذمار إلى صنعاء، ذهب ضرير مصر يدرس في (السوربون)، وذهب ضرير البردون ليدرس في (دار العلوم). الفارق واسع وشاسع بين سوربون باريس، ودار علوم صنعاء، ولكن الانتقالات في حكم الزمن تتساوى وربما تزيد هنا عنها هناك. إيقاع الزمن هنا بطيء، القفز إلى أكثر مما يستطيع الضرير الشاب ابن البردون ضرب من المستحيل، لقد وصل ـ رغم أنف ليل التخلف ـ إلى ما لم يصل إليه ملايين المبصرين في بلاده، معلوماته الدينية تزداد، خبرته في علوم العربية تتسع؛ ثم هذا الشيء الذي يسمى الشعر بدأ يلين له ويعطيه من بواكير فاكهته.. ويعجب الشاب الضرير بهذا

الزائر الذي يسليه في وحدته ويعزف على أنغامه ألحان طموحه وآلامه.

وتمضي الأيام ـ أيام اليمن، أيام الشاعر الشاب الضرير ـ فيتسع مجال القول، ويتسع مجال التعبير، ويبدأ شبح الليل في التلاشي، القصائد الطالعة شموع وجدانية تضيء ظلام هذا الشاعر الضرير، وتبدد مخاوف أيامه. لا يريد أن يصبح عالماً، ويرفض أن يصير مقرئاً، قد يكون له كرسي للتعليم في (دار العلوم)، وقد تستضيفه البيوت في الأفراح والأتراح ليقرأ كل ما تيسر من كتاب اللّه العزيز، لكنه لم يخلق لهذا ـ كل ميسر لما خلق له ـ وقد خلق للشعر.. لهذا الشيء الرقيق العنيف، الجميل المتوحش، وقرر عمداً ومع سبق الإصرار، أن يسير بأرض بلقيس في طريق الفجر حتى الأيام الخُضر إلى (مدينة الغد)، وقد وصل وأصبح رغم مصاعب الرحلة، وربما بفضل مصاعبها، واحداً من شعرائنا العظام ليس في اليمن فحسب بل في وطننا العربي الكبير.

3

الشعر، وما الشعر؟

لم يختلف الناس في موضوع كما اختلفوا في موضوع الشعر، ولم تتضارب المفاهيم في أمر كما تضاربت في أمره، والغريب أنه كلما أوغل الناس في تعريف هذا المعلوم المجهول زاد من حوله الغموض. وبما أنني هنا أحاول التعريف بشاعر، فإنني لن أشغل نفسي بالتعريف بالشعر، لأنني أرفض كل التعريفات التقليدية ابتداءً من ذلك التعريف الساذج المسطّح (الشعر هو الكلام الموزون المقفى) وانتهاء بالتعريف القائل (الشعر رقص والنثر

مشي). وأرفض كذلك التعاريف الحديثة ابتداء من التعريف القائل: (الشعر تجارب منغمة)، ووقوفاً عند التعريف الأحدث (الشعر كيمياء الكلمة). فكل هذه التعاريف بعيدة عن الحقيقة الشعرية، فبعضها يهبط بالشعر إلى القاع، وبعضها الآخر يرتفع به إلى ما وراء الغمام!

وأفضل من الضياع والدوران حول هذه الدوامة، دوامة الحديث عن الشعر، الدخول في الحديث عن الشعر واليمن ليكون ذلك تمهيداً للحديث عن شعر الشاعر البردوني، ومنذ البداية أود أن أشجب تهمتين يتهمنا بهما إخواننا في البلاد العربية، وأولى هاتين التهمتين أن اليمن الآن ما يزال يعيش عصر الشعر، فالواقع يقول إِنَّ اليمن تعيش كذلك عصر القصة والرواية والمسرحية والدراسة الأدبية، وهذه أبواب المكتبة اليمنية الحديثة مفتوحة لمن يريد أن يقرأ ويتأكد مما أقول. أما التهمة الثانية والأخيرة فهي ما نسمعه أحياناً هنا وهناك من أن كل يمني شاعر.. لماذا؟ قيل إن الإمام وحاشية الإمام وأعداء الإمام كانوا كلهم شعراء أو يتعاطون الشعر. ليس هذا القول صحيحاً؛ لم يكن الإمام شاعراً وإن نظم بعض أبيات أو حتى بعض قصائد، ولم تكن حاشيته تتعاطى الشعر إلاّ للتسلية؛ والنظم غير الكتابة الشعرية.

إذن الشعراء في اليمن قلة، قلة قليلة، والموهوبون منهم أقل من القليل، وإذا كان التعليم في عهد الإمامة ظل قاصراً على علوم الدين واللغة، وكلها مما يساعد الشاعر الموهوب على الكتابة الشعرية؛ فإن المدارس الآن والجامعة ــ حتى قسم اللغة العربية للأسف ــ لا تعطي علوم اللغة ولا تعطي الشعر

إلا أقل القليل، وهذا قد يجعل الشعر في مستقبل بلادنا عرضة للانقراض.

وفي وقوفي في وجه التهمتين السابقتين محاولة للفت الانتباه الحقيقي إلى واقع الشعر في بلادنا، وإلى ما كان يعاني منه الشاعر في الماضي من خوف الحاكمين وسخريتهم به في الوقتِ ذاتِهِ، لقد كانوا يهابونه ويخافون لسانه، كما كانوا يجبرونه على المديح ويعتبرون امتداحه لهم نوعاً من الواجب الديني، وعملاً يقرب الشاعر إلى اللّه ويقوده إلى الجنة؛ وكانت تلك هي الجائزة. وأذكر بهذه المناسبة طرفاً من حديث ممتع رواه الشاعر أحمد محمد الشامي في مقدمته لآخر دواوينه (لزوميات الشعر الجديد)، يقول: وإن أَنْسَ فلن أنسى حواراً ساذجاً دار بيني وبين المرحوم السيد العالم هاشم المرتضى في مجلس (قات)، بصنعاء سنة 1941م، وكان ترباً وزميلاً لوالدي في (مدرسة شهارة)، فقال لي: بلغني أنك تقرض الشعر يا أحمد؟ قلت: نعم، قال: لا خير لك فيه، قلت: لماذا؟ قال: لأنه كما قالوا (أعذبه أكذبه) وأنت (ابن فلان الفلاني)، ولا أريد أن تكون كذاباً، ثم ستبقى طيلة حياتك إما مادحاً متسولاً أو هجَّاءً تنال من أعراض الناس، أو تهيم في وديان الضلال، وهل تعرف أن (المتنبي) أكبر الشعراء تحاشى دخول الكوفة حين بلغه قول شاعر لا يصل إلى رتبته بلاغة وبياناً:

أي فضل لشاعر يطلب الفضْـ
ـلَ من الناس بكرة وعشيّا

عاش حيناً يبيع في الكوفة الما
ءَ، وحيناً يبيع ماء المحيّا؟

قلت: ولكن الرسول صلى اللّه عليه وسلم قد أيد حسَّاناً بروح القدس، قال: فلقد قال عليه الصلاة والسلام: لأن يملأ أحدكم جوفه قيحاً خير من أن يملأه شعراً، قلت: قد صححت الرواية عائشة أم المؤمنين.. بقولها إن تتمة الحديث «هُجيتُ به» أو فضحك، ربما ابتهاجاً بأن ابن صاحبه يستطيع الجدل، وقال: وماذا تقول في قوله تعالى ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: 224 ـ 226] قلت: تتمة الآيات: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الشعراء: 227].

هذا الحوار الذي لم أقتطف إلاَّ جزءاً يسيراً منه له أكثر من دلالة، فهو يكشف أن الشعر قد كان محاصراً دينياً، وكانت الأسر الشريفة تأباه لأنه قد أصبح إما مدحاً أو قدحاً، تسولاً أو هجاء، وهو أولاً وأخيراً (كذب في كذب)! فما الذي شجع شاعراً ضريراً كالبردوني أن يخوض غماره وأن يحترق في ناره؟

أعتقد أن أصوات الزبيري والموشكي والإرياني والعزب كانت قد مهدت الطريق أمام جيل جديد من الشعراء، وفتحت للشعر باباً تاريخياً جديداً يتجاوز معه الشاعر أسباب التخلف، وتصبح الكلمة فيه وسيلة للتعبير عما يجيش في صدور الملايين، وسلاحاً كفاحياً على طريق الثورة وتحقيق أحلام الجماهير في العدل والحرية والمساواة. ومن أهم مظاهر الانقلاب الذي حدث في الشعر بعد ظهور هؤلاء الشعراء، محاولة الانفصال عن أشكال التعبير الموروثة، وبروز أسماء جديدة ربما كان في مقدمتها الشاعر عبد اللّه البردوني.

4

كان الشعر قبل أن يأتي شعراؤنا المعاصرون وسيلة تعبيرية ذات وظيفة جمالية، قد تكون ذات دلالة اجتماعية وقد لا تكون، قد تكون مديحاً لحاكم أو زلفى لأمير، وقد تكون مناجاة محب أو وصف بحيرة، أو رحلة على ناقة، أو حديثاً عن بستان في الربيع، وقد تغيرت وسائل التعبير في العصر الحديث، وأصبح جانب كبير من الشعر وسيلة إلى الشعب بعد أن كان وسيلة إلى الحكام، لكنه في اليمن كان كتابة بالأظافر وتمرداً بحد السيف.

ولم تعد هناك مسافة تفصل بين القول والعمل، لقد ألغى الزبيري المسافة الممتدة بين القول والعمل عندما قال:

خَرَجْنا من السِّجنِ شُمَّ الأنوفِ
كما تخرجُ الأُسدُ من غابِها

نمرُّ على شفراتِ السيوفِ
ونأتي المنيةَ من بابِها

ونأبى الحياةَ إذا دُنِّسَتْ
بعسفِ الطغاةِ وإرهابِها[1]

عندما قال شاعرنا ذلك كان قد خرج على الطاغية معلناً الحرب عليه وعلى نظامه البائس الظالم، وشعراء آخرون أقاموا جسراً بين الكلمة والفعل فصار قولهم فعلاً، بل وفعلاً محتشداً بالحضور والعطاء:

أميطوا جلابيبَ الجهالةِ عنكمُ
وعن عزكم واستنطقوا الضربَ والطعنا

(1) محمد محمود الزبيري، ديوان ثورة الشعر.

فـمـا فـي حـيـاةِ الـذُّلِّ خـيـرٌ لـعـاقـلٍ
وفـي مـوتـهِ بـالـعـزِّ لـيـس يـرى غـبـنـا[1]

كان ذلك صوت الشهيد الموشكي، الشاعر الذي رفض حياة الذل واستعذب الموت في سبيل الحرية. الشعر إذن في بلادنا موقف، موقف وضع قواعده شعر الشهداء، هذا الشعر الذي أصبح ظاهرة فريدة متميزة في الشعر العربي المعاصر.

القضية ـ إذن ـ أصبحت واضحة أمام جيل الشعراء الأصغر سناً والأقل تجربة، التوق نحو المستقبل والصمود في ساحة الحاضر، مواجهة الهول الأكبر، وتحدي المخلوقات المخوفة.

وكان الإمام أحمد واحداً من هذه المخلوقات المخيفة، إنه سفاح رهيب يقتل أشقاءه، ويهدد بإبادة الشعب كله، وفي ذكرى انتصاره على أول انتفاضة ثورية شعبية، كان سفاح اليمن يقيم الزينات ويحشد الشعب إلى ساحات المدن ليسمعوا كيف يمدح الشعراء الجلاّد، وشذ شاعر عن هذه القاعدة، خرج البردوني الضرير عن المألوف، وفي صوت لا أقوى من روعته وبساطته وإشراقه قال[2]:

عـيـدَ الـجـلـوسِ أعِـزْ بـلادكَ مـسـمـعـاً
تـسـألـكَ أيـنَ هـنـاؤهَـا هَـلْ يُـوجَـدُ؟

تـمـضـي وتـأتـي والـبـلادُ وأهـلُـهـا
فـي نـاظِـرَيْـكَ كـمـا عَـهِـدتَ وتَـعْـهَـدُ

(1) زيد الموشكي، من قصائد مخطوطة.
(2) هلال ناجي، شعراء اليمن المعاصرون، ص85.

يا عيدُ حدِّثْ شعبكَ الظامي متى
يروى، وهلْ يروى وأينَ الموردُ؟

فيمَ السكوتُ ونصفُ شعبكَ هاهُنا
يشقى، ونصفٌ في الشعوبِ مشردُ؟

يا عيدُ هذا الشعبُ ذلَّ نبوغُهُ
وطوى نوابغَهُ السكونُ الأسودُ

ضاعتْ رجالُ الفكرِ فيهِ كأنَّها
حلمٌ يُبَعْثِرُهُ الدُّجى ويبدّدُ

للشعبِ يومٌ تستثيرُ جراحُهُ
فيهِ ويقذِفُ بالرقودِ المَرقَدُ

ولقدْ تَراهُ في السّكينةِ إنّما
خلفَ السّكينةِ غَضْبَةٌ وتمرُّدُ

تحتَ الرَّماد شرارةٌ مشبوبةٌ
ومن الشرارةِ شعلةٌ وتوقُّدُ

لا لمْ ينمْ شعبٌ ويحرقُ صَدرَهُ
جرحٌ على لهبِ العذابِ مسهَّدُ

شعبٌ يريدُ ولا ينالُ كأنَّه
ممّا يكابدُ في الجحيمِ مقيَّدُ

أهلاً بعاصفةِ الحوادثِ إنها
في الحيّ أنفاسُ الحياةِ تردَّدُ[1]

(1) ديوان (في طريق الفجر).

نعم أهلاً بأنفاس الحياة، حياة الحرية والسيادة الوطنية، أهلاً بأنفاس الشعر الموقف، لقد وضع الشاعر الآن قدمه على بداية الطريق وعليه ألاّ يتراجع.. عفواً، وهل يستطيع أن يتراجع؟ إنَّه لا يستطيع حتى أن يلوذ برحاب الصمت:

يا صمتُ ما أهْناكَ لَوْ تستطيعْ
تلفّني، أو أنني أستطيعْ
لكنَّ شيئاً داخلي يلتظي
فيخفقُ الثلجُ، ويظما الربيعْ
يبكي، يغنّي، يجتَدي سامعاً
وهو المغنّي والصَّدَى والسَّميعْ
يهذي فيجثو الليلُ في أضلعي
يشوي هزيعاً، أو يُدمِّي هزيعْ
وتَطبخُ الشُّهبُ رمادَ الضُّحى
وتطحنُ الريحُ عشايا الصَّقيعْ
ويلهثُ الصبحُ كمهجورةٍ
يجتاحُ نهديْها خيالُ الضجيعْ[1]

لقد تحول الشعر إلى زلزال داخل النفس، يحترق ويتجمّد، يغني ويبكي. يحدث كل ذلك في أغوار النفس الشاعرة. لقد استطاع الشاعر بعد لأي أن يمتلك التجربة وتملكته التجربة، فلا

(1) ديوان (مدينة الغد).

تصدقوا ـ إذن ـ هدوءه الظاهر، إِنَّهُ في أعماقه يطبخ النجوم ويطحن الرياح.

ومنذ صار الأدب في اليمن موقفاً وقضية التقى الشعراء جميعاً في ساحة القضية، التقليديون منهم والمجددون، شعراء الفصحى وشعراء العامية. وشعر القضية في هذا الوطن ما يزال يحظى بحب الجماهير وشغفها، ليست الأساليب إذن، ولا جمال الصورة، ولا الحداثة أو التقليدية هي ما يبحث عنه المتلقي هنا. صحيح أن صفوة مختارة من المثقفين قد بدأت تأخذ جانباً في ساحة المتلقين، وبدأت ثقافياً تطلب نوعاً من الشعر، وأسلوباً معيّناً من التعبير؛ لكن الساحة لا تزال تنتظر من يخاطب عواطفها؛ لا يهم أن يكون الشعر عمودياً مقفى، موزوناً أو مرسلاً؛ المهم أن يكون مشحوناً بقضية ومعبراً عن موقف، وعامراً بالمحتوى المهيج المثير، بعضهم يقول إن هذا اللون من الشعر يخدر الجماهير ويسلبها القدرة على الفعل، ويلهيها عن واقعها لأنه ينتصر لها بالكلمات ويعوض عن آلامها بالنغم، ولأن بعض الأنظمة قد حذقت ذلك فهي تشجع مثل هذا الشعر ولا تعاقب عليه، قد يكون في مثل هذه الملاحظات قدر من الصحة في أزمنة الاستقرار؛ أما عندما كانت الكلمة قنبلة والبيت الشعري رصاصة فلا شيء من الصحة في مثل تلك الأقوال.

وحين كانت الكلمة تتبع بالموقف، وتؤكد بالعمل، كان الشعر وسيلة تحريضية وأداة للثورة، وحافظ الشعراء لذلك على أن يقللوا أو يلغوا المسافة القائمة بين القول والفعل. وكل شاعر يأتي يكون أكثر من سابقه إحساساً بما حوله، وإدراكاً للمهمة المعلقة على عاتقه، فالشاعر ـ كما يقول رامبو ـ (محكوم عليه أن يلتقط

إجهاش المهانين، وحقد السجناء، وصيحات الملعونين بأشعة حبه اللاسعة).

5

من الكلاسيكية إلى السريالية، تلك هي الرحلة التي قطعها شاعرنا البردوني في رحلته الفنية، تجاوز الكلاسيكية الجديدة، واستقر حيناً مع الرومانتيكية؛ لكنه عاد إلى الكلاسيكية الجديدة ومنها إلى نوع من السريالية؛ وحتى يجيء المكان المناسب للاستدلال بالنماذج، سأقترب في هذا المكان من قضية تؤرقنا جميعاً نحن أبناء اللغة العربية، تلك هي قضية المصطلحات الأدبية والفنية، وهي قضية تثير المواجع وتدعو إلى الرثاء، وبخاصة في هذا الوقت الذي لا تكف فيه الأفواه عن كلمات الانفتاح؛ فموجة الارتداد (المنفتحة) التي تستورد علب الصلصة والفاصوليا تحاول أن تسد كل باب بل كل نافذة يتسرب منها نور الفكر والأدب، إنها تعلن كل يوم محاكمتها للمصطلحات المستوردة كالكلاسيكية والرومانسية والسريالية وغيرها من المصطلحات المتداولة في الحقول الفنية والأدبية كمعايير نقدية تحدد هوية بعض الأعمال الأدبية، وقد بلغ الضيق بدعاة الانغلاق الإقليمي والفكري في قطر من أكبر الأقطار الإسلامية رقعة وعدداً وإيماناً أن يتهم الدين الإسلامي بأنه مستورد من الجزيرة العربية؛ ولولا (موضة) الاستيراد ما حدث مثل هذا ولما تجرأ شخص حتى ولو كان في مكانة الدكتور زكي نجيب محمود من الهمس بمثل هذه المقولة السخيفة!

وبما أن الشعر وكل الأعمال الأدبية ـ بما فيها الدراسات النقدية ـ لا تزدهر ولا تتفتح إلاّ في مناخ من الحرية الكاملة، فإن هذه الصيحات التي تتنادى من جوانب الطريق معلنة العودة إلى القمقم، تعرقل مسار الإبداع كما تعرقل مسار الحركة النقدية وتجعل للأشكال التقليدية ومضمونها الهابط حق الانتشار والتداول. ولكن رغم كل المصاعب التي تواجه الحركة الأدبية، فإنها سائرة إلى الأمام بخطوات ثابتة، والمصطلحات الأدبية والفنية والنقدية شقت طريقها إلى الحياة الأدبية العربية منذ وقت مبكر من هذا القرن، وأصبح مفهوم الكلاسيكية والرومانتيكية مثلاً واضح المدلول؛ فيكفي أن نصف شاعراً بأنه كلاسيكي لتمثل المحافظة وتقليد القدماء... إلخ.

وشاعرنا البردوني ـ رغم محافظته على الأسلوب البيتي في القصيدة وهو المعروف بالعمودي ـ شاعر مجدد ليس في محتويات قصائده فحسب، بل في بناء هذه القصائد القائم على تحطيم العلاقات اللغوية التقليدية، وابتكار جمل وصيغ شعرية نامية، صحيح أن إيقاعه كلاسيكي محافظ، لكن صوره وتعابيره حديثة؛ تقفز في أكثر من قصيدة ـ وبخاصة في السنوات الأخيرة ـ إلى نوع من السريالية تصبح فيه الصورة أقرب ما تكون إلى ما يسمى باللامعقول.

وفي كتابي (الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر في اليمن) قلت عنه: الشاعر عبد اللّه البردوني من الشعراء القليلين في اليمن، بل في الوطن العربي الذين لا يزالون يحافظون على شرارة الشعر والفن في القصيدة العمودية، وهو من القراء المدمنين

على الشعر الجديد، يفيد من صوره الجديدة ومن تحرره في استخدام المفردات والتراكيب الشعرية الحديثة، وقد اكتسب شعره على محافظته أهمية كبيرة في السنوات الأخيرة لمضامينه الجماهيرية الواضحة[1].

بدأ البردوني كلاسيكياً يقلد القدماء، ويقف طويلاً عند أبي تمام، ثم تأثر بالرومانتيكيين تأثراً حاداً؛ وفي ديوانه الأول أمثلة كثيرة على ذلك منها هذا الصوت الجارح الحزين:

يــا شــاعــرَ الأزهــارِ والأغــصــانِ
هــلْ أنــت مــلــتــهــبُ الــحــشــا أو هــانــي

مــاذا تُــغــنّــي، مــن تُــنــاجــي فــي الــغِــنــا
ولــمــن تــبــوحُ بــكــامــنِ الــوجــدانِ؟

هــذا نــشــيــدُكَ يــســتــفــيــضُ صــبــابــةً
حــرّى كــأشــواقِ الــمــحــبِّ الــعــانــي

فــي صــوتِــكَ الــرقــراقِ فــنٌّ مــتــرفٌ
لــكــنْ وراءَ الــصــوتِ فــنٌّ ثــانــي

كَــمْ تــرســلُ الألــحــانَ بــيــضــاً إنَّــمــا
خــلــفَ الــلــحــونِ الــبــيــضِ دمــعٌ قــانــي

هــل أنــتَ تــبــكــي أم تــغــرِّدُ فــي الــرُّبــا
أم فــي بــكــاكَ مــعــازفٌ وأغــانــي[2]؟

---

(1) عبد العزيز المقالح ـ الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر ص 379 (6) مجلة أكتوبر القاهرية، العدد (114) ديسمبر 1978م.

(2) ديوان (من أرض بلقيس).

هذه الحيرة، هذا التردّد بين الغناء والبكاء جزء من الشوط الرومانسي الذي قطعه الشاعر باكياً لاهثاً، يبحث في قاع ذاته عن حلول اجتماعية فلا يعثر إلاّ على الدمع والأسى، ومن جديد يعود إلى الكلاسيكية، الكلاسيكية الجديدة بالطبع لأنها، رغم التخلف الفني، أكثر قدرة على امتلاك السمات الجماهيرية حيث تشكل امتداداً طبيعياً للتراث، ولكن الكلاسيكية ـ حتى الجديدة منها ـ لا ترضي رغبته الفنية، إنه يقرأ قصائد جديدة، يحلّق في عوالم جديدة من الشعر العربي الحديث، ومن الشعر العالمي المترجم، ثم إن الواقع اللامعقول يستدعي ظهور لغة جديدة، لغة تجمع بين الحقيقة والخيال، بين اللاواقع والواقع، بين المعقول واللامعقول، وفي قصيدة (يداها) يتجسد ذلك الأسلوب وتظهر تلك اللغة الجديدة:

مثلما يبتدئ البيت المقفّى
رحلةً غيميةً تبدو وتخفى

مثلما يلمس منقار السنا
سَحَراً أرعش عينيه وأغفى

هكذا أحسو يديْكِ.. إصبعاً
إصبعاً، أطمع لو جاوزن ألفا

مثل عنقودين أعيا المجتني
أيُّ حبّاتهما أحلى وأصفى؟

هذه أملى وأطرى، أختها
تلك أشهى، هذه للقلب أشفى

هـــذه أخـــصـــبُ نـــضـــجـــاً إنـــنـــي
ضـعـتُ بـيـن الـعـشـرِ لا أمـلـكُ وصـفـا[1]

اللغة هنا تهدم المألوف، وحديث الشاعر عن يدي الحبيبة، عن أصابع هاتين اليدين، وفي الحديث عنهما قدر كبير من السريالية، وما يحرر الشاعر من الوقوع النهائي في قبضة السريالية هو البيتية، هذا النظام الشعري الذي يجزئ الصور في وحدات كاملة ويمنع امتدادها، وقد بدأ هذا الاتجاه مع الشاعر منذ ديوانه (مدينة الغد)، وهو ديوان يحفل بالقصص الشعري وبالصور السريالية:

حـتـى احـتـسـتْـهـا شـفـاهُ الـبـابِ، لا أحـدٌ
يـومـي إلـيـه، ولا قـلـبٌ، لـه يـجـفُ

وظـنَّ وارتـابَ حـتـى اشـتـمّ قـصـتَـه
كـلـبٌ هـنـاك، وثـورٌ كـانَ يـعـتـلـفُ

وعـادَ مـن حـيـثُ لا يـدري عـلـى طـرقٍ
مـن الـذهـول إلـى الـمـجـهـولِ يـنـقـذفُ

يـسـيـحُ كـالـريـحِ فـي الأحـيـاء يـلـفـظُـهُ
تـيـهٌ، ويـسـخـرُ مـن تـصـويـبـهِ الـهـدفُ[2]

وفي ديوانه الأخير (وجوه دخانية في مرايا الليل)، يتعمق هذا التيار الجديد، وتقفز الاستعارات فوق الحواجز معلنة لا إفلاس المألوف والمعتاد فحسب، بل الدخول في عالم جديد من التركيب اللغوي، تركيب الجملة، رسم

(1) ديوان (السفر إلى الأيام الخضر). (2) ديوان (مدينة الغد).

الصورة في حديثه عن بعض جبال اليمن يقول الشاعر:

سيدي.. هذي الروابي المُنْتِنة
لم تعُدْ كالأمسِ كسلى مُذعِنة

(نُقُمٌ) يهجسُ، يُغلي رأسَهُ
(صَبِرٌ) يهذي يحدُّ الألسنةُ

(يَسْلَحٌ) يومي، يرى ميسرة
يرتئي (عيبانُ)، يرنو ميمنةْ

لذُرا (بعدان) ألفاً مقلةٍ
رفعتْ، أنفاً كأعلى مِئذَنةْ[1]

شيء آخر برع فيه البردوني شاعراً، غير القصص الشعري، ذلك هو الحوار، والدراما، ولعل ما كان ينقص القصيدة العربية في معمارها الفني التقليدي هو قدر حقيقي من الدرامية؛ وهذا ما توافر في شعر البردوني وفي دواوينه الأخيرة بصفة خاصة، فلا تكاد تخلو قصيدة من الحوار المباشر وغير المباشر:

ولكن، متى مِتَّ؟ كنت (بُخيْتاً)
فَصِرْتَ شعوباً تسمّى (بُخيْتْ)

لأن اَسْمَكَ امتدَّ فيهم، رأوك
هناك ابتديت، وفيك انتهيْتْ

فأينَ ألاقيك هذا الزمان؟
ومن أيِّ حقل؟ وفي أي بَيْتْ؟

(1) ديوان (وجوه دخانية في مرايا الليل).

ألاقيك أرصفةً في (الرياض)
وأوراقَ مزرعةٍ في (الكويتْ)

ومكنسةً في رمالِ الخليجِ
وشتْ عن يديك وأنت اختفيْتْ

وإِسفلتَ أسواقِ مستعمرٍ
أضأْتَ مسافاتها وانطفيْتْ

وروّيتها من عصير الجبينِ
وأنت، كصحرائها ما ارتويْتْ[1]

لقد حاول البردوني في فترة من فترات حياته الشعرية أن يعتمد نظام المقاطع المتعددة القوافي والموحدة البحر، وأحياناً المتعددة أو المختلفة الأبحر، إلاّ أنه في الفترة الأخيرة اكتفى بالتجديد داخل القصيدة نفسها، التجديد في اللغة وفي الصورة وفي أسلوب الاستعارة والمجاز اللغوي، وبالرغم من أن العالم الشعري بدأ ينهار من حولنا في شتى الأقطار وفي أرجاء المعمورة؛ إلاّ أنه عنده يبدو أصلب عوداً أو أكثر مواجهة للانهيار.

6

ليس البردوني شاعراً فحسب بل هو ناقد أدبي وكاتب اجتماعي، وتكاد الكتابة النقدية أو الدراسة الاجتماعية ـ في الأيام الأخيرة ـ تكونان صلته الوحيدة بالمتلقي بعد أن جف ضرع الشعر أو كاد، وهو جفاف مؤقت يعود إلى رتابة الواقع، والرتابة بالنسبة للشاعر والشاعر السياسي بصفة خاصة تمثل العدو التقليدي؛

---

(1) وجوه دخانية في مرايا الليل.

فتكرار الأشياء يعني تكرار الحديث عنها، والتكرار على أهميته يفقد الشعر بلاغة التعبير وسحر الأداء.

النثر إذن هو المادة الطيعة القادرة على تتبع الأحداث المتكررة، والدراسة الأدبية هي المجال الوحيد لاسترجاع أصداء الأعمال الفنية وإعطائها طاقات جديدة وفعالية أجد، وقد أصدر شاعرنا ـ حتى كتابة هذه المقدمة ـ كتابين نثريين؛ أحدهما دراسات تحليلية ونقدية لبعض قصائد الشعراء اليمنيين الأقدمين والمحدثين، وهو كتاب (رحلة في الشعر اليمني قديمه وحديثه)، والآخر دراسات اجتماعية وتاريخية سجل فيها الشاعر انطباعاته الخاصة عن بعض القضايا اليمنية المعاصرة، واسم الكتاب (قضايا يمنية).

وبما أن الحديث هنا يقتصر على شعر البردوني وليس على نثره، فإنني لا أستطيع أن أقحم نفسي في الحديث عن كتاباته النثرية، وما قوبلت به من إعجاب أو إعراض، فالواضح أن البردوني قد ولد شاعراً، ولكن هذا لا يعني أن كتاباته النثرية غير ذات أهمية، فهي حصيلة رؤية شاعر رافق الكلمة وعاشرها على مدى خمسة وثلاثين عاماً.

وإذا كان تفوق البردوني الشاعر يطغى على البردوني الناثر، فإن ذلك أمر يتمشى مع الحساسية الفنية النابعة من واقع اليمن، حيث تتقدم الكلمة الشاعرة مسيرة الحركة الأدبية، بعد أن استكملت عبر العصور قدراتها اللغوية والتخيلية كافة.

وشاعرنا البردوني ليس الوحيد من بين الشعراء المعاصرين الذين لم يقصروا إنتاجهم على الشعر وحده،

فقائمة الشعراء الناثرين أكبر من أن تحصى، ويكاد بعض الشعراء ينالون الآن من الشهرة بكتاباتهم النثرية ما ينالون من الشهرة بأشعارهم، وهذا أدونيس أكبر مثل على هذه القضية. وفي القائمة شعراء آخرون مثل صلاح عبد الصبور، نزار قباني، أحمد عبد المعطي حجازي وآخرون.

7

هل وصلت الحصاة إلى قاع النهر؟

هل الدوائر الصغيرة التي تركتها الحصاة على صدر النهر كافية لقراءة ملامحه؟

هل سأتمكن يوماً من كتابة دراسة متقنة ومعمقة عن هذا الشاعر الفذ؟

أرجو ذلك..

أما الكلمات التي تضمنتها هذه المقدمة، فلا تزيد عن كونها محاولة لكشف اللثام، عن وجه شاعر ثوري عنيف في ثوريته، جريء في مواجهته، شاعر يمثل الخصائص التي امتاز بها شعر اليمن المعاصر والمحافظ في الوقت نفسِهِ على كيان القصيدة العربية كما أبدعتها عبقرية السلف، وكانت تجربته الإبداعية أكبر من كل الصيغ والأشكال.

صنعاء 9 يناير سنة 1979م

❁ ❁ ❁



من
أرض بلقيس

البردوني يعرِّف بـ(البردُّوني)

نشأ في قرية البردُون من أعمال زراجة بـ(الحدا) وهي قرية شاعرية الهواء، ذهبية الأصائل والأسحار، يُطلّ عليها جبلان شاهقان، مكلّلان بالعشب، مؤزّران بالنبت العميم. ولهذه القرية في نفس الشاعر ذكرياتٌ وذكريات، فيها وُلد الشاعر سنة 1348هـ، وفي أحضان هذه القرية الخالدة وتحت ظلال والده الفلاح ووالدته، مرِحتْ طفولتُه، وتحسّست نظراته كؤوس الجمال الفاتن، حتى أغمض عينيه العمى بين الرابعة والسادسة من العمر، بعد أن كابد الجُدري سنتين.

وقد كان حادث العمى مأتماً صاخباً في بيوت الأسرة، لأن ريفه يعتدّ بالرجل السليم من العاهات، فرجاله رجال نزاع وخصام فيما بينهم؛ وكلّ قبيلة محتاجة إلى رجل القِراع والصّراع الذي يقود الغارة ويصدّ المغير.

وفي نهاية السابعة استهل الشاعر المنتظر التعليم في مدرسة ابتدائية في القرية واستمر سنتين، انتقل على إثرهما إلى قرية (المحلّة) من أعمال (ذمار)، وفيها أقام شهوراً بين البيت والمدرسة، ثم شاءت الظروف السعيدة أن تنتقل به إلى مدينة (ذمار)، وفي مدرستيها الابتدائية والعلمية عكف على الدرس، وكانت مدة إقامته في ذمار عشر سنوات، كابد فيها مكاره العيش ومتاعب الدرس، والحنين إلى القرية وملاعبها. وفي هذا العهد من تاريخه مال إلى الأدب فقرأ كل كتاب يصادفه، وبدأ يقرض الشعر

وهو في الثالثة عشرة من عمره. وأكثر هذا الشعر شكوى من الزمن، وتأوّه من ضيق الحال، وفي هذا الشعر نزعات هجائية، تكونت من قراءة الهجّائين، ومن سخط الشاعر على بعض المترفين، فقد كان يتعزّى بقراءة الهجو ونظمه، وهذا بدافع الحرمان الذي رافقه شوطاً طويلاً، فبكى منه وأبكى!

وكان يظهر في هذا الإنتاج طابع التشاؤم والمرارة، ولكنه كان يُنبئُ عن شاعرية ستورق وتزهر، فقد تنبّأ له آنذاك كثيرون من أرباب الذوق بالنبوغ والصيت المنتشر، وبعد عشر سنوات في (ذمار)، وبأعجوبة تاريخية إلى أعاجيب شقّ الطريق إلى (صنعاء) وفيها عانى ما عانى من مكابدة العيش، ومصارعة الأهوال، ثم تبنته مدرسة (دار العلوم)، وفيها قرأ المنهج المرسوم للمدرسة حتى أنهاه، وعيّن أستاذاً للآداب العربية في المدرسة نفسها[1].

❁ ❁ ❁

(1) هذا التعريف أملاه البردُوني قبل عمله في الإذاعة.

من أرضِ بلقيس[1]

من هذه الأم الحنون، والحبيبة الحسناء.. من هذه الفاتنة الراقصة على القلوب.. من هذا الفردوس الأرضي.. من هذه الحبيبة الغارقة في العطر والنور.

مِـنْ أرضِ (بِـلْـقـيـسَ) هـذا الـلَّـحـنُ والـوتـرُ
مــن جــوِّهــا هــذه الأنــســامُ والــسَّــحَــرُ

مــنْ صــدرِهــا هــذه الآهــاتُ مــنْ فــمِــهــا
هــذي الــلّــحــونُ؛ ومــنْ تــاريــخِــهــا الــذِّكــرُ

مِـن (الـسـعـيـدةِ)[2] هـذي الأغـنـيـاتُ ومـنْ
ظــلالِــهــا هــذه الأطــيــافُ والــصّــورُ

أطـيـافُـهـا حـول مَـسْـرى خـاطـري زُمَـرٌ
مــن الــتــرانــيــم تــشــدو حــولَــهــا زمــرُ

مـن خـاطـرِ (الـيـمـنِ) الـخَـضْـرا ومـهـجـتِـهـا
هــذي الأغــاريــدُ والأصــداءُ والــفِــكــرُ

هــذا الــقــصــيــدُ أغــانــيــهــا ودمــعــتُــهــا
وسِــحْــرُهــا وصِــبــاهــا الأغــيــدُ الــنّــضِــرُ

يــكــادُ مــنْ طــولِ مــا غــنّــى خــمــائــلَــهــا
يــفــوحُ مــنْ كــلِّ حــرفٍ جــوُّهــا الــعــطِــرُ

---

(1) بلقيس: ملكة سبأ وزوج سليمان ـ عليه السلام ـ وأرض بلقيس من أسماء اليمن.
(2) السعيدة: وسمّاها الرّومان قديماً (العربية السعيدة).

يكادُ من كُثْرِ ما ضمّته أغصنُها
يرِفُّ من وجنتيْها الوردُ والزّهَرُ

كأنّه من تَشكّي جُرحِها مُقَلٌ
يُلِحُّ منها البُكا الدامي وينحدرُ

يا أمّيَ اليمنَ الخضرا وفاتنتي
منكِ الفتونُ ومني العشقُ والسَّهرُ

ها أنتِ في كل ذرّاتي وملء دمي
شعرٌ تُعَنْقِدُهُ الذكرى وتعتصِرُ

وأنتِ في حضنِ هذا الشِّعرِ فاتنةٌ
تُطِلّ منه، وحيناً فيه تستتِرُ

وحسبُ شاعرِها منها، إذا احتجبت
عن اللقا أنه يهوَى ويدّكِرُ

وأنها في مآقي شِعرِه حُلُمٌ
وأنها في دجاهُ اللهوُ والسَّمرُ

فلا تَلُمْ كِبْرِياها فهي غانيةٌ
حَسْنا، وطبعُ الحسانِ الكِبْرُ والخَفَرُ

مِن هذه الأرض هذي الأغنياتُ، ومن
رياضِها هذه الأنغامُ تنتشرُ

من هذه الأرض حيثُ الضوءُ يلثمها
وحيثُ تغتنقُ الأنسامُ والشجرُ

ما ذلك الشدو؟ مَنْ شاديه؟ إنهما
مِن أرضِ (بِلقيسَ) هذا اللحنُ والوترُ

أنشودة الجنوب

هذه أرضي

زمــجــري بــالــنّــارِ يــا أرضَ الــجــنــوبْ
والْــهِــبــي بــالــحــقــدِ حــبّــاتِ الــقــلــوبْ
واقــذفــي الــحــقــدَ دخــانــاً ولــهــيــبْ
زمــجــري لــلــثــأرِ يــا أرضَ الــجــنــوبْ
واركبي الموتَ إلى المجدِ السليبْ. . زمجري
واثــأري يــا أرضَ جــدّي وأبــي. . واثــأري
واعــصِــفــي بــالــغــاصــبِ الــمــســتــعــمــرِ

وامْــــلأي الــــرّوْعَ دمــــاءً وجــــراحْ
إنــمــا الــمــجــدُ نــضــالٌ وســلاحْ
ولــك الــنــصــرُ ولــلــعــزم الــنــجــاحْ
فــاســتــعــيــدي كــلَّ شــبــرٍ مُــسْــتَــبــاحْ
واركبي الـهـولَ وطـيري لـلـكـفـاحْ. . زمـجـري
أطْــلــقــيــهــا ثــورةً كــالــلــهــبِ. . أطْــلــقــي
واعــصــفــي بــالــغــاصــبِ الــمُــسْــتَــعــمــرِ

هــــذه أرضــــي وأرضــــي أبــــدا
وأنــا مِــنْ صــوتِــهــا الــحــرِّ الــصــدى

وهـــي فـــي صـــوتـــي هـــتـــافٌ ونِـــدا
سـوف أشـفـي جـرحَـهـا يـوم الـفـدا

فـانفُضي يا أرضَ أجدادي العِدا . . زمجري
واثـأري يـا يـقـظـة الـثـأرِ الأبـي . . واثـأري
واعـصـفـي بـالـغـاصـبِ الـمـسـتـعـمـرِ

واسْـتَـشـيـري يـا جـراحُ الأبـريـاء
وتـقـوَّي فـالـعُـلا لـلأقـويـاء

وتـأبَّـي واشْـمـخـي بـالـكـبـريـاء
وأنَـفـي سـوطَ الـبـغـاةِ الأدعـيـاء

واقسمي بالشهداءِ الأوفياء . . واقسمي
إنَّ أرضـي لَـمْ تَـعُـدْ لـلأجـنـبـي . . زمـجـري

زمجري بالنارِ يا أرضَ الجنوبِ . . زمجري
واعـصـفـي بـالـغـاصـبِ الـمـسـتـعـمـرِ

❁ ❁ ❁

يقظةُ الصَّحراء

ألقى الشاعر هذه القصيدة في حفل حافل بدار العلوم ممثلاً لها بمناسبة ذكرى المولد النبوي سنة 1376هـ.

حيِّ ميلادَ الهدى عاماً فعاما
واملأ الدنيا نشيداً مُستهاما

وامْضِ يا شعرُ إلى الماضي إلى
مُلتقى الوحي وذُبْ فيه احتراما

واحمِلِ الذكرى من الماضي كما
يحملُ القلبُ أمانيه الجساما

هات ردِّدْ ذكرياتِ النورِ في
فنِّكَ الأسمى ولقِّنْها الدّواما

ذكرياتٌ تبعثُ المجدَ كما
يبعثُ الحسنُ إلى القلبِ الغراما

فارتعشْ يا وتَرَ الشِّعرِ وَذُبْ
في كؤوسِ العبقرياتِ مُداما

وتنقّلْ حولَ مهدِ المصطفى
وانشدِ المجدَ أغانيك الرِّخاما[1]

زَفّتِ البشرى معانيه كما
زَفّتِ الأنسامُ أنفاسَ الخُزامى

(1) الرِّخام: السهلة اللينة.

وتجلّى يومُ ميلادِ الهدى
يملأ التاريخَ آياتٍ عِظاما

واستفاضتْ يقظةُ الصحرا على
هَجْعةِ الأكوانِ بعثاً وقِياما

وجلا للأرضِ أسرارَ السما
وتراءى في فمِ الكونِ ابتساما

جلَّ يومٌ بعثَ اللَّهُ بِهِ
أحمداً يمحو عن الأرضِ الظلاما

ورأى الدنيا خِصاماً فاصطفى
أحمداً يُفني مِن الدّنيا الخصاما

(مُرْسَلٌ) قدْ صاغَهُ خالقُهُ
من معاني الرُسْلِ بدْءاً وخِتاما

قد سعى - والطُّرْقُ نارٌ ودمٌ -
يعبرُ السهل ويجتازُ الأكاما

وتحدّى بالهدى جهدَ العِدا
وانتضى للصارمِ الباغي حُساما

نزلَ الأرضَ فأضحتْ جنّةً
وسماءً تحملُ البدرَ التماما

وأتى الدنيا فقيراً فأتتْ
نحوَه الدنيا وأعطتْهُ الزِّماما

ويتيماً فَتَبَنَّتْهُ السّما
وتبنَّى عطفُه كلَّ اليتامى

ورعى الأغنامَ بالعدلِ إلى
أنْ رعى في مرتعِ الحقِّ الأناما

بدويٌّ مدَّنَ الصَّحرا كما
علَّمَ النَّاسَ إلى الحَشرِ النظاما

وقضى عدْلاً وأعلى مِلَّةً
تُرشد الأعمى وتُعمي من تعامى

نشرَت عدلَ التَّساوي في الورى
فعلا الإنسانُ فيها وتسامى

يا رسولَ الحقِّ خلَّدتَ الهدى
وتركتَ الظُّلمَ والبغيَ حُطاما

قُمْ تَجِدْ في الكونِ ظلماً محْدَثاً
قتلَ العدلَ وباسمِ العدلِ قاما

وقوىً تختطفُ العُزْلَ كما
يخطفُ الصقرُ من الجوِّ الحماما

أمطر الغربُ على الشرقِ الشَّقا
وبدعوى السِّلمِ أسقاهُ الحِماما

فمعاني السِّلم في ألفاظِهِ
حِيَلٌ تبتكرُ الموتَ الزُّؤاما

يا رسولَ الوحدةِ الكبرى ويا
ثورةً وسَّدَتِ الظُّلمَ الرّغاما

خُذْ من الأعماقِ ذكرى شاعرٍ
وتقبَّلْها صلاةً وسلاما

فلسفة الفنّ

لا تــقــلْ مــا دمــعُ فَــنِّــي لا تــســلْ مـا شَـجْـوُ لـحـنـي
مــنــكَ أبــكــي وأغــنّــيــ ـلكَ فــمــا يُــؤذيــكَ مــنّــي؟
ســمّــنــي إنْ شــئــتَ نَــوّا حــاً وإنْ شــئــتَ مُــغَــنّــي
فــأنــا حــيــنــاً أعــزّيــ ـك وأحــيــانــاً أُهَــنّــي
لــكَ مــنْ حــزنــي الأغــاريــ ـدُ ومــنْ قــلــبــي الــتــمــنّــي
أنــا أُرضــي الــفــنَّ لــكــن كــيــفَ تــرضــى أنــتَ عــنــي؟
كــلُّ مـا يُـشـجـيـك يُـبـكـيـ ـنـي ويُـضـنـي ويُـعـنّـي
فــاســتــمــعْ مــا شــئــتَ واتــركــ ـنـي كــمــا شــئــتُ أغــنّــي

❋ ❋ ❋

لا تَــلُــمْــنــي إن بــكــى قــلــ ـبــي وغــنّــاكَ بُــكــايــا
لا تَــسَــلْــنــي مــا طــوانــي عــنــكَ فــي أقــصــى الــزوايــا
هــا أنــا وحــدي وألــقــا كَ هــنــا بــيــن الــحــنــايــا
هــاهُــنــا حــيــثُ ألاقــيــ ـكَ طِــبــاعــاً وســجــايــا
حــيــث تــهــوي قِــطَــعُ الــظُّــلْــ ـمــا كــأشْــلاءِ الــضــحــايــا
وتُــطِــلّ الــوحــشــةُ الــخــرْ ســا كــأجــفــانِ الــمــنــايــا
والــدّجــى يــنــســابُ فــي الــصــمــتِ كــأطــيــافِ الــخــطــايــا
والــســكــونُ الأسْــودُ الــغــا فــي كــأعــراضِ الــبــغــايــا
وأنــا أدعــوكَ فــي ســرّي وأحــلامــي الــعــرايــا

❋ ❋ ❋

يا رفيقي في طريقِ العمرِ — في ركبِ الحياةِ
أنتَ في رُوحيّتي رُو — حٌ وذاتٌ ملءُ ذاتي
جمعتْنا وحدةُ العيشِ — وتوحيدُ المماتِ
عُمرنا يمضي وعُمْرٌ — من وراءِ الموت آتِ
نحن فِكران تلاقيْنا — على رغمِ الشتاتِ
نحن في فلسفةِ الفنّ — كنجوى في صلاةِ
أنا كأسٌ من غنى الشو — قِ ودمعِ الذكرياتِ
فاشربِ اللحنَ ودَعْ في الـ — كأسِ دمعَ المُوجَعاتِ
هكذا تصبو كما شا — ءتْ وتبكي أغنياتي

* * *

يا رفيقي هاتِ أذنيْكَ — وخُذْ أشهى رنيني
من شفاهِ الفجرِ أسقيـ — كَ وخمرِ الياسمينِ
من مَعينِ الفنِّ أَرويـ — ـكَ ولمْ ينضبْ معيني
لك من أنّاتيَ اللحنُ — ولي وحدي أنيني
ولكَ التغريدُ من فني — ولي جوعُ حَنيني
ها أنا في عُزلة الشعرِ — كأشواقِ السجينِ
حيثُ ألقاكَ هنا في — خاطرِ الصمتِ الحزينِ
في أغاني الشوقِ في الذكرى — وفي الحبِّ الدفينِ
في الخيالاتِ وفي شكوى — الحنينِ المستكينِ

نارٌ وقلب

يـا ٱبْـنـةَ الـحـسـنِ والـجـمـالِ الـمـدلّـلْ
أنـتِ أحـلـى مـن الـجـمـالِ وأجـمـلْ

وكـأنَّ الـحـيـاةَ فـيـكِ ابـتـسـامٌ
وكـأنَّ الـخـلـودَ فـيـكِ مُـمَـثَّـلْ

كـلُّ حـرفٍ مـن لـفـظِـكِ الـحـلـو فـردو
سٌ نَـدِيٌّ وسـلـسـبـيـلٌ[1] مُـسَـلْـسَـلْ

كـلّـمـا قـلـتِ رفّ مـن فـمِـكِ الـفـجـرُ
وغـنّـى الـرّبـيـعُ بـالـعـطـرِ واخـضـلّ

أنـتِ فـجـرٌ مـعـطّـرٌ وربـيـعٌ
وأنـا الـبـلـبـلُ الـكـئـيـبُ الـمـبَـلْـبَـلْ

أنـتِ فـي كـلِّ نـابـضٍ مـن عـروقـي
وتـرٌ عـاشـقٌ ولـحـنٌ مُـرتّـلْ

كـلّـمـا اسـتـنـطـقـتْ مـعـانـيـك شـعـري
أرعـدَ الـقـلـبُ بـالـنـشـيـدِ وجَـلْـجَـلْ

وانـتـزفـتُ الـلـحـونَ مـن غَـور أغـوا
ري كـأنـي أذوبُ مـن كـلِّ مِـفْـصَـلْ

---

(١) السلسبيل: الخمر، واللين الذي لا خشونة فيه.

وأغـنّـيـكِ والـصـبـابـاتُ حـولـي
زُمَـرٌ تـحـتـسـي قـصـيـدي وتـنـهـلْ
وأنـاجـي هـواكِ فـي مَـغـرض الأو
هـامِ فـي شـاطـئ الـظـلام الـمـسربَـلْ
وفـؤادي يـحـنّ فـي صـدريَ الـدّا
مـي كـمـا حـنّ فـي الـقـيـودِ الـمُـكـبّـلْ
وهـواكِ الـغـضـوبُ نـارٌ بـلا نـا
رِ وقـلـبـي هـو الـلـهـيـبُ الـمـذلَّـلْ
أنـتِ دنـيـا الـجـمـالِ نـمـنـمـهـا الـسـحـرُ
فـأغـرى بـهـا الـجـمـالَ وأذهـلْ
فـتـنـةٌ أيُّ فـتـنـةٍ هـزّ قـيـثـا
ري صـبـاهـا فـفـاض بـالـسـحـرِ وانـهـلّ
تُـسـكـرُ الـكـأسَ حـيـن تُـسـكـرُهـا الـكـأ
سُ وتـسـقـي الـرحـيـقَ أحـلـى وأفـضـلْ
وفـتـونٌ يـهُـزّ شـعـري كـمـا هـزّ
الـنـسـيـمُ الـبـلـيـلُ زهـراً مـبـلّـلْ
وألاقـيـكِ فـي ضـمـيـري كـمـا لاقـى
الـفـمُ الـمـسـتـهـامُ أشـهـى مُـقَـبّـلْ
فـي دمـي مـن هـواك حُـمَّـى الـبـراكـ
يـنِ الـعـواتـي وألـفُ دنـيـا تـزلـزلْ
وبـقـلـبـي إلـيـكِ ألـفُ عـتـابٍ
وحِـوارٍ وحـيـن ألـقـاكِ أخـجـلْ

أنــــا أهـــواك لــــلــــجـــمــــالِ ولــــلإلــــ
هــامِ لــلــفــنّ لــلــجِــوارِ الــمــغَــسَّــلْ

والــغــرامُ الــطــهــورُ أزكــى مــعــانــي
الــحــب؛ أســمــى مــا فــي الــوجــودِ وأنــبــلْ

فــانــفــحــيــنــي تــحــيّــةً وتــلــقّــيْ
نــغَــمــاً مــن جــوانــحِ الــحــبّ مُــرسَــلْ

❁ ❁ ❁

هائم

قلبُهُ المستهامُ ظمآنُ عاني
يحتسي الوَهْمَ من كؤوس الأماني
قلبُهُ ظامئٌ إليكِ فصبّي
فيه عطرَ الهوى وظلّ التداني
واذكري قلبَه الحبيسَ المعنّى
واملأي الكأسَ من رحيقِ الحنانِ
إنه عاشقٌ وأنتِ هواهُ
إنه فيك ذائبُ الرّوحِ فاني
أنتِ في همسِهِ مناجاةُ أوتا
رِ وفي صمتِهِ أرقُّ الأغاني
إنه في هواكِ يُحرَق بالحبِّ
ويدعوكِ من وراءِ الدّخانِ
سابحٌ في هواكِ يهفو كفكرٍ
شاعرٍ يرتمي وراءَ المعاني
أين يلقاكِ؟ أين ماتتْ شكاوا
ه وجفّتْ أصداؤه في اللّسانِ؟
إنّه ظامئٌ إلى ريّكِ الحا
ني مشوقٌ إلى الظلالِ الحواني

تــائــهٌ فــي الــحــنــيــنِ يــهــوى كــرُوحٍ
ضــائــعٌ يــســأل الــدُّجــى عــن كــيــانِ

ظــامــئٌ يــشــربُ الــحــريــقَ الــمــدمّــى
ويُــعــانــي مــن الــظــمــا مــا يــعــانــي

أنــتِ فــي قــلــبــهِ الــحــيــاةُ وكــلُّ الــ
ــحــبِّ كــلُّ الــهــوى وكــلّ الــغــوانــي

فــيــكِ كــلُّ الــجــمــالِ فــيــكِ الــتــقــى الــحــســ
ــنُ وفــيــكِ الــتــقــتْ جــمــيــعُ الــحــســانِ

لَــمْ يــهــبْ قــلــبَــهُ ســواكِ ولــكــن
لــمْ يــذُقْ مــنــكِ غــيــرَ طــعــمِ الــهــوانِ

فــامــنــحــيــه يــا واحــةَ الــحــبّ ظــلاً
وانــفــضــي حــولَــهُ نَــدى الأقــحــوانِ

واســكــبــي الــفــجْــر فــي دجــاهُ ورفّــي
فــي شــقــا حــبّــه رفــيــفَ الــجِــنــانِ

إنــه هــائــمٌ يــعــيــشُ ويــفــنَــى
بــيــن جَــوْرِ الــهــوى وظــلــمِ الــزمــانِ

مــيّــتٌ لــمْ يــمُــتْ كــمــا يــعــرفُ الــنــا
ــسُ ولــكــن يــمــوتُ فــي كــلِّ آنِ

❁ ❁ ❁

سحرُ الربيع

رصّعِ الدّنيا أغاريدَ وشعرا
وتفجّرْ يا ربيعَ الحبِّ سُكْرا

وافرشِ الأرض شعاعاً وندى
وترقرقْ في الفضا سحراً وإغرا

يا ربيعَ الحبِّ لاقتك المنى
تحتسي من جوّك المسحورِ سحرا

يا عروسَ الشعرِ صفّقْ للغنا
وترقّصْ في ضفافِ الشعرِ كِبْرا

أسفرتْ دُنياكَ للشعرِ كما
أسفرتْ للعاشقِ المحرومِ عَذرا

فهنا الطيرُ تغنّى وهنا
جدولٌ يُذري الغنا رِيّاً وطهرا

وصبايا الفجرِ في حضنِ السنا
تنشرُ الأفراحَ والإلهامَ نشرا

والسهولُ الخضرُ تشدو والرّبا
جَوقةٌ تجلو صبايا اللّحن خضرا

فكأنَّ الجوَّ عزفٌ مسكرٌ
والحياةَ الغضةَ الممراحَ سكرى

والـــريـــاحـــيـــنَ شـــذيَّـــاتُ الـــغـــنـــا
تـبـعـثُ الـلـحـنَ مـع الأنـسـامِ عـطـرا

وكـــأنَّ الـــرّوضَ فـــي بـــهـــجـــتـــه
شـــاعـــرٌ يـــبـــتـــكـــرُ الأنـــغـــامَ زهـــرا

وكـــأنَّ الـــوردَ فـــي أشـــواكـــه
مـــهـــجٌ أذكـى عـلـيـهـا الـحـبُّ جـمـرا

وكـــأن الـــفـــجـــرَ فـــي زهـــرِ الـــربـــا
قـــبـــلـــةٌ عـــطـــريـــةُ الأنـــفـــاسِ حَـــرَّى

* * *

يـــا ربـــيـــعَ الـــحـــبِّ يـــا فـــجـــرَ الـــهـــوى
مـــا أحـــيْـــلاكَ ومـــا أشـــذاكَ نـــشـــرا

طـــلْـــعـــةٌ فَـــوْحـــا وجـــوٌّ شـــاعـــرٌ
عـــاطـــفـــيٌّ كـــلّـــه شـــوقٌ وذكـــرى

تـــبـــعـــثُ الـــدنـــيـــا وتـــجـــلـــو حـــسـنَـــهـــا
مـــثـــلـــمـــا تـــجـــلـــو لـــيـــالـــي الـــعـــرس بِـــكـــرا

وتـــبـــثُّ الـــحـــبَّ فـــي الأحـــجـــارِ لـــو
أنَّ لـــلأحـــجـــارِ أكـــبـــاداً وصـــدرا

أنـــتَ فـــجـــرٌ كـــلـــمـــا ذرّ الـــنـــدى
أنـــبـــتـــتْ مـــن نـــورِهِ الأغـــصـــانُ فـــجـــرا

أنـــتَ مـــا أنـــتَ . . جـــمـــالٌ ســـائـــلٌ
لـــمْ يـــدَعْ فـــوقَ بـــســـاطِ الأرضِ شـــبـــرا

وفـــتـــونٌ مـــلـــهـــمٌ يـــضـــفـــي عـــلـــى
صـــبـــواتِ الـــفـــنِّ إلـــهـــامـــاً وفـــكـــرا

وتـــرانـــيـــمَـــا وفـــنّـــاً كـــلّـــه
عـــبـــقـــريّـــات تـــوشّـــي الأرضَ تِـــبْـــرا

مـــا ربـــيـــعُ الـــحـــبِّ يـــا شـــعـــرُ ومـــا
ســـحـــرُهُ أنـــت بـــســـحـــرِ الـــكـــونِ أدرى

كـــلّـــمـــا أورقـــتِ الأعـــشـــابُ فـــي
حـــضـــنِـــهِ أورقـــتِ الأرواحُ بـــشـــرى

هـــو سِـــرُّ الأرضِ غـــذّتـــه الـــســـمـــا
وجـــلـــتْـــهُ فِـــتَـــنـــاً بـــيـــضـــاً وســـمـــرا

ورواهـــا الـــفـــنُّ لـــحـــنـــاً لـــلـــهـــوى
وأدارتْـــهُ كـــؤوس الـــزهـــرِ خـــمـــرا

مـــنـــظـــرٌ أودعَـــهُ فـــنُّ الـــســـمـــا
مـــن فـــنـــونِ الـــخُـــلْـــدِ والآيـــاتِ ســـرّا

❁❁❁

طائر الربيع

يا شاعرَ الأزهارِ والأغصانِ
هل أنتَ ملتهبُ الحشا أو هاني

ماذا تغنّي، من تناجي في الغِنا
ولمنْ تبوحُ بكامنِ الوِجدانِ؟

هذا نشيدُكَ يستفيضُ صبابةً
حرّى كأشواقِ المحبِّ العاني

في صوتِك الرّقراقِ فنٌّ مُترَفٌ
لكنْ وراء الصوتِ فنٌّ ثاني

كَمْ ترسلُ الألحانَ بيضاً إنما
خلفَ اللحونِ البيضِ دمعٌ قاني

هل أنتَ تبكي أم تغرّدُ في الرّبا
أم في بكاكَ معازفٌ وأغاني

* * *

يا طائرَ الإنشادِ ما تشدو ومن
أوحى إليكَ عرائسَ الألحانِ

أبداً تغنّي للأزاهرِ والسّنا
وتحاور الأنسامَ في الأفنانِ

وتظلّ تبتكرُ الغِنا وتزفُّه
من جوّ بُستانٍ إلى بُستانِ
وتذوبُ في عرشِ الجمالِ قصائداً
خُرساً وتستوحي الجمالَ معاني
لا الحزنُ ينسيك النَشيدَ ولا الهنا
بوركت يا ابْنَ الفنّ من فنّانِ

* * *

يا ابْنَ الرياض - وأنت أبلغُ مُنشدٍ -
غرّدْ وخلّ الصَّمتَ للإنسانِ
واهتف كما تهوى فَفَنُّك كلّه
حبٌّ وإيمانٌ وعن إيمانِ
دنياك يا طيرَ الربيعِ صحيفةٌ
ذهبيّةُ الأشكالِ والألوانِ
وخميلةٌ خرسا يترجمُ صمتَها
عِطرُ الزهورِ إلى النسيمِ الواني
والزّهرُ حولَك في الغصونِ كأنّه
شعرُ الحياةِ مُبعثر الأوزانِ
والعُشبُ يرتجلُ الزهورَ حوالماً
ويرفّ بالظلِّ الوديعِ الحاني
وطفولةُ الأغصانِ راقصة الصّبا
فرحاً ودنياها صباً وأماني
والحبُّ يشدو في شفاهِ الزهرِ في
لغةِ الطيورِ وفي فم الغُدرانِ

والـــوردُ يـــدمَـــى بـــالـــغـــرامِ كـــأنـــه
مـــن حُـــرقـــةِ الـــذكـــرى قـــلـــوبُ غـــوانـــي

* * *

يـــا طـــائـــرَ الإلـــهـــامِ مـــا أســـمـــاك عـــن
لَـــهـــوِ الـــورى وعـــنِ الـــحُـــطـــامِ الـــفـــانـــي
تـــحـــيـــا كـــمـــا تـــهـــوى الـــحـــيـــاةُ مـــغـــرّداً
مـــتـــرفّـــعـــاً عـــن شـــهـــوةِ الأبـــدانِ
لمْ تـــســـتـــكـــنْ لـــلـــصـــمـــتِ، لـــم تُـــذعـــنْ لـــهُ
بـــلْ أنـــتَ فـــوقَ الـــصّـــمـــتِ والإذعـــانِ
هـــذي الـــطـــبـــيـــعـــةُ أنـــت شـــاعـــرُ حـــســـنِـــهـــا
تـــروي مـــعـــانـــيـــهـــا بـــســـحـــرِ بـــيـــانِ
تـــرجـــمـــتَ أســـرارَ الـــطـــبـــيـــعـــةِ نـــغـــمـــةً
أبـــديّـــةً فـــي صـــوتِـــكَ الـــرّنّـــانِ
وعـــزفـــتَ فـــلـــســـفـــةَ الـــربـــيـــعِ قـــصـــيـــدةً
خـــضـــراً مـــن الأزهـــارِ والـــرّيـــحـــانِ

* * *

هـــذا ربـــيـــعُ الـــحـــبِّ يـــمـــلـــي شـــعـــرَه
فِـــتـــنـــاً مُـــعَـــطّـــرةً عـــلـــى الأكـــوانِ
يـــصـــبـــو ودنـــيـــا الـــحـــبِّ فـــي أفـــيـــائِـــهِ
تـــصـــبـــو عـــلـــى إشـــراقـــهِ الـــفـــتّـــانِ
الـــفـــنُّ فـــنُّـــك يـــا ربـــيـــعَ الـــحـــبِّ يـــا
سِـــحْـــرَ الـــوجـــودِ وفـــتـــنـــةَ الأزمـــانِ

۞ ۞ ۞

عودة القائد

لمنِ الجموعُ تموجُ موجَ الأبحرِ
وتضِجُّ بينَ مُهلّلٍ ومُكَبّرِ
لمنِ الهتافُ يشقّ أجوازَ الفضا
ويهزّ أعطافَ النهارِ المُسفرِ
ولمنْ تجاوبتِ المدافعُ وانبرتْ
صيحاتُها كضجيجِ يومِ المَحشرِ
لمنِ الطبولُ تُثرثرُ الخفقاتُ في
ترنيمِها المتهدّجِ المتكسّرِ
ولمنْ زغاريدُ الحسانِ كأنها
خَفقاتُ أوتارِ ورعشةُ مِزْهرِ
ولمنْ تَفيضُ حناجرُ الأبواقِ منْ
أعماقِها بترنّمِ المُسْتَبْشِرِ
للقائدِ الأعلى الموشّحِ بالسّنا
علَمِ الفتوحِ وقاهرِ المُسْتعمرِ
لِـ(وليّ عهد المُلك) بنّاءِ الحمى
حُلْمِ البطولةِ والطموحِ العبقري
أهلاً (وَليَّ العهدِ) فانزل مثلما
نزلَ الشعاعُ مباسمَ الزّهر الطّري

أشرقتَ في مُقَلِ الجزيرة كالضّحى
كالصبحِ كالسّحَرِ النّديّ المُقمرِ
وعلى جبينِكَ غارُ أكرمِ فاتحٍ
وعلى محيّاكَ ابتسامُ مُظفَرِ
لمّا طلعتَ أفاقتِ (الخضرا)[1] على
فجرٍ بأنفاسِ الخلودِ مُعطّرِ
وتعانقتْ فتنُ الجمالِ وتمتمت
بالعطرِ أعراسُ الربيعِ الأخضرِ
وتسابقَ الإنشادُ فيك وهازجتْ
نَغَمَ المعرّي أغنياتُ البُحتري
وهفتْ إليكَ من القوافي جوقةٌ
سكرى متيّمةُ الغناءِ المُسْكرِ

* * *

يا من تشخّصتِ المُنى في شخصِهِ
وأهلّ فجرَ عدالةٍ وتحرّرِ
حققْ طموحَ الشعبِ واجعلْ حُلْمَه
فوقَ الحقيقةِ فوقَ كلِّ تصوّرِ
وافيتَ فانتفضتْ أماني أمّةٍ
شَمّا وشقّ البعثُ مرقدَ (حميرِ)
ويكادُ (ذو يزنٍ) يُبعثرُ قَبرَهُ
ويطلّ حِمْيَرُ من وراءِ الأعصرِ

(1) الخضراء: كناية عن اليمن المزدانة خضرة وبهجة.

بِلْقيسُ يا أمَّ الحضارةِ أشرقي
من شُرفة الأمسِ البعيد وكبّري

واستعرضي زُمَرَ الأشعةِ واسبَحي
فيها بناظرِكِ الكحيل الأحورِ

مولاتِيَ الحسنا أطلّي وانظري
من زَهْوةِ الأجيال مَا لمْ تنظري

وتغطرسي ملءَ الفتونِ وعثوِني
فمَكِ الجميلَ ببسمةِ المستفسرِ

ها نحنُ نبني فوقَ هامةِ مأربٍ
وطناً ونبني ألفَ صرحٍ مرمري[1]

ونشيدُ في وطنِ العروبة وحدةً
فوق الثريا خلفَ أفْقِ (المشتري)

هي وحدةُ العرَبِ الأباةِ تسنّمت
في ربوةِ التاريخِ أرفَع مِنبَرِ

وتعانقتْ صنعا ومصرُ وجِلّق
فيها عناقَ الشوقِ والحُبّ البري

وجرى على النيل المصفّق صنوُهُ
بَرَدى فصفّقَ كوثرٌ في كوثرِ

وارتادتِ (الخضرا) الكنانة فانتشتْ
نسماتُ مأربَ في أصيلِ الأقصرِ

---

(1) مأرب: كمنزل وهي موضع باليمن.

لـولاكَ يـا بَـطـلَ الـخـلافـةِ مـا احـتـوى
صـنـعـا و(جـلّـق) حـضـنُ أمِّ الأزهـرِ

صـافـحـتَ مـصـرَ فـزدتَ فـي بـنـيـانِـهـا
(هـرمـاً) إلـى الـهـرم الأشـمِّ الأكـبـرِ

أرضُ الـجـنـوبِ ـ وأنـت نـخـوةُ ثـأرهـا ـ
ظـمـأى تـحـنُّ إلـى الـصّـراعِ الأحـمـرِ

أرضـي ودارُ أبـي وجـدي لـم تـزلْ
فـي قـبـضـةِ الـمـتـوحّـشِ الـمـتـنـمّـرِ

تـطـوي عـلـى حُـلْـم الـجـهـادِ عـيـونَـهـا
وتـئِـنُّ تـحـتَ الـغـاصـبِ الـمُـسْـتـهـتـرِ

لا حُـرمـةُ الإنـسـانِ تـزجـرُهُ ولا
شـرفُ الـضـمـيـرِ ولا نُـهـى[1] الـمـتـحـضّـرِ

مـتـجـبّـرٌ وأصـمُّ لَـمْ يـسـمـعْ سـوى
رَهَـج[2] الـحـديـدِ الـمـاردِ الـمـتـجـبّـرِ

فـازحـفْ إلـيـه يـا ابْـنَ بَـجْـدتـهـا عـلـى
لـجـجِ الـسّـلاحِ الـفـاتـحِ الـمـتـهـوّرِ

يـا خـيـرَ مـن لـبّـى ومـن نُـودي ومـن
يـغـشـى الـوغـى كـالـهـولِ كـالـلـيـثِ الـجـري

هـذي زعـامـتُـكَ الـفـتـيـةُ قـصّـةٌ
بـفـم الـفـتـوحِ وفـي شـفـاهِ الأدهُـرِ

(1) النهى: العقول جمع نهية.
(2) الرهج محرّكة بالفتح: الغبار المثار في قتال.

يـا بـدرُ هـذا الـشـعـبُ أنـت زعـيـمـه
وهـواك سـحـرُ غـرامِـه الـمـتـسـعّـرِ

حـمـلـتـك روحُ الـشـعـبِ إيـمـانـاً فـلـم
تـخـفـقْ بـحـبٍّ سـواك بـلْ لـمْ تـشـعـرِ

فـاسـلَـمْ لـتـاريـخِ الـزعـامـةِ آيـةً
بَـيـضـا كـبـهـجـة عـصـرك الـمـتـبـلْـورِ

عام 1377هـ

❂ ❂ ❂

عروس الحزن

منزلها الكبير بجوار منزلي الصغير، وقد لفني وإياها عاطف الحنان والحنين فتلاقينا على بعد. تظل تغني، وأظل أصغي إلى أغانيها، وصوتها يتعثر في دمعها، ودمعها يتحشرج في صوتها، وفي نغماتها تتحاضن الدموع والترنم، كأن صوتها عود ذو وتر واحد، بعضه يبكي وبعضه يغني

صوتُها دمعٌ وأنغامٌ صَبايا
وابْتساماتٌ وأنّاتٌ عَرايا
كلّما غنّت جرى من فمِها
جدوَلٌ من أغنياتِ وشَكايا
أهْيَ تبكي أمْ تغنّي أمْ لها
نغمُ الطيرِ وآهاتُ البرايا؟
صوتُها يبكي ويشدو آه ما
ذا وراءَ الصوتِ ما خلفَ الطوايا؟
هل لها قلبٌ سعيدٌ ولها
غيرَهُ قلبٌ شقيٌّ في الرزايا؟
أمْ لها روحان: روحٌ سابحٌ
في الفضا الأعلى وروحٌ في الدنايا؟
أمْ تلاقتْ في حنايا صدرِها
صلواتٌ وشياطينُ خطايا؟
أمْ تناجتْ في طوايا نفسِها
لحنُ عُرْسٍ وجِراحاتُ ضحايا؟

لـسـت أدري، صـوتَـهـا يَـخـرقـنـي
بـشـجـونـي إنّـه يُـدمـي بُـكـايـا
كـلّـمـا طـافَ بـسـمـعـي صـوتُـهـا
هـزّ فـي الأعـمـاقِ أوتـارَ شـجـايـا
وسـرى فـي خـاطـري مُـرتـعِـشـاً
رعـشـةَ الـطَّـيْـف بـأجـفـانِ الـعـشـايـا
أتُـرى الـحـزنُ الـذي فـي شـجـوهـا
رقّـةُ الـحـرمـان أم لـطـفُ الـسّـجـايـا؟
أمْ تُـراهـا هـدَّجـتْ فـي صـوتـهـا
قِـطَـعَ الـقـلـبِ وأشـلاَ الـحـنـايـا
كـلّـمـا غَـنّـتْ بـكـتْ نـغـمـتُـهـا
وتـهـاوى الـقـلْـب فـي الآه شـظـايـا
هـكـذا غـنّـتْ، وأصـغـيـتُ لـهـا
وتـحـمّـلْـتُ شـقـاهـا وشـقـايـا

❊ ❊ ❊

يـا عـروسَ الـحـزنِ مـا شـكـواكِ؟ مـنْ
أيّ أحـزانٍ؟ ومـن أيّ الـبـلايـا؟
مـا الـذي أشـقـاك يـا حَـسْـنـا؟ وهـلْ
لـلـشـقـا كـالـنـاس عـمـرٌ ومـنـايـا؟
هـلْ يـمـوتُ الـشـرُّ؟ هـلْ لـلـخـيـرِ فـي
زَحْـمـةِ الـشّـرِّ سِـمـاتٌ ومـزايـا؟

كيف تُعطي أمُّنا الدنيا المنى
وهي تَطوي عن أمانينا العطايا

وَلِقَومٍ تحملُ البَذْلَ كما
يحملُ الخِلُّ إلى الحَسْنا الهدايا

هل هي الدنيا التي تحرمُني
أمْ تراختْ عنْ عطاياها يدايا؟

أنا حرماني وشكوى فاقتي
أنا آلامي ودمعي وأسايا

لم يَرُعْ قلبي سوى قلبي أنا
لا ولا عذّبني شيءٌ سوايا!

جارتي، ما أضيقَ الدنيا إذا
لمْ تشقَّ النفسُ في النفس زوايا

❁ ❁ ❁

أثيم الهوى

مسكين لقد تقيد بالعفة طويلاً، وفي هذه المرة جرب خلع القيد، وتذوق طعم الانطلاق؛ وقد نجحت التجربة، فماذا جنى من ورائها، وكيف عادت عليه مرارة الندم، وما قصته النفسية، كل هذا التساؤلات يجيب عنها هذا الشعر.

جريحُ الإبا صامتٌ لا يعي
وفي صمتِه ضجّةُ الأضلُعِ
وفي صدرِه ندمٌ جائعٌ
يلوكُ الحنايا ولمْ يشبعِ
تهدّدُه صيحةُ الذكريات
كما هدّدَ الشيخَ صوتُ النّعي
ويقذفُه شبحٌ مفزعٌ
إلى شبحٍ موحشٍ مفزعِ
ويُصغي ويُصغي فلمْ يستمعْ
سوى هاتفِ الإثمِ في المَسمعِ
ولمْ يستمعْ غيرَ صوتِ الضميرِ
يناديه منْ سرّه الموجَعِ
فيشكو إلى منْ، وما حوله
سوى الليلِ أو وحشةِ المخْدَعِ؟
كئيبٌ يُخوِّفُهُ ظُلمُهُ
فيرتاعُ من ظلِّهِ الأروعِ

وفـــي كـــلّ طـــيـــفٍ يـــرى ذنـــبَـــهُ
فـــمـــاذا يـــقـــولُ ومـــا يـــدّعـــي؟

فـــيُـــمـــلـــي عـــلـــى ســـرّهِ قـــائـــلاً:
أنـــا مـــجـــرمُ الـــنّـــفـــسِ والـــمَـــطـــمـــعِ

أنـــا ســـارقُ الـــحـــب وحـــدي! أنـــا
خـــبـــيـــثُ الـــسّـــقـــا قـــذِرُ الـــمـــرتَـــعِ

هـــوتْ أضْـــبُـــعـــي زهـــرةً حُـــلْـــوةً
فـــلَـــوَّثْـــتُ مـــن عـــطـــرِهـــا أصـــبـــعـــي

تـــوهّـــمـــتُـــهـــا حـــلـــوةً كـــالـــحـــيـــاةِ
فـــكـــانـــتْ أمـــرَّ مـــن الـــمـــصـــرعِ

أنـــا مـــجـــرمُ الـــحـــبِّ! يـــا صـــاحـــبـــي
فـــلا تـــعـــتـــذرْ لـــي فـــلـــم تُـــقـــنِـــعِ

ولا، لا تـــقـــلْ مـــعـــكَ الـــحـــبُّ بـــلْ
جـــريـــمـــتُـــهُ والـــخـــطـــايـــا مـــعـــي

ومـــالَ إلـــى الـــلـــيـــلِ والـــلـــيـــلُ فـــي
نـــهـــايـــتِـــهِ وهـــو لـــمْ يـــهـــجَـــعِ

وقـــد آن لـــلـــفـــجـــرِ أن يـــســـتـــفـــيـــقَ
ويـــنـــســـلّ مـــن مـــبـــســـمِ الـــمـــطـــلـــعِ

وكـــيـــف يـــنـــامُ (أثـــيـــمُ الـــهـــوى)
وعـــيـــنـــاهُ والـــسّـــهـــدُ فـــي مـــوضـــعِ

هـــنـــا ضـــاق بـــالـــسّـــهـــد والـــذكـــريـــاتِ
وحـــنّ إلـــى الـــحُـــلُـــمِ الـــمـــمـــتِـــعِ

فألقى بجثّتِهِ في الفراشِ
كسيرَ القُوى ذابلَ المدمعِ

تُرى هلْ ينامُ وطيفُ الفجُورِ
ورائحةُ الإثمِ في المضجعِ؟

وفي قلبِهِ ندمٌ يستقي
دماهُ وفي حزنِهِ يرتعي

وفي مقلتيْه دموعٌ وفي
حشاه نحيبٌ بلا أدمُعِ

فماذا يُلاقي؟ وماذا يُحِسُّ
وقد دفنَ الحبَّ في البَلْقعِ

وعادَ وقدْ أودَعَ السرَّ من
حنايَاه في شرّ مُسْتَوْدعِ

فماذا يعاني؟ ألا إنّه
جريحُ الإبا صامتٌ لا يعي

۞۞۞

وهكذا قالت

كانت تهواه ويهواها، في هواها طهر الصلاة، وفي هواه خسة الخيانة، وقد ضمتهما برهة هنيئة من الحب في ظل العقد الإلهي، ولكن أفضى بها الهناء وحدها إلى الآلام الطويل، كانت تؤمن بالرباط المقدس وكان يكفر به، فقد قطع ما بينه وبينها، واستبدل بها أخرى! وهكذا قالت:

أشقيتَني من حيثُ إمتاعي ... فليتَعَني من ظلمِكَ الناعي
أَلِفتَني حتى ألفتُ اللّقا ... تركتني وحدي لأوجاعي؟
أطمعتَني فيكَ فخلّفتَني ... لجوعِ آمالي وأطماعي
ورحتَ ـ لا عدتَ ـ وألقيتَني ... وديعةً في كفِّ مضياعِ
إن لم يكنْ لديكَ قلبٌ، فهلْ ... رحمتَ قلباً بينَ أضلاعي
رعيتني حتى ملكت الغنى ... عني فكنتَ الذئبَ في الرّاعي
يا ظالمي والظلمُ طبع الخنا ... قطفت عمري قبلَ إيناعي
قد ضاعَ ما أرجو فما خيفتي ... إذا دعاني للفنا داعِ
لا، لمْ أعاتبْكَ فقد أقلعتْ ... عنكَ شجوني أيَّ إقلاعِ
إن كنتَ خدّاعاً فإنَّ الورى ... ما بين مخدوعٍ وخدّاعِ
ما بين غلاّبٍ ومستسلمٍ ... ما بين محرومٍ وإقطاعي
أوّاه كم أشقى وأسعى إلى ... قبري وويحَ السعيِ والساعي
وهكذا قالتْ، وفي صوتِها ... دموعُ قلبٍ جِدُّ مُلْتاعِ

⚙⚙⚙

ليالي الجائعين

هذي البيوتُ الجاثماتُ إزائي
لَيلٌ من الحرمانِ والإدجاءِ

من للبيوتِ الهادماتِ كأنّها
فوقَ الحياةِ مقابرُ الأحياءِ

تغفو على حُلمِ الرغيفِ ولم تجدْ
إلاّ خيالاً منهُ في الإغفاءِ

وتضُمّ أشباحَ الجياع كأنها
سجنٌ يضمُّ جوانحَ السّجَناءِ

وتغيبُ في الصمتِ الكئيبِ كأنها
كهفٌ وراءَ الكونِ والأضواءِ

خلف الطبيعةِ والحياةِ كأنها
شيءٌ وراءَ طبائعِ الأشياءِ

ترنو إلى الأملِ المولّي مثلما
يرنو الغريقُ إلى المغيثِ النائي

وتلملمُ الأحلامَ من صدر الدجى
سوداً كأشباحِ الدجى السوداءِ

* * *

هذي البيوتُ النائماتُ على الطوى
نومَ العليلِ على انتفاضِ الداءِ

نـامـتْ ونـامَ الـلّـيـلُ فـوقَ سـكـونِـهـا
وتـغـلّـفـتْ بـالـصّـمـتِ والـظـلـمـاءِ

وغـفـتْ بـأحـضـانِ الـسـكـونِ وفـوقـهـا
جـثـث الـدجـى مـنـثـورةُ الأشـلاءِ

وتـمـلـمـلـتْ تـحـتَ الـظـلامِ كـأنـهـا
شـيـخٌ يـنـوءُ بـأثـقـلِ الأعـبـاءِ

أصغـى إلـيـهـا الـلـيـلُ لـم يـسـمـعْ بـهـا
إلاّ أنـيـنَ الـجـوعِ فـي الأحـشـاءِ

وبـكـا الـبـنـيـنَ الـجـائـعـيـن مـردَّداً
فـي الأمّـهـات ومِـسـمَـع الآبـاءِ

ودجـتْ لـيـالـي الـجـائـعـيـنَ وتـحـتَـهـا
مـهـجُ الـجِـيـاع قـتـيـلـةُ الأهـواءِ

* * *

يـا لـيـلُ، مَـن جـيـرانُ كـوخـي؟ مَـن هـمُ
مـرعـى الـشّـقـا وفـريـسـةُ الأرزاءِ

الـجـائـعـون الـصـابـرون عـلـى الـطـوى
صـبـرَ الـرُّبـا لـلـريـحِ والأنـواءِ

الآكـلـون قـلـوبَـهـم حـقـداً عـلـى
تـرَفِ الـقـصـورِ وثـروةِ الـبُـخـلاءِ

الـصّـامـتـون وفـي مـعـانـي صـمـتِـهـم
دنـيـا مـن الـضـجّـاتِ والـضـوضـاءِ

ويلي على جيرانِ كوخي إنهم
ألعوبةُ الإفلاسِ والإعياءِ

ويلي لهم من بؤسِ مَحيْاهم ويا
ويلي من الإشفاقِ بالبؤساءِ

وأنوحُ للمستضعفين وإنني
أشقى من الأيتامِ والضعفاءِ

وأُحِسُّهم في سدّ روحي في دمي
في نَبْضِ أعصابي وفي أعضائي

فكأنَّ جيراني جراحٌ تحتسي
رِيَّ الأسى من أدمعي ودمائي

ناموا على البلوى وأغفى عنهمو
عَطفُ القريب ورحمةُ الرّحماءِ

ما كان أشقاهم وأشقاني بهم
وأحَسّني بشقائهم وشقائي

❁ ❁ ❁

حين يشقى الناس

أنت ترثي كلَّ محزونٍ ولم
تلقَ من يرثيكَ في الخَطْبِ الألدّ

وأنا يا قلبُ أبكي إن بكت
مقلةٌ كانت بقربي أو ببُعدي

وأنا أكدى الورى عيشاً على
أنّني أبكي لبلوى كل مُكْدِ

حين يشقى الناسُ أشقى معهم
وأنا أشقى كما يشقونَ وحدي!

وأنا أخلو بنفسي والورى
كلُّهم عندي ومالي أيّ عندي

لا ولا لي في الدّنا مثوى ولا
مُسْعِدٌ إلاّ دُجى الليل وسُهدي

لم أسِرْ من غربةٍ إلاّ إلى
غربةٍ أنكى وتعذيبٍ أشدّ

مُتعَبٌ أمشي وَرَكْبي قدمي
والأسى زادي وحمّى البردِ بُردي

والدُّجى الشاتي فراشي ورِدا
جسميَ المحمومِ أعصابي وجلدي

الشاعر

طائرٌ عشُّهُ الوجودُ وقلبٌ
مُلْهَمٌ عاشقٌ وروحٌ نبيلةْ
ركّب اللّهُ في طبيعتِه الفنَّ
وفي فكرِهِ طموحَ الفضيلةْ
ينشرُ اللحنَ في الوجودِ ويَطوي
بين أضلاعِهِ الجراحَ الدّخيلةْ
يُفعِمُ الكونَ من معانيه شهداً
ورحيقاً حُلْواً ويُطفي غليله
ويُوَشّي الحياة سِحراً كما وشّـ
ـتْ خيوطُ الصباحِ زهْرَ الخميلةْ
وفنوناً ألذّ من بسمةِ الطفلِ
ومن نَسْمةِ الصباحِ العليلةْ
وحِواراً أرقَّ من قُبَلِ الحب
على وَجنةِ الفتاةِ الجميلةْ
أنتَ يا شاعرَ الحياةِ حياةٌ
و(كمنجٌ) حيٌّ ودنيا ظليلةْ
تعشَقُ النورَ والنّدى وسموَّ الـ
ـروح في النشء والعقولِ الجليلةْ

وتُحبُّ الطموحَ في الأنفسِ العُظمى
وتحنو على النّفوسِ الضئيلة

تستشفُّ الجمالَ منْ ظُلَمِ الليل
ومن زهرةِ الرّبيعِ البليلة

من سكونِ الدُّجى ومن هَجْعةِ الصَّحـ
ـرا ومن وحشةِ القفارِ المَهيلة

وترى الوردَ في الغصونِ خدوداً
قانياتٍ والليلَ عيناً كحيلة

قد عرفتَ الجمالَ في كلِّ شيء
وتغنّيتَ همسَهُ وهديله

وتوحّدتَ للجمالِ تُناجيه
وللفنّ تستقي سَلْسَبيلَه

ورفضتَ النفاق والزورَ والزُّلْـ
ـفى وخَلّيْت للورى كلَّ حيلة

ونبذتَ الرّواغَ والملَقَ المُخْـ
ـزي وأعباءَهُ الجِسامَ الثقيلة

لمْ تحاولْ وظيفةَ المنصبِ العا
لي ولا تبتغي إليهِ وسيلة

لا ولا تعشقُ النقودَ اللّواتي
نقشتها يدُ الحياةِ الذليلة

قد تخلّيْتَ للجمالِ تناجي
هالةَ الوحي والسماءَ الصقيلة

فـرأيـتَ الـفـضـائـلَ الـبـيـضَ فـي الـدُّنْـ
يـا ولـمْ تـلـمـحِ الـخـنـا والـرذيـلـةْ

عـشـتَ فـي الـطـهـرِ لـلـخـيـالِ تـوافـيـ
ـهِ كـمـا وافـتِ الـخـلـيـلَ الـخـلـيـلـةْ

طـائـراً عـن عـوالـم الـشّـر لـمّـا
أودعَ الـلَّـهُ فـيـكَ روحـاً غـسـيـلـةْ

❁ ❁ ❁

سائل

مررتُ بشيخٍ أصفرِ العقلِ واليدِ
يدبُّ على ظهرِ الطريقِ ويجتدي

ثقيلِ الخُطا يمشي الهوينا بجوعه
وأحزانِهِ مشيَ الضريرِ المقيّدِ

ويمضي ولا يدري إلى أين ينتهي
ولمْ يدرِ قبل السَّيْر من أين يبتدي

ويزجي إلى الأسماعِ صوتاً مجرَّحاً
كئيباً كأحلامِ الغريبِ المشرَّدِ

يمدّ اليدَ الصَّفرا إلى كلّ عابرٍ
ولمْ يَجْنِ إلاّ اليأسَ من مَدّةِ اليدِ

فيُلقي على الكفّ النّحيلِ جبينَه
ويسألُ هَل في الأرضِ ظلٌّ لمُسعِدِ

هو الشرُّ ملءُ الأرض والشر طبعُها
هو الشرُّ ملءُ الأمسِ واليومِ والغدِ

وهذا غُبارُ الأرضِ آهاتُ خُيّبٍ
وهذا الحصى حبّاتُ دمعٍ مجمّدِ

رمى الشيخُ فيما حوله نظرةَ الأسى
ومرَّ كطيفِ المستكينِ المهدَّدِ

فيا للفقيرِ الشيخِ يمشي على الطّوى
وفي مأتمِ الشكوى يروحُ ويغتدي

يظنُّ أكفَّ الناسِ تهوي بجودها
إليه ولم يُبْصِرْ سوى وهمِه الرَّدي

وجوعٍ يُلوّي نفسَه في ضلوعِهِ
فينساقُ لا يَدْري إلى أين يهتدي

❁ ❁ ❁

الشمس

أطَلَّتْ من الأفقِ بنتُ السماء
مغلَّفةً بالشّعاعِ النّدي
ووشّتْ بساط الفضا بالسَّنا
وباللّهبِ البارِدِ العسجدي
وبالوهَجِ الدافئِ المشتهي
وبالمنظر السّخرِيَ الأجودِ
فجنّتْ بها نشواتُ الصبا
وفاضت بصدر الضحى الأمردِ

وأهدت سناها السماوي إلى
رؤوسِ الرّبا والثّرى الأوهدِ
إلى الطودِ والسهلِ والمنحنى
إلى الماءِ والطينِ والجلمدِ
إلى الكوخِ والقصرِ مهدِ الغنى
إلى السوقِ والسجنِ والمعبدِ
ووزّعتِ النورَ في العالمين
وجادتْ على العبدِ والسيّدِ
على المترفين على البائسين
على المُجتدَى وعلى المجتدي

وأدّتْ رســـالـــتَــهـــا حـــرّةً
إلـــى أقـــربِ الـــكـــون والأبـــعـــدِ

جـرى عـدلُ بـنـتِ الـسـمـا فـي الـوجـودِ
حـــفـــيّـــاً بـــجـــيّـــده والـــرّدي

وأنـــفـــقـــتِ الـــنـــورَ أمُّ الـــضـــحـــى
فـــزادتْ ثـــراءً إلـــى ســـؤدُدِ

وأربـــتْ جـــمـــالاً وزادتْ ســـنـــاً
ونـــوراً إلـــى نـــورِهـــا الـــســـرمـــدي

وطـــالـــتْ حـــيـــاةً فـــمـــا تـــنـــتـــهـــي
مـــن الـــعـــمـــرِ إلاّ لـــكـــي تـــبـــتـــدي

وأعـــطـــتْ فـــدامَ ســـنـــا مـــلـــكِـــهـــا
جـــديـــدَ الـــصِّـــبـــا دائـــمَ الـــمـــولـــدِ

ومـــا زادهـــا كـــثـــرُ إنـــفـــاقِـــهـــا
ســـوى الـــتـــرفِ الأكـــثـــرِ الأخـــلـــدِ

❊ ❊ ❊

لـــقـــد ضـــربَ الـــلَّـــهُ أمـــثـــالَـــهُ
ومـــن يُـــضـــلـــلِ الـــلَّـــهُ لا يـــهـــتـــدي

۞۞۞

أنـا والشـعر

هــاتــي الــتــآويــهَ يــا قــيــثــارتــي هــاتــي
وردّدي مــــن وراءِ الــلّــيــل آهــاتــي

وتــرجــمــي صــوتَ حــبّــي لــلــجــمــالِ فــفــي
نــجــواكِ يــا حــلــوةَ الــنــجــوى صــبــابــاتــي

قــيــثــارتــي صــوتُ أعــمــاقــي عــصــرتُ بــهــا
روحــي وأفــرغــتُ فــي أوتــارهــا ذاتــي

***

قــيــثــارتــي أنــتِ أمُّ الــشِّــعــرِ لــم تــلــدي
إلاّ غِــنــا الــخُــلــدِ أو لــحــنَ الــبُــطــولاتِ

أودعــتُ نــجــواكِ آيــاتِ الــنــبــوغِ فــيــا
قــيــثــارتــي لــقّــنــي الــتــاريــخَ آيــاتــي

وغــرّدي بــخــيــالاتــي الــعِــذابِ فــمــا
حــقــيــقــةُ الــســحــرِ إلاّ مِــنْ خــيــالاتــي

وشــاعــرُ الــطــبــعِ مــوســيــقــى الــغــيــوبِ إذا
غــنّــى أرى الأرضَ أســرار الــســمــاواتِ

قــيــثــارتــي إنــنــي ابْــن الــشــعــر أنــجــبــنــي
لــلــخــلــدِ، لــلــعــبــقــريــاتِ الــفــتــيّــاتِ

وللحياةِ وللدنيا ونضرتِها
للحبّ للنّورِ للزُّهْرِ الصَّبيّاتِ

* * *

وحدي مع الشعرِ هزّتني عواطفه
فرقّصتْ عِطْفَه النّشوانَ رنّاتي

وشفّ لي خافيَ الدّنيا وألهمني
سحرَ الجمالِ وأسرارَ الجلالاتِ

وهبتُ للشعرِ إحساسي وعاطفتي
وذكرياتي وترنيمي وأنّاتي

فهو ابتسامي ودمعي وهو تسليتي
وفرحتي وهو آلامي ولذّاتي

يفنى الفَنا! وأنا والشعرُ أغنيةٌ
على فمِ الخُلْدِ يا رغمَ الفنا العاتي

أحيا مع الشعرِ يشدو بي وأُنشِدُهُ
والخلدُ غاياتُه القصوى وغاياتي

۞ ۞ ۞

بعد الحبّ

لا تــســلْ كـيــفَ ابْـتــدَيْـنــا   لا ، ولا كـيــفَ انــتــهــيــنــا
لا تـقـلْ كيـفَ انـطـوى الـحبُّ   ولا كـــيـــفَ انـــطـــويْـــنـــا
مــلــعَــبٌ دارَ بــعُــمْــرَيْــنــا   فـــولّـــى مَـــن لَـــدَيْـــنـــا
وانْــقــضــى الــدَّوْرُ فــعــدنــا   عــنــه مــن حــيــثُ أتــيْــنــا
لا تــســلْ كــيــف تــنــاءَ يْــ   ـنــا ولا كــيــف الــتــقــيــنــا
لا تــقــل كــنــا وكــان الــشَّــ   ـوقُ مِــنّــا وإلــيــنــا
هــل شــربــنــا خــمــرَةَ الــحـ   ـب وهــل نــحــنُ ارتــويــنــا
آه لا خـــمـــرٌ ولا حـــبٌّ   مـــتـــى كـــانَ وأيـــنـــا
لاحــتِ الــكــأسُ لــثــغــريــ   ـنــا وجَــفّــتْ فــي يــديــنــا

* * *

عـــنـــدمـــا لاحَ بـــريـــقُ الـــ   ـكــأسِ ولّــتْ بــالــبــريــقِ
وارتــشــفــنــا مــن رحــيــقِ   الــحــبِّ أطــيــافَ الــرحــيــقِ
وتــلاشــى حُــلُــمُ الــصَّــفْــوِ   كــأنــفــاسِ الــغــريــقِ
هــكــذا كــان تــلاقــيــنــا   عــلــى الــدَّوْرِ الأنــيــقِ

* * *

وانـــتـــهـــى الـــدّور وهـــا   نــحــن انــتــهــيــنــا مــن صِــبــانــا
حــيــثُ طــافَ الــحــبُّ كــالــوهْــم   وكـــالـــوهـــم تـــفـــانـــى
وانــطــوى عــنّــا كــمــا تــطــوي   الــدّيــاجــيــرُ الــدّخــانــا
وتــركْــنــا فــي رمــال الـــ   ـحُــبِّ آثــارَ خُــطــانــا

غير أنَّا قد نسينا أو تناسَيْنا لقانا
وسألنا الوهمَ بعد الـ ـحبٌ هلْ كنّا وكانا
أينَ مِنّا الملعبُ الطّفْلُ تُناغيهِ مُنانا

* * *

ملعبٌ دُزنا به حيناً فأضبانا ومَلاَ
ملعبٌ ما كان أصفا ه وما أشهى وأخلى
غابَ في الأمسِ فولّيْنا عن الأمسِ وولّى
وتسلّيْنا ومنْ لمْ يلقَ ما يهوى تسلّى

روح شاعر

قدم الشاعر هذه القصيدة إلى المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام ترحيباً بنزوله إلى اليمن، وزيارته دار العلوم في صنعاء.

صافحَتْكَ القلوبُ قبل النواظرْ
واستطارتْ إلى لقاكَ الخواطرْ

وتلقّاك عالمُ اليمنِ الحُرُّ
كما لاقتِ النفوسُ البشائرْ

وارتمى يسكبُ التراحيبَ ألوا
ناً كما تسكبُ اللحونَ القياثرْ

وتملَّتْ نزولكَ اليمنُ الخَضْـ
ـرا ففاضت بالأغنياتِ الحناجرْ

وتنزَّلْتَ في مغاني حماها
مثلما يَنزلُ الشعاعُ المحاجرْ

وهفا الموطنُ الكريمُ يُحيِّي
مشعلَ العلمِ في سناكَ الباهرْ

وتغلغلتَ في حناياه كالْـ
إيمانِ كالطهرِ في عفافِ الضمائرْ

كالمنى في القلوبِ كالدَّم في الأبْـ
ـدانِ، كالسُّكرِ في دماغ المُعَاقِرْ

قد تلقَّاكَ موطني يَنْثُرُ التَّـ
حيبَ في راحتيْكَ نثرَ الجواهرْ
وانتشى من شعاعكَ العلمُ لمَّا
زرتَ (دارَ العلومِ) يا خيرَ زائرْ
وازدهى الشعرُ ينثرُ النغمَ الحُلْـ
ـوَ كما ينثرُ الربيعُ الأزاهرْ
قد رأى (موطني) بمرآكَ (مصراً)
منبتَ الفنِّ والإبا والعباقرْ
مصرُ أُمُّ الحجازِ واليمنِ السَّا
مي وأمُّ الشآمِ أمُّ الجزائرْ
وحدةُ العُزْبِ رايةٌ في رباها
ومُنى العُزْبِ في يديْها زواخرْ
شادها اللَّهُ للعروبةِ داراً
وابْتناها بنيِّراتِ الزواهرْ
بلدةٌ تنبتُ العلومَ وأرضٌ
تلدُ المجدَ والعلا والمفاخرْ
نيلها المستفيضُ أنشودةُ اللَّـ
ـهِ على مِسمعِ الليالي العوابرْ
وحِماها كنانةُ اللَّه ترمي
في وجوهِ العدا السّهامَ الثوائرْ

***

يـا ابْـنَ مـصـرَ الـتـي تـلاقـت عـلـيـهـا
شـيـمُ الـعُـرْبِ والـنّـفـوسُ الـحـرائـرْ
عـلـمـكَ الـعـلـمُ يـنـشـرُ الـديـنَ فـي الـدُّنْـ
ـيـا كـمـا تـنـشـرُ الـشـعـاعَ الـمـنـائـرْ
وتـجـوبُ الـشـعـوبَ فـي خـدمـةِ الإسْـ
ـلامِ والـحـقُّ وارتـبـاطِ الأواصـرْ
إيـه عـزّامُ أنـت وعـيٌ مـن (الـنّـيْـ
ـلِ إلـى الـعُـرْبِ تـسـتـثـيـرُ الـمـشـاعـرْ
وسـفـيـرٌ تـشـيّـدُ الـوحـدةَ الـشّـمـ
ـا وتـسـتـنـهـضُ الـسـنـا فـي الـبـصـائـرْ
وتـنـادي الـبـلادَ لـلاتـحـاد الـ
ـحُـرّ والاتـحـادُ أقـوى مُـنـاصـرْ
إنّ فـي وحـدةِ الـعـروبـةِ مـجـداً
خـالـداً ثـائـراً عـلـى كـلّ ثـائـرْ
إنـمـا الـعُـرْبُ أمّـةٌ وحّـدتـهـا
لـغـة الـضـادِ والـدمـا والـعـنـاصِـرْ
إنـمـا الـعـربُ أمّـةٌ هـزتِ الـدُّنْـ
ـيـا وشـقّـتْ سـودَ الـخـطـوبِ الـعـواكـرْ
إنّ لـلـعـربِ غـابـراً داس (كـسـرى)
وتـمـشّـى عـلـى رؤوسِ الـقـيـاصـرْ
فـاسـتـمـدّي يـا أمّـتـي مـن سـنـا الـمـا
ضـي مـعـالـيـكِ واعـمـري خـيـرَ حـاضـرْ

يـأنـفُ الـمـجـدُ أن يـلاقـي بـنـيـهِ
فـي يـدَي غـاصـبٍ وفـي كـفِّ آسـرْ
فـاطـمـحـي أمّـتـي إلـى كـلِّ مـجـدٍ
وانـهـضـي نـهـضـةَ الـصـبـاحِ الـبـاكـرْ
يـا سـفـيـرَ الـتـضـامـنِ الـحـرِّ غـنّـتْ
سـعـيَـكَ الـحـرَّ أمـنـيـاتـي الـشـواعـرْ
وتـلاشـت عـلـى هـوى الـعُـرْبِ روحـي
نَـغَـمـاً مـلـهـمَ الـغِـنـا والـمـزاهـرْ
ونـشـيـداً أفـرغـتُ فـيـه أحـاسِـيْـ
ـسـي وذاتـي وخـافـقـي والـسـرائـرْ
فَـتَـلَـقَّـى يـا شـاعـرَ الـنـيـلِ شـعـري
فـهـو شـعـرٌ عـنـوانُـهُ (روحُ شـاعـرْ)

❁❁❁

أمّــي

تــركــتْــنــي هــاهُــنــا بــيــنَ الــعَــذابِ
ومــضــتْ، يــا طــولَ حُــزْنــي واكْــتــئــابــي
تــركــتْــنــي لــلــشّــقــا وحــدي هــنــا
واسْــتــراحــتْ وحــدَهــا بــيــنَ الــتــرابِ
حــيــثُ لا جَــورٌ ولا بــغــيٌ ولا
ذَرَّةٌ تــبــنــى وتُــنــبــي بــالــخــرابِ
حــيــثُ لا ســيــفٌ ولا قُــنْــبُــلَــةٌ
حــيــثُ لا حــربٌ ولا لَــمْــعُ حِــرابِ
حــيــثُ لا قــيــدٌ ولا ســوطٌ ولا
ظــالــمٌ يــطــغــى ومــظــلــومٌ يــحــابــي

* * *

خــلّــفــتْــنــي أذكــرُ الــصــفــوَ كــمــا
يــذكــرُ الــشــيــخُ خــيــالاتِ الــشَّــبــابِ
ونَــأتْ عــنّــي وشــوقــي حــولــهــا
يــنــشُــدُ الــمــاضــي وبــي، أوّاهُ مــا بــي
ودعــاهــا حــاصــدُ الــعــمــرِ إلــى
حــيــثُ أدعــوهــا فــتــعــيــا عــن جــوابــي
حــيــثُ أدعــوهــا فــلا يــســمــعُــنــي
غــيــرُ صــمــتِ الــقــبــرِ والــقــفــرِ الــيــبــابِ

مـــوتُـــهـــا كـــان مـــصـــابـــي كـــلَّـــه
وحـــيـــاتـــي بـــعـــدهـــا فـــوقَ مـــصـــابـــي

***

أيـــن مـــنّـــي ظـــلُّـــهـــا الـــحـــانـــي وقـــدْ
ذهـــبـــتْ عـــنّـــي إلـــى غـــيـــرِ إيـــابِ
ســـحـــبـــتْ أيّـــامَـــهـــا الـــجـــرحـــى عـــلـــى
لـــفـــحـــةِ الـــبـــيـــدِ وأشـــواكِ الـــهـــضـــابِ
ومـــضـــتْ فـــي طـــرقِ الـــعـــمـــر فـــمـــن
مَـــســـلـــكٍ صـــعـــبٍ إلـــى دنـــيـــا صـــعـــابِ
وانـــتـــهـــتْ حـــيـــثُ انـــتـــهـــى الـــشـــوطُ بـــهـــا
فـــاطـــمـــأنّـــتْ تـــحـــتَ أســـتـــارِ الـــغـــيـــابِ

***

آه يـــا (أمّـــي) وأشـــواكُ الأســـى
تُـــلْـــهِـــبُ الأوجـــاعَ فـــي قـــلـــبـــي الـــمُـــذابِ
فـــيـــكِ ودّعـــتُ شـــبـــابـــي والـــصّـــبـــا
وانـــطـــوتْ خـــلـــفـــي حـــلاوات الـــتـــصـــابـــي
كـــيـــفَ أنـــســـاكِ وذكـــراكِ عـــلـــى
ســـفْـــرِ أيّـــامـــي كـــتـــابٌ فـــي كـــتـــابِ
إنّ ذكـــراكِ ورائـــي وعـــلـــى
وُجـــهـــتـــي حـــيـــثُ مـــجـــيـــئـــي وذهـــابـــي
كـــمْ تـــذكّـــرتُ يـــديْـــكِ وهـــمـــا
فـــي يـــدي أو فـــي طـــعـــامـــي وشـــرابـــي

كـان يُضنيكِ نحولي وإذا
مسّني البردُ فزَنْداكِ ثيابي

وإذا أبكانيَ الجوعُ ولم
تملكي شيئاً سوى الوعدِ الكذابِ

هَدْهَدَت كفّاكِ رأسي مثلما
هدهدَ الفجرُ رياحينَ الرّوابي

* * *

كم هدتني يدك السمرا إلى
حقلنا في (الغَوْل) في (قاع الرّحابِ)(1)

وإلى الوادي إلى الظلّ إلى
حيثُ يُلقي الروضُ أنفاسَ الملابِ(2)

وسواقي النّهرِ تُلقي لحنها
ذائباً كاللطفِ في حُلْو العتابِ

كَمْ تمنّينا وكَمْ دَلَّلْتِني
تحت صمتِ الليلِ والشهْبِ الخوابي

* * *

كَمْ بكتْ عيناكِ لمّا رأتا
بصري يُطْفا ويُطوى في الحجابِ

وتذكّرتِ مصيري والجوى
بين جنبيك جراحٌ في التهابِ

* * *

(1) الغول: كحول وهو ما هبط من الأرض. وقاع الرحاب من حقول والد الشاعر في قريته.

(2) الملاب: كسحاب وهو العطر أو الزعفران.

هـــا أنـــا يـــا أمّـــيَ الـــيـــومَ فـــتـــىً
طـائـر الـصّـيـت بـعـيـدٌ فـي الـشـهـابِ
أمـــلأُ الـــتـــاريـــخَ لـــحـــنـــاً وصـــدىً
وتُـــغـــنـــي فـــي ربـــا الـــخـــلـــدِ ربـــابـــي
فـــاســـمـــعـــي يـــا أمُّ صـــوتـــي وارقـــصـــي
مـــن وراءِ الـــقـــبـــرِ كـــالـــحَـــوْرا الـــكَـــعـــابِ
هـــا أنـــا يـــا أمُّ أرثـــيـــكِ وفـــي
شـــجـــوِ هـــذا الـــشـــعـــرِ شـــجـــوي وانـــتـــحـــابـــي

❂ ❂ ❂

فلسفة الجراح

متألّمٌ.. مِمَّ أنا متألّمُ؟
حارَ السؤالُ، وأطرقَ المستفهمُ

ماذا أُحِسُّ؟ وآه حزني بعضُهُ
يشكو فأعرفُهُ وبعضٌ مبهمُ

بي ما علمتُ من الأسى الدامي وبي
من حرقةِ الأعماقِ ما لا أعلمُ

بي من جراحِ الرّوحِ ما أدري وبي
أضعافُ ما أدري وما أتوهّمُ

وكأنّ روحي شعلةٌ مجنونةٌ
تطغى فتضرمني بما تتضرّمُ

وكأنّ قلبي في الضلوعِ جنازةٌ
أمشي بها وحدي وكلّي مأتمُ

أبكي فتبتسمُ الجراحُ من البكا
فكأنها في كلّ جارحةٍ فمُ

* * *

يا لابتسامِ الجرحِ كمْ أبكي وكمْ
ينسابُ فوقَ شفاهِهِ الحمرا دمُ

أبداً أسيرُ على الجراحِ وأنتهي
حيثُ ابتدأتُ فأينَ مني المختمُ؟

وأُعــارِكُ الــدنــيــا وأهــوى صــفــوَهــا
لــكــن كــمــا يــهــوى الــكــلامَ الأبــكــمُ

وأُبــــارِكُ الأمَّ الــــحــــيــــاةَ لأنــــهــــا
أمّــي وحــظّــي مــن جــنــاهــا الــعــلــقــمُ

حــــرمــــانــــيَ الــحِــرمــانُ إلاّ أنّــنــي
أهْــذي بــعــاطــفــةِ الــحــيــاةِ وأحــلــمُ

والــــمــــرءُ إن أشــــقــــاه واقــــعُ شــــؤمِــــه
بــالــغــبــنِ أســعــدَهُ الــخــيــالُ الــمــنــعــمُ

* * *

وحــدي أعــيــشُ عــلــى الــهــمــومِ ووحــدتــي
بــالــيــأسِ مــفــعَــمــةٌ وجَــوّي مــفــعــمُ

لــكــنّــنــي أهــوى الــهــمــومَ لأنــهــا
فِــكَــرٌ أفــسّــرُ صــمــتَــهــا وأتــرجــمُ

أهــوى الــحــيــاة بــخــيــرِهــا وبــشــرِّهــا
وأحــبُّ أبــنــاءَ الــحــيــاةِ وأرحــمُ

وأصــوغُ (فــلــســفــةَ الــجــراحِ) نــشــائــداً
يــشــدو بــهــا الــلاّهــي وَيُــشْــجَــى الــمــؤلَــمُ

❂ ❂ ❂

تحت الليل

منكِ الجمالُ ومني اللّحنُ والشادي
يا خمرةَ الحب في أكواب إنشادي
وحدي أغنّيكِ تحتَ اللّيلِ محتملاً
جوعَ الغرامِ، وأشواقُ الهوى زادي
هنا أناجيكِ والأطيافُ تدفعُني
في عالمِ الحبِّ من وادٍ إلى وادي
والقلبُ في زحمةِ الأشواقِ مضطربٌ
كزورقٍ بين إرغاءٍ وإزبادِ
ووحشةُ الظّلمةِ الخَرْسا تهدّدُني
كأنها حولَ نفسي طيفُ جَلاّدِ
والصّمتُ يجثو على صدرِ الوجود وفي
صمتي ضجيجُ الغرامِ الجائعِ الصّادي
والليلُ يسري كأعمى ضلّ وجهتَه
وغابَ عن كفِّه العُكّازُ والهادي
كأنه فوق صمتِ الكونِ قافلةٌ
ضلّت وضلّ الطريقَ السَّفْرُ والحادي
ولمْ أزلْ أتشهّى منكِ بارقةً
من عاطفِ الحبِّ، أو إشراقَ إسعادِ

وحـبُّـك الـحـبُّ أخـفـيـه فـأنْـفُـثـه
شِـعـراً فـيـنـصـبُّ خـافـيـهِ إلـى الـبـادي

وحـدي أنـاديـك مـن خـلـفِ الـشـجـونِ فـيـا
نـجـيّـةَ الـحـبِّ نـادي لَـوْعَـتـي نـادي

فـطـالـمـا تُـهْـتُ فـي دنـيـا هـواك ومـا
هـوّمْـتُ خـلـفَ الـخـيـالِ الـرائـحِ الـغـادي

أهـفـو إلـيـكِ وحـولـي كـلُّ أمـنـيـةٍ
تـفـنـى ولـلـيـأسِ حـولـي ألـفُ مـيـلادِ

والـيـأسُ يـطـغـى وجـوعُ الـحـب فـي كـبـدي
يَـضِـجّ مـا بـيـن إبـراقٍ وإرعـاد

⊛⊛⊛

البعث العربي

قيلت هذه القصيدة بمناسبة المؤتمر الذي عقده أقطاب العرب الثلاثة جلالة (الإمام أحمد) و(الرئيس جمال عبد الناصر) وجلالة (الملك سعود).

وحدةُ المجدِ والفخارِ التّليدِ
زعْزعَتْ مرقَدَ الصباحِ الجديدِ

واسْتطارتْ تحثّ قافلةَ الفتحِ
وتطوي الحدودَ بعدَ الحدودِ

وتناجي العدا بألسنةِ النّا
رِ وبالموتِ منْ شفاهِ الحديدِ

وحدةٌ يَعْرُبِيّةٌ وانْطلاقٌ
عربيٌّ يهُزُّ صمتَ اللّحودِ

إنما العُرْبُ ثورةٌ وحّدتها
يقظةُ البَعْثِ وانتفاضُ الوجودِ

فـ(ابْنُ يحيى) مؤزَّرٌ بـ(جمالِ)
و(جمالٌ) مؤزَّرٌ بـ(سعودِ)

وحّدتْ شملَهم كبارُ الأماني
والدَّمُ الحرُّ واعتزازُ الجدودِ

قد تلاقى الحجازُ واليمنُ الميـ
مونُ والنّيلُ في اتحادِ الجهودِ

واستفاقت مواطنُ العَرَب الشُّـ
مُ فعودي يا رايةَ العُرْبِ عودي
واذكري في المعاركِ الحُمْرِ (سعداً)
و(عليّاً) و(خالدَ بنَ الوليدِ)[1]
تأنف العُرْب أن تدوسَ حِماها
الحُرَّ شرُّ العبيدِ أدنى العبيدِ
آن آن الفدا وثار الدَّمُ الحُرُّ
يُذيبُ القيودَ إثرَ القيودِ
يا نفوسَ اليهودِ ذوبي، وذوبوا
من لظى الغيظِ يا عبيدَ اليهودِ
فجيوشُ الجهادِ تزحفُ للثأ
رِ وتهفو إلى الحمى المنشودِ
يا فلسطينُ حقّقتْ وحدةُ العُر
ب أمانيكِ فاطْمحي واستزيدي
وانفضي عن رباكِ سودَ الليالي
واستفيقي على زئيرِ الأسودِ
هذه (غَزّةٌ) تفيض الْتهاباً
والجنودُ الأباةُ تِلْوَ الجنودِ
وعلى (جُدّةٍ) تجدِّد عهدُ الـ
عُرْبِ واهتاجَ للوثوبِ المجيدِ

* * *

(1) سعد: يريد سعد بن أبي وقاص بطل القادسية.

يـا بـريـطـانـيـا وقـد هُـيـئ الـمَـيْـ
ـدانُ هـيّـا إلـى الـعِـراكِ الـعـنـيـدِ

إنـمـا نـحـنُ أمـةٌ تـبـذلُ الأر
واحَ فـي ذمـةِ الـعـلا والـخُـلـودِ

تـفـتـدي الـمـجـدَ بـالـنـفـوسِ وتَـشـفـي
غُـلّـةَ الـثـأرِ مـن جـراحِ الـشـهـيـدِ

فـتـخـلّـيْ عـن الـجـنـوبِ وخَـلّـي
(كَـمَـرانَ) الـمـصـونَ حـرَّ الـبـنـودِ

دون مـا تـبـتـغـيـن صـاعـقـةُ الـمـو
تِ وبـرقُ الـقـنـا وقـصْـفُ الـرعـودِ

ويـلَ مـن يَـعـمـرُ الـقـصـورَ عـلـى الـنـا
رِ ولا يـتّـقـي خَـمـاسَ الـوَقـودِ

أمـةُ الـعُـرْب ضـمّـهـا صَـلَـفُ الـجُـرْ
ح الـمُـدمّـى وكـبـريـاءُ الـحُـقـودِ

كـلّـهـا أقـسـمـتْ بـأن تـنـشـرَ الأر
واحَ دون الـحـقـوقِ نـشـرَ الـورودِ

وتـروّي صـدرَ الـجـهـاد وتـمـحـو
عـن جـبـاهِ الأبـاةِ ذُلَّ الـسـجـودِ

وتـرى مـجـدَهـا الـبـعـيـدَ بـعـيـداً
ولِـواهـا يَـرفُّ خـلـفَ الـبـعـيـدِ

جـــدّدتْ بـــالـــيَ الـــعـــهـــودِ وأحـــيـــتْ
مـــيّـــتَ الـــمـــجـــدِ والإبـــا مـــنْ جـــديـــدِ

وتـــســـامَـــتْ تـــشـــيـــدُ مـــســـتـــقـــبـــلَ الـــعُـــرْ
بِ عـــلـــى زَهْـــوةِ الـــصـــبـــاحِ الـــولـــيـــدِ

⊛⊛⊛

منبت الحب

هاهُنا لاحَ لنا الحبُّ وغابا ... وتشظّى في يدِ الأمسِ وذابا
نبَتَ الحبُّ هنا كيف غدا ... في ترابِ المنبِتِ الزاكي ترابا!
هذه البقعةُ ناغتْ حُبَّنا ... فصَبا الحبُّ عليها وتصابى
وسقتنا الحبَّ صفواً وهَنَاً ... ثُمّ أسقتناه ذكرى وانتحابا
كان حبٌّ ثم أضحى قصةً ... تنقلُ الأمسَ خيالاتٍ كِذابا
قصّةً تائهةً نقرأُها ... من فمِ الذكرى فصولاً وكتابا

* * *

هذه البقعةُ كمْ تعرفُنا ... كمْ سقيناها ترانيمَا عِذابا
وزرعناها وداعاً ولِقاً ... وفرشناها حِواراً وعِتابا
ليتها تنطقُ كي تُنشدَنا ... قصةَ القلبيْن خفقاً واضطرابا
ليتها تُصغي لنا نسألُها ... عن هوانا ليتها تعطي جوابا

* * *

نحنُ ذُقْنا الحبَّ فيها خمرةً ... وصحوْنا فوجدناهُ سرابا
نحنُ غنّينا شبابَيْنا هنا ... وتلفّتنا فلمْ نلقَ الشبابا
منبتُ الحبِّ دعانا للهَنا ... فمضينا ننهبُ الصفوَ انتهابا
منبتُ الحبِّ حوانا ظلُّهُ ... لحظةً وانقلبَ الظلُّ التهابا
فسكبنا حوله كأسَ المنى ... وملأنا الكأسَ دمعاً وعذابا
ورجعنا عنه نستجدي البُكا ... ونُباكي أملاً في الحبِّ خابا

❁ ❁ ❁

محنة الفنّ

أنا من غازلَ الجمالَ وغنّى
للمعالي لحناً وللحبِّ لحنا
عاشَ بين الهوى وبين مُنى المَجْـ
ـدِ ولم يلقَ عمرَه ما تمنّى
واستخفَّ الحياةَ بالشّذوِ حتى
زادَها فوقَ حسنها البكرِ حُسْنا
قلبيَ القلبُ يحمل الأمسَ واليو
مَ ويلقي لمُقبل العُمْرِ ظنّا
قَلْبيَ القلبُ لم يفارقْهُ آتٍ
لا، ولا الأمسُ في حناياه يفنى
قَلبيَ القلبُ إن بكى رقّصَ الدُّنْـ
ـيا بُكاهُ وحوّلَ الدمعَ فَنّا

* * *

دمعةُ الفنِّ بسمةٌ في شفاه الْـ
ـخُلدِ أصفى من الصباحِ وأسنى
في ظلالِ الربيعِ قطّرتُ أنفا
سي نشيداً أرقَّ منه وأحنى
وعصرتُ الشجونَ في الروضةِ الْـ
غنّا لحوناً أندى وفنّاً أغنّا

مـن جـمـالِ الـحـيـاةِ سـلـسـلـتُ أنـغـا
مـي وغـنـيـتُ عِـطْـفَـهـا فـتـثـنَّـى
مـن هـمـومِ الـجـيـاعِ غـنّـيـتُ لـلـجـو
عِ وصـغـتُ الـهـمـومَ بـحـراً ووزنـا
وتـخـيّـرتُ لـلـغـنـيّ غِـنـاءً
مُـتـرَفـاً راقـصـاً كـأعـطـافِ حَـسْـنـا
أنـا أشـدو لـكـلِّ قـلـبٍ طـروبٍ
أنـا أبـكـي لـكـلِّ قـلـبٍ مُـعَـنّـى

***

(مـحـنـةُ الـفـنِّ) مـحـنـةٌ تـتُـعـب الـ
ـفـنّـانَ والـخـلـدُ مـن مـعـانـيـه يَـهْـنـا
كـلُّ مـا بـي أودعـتُـهُ الـشـعـرَ لـكـن
فـي ضـمـيـري شـعـرٌ أنـا مـنـه مُـضـنـى
لا تـسـلـنـي يـا صـاحـبـي أيُّ شـعـري
كـانَ أعـلـى أو أيُّـه كـانَ أدنـى
أجـمـلُ الـشـعـرِ نـغـمـةٌ لـمْ أُوقِّـعْـهـا
وصـمـتـي يَـطـوي لـهـا ألـفَ مـعـنـى
فـتـنـفّـسْ يـا صـمـتَ شـعـري بـمـا فـيـ
ـيـكَ لـعـلّـي يـا شـعـرُ أن أطـمـئـنّـا
وتـأوّهْ لـعـلَّ آهـاتِـك الـجـر
حـى تـلاقـي فـي ضـجـةِ الـكـونِ أذنـا
آه يـا شـعـرُ، آه قـد قـيّـدَ الـصَّـمْـ
ـتُ أغـانـيـكَ فـاتـخـذْ مِـنـه سـجـنـا

من هواها

أنا وحدي هنا وكلّي لديها أسكبُ القلبَ قبلةً في يديها
فهي خلفَ البعادِ والوهمُ يُدنيـ ـها ويدني إلى فمي شفتيها
مِنْ صباها جنيتُ أزهارَ شعري واقْتطفتُ اللحونَ من وجنتيها
مِنْ هواها أذوبُ منها، وفيها مِنْ هواها بكيْتُ منها عليها
كلّما شئتُ أنْ أفِرَّ بقلبي مِنْ هواها فررتُ منها إليها

* * *

أينَ عنها أحيدُ أو أينَ بالقلبِ أنفِرُ
وهي جَوّي ومِهْبطِي وهواي المسعَّرُ
وهي في القلبِ عالَمٌ بالصباباتِ يَزْخَرُ

* * *

وهي في الصدرِ ألفُ قلبٍ يغنّي بهواها وموجةٌ من لهيبِ
إنها وحدَها نصيبي من الحبِّ ويا حبُّ أينَ مني نصيبي؟
هي دنياً تموجُ بالسحرِ والدَّلّ وترفضُ بالسّنا والطّيوبِ
حلوةٌ كالأشعّةِ الزُّهْرِ كالأشـ ـواقِ كالشعرِ كالخيالِ العجيبِ
فَهي فنٌّ مجسَّدٌ يُلهمُ الفنَّ حوارَ السما ونجوى الغيوبِ

* * *

وهي سحرٌ مركّبٌ وفتونٌ مجسّمُ
كلُّ صوتٍ يمرُّ في شفتيها تَرنُّمُ
وكأنّ الحروفَ منْ ثغرِها الحلوِ تَبسمُ
كلّما حدَّثتْ تلألأتِ الألـ فاظُ منْ ثغرِها كفجرِ الرّبيعِ

ومشتْ في حديثِها نشوةُ الـ حسنِ وترنيمةُ الدَّلالِ الطبيعي
إنّها والهوى بأعطافِ لحني رقصةُ السّحرِ والجمالِ الرفيعِ
حبّها في فمي نشيدٌ أغنّيـ ه ولحنٌ مُذوَّبٌ في دموعي
لا فراقٌ وإنْ تناهى بها البعـ دُ وقلبي وحبُّها في ضلوعي

* * *

لا انقطاعٌ فحبُّنا أبديٌّ ومُلْهَمُ
حبُّنا شاعرٌ على ربوةِ الخلدِ يحلُمُ
لا انفصالٌ فإننا في عروقِ الهوى دمُ

⊛⊛⊛

راهب الفنّ

ساهـرُ الـجُـرح لـم يَـنَـمْ كـيـفَ يـغـفـو عـلـى الـضَّـرمْ
مـؤلَـمٌ كـلّـمـا بـكـى سـخـرَ الـجُـرْحُ وابـتـسـمْ
لا تـسـلْ عـنـه إنّـهُ ضـاعَ فـي زحـمـةِ الـظُّـلَـمْ
شـاعـرٌ يـعـزفُ الـشـقـا ويُـغَـنّـي الـدُّجـى الأصـمّ
حـارَ فـي الـحـبِّ قـلـبُـهُ حَـيـرةَ الـصـمـتِ فـي الـقِـمـمْ
راهـبُ الـفـنِّ صـدرُهُ لـلـصَّـبـابـاتِ مُـزْدحـمْ
كـلّـمـا كـتَّـمَ الـهـوى فـضـحَ الـفـنُّ مـا كـتـمْ
كـلّـمـا صـانَ سـرَّه ضـجّ فـي الـصـدرِ واحـتـدمْ
لَـمْ يُـطِـقْ حِـشْـمَـةَ الـجَـوى مـن رأى الـشـاعـرَ احـتـشـمْ[1]؟
لا تـسـلْ مـا شـدا ولا كـيـفَ غَـنَّـى الـهـوى؟ وكـمْ؟
شـاعـرٌ ذابَ صـمـتُـهُ فـي كـؤوس الـهـوى نَـغَـمْ
وسـقـاه الـحـنـيـنُ مـنْ كـأسِـهِ خـمـرةَ الـعـدَمْ
إنَّ تـاريـخَ عـمـرِهِ قـصـةُ الـحـبِّ والألـمْ
كـلّـمـا ازتـاد مـرتـعـاً لـلـهـوى عـادَ بـالـنّـدمْ

❁ ❁ ❁

---

(1) الحشمة: بالكسر الحياء والانقباض.

منها وإليها

أنــــتِ يـــا كـــلَّ مـــن أحـــبُّ وأهـــوى
فـي حنيـنـي شعـرٌ وفـي الـصـمـتِ نـجـوى

أنــــتِ فـــي كـــلِّ دَقّـــةٍ مـــن فـــؤادي
نـغـمـاتٌ مـن خـمـرةِ الـحـبِّ نَـشْـوى

وغِـنـــاءٌ مُـــدلَّـــهٌ يـنـشـرُ الـحـبُّ
صـداه وفـي فـمِ الـصـمـتِ يُـطـوَى[1]

فـي ضـلـوعـي إلـيـكِ شـوقٌ وقـلـبٌ
شـاعـرٌ يـعـزفُ الـصـبـابـاتِ شَـذْوا

وعِـتـابٌ يـفـضـي إلـيـكِ فـإن لا
قـاكِ أغْـضـى وذابَ فـي الـقـلـبِ شـكـوى

وبـقـلـبـي إلـيـكِ شـعـرٌ سـأزويـ
ـهِ وشـعـرٌ فـي خـاطـري لـيـسَ يُـروى

أيَّ فـنٍّ أشـدو؟ ومـاذا أغـنّـيـ
ـكِ وفـنُّ الـجـمـالِ أسـمـى وأقـوى؟

أيَّ لـحـنٍ أهـدي إلـيـكِ ومَـغْـنـا
كِ لـحـونٌ تـسـمـو عـلـى الـفـنِّ زَهْـوا؟

---

(1) المدله: الساهي القلب، الذاهب العقل.

آه جـــفَّ الـــنـــشـــيـــدُ إلاّ نـــشـــيـــداً
أنـــا فـــيـــه أذوب عُـــضْـــواً فـــعُـــضْـــوا

آه يـــا قـــلـــبُ إنـــهـــا صـــبـــوةُ الـــحـــســـ
ـنِ الـــمُـــغـــنّـــى وأنـــتِ أصـــبَـــى وأغْـــوَى

حـــســـنُـــهـــا شـــاعـــرُ الـــفـــنـــونِ وحـــبـــي
عـــبـــقـــريٌّ يـــطـــارحُ الـــحـــســـنَ شَـــجْـــوا

كـــلُّ شـــعـــرٍ غـــنَّـــيـــتُـــهُ فـــهـــو مـــنـــهـــا
وإلـــيـــهـــا والـــفـــنُّ يـــحـــســـوهُ صَـــفْـــوا

❂ ❂ ❂

أمُّ الكرْم

نظم الشاعر هذه القصيدة عند زيارته الروضة المعروفة، 17 ذو الحجة سنة 1374هـ.

نشوةُ النورِ وأحلامُ الجِنانِ
وشذا الأنسامِ والجوّ الجُماني

رقصَتْ في الروضةِ الغَنّا كما
ترقصُ الحورُ على شدو المثاني

وصبَتْ معجزةُ الحسن بها
صبوةُ السّكرِ بأعطافِ الغواني

بلدةُ الفنّ و(أمُّ الكَرْمِ) في
حضْنِها الحاني صبَتْ أمُّ الدّنانِ

نسّقَ الفنُّ حواشي كرمِها
فتعانقنَ على بُعْدِ المكانِ

وطلى بهجتَها صفوُ النّدى
والصباحُ الطفلُ ورديُّ البنانِ

والعناقيدُ على أغصانِها
كالنّهودِ العاطفياتِ الحواني

وتدلّتْ كالقُروطِ البيضِ منْ
أذُنِ الغيدِ المليحاتِ الحسانِ

* * *

روضةٌ فوحاءُ فِرْدَوْسِيّةٌ
تَلِدُ اللّذاتِ آناً بعدَ آنِ

كلُّها راحٌ ورَوحٌ عَبِقٌ
وظلالٌ وتَثَنّي غصنِ بانِ

وزهورٌ تبعثُ العطرَ كما
تبعثُ السكرَ العناقيدُ الدَّواني

تفرشُ الجوَّ جمالاً وشذاً
والثرى ظلّاً نديَّ العِطفِ هاني

* * *

الهوى المِمراحُ فيها والصِّبا
وحوارُ الوصلِ فيها والتداني

وفنونُ الحسنِ فيها والغنا
مِهْرَجانٌ يرتمي في مهرجانِ

والعصافيُر على أدواحِها
كالقياثيرِ على أيدي القِيانِ

تسكبُ اللحنَ على مرقصِها
فتوشّي الجوَّ رقصاً وأغاني

وكأن النّهرَ في أحضانِها
شاعرٌ ذوّبه فَرطُ الحنانِ

ومحبٌّ كلّما ناجى الهوى
طلسمتْ نجواه (فوضاءُ) الزَّمانِ

فـتـخـالُ الـنـهـرَ مـحـمـومَ الـغِـنـا
مـطـربـاً هـيـمـانَ مـعـقـودَ الـلـسـانِ

وكـأنَّ الـروضـةَ الـغـنّـا عـلـى
مـائـهِ فـجـرُ الـهـوى طـفـلُ الأمـانـي

* * *

بـلـدٌ تـوحـي مـجـالـيـه إلـى
مِـزهَـرِ الـفـنـان أبـكـارَ الـمـعـانـي

قـلـت لـلـشّـعـرِ وقـد سـاجـلـه
نـغـمُ الـفـنّ وسـحـرُ الافـتـنـانِ

أتـراهُ سـرقَ الـفـردوسَ أمْ
هـو فـردوسٌ بـحِـضـن الأرضِ ثـانـي

⊗ ⊗ ⊗

نجوى

أناجيكِ يا أختَ روحي كما
يُناجي الغريبُ خيالَ الحِمى
وأهفو إليكِ مع الأمنياتِ
كما يرتمي الفكرُ نحو السما
وأظما إليكِ فتُروي المُنى
خيالي ويَزْدادُ روحي ظما
وأبكي ويَبكي خيالي معي
نشيداً يُباكي الدُّجى الأبكما

❋ ❋ ❋

أيا قلبُ كم ذبتَ في حبّها
لحوناً مضرَّجةً بالدّما
وكمْ هزّني طيْفُها في الدُّجى
وكمْ هزَّ قِيثاريَ المُلْهَما
وكمْ ساجلتْني خيالاتُها
كَمَا ساجلَ المغرَمُ المغرما
فما عطفتْ قلبَها رحمةٌ
ولا فكّرتْ آه أنْ تَرْحما

❂ ❂ ❂

في الطريق

وحدَه يحملُ الشّقا والسّنينا
لا معينٌ وأين يَلقى المُعينا

وحدَه في الطريقِ يسحَبُ رجليْه
ويطوي خلفَ الجراحِ الأنينا

مُتعَبٌ يعبرُ الطريقَ ويمضي
وحدهُ يتبعُ الخيالَ الحزينا

۞۞۞

الليل الحزين

كئيبٌ بطيءُ الخُطى مُؤلَمُ
يسيرُ إلى حيثُ لا يَعلمُ

ويَسري ويسري فلا ينتهي
سُراهُ ولا نهجهُ المظلمُ

وتنسابُ أشباحُه في السّكون
حيارى بخيبتها تحلُمُ

هو اللّيلُ في صمتهِ ضجّةٌ
وفي سرِّهِ عالَمٌ أبكمُ

كأنّ الصباباتِ في أفقهِ
تئنُّ فترتعشُ الأنجمُ

حزينٌ غريقٌ بأحزانهِ
كئيبٌ بآلامهِ مُفْعَمُ

كأنّ النجومَ على صدرهِ
جراحٌ يلوحُ عليها الدَّمُ

* * *

هو اللّيلُ يَطوي بأعطافِه
قلوباً بأشواقِها تُضرَمُ

تـــســـاهـــرُهُ أعـــيـــنُ الـــســـاهـــريـــن
وتـــقـــتـــاتُ أحـــلامَـــه الـــنُّـــوَّمُ

ويـــشـــكـــو إلـــى جـــوّه عـــاشـــقٌ
ويـــشـــدو عـــلـــى صـــمـــتـــه مـــلـــهَـــمُ

يـــنـــاجـــي الـــمُـــعَـــنَّـــى الـــمُـــعـــنِّـــي بـــه
ويـــهـــفـــو إلـــى الـــمُـــغْـــرَمِ الـــمـــغـــرمُ

ويـــبـــتـــهـــجُ الـــقـــصـــرُ فـــي ظـــلّـــه
ويـــنـــتـــحـــبُ الـــكـــوخُ والـــمـــغـــدمُ

فـــفـــيـــه الـــتـــآويـــهُ والأغـــنـــيـــاتُ
وفـــي طـــيّـــه الـــعـــرسُ والـــمـــأتـــمُ

وفـــي صـــدره ســـرُّ هـــذا الـــوجـــود
فـــمـــاذا يـــذيـــعُ؟ ومـــا يـــكـــتـــمُ؟

❁❁❁

أنا

مـا بـيـن ألـوانِ الـعـنـا ءِ وبـيـن حـشـرجـةِ الـمُـنـى
مـا بـيـن مـعـتـركِ الـجـرا حِ وبـيـن أشـداقِ الـفـنـا
مـا بـيـن مـزدحَـمِ الـشـرورِ أعـيـشُ وحـدي هـاهُـنـا
لـمْ أدرِ مـا الـسـلـوى؟ ولـمْ أُطـعَـمْ خـيـالاتِ الـهـنـا
الـحـبُّ والـحـرمـانُ زا دي والـغـذاءُ الـمُـقْـتَـنـى

* * *

وحـدي هـنـا خـلـف الـوجـو دِ وخـلـف أطـيـافِ الـسَّـنـا
وهـنـا تَـبَـنْـتْـنـي الـحـيـا ةُ ومـا الـحـيـاةُ؟ ومـا هـنـا؟
أنـا مَـنْ أنـا؟ الأشـواقُ والـ حِـرمـانُ والـشـكـوى أنـا
أنـا فـكـرةٌ وَلْـهَـى مـعـانـيـ ـهـا الـتـضـنّـي والـضَّـنـى
أنـا زفـرةٌ فـيـهـا بُـكـا ءُ الـفـقْـرِ آثـامُ الـغـنـى

* * *

أهْـوى وألـقـى غـيـرَ مـا أهـوى، فـمـاذا أشـتـهـي؟
لا أسـعـدَ الـمـهـوى ولا جـوعُ الـهـوايـة يـنـتـهـي
أنـا حـيْـرةُ الـمـحـرومِ تـنـ ـتـحـرُ الـمـنـى فـي صـمـتـهِ

* * *

وأنـا حـنـيـنٌ تـائـهٌ بـيـن الـمـحـبَّـة والـشـقـا
أظـمـا وأظـمـأ لـلـجـمـا لِ وأيـن مـنـي الـمـسـتـقـى

* * *

يـا قـلـبُ هـل تـلـقـى الـمـرا دَ ومـا الـمـرادُ ومـا الـلّـقـا

عمري تمرّغ في اللّهيـ ـبِ ولذَّةُ أنْ يُخرَقا
لا فارقَ اللّهبُ الرما دَ ولا الرمادُ تفَرَّقا

* * *

فمتى متى يُطفي الفَنا الـ ـموعودُ عمري الأحمقا
كيف الخلاصُ ولمْ يزلْ روحي بجسمي مُوثَقا
لا الموتُ يختصرُ الحيا ةَ ولا انتهى طولُ البقا
لا القيدُ مزّقه السجيـ ـنُ ولا السجينُ تمزّقا
حيرانُ لمْ يُطِقِ الحيا ةَ ولمْ يُطِقْ أن يَزْهَقا

* * *

يا آسرَ العصفورِ رفـ ـقاً بالجناح المتعبِ
سئمَ الركودَ ولمْ يزلْ في قبضةِ الشوكِ الغبي
دَرَنُ التراب مجسّدٌ في الشيخِ، في ثوبِ الصبي

* * *

مع الحيـاة

سلسل الشاعر هذا النغم الحزين وهو على سرير المستشفى، يتأرجح بين نهاية الألم القوي، وبداية الصحة الضعيفة! وكانت في نفسه خواطر تضطرب اضطراب الموج، وفي خواطره قلق يتململ تململ الأسد الجريح، وفي صدره خفقات تجيش كما يجيش الحميم المكظوم، وكان الليل وراء النافذة صامتاً كأنه قتيل، فلملم الشاعر هذه الأفكار من حواشي الليل الطريح بين ذراعي الأرض الهامدة! هكذا تألم الشاعر، وهكذا ترجم ألمه ومن لم يتألم فليس بشاعر، ومن لم يفصح عن ألمه فليس بموهوب، ومن لم ينشر ما أفصح عنه فليس بشجاع.

يـا حـيـاتـي ويـا حـيـاتـي إلـى كـمْ
أحـتـسـي مـن يـديـكِ صـابـاً وعـلـقـمْ؟

وإلـى كـمْ أمـوتُ فـيـكِ وأحـيـا؟
أيـنَ مـنـي الـقـضـا الأخـيـرُ الـمـحـتَّـمْ؟

أسـلِـمـيـنـي إلـى الـمـمـاتِ فـإنّـي
أجِـدُ الـمـوتَ مـنـكِ أحـنـى وأرحـمْ

وإذا الـعـيـشُ كـانَ ذُلاً وتـعـذيـ
ـبـاً فـإن الـمـمـاتَ أنـجـى وأعـصـمْ

* * *

مـا حـيـاتـي إلاّ طـريـقٌ مـن الأشْـ
ـواكِ أمـشـي بـهـا عـلـى الـجـرحِ والـدّمْ

وكـأنـي أدوسُ قـلـبـي عـلـى الـنّـا
رِ وأمـضـي عـلـى الأنـيـنِ الـمـضـرَّمْ

لـمْ أفـتْ مـأتـمـاً مـن الـعـمـرِ إلاّ
وألاقـي مـن بـعـدهِ ألـفَ مـأتـمْ

وحـيـاةُ الـشّـقـا عـلـى الـشـاعـرِ الـحـسّـ
اسِ أدهــى مــن الــجــحــيــم وأذهَــمْ[1]

وأنــا شــاعــرٌ ومــا الــشــعــرُ إلاّ
خــفــقــاتـي تــذوبُ شــجــواً مــنــغَّــمْ

شــاعــرٌ صــانَ دمــعَــهُ فــتــغــنّــى
بــلــغــاتِ الــدمــوعِ شــعــراً مــتــيّــمْ

عــلّــمــتــهُ الــطــيــورُ أحــزانَــهــا الــبَــكْــ
ــمــا فــغــنّــى مــع الــطــيــورِ ورنّــمْ

* * *

إيــه يــا شــاعــرَ الــحــيــاةِ ومــاذا
نــلــت مــنــهــا إلاّ الــرّجــاءَ الــمــهــشّــمْ

أنــتَ بــاكٍ تــحــنــو عــلــى كــلِّ بــاكٍ
أنــتَ قــلــبٌ عــلــى الــقــلــوبِ مــقــسَّــمْ

قــد قــرأت الــحــيــاة درســاً فــدرســاً
وتــجــلّــيــت كــلَّ ســرٍّ مــكــتّــمْ

فــرأيــتَ الــحــيــاةَ لــم تَــضــفُ إلاّ
لــعــبــيــدِ الــحُــطــامِ والــذلِّ والــدمْ

طــيــبُــهــا لــلّــئــامِ لا الــمــلــهَــم الــشــا
دي وهــيــهــاتَ أنْ تــطــيــبَ لــمــلــهَــمْ

* * *

(1) أدهم: الدُهْمة هي السواد الشديد ليلاً.

أيُّهذي الحياةُ ما أنتِ إلاّ
أملٌ في جوانحِ اليأسِ مُبْهَمْ
غِرّةٌ[1] تُضحكُ العبوسَ وتُبكي
فَرِحاً هانئاً وتُشقي منعَّمْ

* * *

يا حياتي وما حياتي وما معـ
ـنى وجودي فيها لأشقى وأُظْلَمْ
ربِّ رحماكَ فالمتاهُ طويلٌ
والدُّجى في الطريقِ حيرانُ أبكمْ
قد أتيتُ الحياةَ بالرُّغمِ منّي
وسأمضي عنها إلى القبرِ مُرغَمْ
أنا فيها مسافرٌ زاديَ الأحْـ
ـلامُ والشعرُ والخيالُ المجسّمْ
وشرابي وهمي، وآهي أغاريـ
ـدي ونوري عمى الظلامِ المطلسَمْ
ليس لي من غضارةِ[2] النورِ حظٌّ
لا ولا في يدي سوى الظُّفر درهَمْ
ليتَ شعري ما لي إذا رمتُ شيئاً
حال بيني وبينه القفرُ واليَمّ

(1) الغرة بالكسر: من لا تجربة لها من الإناث، وهي أيضاً مصدر غرّهُ بمعنى خدعه.
(2) الغضارة: السعة والنعمة والخصب.

لــمْ أجــدْ مــا أريــدُ حــتــى الــخــطــايــا
أحَــرامٌ عــلــيَّ حــتــى جــهــنَّــمْ؟!

كــلُّ شــيء أرومُــهُ لــم أنــلْــهُ
لــيــتــنــي لــم أرِدْ ولا كــنــتُ أفْــهَــمْ!

أنــا أحــيــا مــع الــحــيــاةِ ولــكــن
عُــمُــري مــيِّــتُ الأمــانــي مــحــطَّــمْ

لــيــتــنــي ـ والــحــيــاة غــرمٌ وغــنــمٌ ـ
نــلــت من صــفــوِهــا عــلــى الــعــمــرِ مــغــنَــمْ

◎◎◎

من أُغنّــي

هـاهُـنـا فـي الـمـنـزلِ الـعـاري الـجـديـبْ
أحـتـسـي الـدّمـعَ وأقـتـاتُ الـنّـحـيـبْ
هـاهُـنـا أشـكـو إلـى الـلّـيـلِ وكـمْ
أشـتـكـي والـلّـيـلُ فـي الـصّـمـتِ الـرهـيـبْ
وأبـثُّ الـشـعـرَ آلامَ الـهـوى
وأنـادي الـلّـيـلَ والـصَّـمـتُ يُـجـيـبْ
فـإلـى مَـنْ أنـفـثُ الـشـكـوى؟ إلـى
أيِّ سـمـعٍ أبـعـثُ الـلـحـنَ الـكـئـيـبْ؟
وإلـى مـنْ أشـتـكـي الـحـبَّ إلـى
مَـنْ إلـى مـن؟ إنـنـي وحـدي غـريـبْ
هـاهُـنـا يـا لـيـلُ وحـدي والـجـوى
بـيـن أضـلاعـي لـهـيـبٌ فـي لـهـيـبْ

* * *

ولـمـنْ أشـدو؟ ومـنْ أشـدو؟ فـيـا
لـجـنـونـي مـنْ أغـنّـي بـالـنّـسـيـبْ؟
مـا لـقـلـبـي يـعـبَـثُ الـحـبُّ بـه
عـبـثَ الإعـصـارِ بـالـغـصـنِ الـرطـيـبْ
مـن أغـنّـي؟ لا حـبـيـبـاً، لا ولا
لـي من الـدنـيـا عـلـى الـدنـيـا نـصـيـبْ

آه إنــــي شـــاعــــرٌ والـــشــــعــــرُ مــــن
مــحــنــتــي! أوَّاه مــا أشــقــى الأديــبْ!

شــاعــرٌ والــشــعــر عــمــري فــي غــدٍ
أيــن عــمــري أيــن؟ . . فــي الــيــومِ الــقــريــبْ

⊛⊛⊛

في الليل

لا مشفقٌ حولي ولا إشفاقُ
إلاّ المُنى والكوخُ والإخفاقُ

البردُ والكوخُ المسجّى والهوى
حولي وقلبي والجراحُ رفاقُ

وهنا الدُّجى يسطو على كوخي كما
يسطو على المستضعفِ العملاقُ

فلمنْ هنا أصغي؟ وكيفَ؟ وما هنا
إلاّ أنا، والصمتُ، والإطراقُ

أغفى الوجودُ ونام سُمّارُ الدُّجى
إلاّ أنا والشعرُ والأشواقُ

وحدي هنا في الليلِ ترتجفُ المنى
حولي ويرتعشُ الجوى الخفّاقُ

وهنا وراء الكوخِ بستانٌ ذوتْ
أغصانُهُ وتهاوتِ الأوراقُ

فكأنَّهُ نعشٌ يموجُ بصمتِهِ
حُلمُ القبورِ ويعصِفُ الإزهاقُ

نسيَ الرّبيعُ مكانَه وتشاغلتْ
عنهُ الحياةُ وأجفلَ الإشراقُ

عُريانُ يلتحفُ السكينةَ والدُّجى
وتئنُّ تحت جذوعِهِ الأعراقُ

* * *

واللّيلُ يرتحلُ الهمومَ فتشتكي
فيه الجراحُ وتصرخُ الأعماقُ

والذكرياتُ تكرُّ فيه وتنثني
ويتيهُ فيهِ الحبُّ والعشّاقُ

تتغازلُ الأشواقُ فيهِ وتلتقي
ويضمُّ أعطافَ الغرامِ عِناقُ

والناسُ تحت الليلِ: هذا ليلُه
وصْلٌ وهذا لوعةٌ وفراقُ

والحبُّ مثلُ العيشِ: هذا عيشُهُ
ترفٌ وهذا الجوعُ والإملاقُ

في الناسِ مَنْ أرزاقُهُ الآلافُ أو
أعلى، وقومٌ ما لهمْ أرزاقُ

هذا أخي يَرْوَى وأظمأ ليس لي
في النّهْرِ لا حقٌّ ولا استحقاقُ

❁❁❁

لست أهواك

لستُ أهواكِ قد خلعتُ الهواءَ[1]
واحتقرتُ الفتونَ والإغراءَ
لستُ أهواكِ قد صحوتُ من الحبِّ
ومزَّقتُ صبوتي والصّباءَ
ونفختُ الغرامَ من حبّةِ القلْـ
ـبِ كما تنفخُ الرّياحُ الهباءَ
وترفّعتُ عن إرادتِكِ البلْـ
ـها ورضتُ الجناحَ أغزو السماءَ
فاخدعي من أردتِ غيري من النّا
سِ فإني وهبتُ قلبي العلاءَ
واخجلي أنتِ والهوى واستكيني
واخلعي عن كيانِكِ الكبرياءَ
إنّني قدْ فرغتُ منكِ وبَعْثَرْ
تُ بقايا صبابتي أشلاءَ

* * *

آهِ كمْ عشتُ في هواكِ وكمْ مَرّ
غْتُ فيه فتوّتي والإباءَ

(1) الهواء: يريد الهوى فمدّه للضرورة.

كـم تـغـنّـيـتُ فـي هـواكِ وسَـلْـسَـلْـ
تُ دمـي فـي فـمِ الـغـرامِ غـنـاءَ

وأرقـتُ الـدمـوعَ مـنـكِ ولـكـنْ
غـسـلَ الـدمـعُ حـرقـتـي والـعـنـاءَ

واسْـتـدرَّ الـبـكـا هـواكِ مـن الـقَـلْـ
ـبِ فـأفـنـى الـهـوى وأبـقـى الـعـزاءَ

وبـكـاءُ الـمـحـبِّ يـسـتـنـزفُ الـشَّـوْ
قَ نـشـيـجـاً والـذكـريـاتِ بـكـاءَ

لـسـتُ أهـواكِ قـد نـحـرتُ صـبـابـا
تـي كـمـا يـنـحـرُ الـقـنـوطُ الـرّجـاءَ

ونـسـيـتُ الـلّـقـا وعـفـتُ الـتـلاقـي
والـتـصـابـي والـحـسـنَ والـحـسـنـاءَ

* * *

فـامـضِ يـا حـبُّ قـد رجـعـتُ إلـى الـعـقـ
ـلِ الـمـصـفّـى يـديـرنـي كـيـفَ شـاءَ

ويـل ويـل الـغـرامِ مـن يـقـظـة الـلُّـبِّ
إذا الـلّـبُّ بـالـفـؤادِ تَـنـاءى

وإذا صـارعَـتْ قـوى الـعـقـلِ قـلـبـاً
عـبـقـريّـاً زادتْ قـواهُ قـواءَ

❂ ❂ ❂

شعري

غـــرِّدْ فـــأنـــتَ الـــحـــبُّ والأحـــلامُ
أنـــشِـــد يُـــصـــفِّـــقْ حـــولـــكَ الإعـــظـــامُ

يـــا كـــافـــراً بـــالـــصّـــمـــتِ والإحـــجـــام طِـــرْ
واهـــتِـــفْ فـــداكَ الـــصّـــمـــتُ والإحـــجـــامُ

واســـبـــحْ بـــآفـــاقِ الـــجـــمـــالِ وطُـــفْ كـــمـــا
تـــهـــوَى ويـــهـــوَى جـــوّهُ الـــبـــسّـــامُ

* * *

يـــا شـــعـــريَ الـــفـــوّاحَ غـــرِّدْ تـــحـــتـــفـــلْ
فـــيـــك الـــعـــطـــورُ وتـــعـــبَـــقُ الأنـــســـامُ

لـــك مـــن شـــفـــاهِ الـــفـــجـــرِ مـــنـــتـــزهٌ[1] وفـــي
صـــدرِ الـــمـــروجِ مـــراقـــصٌ وهُـــيـــامُ

فـــي كـــلِّ رابـــيـــةٍ لـــقـــلـــبِـــكَ خـــفـــقـــةٌ
وبـــكـــلِّ وادٍ حُـــرقـــةٌ وضـــرامُ

ولـــصـــوتِـــكَ الـــحـــانـــي بـــأجـــفـــانِ الـــرُّبـــا
غـــزَلٌ وفـــي قـــلـــبِ الـــرَّبـــيـــعِ غـــرامُ

بـــســـتـــانُـــكَ الـــغـــبـــرا[2] ومـــســـرحُـــكَ الـــفـــضـــا
فـــلـــكَ الـــوجـــودُ مـــســـارحٌ ومُـــقـــامُ

* * *

(1) منتزه: الأصح لغوياً مُتنزَه.
(2) الغبرا: الغبراء وهي الأرض.

شـعـري وأنـت الـفـنُّ أنـتَ رحـيـقُـهُ
شـفـتـاكَ كـأسٌ والـلّـحـونُ مُـدامُ

حـلّـقـتَ فـوق مـسـابـحِ الأوهـام لـمْ
تـلـمـخْ خـيـالَ جـنـاحِـكَ الأوهـامُ

والـمـاردُ الـعِـمـلاقُ يـكـتـسـحُ الـعـلا
فـتـظـلُّ تـهـذي خـلـفَـهُ الأقـزامُ

***

شـعـري تـبـنّـاك الـخـلـودُ فـأنـتَ فـي
ربَـواتِـهِ الأنـغـامُ والـنّـغـامُ

جـسّـمـتَ أنـفـاسَ الـشّـذا فـتـرنـحـتْ
فـيـكَ الـطـيـوبُ كـأنّـهـا أجـسـامُ

وغـمـسـتَ قـلـبَـكَ فـي الـحـيـاةِ وصـغـتَـهـا
لـحـنـاً صـداهُ وصـوتُـهُ الإلـهـامُ

وجـلـوتَ ألـوانَ الـطـبـيـعـةِ مـثـلـمـا
يـجـلـو الـفـتـاةَ بـفـنِّـهِ الـرسّـامُ

شـعـري تـنـاجـى الـحـسـنُ فـيـهِ والـهـوى
وتـنـاغـتِ الآمـالُ والآلامُ

وتـخـاصـرتْ فـيـه الـمُـنـى وتـعـانـقـتْ
فـي صـدرِهِ الـقُـبُـلاتُ والـتّـهـيـامُ

فـإذا بـكـى أبـكـى الـقـلـوبَ وإن شـدا
رقـصـتْ لـيـالـي الـدّهـرِ والأيّـامُ

ظمآنُ يرتشفُ الجمالَ وكلّما
أروى أواماً صاحَ فيه أُوامُ

فلهُ وراءَ المجدِ أمجادٌ ومِنْ
خلفِ المرامِ مطامحٌ ومرامُ

سيظلُّ يشدو كالجداولِ لا ولمْ
ينضبْ غِناهُ ولمْ يجفَّ الجامُ

* * *

لا، لمْ ينمْ شعري، ولمْ يصمتْ ولمْ
تصمتْ على أوتارِهِ الأنغامُ

لمْ يستكنْ وتري ولمْ يسكتْ فمي
فَلْتَخْرسِ الأفواهُ والأقلامُ

❁❁❁

فجر النبوّة

صُورُ الجلالِ وزهوةُ الأمجادِ
سكبتْ نميرَ الوحي في إنشادي

صُورٌ من الأمسِ البعيدِ حوافلٌ
بالذكرياتِ روائحٌ وغوادي

خطرتْ تعيدُ مشاهدَ الماضي إلى الـ
يومِ الجديدِ إلى الغدِ المتهادي

حملتْ من الميلادِ أروعَ آيةٍ
غمرتْ متاهَ الكونِ بالإرشادِ

زُمَرٌ من الذكرى تروحُ وتغتدي
وتشقُّ أبعاداً إلى أبعادِ

وتزفُّ وحيَ المولدِ الزاهي كما
زفَّ النّسيمُ شذا الربيعِ الشادي

* * *

يا فجرَ ميلادِ النبوّةِ هذهِ
ذكراكَ فجْرٌ دائمُ الميلادِ

وتهلّلَ الكونُ البهيجُ كأنّهُ
حفلٌ من الأعراسِ والأعيادِ

وأفاقتِ الوثنيةُ الحيْرى على
فجرِ الهدى وعلى الرّسولِ الهادي

فمواكبُ البشرى هناك وهاهُنا
تُنبي الوجودَ بأكرمِ الأولادِ

والمجدُ ينتظرُ الوليدَ كأنَّهُ
والمجدَ والعَلْيا على ميعادِ

وترعرعَ الطفلُ الرسولُ فهبَّ في
دنيا الفسادِ يُبيدُ كلَّ فسادِ

وسرى كما تسري الكواكبُ ساخراً
بالشوكِ بالعقباتِ والأنجادِ

بالغدرِ يسعى خلفَه وأمامَه
بالهولِ بالإبراقِ بالإرعادِ

لا، لمْ يزلْ يمشي إلى غاياتِهِ
وطريقُهُ لهبٌ من الأحقادِ

فدعا قريشاً للهدى وسيوفُها
تهفو إلى دمِهِ من الأغمادِ

فمضى يشقُّ طريقَهُ ويطيرُ في
أُفُقِ العلا والموتُ بالمرصادِ

ويدوسُ أخطارَ العداوةِ ماضياً
في السيرِ لا واهٍ ولا متمادي

لا يــركــبُ الأخــطــارَ إلاّ مــثــلــهــا
خــطِــرٌ يــعــادَى فــي الــعــلا ويــعــادي

نــادى الــرســولُ إلــى الــســعــادةِ والــهــنــا
فــصــغــتْ إلــيــه حــواضــرٌ وبــوادي

وتــصــامــمــتْ فــئــةُ الــضــلالــةِ واعــتــدتْ
فــأتــى إلَــيــهــا كــالأتــيّ[1] الــعــادي

واهــتــاجــتِ الــهــيــجــا فــأصــبــحــتِ الــعــدا
خــبــراً مــن الــمــاضــي وطــيــفَ رقــادِ

لا تُــســكــتُ الأوغــادَ إلاّ وثــبــةٌ
نــاريــةٌ غــضــبــى عــلــى الأوغــادِ

ومــن الــقــتــالِ دنــاءةٌ وحــشــيّــة
حــمــقــى ومــنــه عــقــيــدةٌ ومــبــادي

* * *

خــاضَ الــرّســولُ إلــى الــعــلا هــولَ الــدُّجــى
ولــظــى الــهــجــيــرِ الــلاّفــحِ الــوقّــادِ

واقــتــادَ قــافــلــةَ الــفــتــوحِ إلــى الــفــدا
والــمــكَــرمــاتُ دلــيــلُــهــا والــحــادي

وهــفــا إلــى شــرفِ الــجــهــادِ وحــولَــهُ
قــومٌ تــفــورُ صــبــابــةَ اسْــتــشــهــادِ

قــومٌ إذا صــرخَ الــعــراكُ تــوثّــبــوا
نــحــو الــوغــى فــي أهــبــةِ اســتــعــدادِ

---

(1) الأتيّ: السيل العنيف.

وتماسكوا جنباً لجنبٍ وارتموا
كالموجِ في الإرغاءِ والإزبادِ

وتدافعوا مثلَ السيولِ تصبُّها
قممُ الجبالِ إلى بطونِ الوادي

وإذا تساجلتِ السيوفُ رأيتَهم
خُرساً وألسنةُ السيوفِ تنادي

هنْ في السلامِ ملائكٌ ولدى الوغى
جِنٌّ تطيرُ على ظهورِ جيادِ

وهمُ الألى الشُّمُّ الذين تفتّحتْ
لجيوشِهم أبوابُ كلِّ بلادِ

الناشرونَ النورَ والتوحيدَ في
دنيا الضلالِ وعالمِ الإلحادِ

الطائرونَ على السيوفِ إلى العلا
والهابطونَ على القنا الميّادِ

***

بعثَ الرسولُ من التفرّقِ وحدةً
ومن العِدا القاسي أرقَّ ودادِ

فتعاقدتْ قومُ الحروبِ على الصّفا
وتوحّدتْ في غايةٍ ومُرادِ

وتحركتْ فيها الأخوّةُ مثلما
تتحركُ الأرواحُ في الأجسادِ

ومحا ختامُ المرسلين عن الورى
صلفَ الطّغاةِ وشرعةَ الأنكادِ

فهناك تيجانٌ تخرُّ وهاهُنا
بينَ السكونِ مصارعُ استبدادِ

وهناك آلهةٌ تئنّ وتنطوي
في خزيها وتلوذُ بالعبّادِ

والمرسلُ الأسمى يوزّعُ جهدَهُ
في الحقّ بين هدايةٍ وجهادِ

حتى بنى للحقّ أرفعَ ملّةٍ
ترعى حقوقَ الجمعِ والأفرادِ

وشريعةٍ يمضي بها جيلٌ إلى
جيلٍ وآزالٌ إلى آبادِ

* * *

يا خيرَ منْ شرعَ الحقوقَ وخيرَ منْ
آوى اليتيمَ بأشفقِ الإسعادِ

يا منْ أتى بالسلمِ والحسنى ومنْ
حقنَ الدّما في العالمِ الجلاّدِ

أُهدي إليكَ ومنكَ فكرةَ شاعرٍ
درسَ الرجالَ فهامَ بالأمجادِ

●●●

حيث التقينا

هاهُنا كانَ يناجينا الغرامُ
ويناجي المستهامَ المستهامُ
هاهُنا رَفَّ بقلبيْنا الصّبا
وتبنّانا التصافي والوئامُ
عقدَ الحبُّ فؤاديْنا كما
يعقد الهدبَ إلى الهدبِ المنامُ
فتلاقيْنا بأحضانِ الصَّفا
والصّبا خمرٌ وثغرُ الحبِّ جامُ
وتجاذبنا أحاديثَ الهوى
وسهرنا ولياليْنا نيامُ
وتمنّيْنا الأغاني واللّقا
في شفاهِ الكأسِ لحنٌ ومُدامُ
والصباباتُ الظوامي حولنا
تشربُ اللحنَ فيهتاجُ الأُوامُ
هاهُنا غنّى الهوى الطفلُ لنا
وطواهُ هاهُنا عنّا الفِطامُ
وانقضى صفوُ التلاقي وذوتْ
في صِبا الحبِّ أمانيهِ الجِسامُ

وانتهى العهدُ كأنْ لمْ يبتدئ
أو تلاقى البدءُ فيهِ والختامُ

وانطفا فجرُ أمانينا ولمْ
ينطفِ الشوقُ ولمْ يَخْبُ الضرامُ

بدَتِ اللّقيا وولّتْ هاهُنا
فعلينا وعلى اللّقيا السلامُ

ضمّنا هذا المُقامُ المشتهى
ثم أقصاني وأقصاكَ المُقامُ

فهنا يا أختُ ناغيْنا الهوى
وهنا ولّى وغطّاه القتامُ

واختفى الأنسُ وذكراه على
مسرحِ العمرِ شعاعٌ وظلامُ

ومن الحبِّ ابتهاجٌ وأسىً
ومن الذكرى دموعٌ وابتسامُ

كلُّنا يهوى الهنا لكنّنا
كلّما رُمنا الهنا غابَ المرامُ

ها أنا حيثُ التقينا وعلى
خاطري من صورِ الأمسِ ازدحامُ

أسألُ الذكرى عن الحبِّ وهلْ
للهنا في شرعةِ الحبِّ دوامُ

هــا أنــا فــي مــنــزلِ الــلّــقــيــا وفــي
جــوّهِ مــن عــهــدِنــا الــفــانــي حــطــامُ

أســألُ الــصــمــتَ عــلــى الــجــدرانِ هــلْ
لــلــهــوى عــهــدٌ لــديــه أو ذمــامُ؟

ويــكــادُ الــصــمــتُ يــروي حــبَّــنــا
قــصــةً لــو طــاوعَ الــصــمــتَ الــكــلامُ

⊛⊛⊛

أنا الغريب

غبتُ في الصمتِ والهمومِ الضَّواري
والأماني والذكرياتِ السَّواري

وتغلّفتُ بالوجومِ ووارتْ
تُ همومي في صمتيَ المتواري

وخنقْتُ اللحونَ في حَلْقِ مِزْما
ري وأغفى على فمي مزماري

وانطوتْ في فمي الأغاني وماتتْ
نغَمي في حناجر الأوتارِ

وتلاشى شعري ونامَ شعوري
نومَةَ الَّيلِ فوقَ صمتِ القِفارِ

وتفانى فنّي ولم يبقَ إلاّ
ذكرياتُ الصدى بشجو ادّكارِ

وخيالُ النحيبِ في عوديَ البا
كي وطيفُ النّشيجِ[1] في أسراري

وكأنّي تحتَ الدياجيرِ قبرٌ
جائعٌ في جوانحِ الصَّمتِ عاري

---

(1) النشيج: الغصص بالبكاء من غير انتحاب.

وأنـــا وحـــديَ الـــغـــريـــبُ وأهـــلـــي
عـــنْ يـــمـــيـــنـــي وإخـــوتـــي عـــنْ يـــســـاري

وأنـــا فـــي دمـــي أســـيـــرٌ، وفـــي أَرْ
ضـــي شـــريـــدٌ مـــقـــيَّـــدُ الأفـــكـــارِ

وجـــريـــحُ الإبـــا قـــتـــيـــلُ الأمـــانـــي
وغـــريـــبٌ فـــي أمّـــتـــي وديـــاري

كـــلُّ شـــيء حـــولـــي عـــلـــيَّ غـــضـــوبٌ
نـــاقـــمٌ مـــن دمـــي عـــلـــى غـــيـــرِ ثـــارِ

⊛⊛⊛

ليـالي السـجن

نـزلـتْ لـيـالـي الـسـجـنِ بـيـن جـوانـحـي
فـحـمـلـتُ صـدري لـلـهـمـومِ ضـريـحـا

وجـثَـتْ عـلـى قـلـبـي كـأنّـي صـخـرةٌ
لا تـفـهـمُ الـتـنـويـهَ والـتـلـمـيـحـا

فـدفـنـتُ فـي خَـفْـقِ الـجـراحِ تـألُّـمـي
حـيّـاً وألـحـدتُ الأنـيـنَ صـحـيـحـا

وحـمـلـتُ دائـي فـي دمـي وكـأنـنـي
فـي كـلِّ جـارحـةٍ حـمـلـتُ جـريـحـا

❁❁❁

عندما ضمَّنا اللقاء

كيفَ أنسى منكِ الحوارَ البديعا
واللّقا الغضَّ والجمالَ الرفيعا
كيفَ أنسى ولا نسيتُ وعندي
ذكرياتٌ حَرَّى تُذيبُ الضلوعا
كيفَ أنسى ولستُ أنسى لقاءً
ضمَّ قلباً صبّاً وقلباً صديعا
ووصالاً كانتْ تفيضُ معانيْـ
ـهِ علينا سكينةً وخُشوعا
عندما ضمّنا اللّقا في ذراعيْـ
ـهِ نَسينا ما في الوجودِ جميعا
وصبوْنا وعانقَ الحبُّ حبّاً
مثلما عانقَ الصباحُ الربيعا
وامتزجنا والحبُّ يُضفي علينا
صبواتٍ مَرحى وجَوّاً وديعا
وبنانُ الهوى تغازلُ قَلْبَيْـ
ـنا كما غازلَ النّسيمُ الشّموعا
فأدرنا من الغرام جِواراً
عاطفيّاً يُضبي الهوى والولوعا

وعِـــتـــابـــاً يـــكـــادُ مـــن رقّـــة الألْـــ
فــاظِ يــجــري عــلــى الــشــفــاهِ دمــوعــا

***

كــمْ تــســاءلــتُ عــن لــقــانــا وكــمْ ســا
ءَلْــتُ عــن صــفــوهِ الــظــلامَ الــمــريــعــا

وذكـــرتُ الـــوصـــالَ ذكـــرى غـــريـــبٍ
يَـــتَـــشَـــهَّـــى أوطـــانَـــهُ والـــرُّبـــوعـــا

***

وحدي هنا

وحـدي هـنـا يـا لـيـلُ وحـدي   مـا بـيـن آلامـي وسُـهـدي
وحـدي وأمـواتُ الـمـنـى   والـذكـريـاتُ الـسـودُ عـنـدي
وكـأنَّ أشـبـاحَ الـدُّجـى   حـولـي أمـانـي مـسـتـبـدٌ
تـطـوي أحـاسـيـسـي وتـنـ   ـشُـرُهـا وتُـخـفـيـهـا وتُـبـدي
والـلـيّـل يـلـهـو بـي كـمـا   يـهـوَى الـتـجـنّـي والـتـعـدّي
فـكـأنـنـي فـي كـفِّـهِ   عِـرضُ الـكـريـم بـكـفِّ وَغْـدِ
يـالـيـلُ لـي قـلـبٌ يـحِـنُّ   إلـى الـعُـلا بـأحـرِّ وَجْـدِ
أهـوى الـعـلا ويـردُّنـي   عـجـزي وإنَّ الـعـجـزَ مُـرْدي
لا الـيـأسُ يُـسـلـيـنـي عـن الـ   ـعـلـيـا ولا الآمـالُ تُـجـدي
بـيـنـي وبـيـنَ مـآربـي   أقـصـى الـنـوى وأشـقُّ بُـعـدِ
مـا فـاتَ مـجـدي إنـمـا   فـي ذمـةِ الأيـامِ مـجـدي
وغـداً ـ ومـا أدنـى غـداً   مني ـ سأُوفي الـمـجـدَ وعـدي
وألـقِّـنُ الـتـاريـخَ آ   يـاتـي ويَـروي الـخُـلْـدَ خُـلـدي
وأَشـيـدُ مـنـي أمـةً   تُـهـدي إلـى الـعَـلْـيـا وتَـهـدي
إنـي عـلـى عـهـدِ الـعُـلا   فـلـتـذكـرِ الـعـلـيـاءُ عـهـدي

⊛⊛⊛

الحبُّ القتيل

يا حَيْرتي أينَ حبّي أين ماضيهِ؟
وأينَ أينَ صِباهُ أو تصابيهِ؟

قتلتُ حبّي ولكنّي قتَلتُ به
قلبي ومزقتُ في صدري أمانيهِ

وكيفَ أحيا بلا حُبٌّ ولي نفَسٌ
في الصدرِ أنْشُره حيّاً وأطويهِ

قتلتُ حبي ولكن! كيفَ مقتلُه؟
بكيتُ حتى جرى في الدمعِ جاريهِ

أفرغتُ من حَدقِ الأجفانِ أكثَرَهُ
دمعاً وألقيتُ في النسيانِ باقيهِ

ما كنتُ أدري بأني سوفَ أقتلُهُ
أو أنّني بالبكا الدامي سأُفنيهِ

وكمْ بكيْتُ من الحبِّ العميقِ إلى
أنْ ذابَ دمعاً فصرتُ اليوم أبكيهِ

وكمْ شدوْتُ بواديهِ الوريفِ وكمْ
أفعمتُ كأسَ القوافي منْ معانيهِ

وكمْ أهابَ بأوتاري وألهمني
وكمْ شرِبْتُ الأغاني البيضَ منْ فيهِ

* * *

والـيـومَ واريـتُ حـبّـي والـتـفـتُّ إلـى
ضـريـحِـهِ أسـألُ الـذكـرى وأنـعـيـهِ

قـدْ حـطّـمَ الـيـأسُ مـزمـارَ الـهـوى بـفـمـي
وقـيّـدَ الـصـمـتُ فـي صـوتـي أغـانـيـهِ

إنَّ الـغـرامَ الـذي قـد كـنـتُ أُنْـشِـدُهُ
أغـانـيَ الـرُّوحِ قـد أصـبـحـتُ أرثـيـهِ

ويـلـي وويـلـي عـلـى الـحـبِّ الـقـتـيـلِ ويـا
لَـهْـفـي عـلـى عـهـدِهِ الـمـاضـي وآتـيـهِ

مـا ضـرَّنـي لـو حـمـلـتُ الـحـبَّ مـلـتـهـبـاً
يُـمـيـت قـلـبـي كـمـا يـهـوى ويـحـيـيـهِ

❁ ❁ ❁

كيف أنسى

قيلت على قبر حبيبة الطفولة عندما طاف به الشاعر

هــيــهــاتَ أنْ أنــســى هــواكِ وكــلّــمــا
حــاولــتُ أنْ أنــســى ذكــرتُــكِ مُــغــرَمــا

يــا لــلــشــجــونِ وكــيــفَ أنــســى والأســى
يــقــتــاتُ أوصــالــي ويــنــتــزفُ الــدَّمــا

يــا أخــتَ روحــي وابــتــسـامَ طــفــولــتــي
وبُــكــا شــبــابــي - آهِ - مــا ألــقــى ومــا

خــلّــفْــتِــنــي وحــدي ألــوكُ حُــشــاشــتــي
أســفــاً وأفْــنــى حُــرقــةً وتــضــرّمــا

وحــدي مــع الأمــلِ الــذبــيــحِ تــطــوفُ بــي
ذِكَــرٌ مــتــيّــمــةٌ يَــشُــقْــنَ مــتــيّــمــا

والــيــومَ إنــي حــولَ قــبــرِكِ صــامــتٌ
أقــتــاتُ مــنْ جــوعــي وأســتــســقــي الــظــمــا

وأقــبّــلُ الــقــبــرَ الــحــبــيــبَ ومُــنــيَــتــي
لــو أنَّ لــي فــي كــلِّ جــارحَــةٍ فــمــا

وأســائــلُ الــصــمــتَ الــرَّهــيــبَ كــأنــنــي
جــوعــانُ مــحــتــضــرٌ يــســائــلُ مــغــدَمــا

❋ ❋ ❋

يـا مـنْ أنـاديـهـا ويـخـنُـقُـنـي الـبـكـا
ويـكـادُ صـمـتُ الـدّمـعِ أنْ يـتـكـلّـمـا

فـارقـتُ فـي مـثـواكِ رِفْـقَ أبُـوَّتـي
وفـقـدتُ عـطـفَ الأمِّ فـيـكِ مـجـسّـمـا

يـا قـلـبـيَ الـدامـي وآه وأيـن مَـنْ
فـاضـتْ عـلـيَّ عـواطـفـاً وتـرحُّـمـا

غـابـتْ وغـبـتُ وكـلّـمـا فـارقـتُـهـا
لاقـيْـتُـهـا فـي الـذكـريـاتِ تـوهُّـمـا

مـا لـي أنـاجـيـهـا وكـيـفَ وكـلّـمـا
نـاجـيْـتُـهـا نـاجـيْـتُ قـبـراً أبـكـمـا

* * *

وافـيْـت قـبـرَكِ، والـسـكـونُ يـلـفُّـهُ
وسـكـيـنـةُ الأجـداثِ تُـحـيـي الـمـأتـمـا

فـسـألـتُ وارتـجـفَ الـسـؤالُ مـتـى الـلـقـا
فـعـصـى الـجـوابُ لـسـانَـه وتـلـعـثـمـا

فـذكـرتُ أن الـمـوتَ خـاتـمـةُ الـلّـقـا
فـقـتـلـتُ آمـالـي ولـيـتَ وربـمـا

وتـألّـمـتْ روحـي ووجـدانـي إلـى
أن كـادتِ الآلامُ أنْ تـتـألـمـا

* * *

يـا روْعَ قـلـبـي كـيـفَ أنـسـى روضـةً
حَـضـنـتْ صِـبـا عـمـري فـرفّ مُـنَـعّـمـا

كمْ دلّلتني بالحنانِ ولمْ تكنْ
أمي وقدْ كانتْ أرقَّ وأرحما

حتى عميتُ فكادَ يُعميها البكا
وحنانُها الباكي يشاركُني العمى

* * *

كمْ صارعتْ عَنَتَ الخطوبِ وما مضت
منْ ظالمٍ إلاّ تلقّتْ أظلما

ومشتْ على شوكِ الحياةِ وهولِها
وكأنّها كانتْ تدوسُ جهنّما

فرمتْ إلى حضنِ المماتِ كيانَها
وتبدّلتْ بالكدِّ عيشاً أنعما

وتبرّمتْ بحياتها الضنكى ومَن
برمتْ به متعُ الحياةِ تبرّما

وحييتُ بعدَ مماتِها مَيْتَ الهنا
حيّاً أموتُ تأوُّهاً وتألُّما

⊗⊗⊗

أيـن منّي

أيــنَ مِــنّــي حــنــانُــهــا؟ أيــنَ مــنّــي
مُــلْــتــقــاهــا؟ لــم يــبــقَ إلاّ الــتــمــنّــي

وشــجــونٌ تــهــفــو بــقــلــبــي إلــيــهــا
وظــنــونٌ تُــقــصــي مــرادي وتُــدنــي

هــي أدنــى إلــيَّ مــن ســرِّ قــلــبــي
وهــي فــي الــقــربِ أبــعــدُ الــنــاس عــنّــي

وهــي فــي خــاطــري وأشــكــو نــواهــا
وأقــاســي ظــلــمَ الــهــوى والــتــجــنّــي

فــاســمــعــي يــا حــبــيــبــةَ الــروحِ نــجــوى
خــاطــري وارْقُــصــي عــلــى شــجــوِ لــحــنــي

إنــنــي يــا حــبــيــبــتــي شــاعــر الــحــبِّ
ولــلــحــبِّ أغــنــيــاتــي وفــنّــي

يَــجــرح الــحــبُّ أغــنــيــاتــي فــيــصــبــيــ
ــهــا ويُــبــكــيــنــيَ الــهــوى فــأغــنّــي

حــيــن يُــضــنــيــنــيَ الــغــرامُ أغــنّــيــ
ــهِ وأســمــى الــغــرامِ مــا كــانَ مُــضْــنــي

ســاجِــلــيــنــي يــا ربّــةَ الــحــســن أشْــوا
قــي وعــانــي مــعــي الــغــرامَ الــمــعــنّــي

إنــنــي يــا إلــهــةَ الــحــســنِ أهــوا
كِ وإنَّ الــهــوى مــن الــحــســنِ يُــغــنــي

إنــنــي ظــامــئٌ إلــيــكِ وكــمْ أظــمــا
وأظــمــا وفــيــكِ خــمــري ودَنِّــي

فــي مــعــانــيــكِ ســكــرةُ الــحــبِّ والــفــنِّ
وفــيــهــا رقْــصُ الــخــيــال الــمــغــنِّــي

وفــتــونٌ حــيٌّ يــمــوجُ عــلــى أعــ
طــافِ حَــسْــنــا يــجِــلُّ عــنْ كــلِّ حُــسْــنِ

إنّــهــا كــلُّ مــا أريــدُ مــن الــدُّنْــ
يــا ومــا يــشــتــهــي يــقــيــنــي وظَــنّــي

* * *

ميلاد الربيع

وُلـد الـربـيـعُ مـعـطَّـرَ الأنـوارِ
غَـرِدَ الـهـوى ومـجـنَّـحَ الأشـعـارِ

ومـضـتْ مـواكـبُـهُ عـلـى الـدنـيـا كـمـا
تـمـضـي يـدُ الـشـادي عـلـى الأوتـارِ

جـذلانُ أحـلـى مـنْ مـحـاورةِ الـمـنـى
وأحـبُّ مـن نـجـوى الـخـيـالِ الـسّـاري

وألـذُّ مـنْ سـحـرِ الـصِّـبـا وأرقُّ مـنْ
صـمـتِ الـدمـوعِ ورعـشـةِ الـقـيـثـارِ

هـبـط الـرّبـيـعُ عـلـى الـحـيـاةِ كـأنـه
بـعْـثٌ يُـعـيـدُ طـفـولـةَ الأعـمـارِ

فـصـبـتْ بـهِ الأرضُ الـوقـورُ وغـرّدتْ
وتـراقـصـتْ فـتـنُ الـجـمـالِ الـعـاري

وكـأنّـه فـي كـلِّ وادٍ مَـرْقَـصٌ
مَـرِحُ الـلّـحـون مُـعَـرْبِـدُ الـمـزمـارِ

وبـكـلِّ سـفـحٍ عـاشـقٌ مـتـرنِّـمٌ
وبـكـلِّ رابـيـةٍ لـسـانٌ قـاري

وبـكـلِّ مـنـعـطـفٍ هـديـلُ حـمـامـةٍ
وبـكـلِّ حـانـيـةٍ نـشـيـدُ هَـزارِ

وبــكــلِّ روضٍ شــاعــرٌ يــذرو الــغــنــا
فــوقَ الــرّبــا وعــرائــسِ الأزهــارِ

وكــأنَّ أزهــارَ الــغــصــونِ عــرائــسٌ
بــيــضٌ مُــعَــنْــدَمــةُ الــشــفــاهِ عَــواري

وخــرائــدٌ زُهْــرُ الــصِّــبــا يُــسْــفِــرنَ عــنْ
ثَــغْــرٍ لــؤلــئيٍّ وخَــدٌّ نــاري

مــن كــلِّ ســاحــرة الــجــمــال تــهــزُّهــا
قُــبَــلُ الــنــدى وبــكــا الــغــديــرِ الــجــاري

وشــفــاه أنــفــاس الــنّــســيــم تــدبُّ فــي
بــســمــاتِــهــا كــالــشّــعــرِ فــي الأفــكــارِ

فِــتَــنٌ وآيــاتٌ تــشِــعُّ وتــنــتــشــي
كــالــحــورِ بــيــن تــبــسُّــمٍ وحِــوارِ

نــاريَّــةُ الألــوانِ فــردوســيَّــةٌ
ذهــبــيَّــةُ الآصــالِ والأســحــارِ

(آذارُ) يــا فَــضْــلَ الــصــبــابــةِ والــصِّــبــا
ومــراقــصَ الأحــلامِ والأوطــارِ

يــا حــانــةَ الــلّــحــنِ الــفــريــدِ ومــلــتــقــى
نــجــوى الــطُّــروبِ ولــوعــةِ الــمــحــتــارِ

أجــواؤكَ الــفــضِّــيّــةُ الــزّرقــا جَــلَــتْ
صــورَ الــهــنــا وعــواطــفَ الأقــدارِ

ومحا هواك هوا الشتا القاسي كما
يمحو المتابُ صحيفةَ الأوزارِ
في جوِّكَ الشعري نشيدٌ حالمٌ
وعباقرٌ شُمُّ الخيالِ عذاري

* * *

ما أنتَ إلاّ بسمةٌ قدسيّةٌ
رَيَّا الشفاهِ عميقةُ الأسرارِ
وبشائرٌ مخضلّةٌ وترنُّمٌ
عبقٌ أنيقُ السّخرِ والسَّحَّارِ

⊛⊛⊛

هموم الشعر

لـمـنِ الـهـيـامُ؟ لـمـنْ تـذوبُ هُـيـامـا؟
ولـمـنْ تـصـوغُ مـن الـبـكـا أنـغـامـا؟

ولـمـنْ تُـسـلْـسِـلُ مـنْ ضـلـوعِـكَ نـغـمـةً
حـيْـرى تـنـاجـي الـلـيـلَ والأحـلامـا؟

ونـشـائـداً جَـرْحـى الـلـحـونِ كـأنـهـا
مـن رقـةِ الـشـكـوى قـلـوبُ يـتـامـى

يـا شـاعـرَ الآلام كـمْ تـدْمَـى وكـمْ
تـبـكـي وتـحـتـمـلُ الـهـمـومَ جِـسـامـا

خـفّـفْ عـلـيـكَ وعـشْ بـقـلـبـكَ وحـدَه
واسـألْ نُـهـاكَ لِـمَ الـبـكـا؟ وعَـلامـا؟

واربـأ بـنـفـسِـكَ فـهـي أسـمـى غـايـةً
مـنْ أنْ تـذوبَ صـبـابـةً وغـرامـا

كـمْ هِـمْـتَ بـالآلامِ تـشـدو بـاسـمـهـا
وعـلـى الأنـيـنِ تـدلّـلُ الآلامـا

بـلْـواكَ يـا ابْـنَ الـشـعـرِ فـجـرٌ شـاعـرٌ
يـهـدي إلـيـكَ الـوحـيَ والإلـهـامـا

وبـكـاكَ تـرنـيـمُ الـخـلـودِ إذا اشـتـكـى
غـنّـى الـحـيـاةَ ورقّـصَ الأيـامـا

فـي قـلـبِـكَ الـمـهـمـومِ ألـفُ خَـمـيـلـةٍ
تـلِـدُ الـهـمـومَ أزاهـراً وخُـزامـى

جـلّـت هُـمـومُ الـشـعـر إنّ دمـوعَـهـا
فـنٌّ يُـديـرُ مـن الـدمـوعِ مُـداما

❁ ❁ ❁

ما لي صمتٌّ عن الرثاء

يقولونَ لي: ما لي صمتٌ عن الرّثا
فقلتُ لهم: إن العويلَ قبيحُ

وما الشعرُ إلاّ للحياةِ وإنّني
شَعَرْتُ أغنّي ما شعَرتُ أنوحُ

وكيفَ أُنادي ميّتاً حالَ بينه
وبيني ترابٌ صامتٌ وضريحُ

وما النَّوحُ إلاّ للثَّكالى ولمْ أكُنْ
كثكلى على صمتِ النُّعوشِ تصيحُ

❁ ❁ ❁

هو وهي

لاقيتُها وهي تهواني وأهواها
فما أُحيلى تلاقينا وأحلاها

وما ألذَّ تَدانيها وأجملها
وما أخفَّ تصابيها وأصباها

فهي الربيعُ المغنّي وهي بهجتُه
وهي الحياةُ ومعنى الحبِّ معناها

وإنّها في ابتساماتِ الصِّبا قُبَلٌ
سكرى تَفيضُ بأشهى السُّكْرِ ريّاها

وفتنةٌ من شبابِ الحسنِ رقَّمها
فنُّ الصِّبا وحِوارُ الحبِّ غنَّاها

لاقيْتُها وأغاريدُ الهوى بفمي
تشدو وتشدو وتستوحي محيّاها

غازلتُها فتغاضتْ لحظةً ودنتْ
وعَنْونتْ بابتساماتِ الرِّضا فاها

❁❁❁

حيرة الساري

طال الطريق، وقل الزاد، وهَمَّ الركب بالرحيل، وأين؟ وكيف؟ كانت الليلة عاقراً لم تلد فجراً، وسياط المطر تضرب العابرين وأجنحة العفاريت تتشابك وتحوم، والطريق الوحل يتخبط بالمتعبين.. ونادى الشيخ: قد أظلمت فقف، أعتم الوادي وضل الدليل! ونادى الشيخ:

صاحبي غامتْ حواليْنا النواحي
أيَّ مَغْدى تبتغي أيَّ مراحِ

قفْ بنا حتى يمرَّ السيلُ من
دربِنا المحفوفِ بالشَّرِّ الصُّراحِ

أينَ تمضي؟ والقضا مرتقبٌ
ومُتاحٌ والرّجا غيرُ مُتاحِ

والدُّجى الأعمى يُغطّي دربَنا
برؤى الموتى وأشلاءِ الأضاحي

أينَ تمضي؟ وإلى أينَ بنا
جدَّتِ الظلما فدعْ حُمْقَ المزاحِ

أظلمَ الدربُ حواليْنا فقِفْ
ريثما تبدو تباشيرُ الصباحِ

* * *

وهنا نادى على الدربِ فَتىً
صوتُهُ بينَ اقترابٍ وانتزاحِ

يحملُ المصباحَ في قبضتِهِ
وينادي الركبَ منْ خلفِ الجِراحِ

فتلفَّتنا إليه فانطوى
صوتُه بين الروابي والبطاحِ

واحتوى الصمتُ النّدا واضطربتْ
حولَ مصباحِ الفتى هُوجُ الرِّياحِ

* * *

يا رفيقي هذه ليلتُنا
عاقرٌ سكرى بآثامِ السِّفاحِ

والعفاريتُ عليها موكبٌ
يرتمي في موكبٍ شاكي السلاحِ

والأعاصيرُ تدوِّي في الرُّبا
وتُميتُ العطرَ في صدرِ الأقاحي

وغصونُ الروضِ عرّاها الهوا
ورمى عن جيدها كلَّ وشاحِ

والرّياضُ الجردُ لَهْفَى لمْ تجدْ
لطفَ أنسامٍ ولا نجوى صُداحِ

نامَ عنها الفجرُ والطيرُ فلا
همسُ مِنقارٍ ولا خَفْقُ جَناحِ

* * *

يا رفيقي في السُّرى هلْ للسُّرى
آخِرٌ؟ هلْ لظلامِ الدربِ ماحي؟

تـلـكَ كـأسُ الـعـمـرِ جـفّـتْ وهـوتْ
وهـوانـا فـي شِـفـاهِ الـكـأسِ صـاحـي

هـلْ وراءَ الـعـمـرِ عـمـرٌ شـائِـقٌ؟
هـلْ وراءَ الـيـأسِ ظـلٌّ مـنْ نـجـاحِ؟

أيُّ ركْـبٍ مـنْ هـنـا يـسـري ومـا
بـالُـهُ يَـسـري إلـى غـيـرِ فـلاحِ

وطـريـقُ الـسَّـفْـرِ شـوكٌ ودمٌ
يـصـرَعُ الـهـولُ بـه سـاحـاً بـسـاحِ

تـعِـبَ الـركـبُ وكَـلَّ الـدربُ مِـن
ضـجّـةِ الـسَّـفْـرِ وضـوضـاءِ الـتـلاحـي

(حـيْـرةُ الـسـاري) مـتـى يُـغـفـي؟ مـتـى
يـسـتـريـحُ الـدربُ مـنْ ركـبِ الـكـفـاحِ؟

❁❁❁

مدرسة الحياة

مـاذا يـريـدُ الـمـرءُ؟ مـا يـشـفـيـهِ
يـحـسـو رَوا[1] الـدُّنـيـا ولا يـرويـهِ!

ويـسـيـرُ فـي نـورِ الـحـيـاةِ وقـلـبُـه
يـنـسـابُ بـيـن ضـلالـهِ والـتّـيـهِ

والـمـرءُ لا تُـشـقـيـهِ إلاّ نـفـسُـهُ
حـاشـا الـحـيـاةَ بـأنـهـا تـشـقـيـهِ

مـا أجـهـلَ الإنـسـانَ يُـضـنـي بـعـضُـه
بـعـضـاً ويـشـكـو كـلَّ مـا يـضـنـيـهِ

ويـظـنُّ أن عـدوَّه فـي غـيـرِهِ
وعـدوّه يـمـسـي ويـضـحـي فـيـهِ

غِـرٌّ ويـدمَـى قـلـبُـه مـن قـلـبـهِ
ويـقـولُ: إنَّ غـرامَـهُ يُـدمـيـهِ

غِـرٌّ وكـمْ يـسـعـى لـيـروي قـلـبَـه
بـهـنـا الـحـيـاةِ وسـعـيُـه يُـظـمـيـهِ

يـرمـي بـه الـحـزنُ الـمـريـرُ إلـى الـهـنـا
حـتـى يـعـودَ هـنـاؤه يُـرزيـهِ

(1) الرواء: كسماء، الماء الكثير المروي.

ولكمْ يسيءُ المرءَ ما قد سرَّه
قَبْلاً ويضحكُهُ الذي يبكيهِ

ما أبلغَ الدنيا وأبلغَ درسها
وأجلّها وأجلّ ما تُلقيهِ

ومن الحياةِ مدارسٌ وملاعبٌ
أيَّ الفنونِ يريدُ أن تحويهِ؟

بعضُ النفوسِ من الأنامِ بهائمٌ
لبستْ جلودَ النّاسِ للتمويهِ

كمْ آدميٍّ لا يُعدُّ من الورى
إلاّ بشكلِ الجسمِ والتشبيهِ

يصبو فيحتسبُ الحياةَ صبيةً
وشعورهُ الطفلُ الذي يُصبيهِ

* * *

قمْ يا صريعَ الوهمِ واسألْ بالنّهى
ما قيمةُ الإنسانِ؟ ما يُعليهِ؟

واسمعْ تُحَدِّثْكَ الحياةُ فإنَّها
أستاذةُ التأديبِ والتّفقيهِ

وانصتْ فمدرسةُ الحياةِ بليغةٌ
تملي الدروسَ وجَلَّ ما تمليهِ

سلْها وإنْ صمتتْ فصمتُ جلالِها
أجلى من التصريحِ والتّنويهِ

❁ ❁ ❁

ليلة الذكريات

دعيني أنمْ لحظةً يا همومُ
فقدْ أوشكَ الفجرُ أنْ يطلُعا

وكادَ الصباحُ يشقُّ الدُّجى
ولمْ يأذنِ القلبُ أنْ أهجَعا

دعيني دعيني أنَمْ غفوةً
عسى أجدُ الحُلُمَ المُمتعا

دعيني أظلَّ عليَّ الصباحُ
وما زلتُ في أرَقي مُوجَعا

وما زالَ يُتعبني مضجعي
ويُضني تقلّبيَ المضجَعا

لكِ اللَّهُ يا ليلةَ الذكرياتِ
ولي ما أمرَّ وما أفزَعا!

❁❁❁

سكرة الحب

كـــمْ أغـــنّـيـــكِ آهِ كَـــمْ   أسـفَـحُ الـروحَ فـي الـنّـغـمْ
وأنـــاجـيـــكِ والـــدُّجـى   بـيـنـنـا تـائـهٌ أصـمّ
والـــوجـــودُ الـكـبـيـرُ فـي   سَـكـرةِ الـصـمـتِ والـظُّـلَـمْ
وأنـــادي كـــأنّـــنـــي   مُـغـدَمٌ يـسـألُ الـعَـدَمْ

***

وأنـــاجـي يـــا ربّـــةَ الـــحـــســنِ والأشـــ
واقُ حـــولـــي مـــدَلَّـــهـــاتٌ صـــوادي
وخـيـالـي يـسـمـو بـأجـنـحـةِ الـحُـبِّ
بـــعـــيـــداً إلـــى وراءِ الـــبِـــعـــادِ
ومـــعـــانـيـــكِ نـــغـــمـــةٌ ردّدتْـــهـــا
نـــغـــمـــاتـــي عـــلـــى فـــمِ الآبـــادِ
وصـــلاةٌ تُـفـجّـرُ الـطـهـرَ فـي مِـحْـ
رابِ حـبـي والـسـحـرَ فـي إنـشـادي
والـــهـــوى فـــي فـــمـــي نـشـيـدٌ نـدِيٌّ
وصـــلاةٌ قـــدســـيَّـــةٌ فـــي فـــؤادي
وأنـــا فـــي هـــواكِ أمـــضـــي بـــجـــوع الـــ
حـــبِّ والأغـــنـــيـــاتُ مـــائـــي وزادي
فـاسـتـثـيـري شـجـونَ حـبـي وزيـدي
فـــي جـــنـــونـــي، وحُـــرقـــتـــي واتّـــقـــادي

فـجـنـونُ الـغـرامِ عـقـلٌ جـديـدٌ
طـائـرٌ فـي مـسـابـحِ الـوحـي شـادي

أنـا أهـواكِ لـلـمـعـانـي فـزيـديـ
ـنـي غـرامـاً يُـذيـبُ قـلـبَ الـجـمـادِ

* * *

وافـعـمـي مُـهـجـتـي هـوَىً مُـلـهَـبـاً ثـائـرَ الـضَّـرَمْ[1]
واشـعـلـيـنـي صـبـابـةً وامـلأي خـاطـري حُـمَـمْ[2]
واجْـهَـدي فـي تـألّـمـي لـذّةُ الـحـبِّ فـي الألـمْ
عـذّبـيـنـي وعـذّبـي فـعـذابُ الـهـوى حِـكَـمْ

* * *

أضـرِمـي لـوعـتـي تـفُـهْ بـالأغـانـي
والـحِـوار الأنـيـق زاهـي الـبـيـانِ

فـأجـلُّ الـغـرامِ وجـدٌ بـلا وصـ
ـلٍ وشـوقٌ تـمـوتُ فـيـهِ الأمـانـي

وصـلـيـنـي أو فـاهـجـريـنـي فـحـسـبـي
مـنـكِ فـنُّ الـهـوى وحُـلْـم الـتّـدانـي

أنـا حـسـبـي مـن الـهـوى أن يُـحِـسّ الـ
ـقـلـبُ فـيـه قـلـبـاً مـن الـحـبِّ ثـانـي

إنـمـا الـحـبُّ شـرعـةُ الـقـلـبِ والـطَّـبْـ
ـعِ فـزيـدي صـبـابـتـي وافـتـتـانـي

(1) فعمه وأفعمه: ملأه كلّه.

(2) الحُمَم: ما يقذفه البركان من الكتل الصخرية الملتهبة.

وانتفاضُ الغرامِ في الرُّوحِ معنى الرُّ
وحِ معنى الحياةِ في الإنسانِ

ما أمرَّ الهوى وأحلى معانيـ
ـه وأسمى صبابةَ الفنّانِ

أنا لولاكِ ما انتزفتُ شبابي
نغماً خالداً خلودَ المعاني

لا ولا ذُبتُ في فمِ الحبِّ شدواً
قُدُسيَّ الصَّدى نديَّ الحنانِ

* * *

ونشيداً متيَّماً مغرَم الصوتِ والصّدى
يحتسيهِ الهوى كما تحتسي الزَّهرةُ النّدى
كلّما استنطقَ الجوى صمْتَ أوتارِهِ شدا
وتندّى عواطفاً عاشقاتٍ وغرَّدا

* * *

وتغنّى كأنه بلبلُ الفجرِ
يَبُثُّ الصباحَ شكوى اللّيالي

فاسمعي لوعتي بأنفاسِ أوتا
ري فإني سكبتُ فيها انفعالي

واحتسي من كؤوسِ حبّي لحوناً
وارقصي رقصةَ الصِّبا والدلالِ

واسكريني يا هالةَ الحبِّ بالحبّ
وبالسحر من كؤوس الجمالِ

سكرةُ القلبِ بالهوى سكرةُ الأز
هارِ بالعطرِ والنّدى والظلالِ

سكرةُ الحبِّ سكرةُ الفجرِ بالأنـ
وار سُكْرُ القلوب بالآمالِ

أنا منْ عشتُ في هواكِ أغنّيـ
كِ وأروي الغرامَ للأجيالِ

ومعاني هواكِ في ثغرِ لحني
بَسماتٌ بيضٌ كأزهى اللآلي

كالشّذا في فمِ الربيعِ المندّى
كالمنى في خواطرِ الأطفالِ

●●●

لا تسلْ عنّي

لا تــســلْ عــنــي ولا عــنْ ألــمــي
فــلــقــد جــلَّ الأســى عــن كَــلِــمــي

وتــعــايــا صــوتــيَ الــمــجــروحُ فــي
عــنــفــوانِ الألــمِ الــمــضــطــرمِ

ضــقــتُ بــالــصــمــتِ وضــاقَ الــصــمــتُ بــي
بــعــدَمــا ضــاقــتْ عــروقــي بــدمــي

فــدعِ الــتَّــســآل عــمــا بــي فــقــدْ
ألــجــمــتْ هــيــمــنــةُ الــصــمــتِ فــمــي

وتــهــاديْــتُ كــأنّــي أمــلٌ
يــرتــمــي فــوقَ بــســاطِ الــعــدمِ

ودمــي يــصــرخُ فــي جــســمــي كــمــا
تــصــرخُ الــثــكــلــى بــبــيــتِ الــمــأتــمِ

وأرانــي آه مــهــزومَ الــمــنــى
وأنــا أحــنــو عــلــى الــمــنــهــزمِ

أرحَــمُ الــمــحــرومَ إحــســاســاً ولــمْ
تــدرِ كــفــي كــيــفَ شــكــلُ الــدرهــمِ

وأنــا أحــنــو عــلــى الــعــانــي وبــي
حــســرةُ الــعــانــي وجــوعُ الــمُــعــدَمِ

وأنا في عزلتي السودا وفي
قلبيَ الدامي قلوبُ الأممِ
وتآويهُ الحيارى تلتقي
في أحاسيسي وفي روحي الظمي
آه كمْ وقّعتُ آلامي على
عوديَ الباكي جريحَ النغَمِ
وعبرتُ العمرَ مخنوقَ الإبا
مُطْلَقَ الحِسّ حبيسَ القدَمِ
قلقَ اليقظةِ مذعورَ الكرى
ذاهلَ الفكرِ شريدَ الحُلُمِ
حائرَ الخطو كأني مذنبٌ
ميّتَ الغفران حيَّ النّدَمِ
وكأنّي قصّةٌ مبهمةٌ
في حنايا كبرياءِ الظّلَمِ
وضجيجٌ صامتٌ تكنُفه
لُجّةُ الآلامِ واللّيلُ العَمي
وعلى صدري توابيتُ الشقا
كالعفاريتِ الحيارى ترتمي
كلّما ساءلتُ نفسي من أنا
صمتتْ عني صموتَ الصنمِ

لا تـــســـلْ عـــنّـــي فـــآلامُ الـــورى
بـــضـــلـــوعـــي كـــالـــلـــهـــيـــبِ الـنّـــهِـــمِ

وغِـــنـــا شـــعـــري بُـــكـــا عـــاطـــفـــتـــي
وتـــبـــاكـــي جـــرحـــيَ الـــمـــبـــتـــسِـــمِ

◎◎◎

تــائه

كان عملاقاً شاخ في فجر ميلاده، وكاد أن يحتضر في ربيع العمر، فتراه على بقية الأنفاس، يتراءى كالظل الحزين على صفحة الماء الراكد، نصف عمره حلم آت، ونصف ذكريات، يدور في محوره كطيف الأمس في أهداب الذكريات، فهو في متاهة الظنون حلم تقلبه أجفان الظلَم

تـــائـــهٌ كـــالـــجـــنـــونْ ... خـــلـــف مـــا لا يـــكـــونْ
تـــائـــهٌ كـــالـــرّجـــا ... فـــي زوايـــا الـــسّـــجـــونْ
كـــخـــيـــالِ الـــلّـــقـــا ... حـــول وهـــمِ الـــجـــفـــونْ
كـــريـــاحِ الـــضـــحـــى ... فـــي صـــخـــورِ الـــحُـــزونْ
كـــأنـــيـــنِ الـــشّـــتـــا ... فـــوق صـــمـــتِ الـــغـــصـــونْ
كـــطـــيـــوفِ الـــمـــســـا ... فـــي مـــتـــاهِ الـــعـــيـــونْ
وحـــده يـــرتـــمـــي ... خـــلـــف طـــيـــفِ الـــفـــتـــونْ
بـــيـــن خـــفـــقِ الـــرؤى ... وضـــجـــيـــجِ الـــســـكـــونْ
آه يـــا قـــلـــبَـــهُ ... حـــرّقـــتْـــكَ الـــشـــجـــونْ
جـــفَّ خـــمـــرُ الـــهـــوى ... فـــي كـــؤوسِ الـــلّـــحـــونْ
ظـــامـــئٌ يـــرتـــوي ... بـــســـرابِ الـــظّـــنـــونْ
مـــا لَـــه هـــانَ أو ... مـــا لَـــه لا يـــهـــونْ
كـــفّـــنـــتْ صـــوتَـــهُ ... وصـــداهُ الـــســـنـــونْ
واخـــتـــفـــى ظـــلُّـــهُ ... فـــي غـــبـــارِ الـــقـــرونْ
كـــوعـــودِ الـــمـــنـــى ... فـــي الـــزّمـــانِ الـــخـــؤونْ

⊛⊛⊛

أخي يا شباب الفدا في الجنوب

أَفِقْ وانطلقْ كالشعاعِ النّدي
وفجّرْ من اللّيلِ فجرَ الغدِ

وثِبْ يا ابنَ أمي وثوبَ القضا
على كلِّ طاغٍ ومستعبدِ

وحطِّمْ ألوهيَّةَ الظّالمينَ
وسيطرةَ الغاصب المفسدِ

وقلْ للمضلّينَ باسمِ الهدى:
تواروْا فقدْ آنَ أنْ نهتدي

وهيهاتَ هيهاتَ يبقى الشبابُ
جريحَ الإبا أو حبيسَ اليدِ

سيحيا الشبابُ ويُحيي الحمى
ويُفني عداةَ الغدِ الأسعدِ

ويبني بكفيْهِ عهداً جديداً
سنيّاً ومستقبلاً عسجدي

وعصراً من النورِ عدلَ اللّواء
طهورَ المنى أنِفَ المقصدِ

* * *

فسِرْ يا ابْنَ أمي إلى غايةٍ
سماويَّةِ العهدِ والمعهدِ

إلى غدِكَ المشتهى حيثُ لا
تروحُ الطغاةُ ولا تغتدي

فشُقَّ الدجى يا أخي واندفع
إلى ملتقى النورِ والسّؤدُدِ

وغامرْ ولا تحذرنّ المماتَ
فيغري بك الحذَرُ المعتدي

ولاقِ الردى ساخراً بالردى
ومتْ في العلا موتَ مستشهدِ

فمنْ لمْ يمتْ في الجهادِ النبيلِ
يمتْ راغمَ الأنفِ في المرقدِ

وإنَّ الفنا في سبيلِ العلا
خلودٌ، شبابُ البقا سرمدي

وما الحُرُّ إلاّ المضحّي الذي
إذا آنَ يومُ الفدا يفتدي

وحسبُ الفتى شرفاً أنَّهُ
يُعادَى على المجدِ أو يعتدي

أخي يا شبابَ الفدا طال ما
خضعنا لكيدِ الشقا الأسوَدِ

ومــرّتْ عــلــيــنــا ســيــاطُ الــعــذابِ
مــرورَ الــذبــابِ عــلــى الــجــلــمــدِ

فــلــنْ نــخــضــعَ الــيــومَ لــلــغــاصــبــيــن
ولــمْ نــســتــكــنْ لــلــعــنــا الأنــكــدِ

ســنــمــشــي ســنــمــشــي بــرغــمِ الــقــيــودِ
ورغــمِ وعــودِ الــخــداعِ الــردي

فــقــدْ آنَ لــلــجــورِ أن يــنــتــهــي
وقــد آنَ لــلــعــدلِ أن يــبــتــدي

وعَــدْنــا الــجــنــوبَ بــيــومِ الــجــلاءِ
ويــومُ الــفــدا غــايــةُ الــمــوعــدِ

ســنــمــشــي عــلــى جــثــثِ الــغــاصــبــيــن
إلــى غــدِنــا الــخــالــدِ الأمــجــدِ

ونــنــصــبُّ كــالــمــوتِ مــن مــشــهــدٍ
ونــنــقــضُّ كــالأُسْــدِ مــنْ مــشــهــدِ

ونــرمــي بــقــافــلــةِ الــغــاصــبــيــن
إلــى الــعــالــمِ الآخــرِ الأبــعــدِ

فــتــمــســي غــبــاراً كــأنْ لــمْ تــعــشْ
بــأرضِ الــجــنــوبِ ولــمْ تــوجــدِ

أخــي يــا شــبــابَ الــفِــدا فــي الــجــنــوبِ
أفِــقْ وانــطــلــقْ كــالــشــعــاعِ الــنَّــدي

***

الربيع والشعر

في سنة 1375هـ هبت الحادثة الثانية في وجه الإمام أحمد بـ(تعز)، وكان أمد الانقلاب خمسة أيام، انتهت بالنصر للإمام؛ وكان ولي العهد في (الحديدة)؛ فمدّ إليه الثوار أشراك الاصطياد؛ ولكن صقر اليمن تمرد على الصياد، وطار إلى (حجّة) فحشد الجنود، وهيأ القواد لنجدة أبيه، ولكن الإمام أحمد كما هي عادته، أطفأ الثورة قبل مجيء النجدة.

وبعد حوالى شهر من الحادث، عاد ولي العهد إلى (صنعاء)، يحدوه النصر، وتزجيه الأبهة ويترنح في ركبه البِشْر، وكان وصوله إلى (صنعاء) فرحة شملت أرجاء القصر، فقد تلقاه المستقبلون في المطار بوجوه تقطر بشاشة، وقلوب تكاد تطل من العيون فرحاً.

ومن زحمة هذه الأفراح، وتصادم هذه الأرواح البشرية، وأنفاس الربيع الضاحك المتضوّع في الربوات والأوهاد؛ استولد الشاعر هذا النشيد:

وافاكَ مجتمعُ البلادِ فرنَّما
وصبا إليكَ مسبِّحاً ومُتيّما

وتدافعتْ (صنعا) إليكَ كأنَّها
حسناءُ مغرمةٌ تغازلُ مغرما

وهفتْ إليكَ كأنَّها مسحورةٌ
ملتاعةُ الأعصابِ ملهبَةُ الدِّما

ورأتْ ولــيَّ الــعــهــدِ فــازدانــتْ بــهِ
فــكــأنّــهــا قَــبــسٌ يَــســيــلُ تــضــرّمــا

وتــرقّــصــتْ رَبــواتــهــا الــفَــرْحــى كــمــا
رقــصــتْ عــلــى الأفــلاكِ أقــمــارُ الــسّــمــا

لــقــيــتْ ولــيَّ الــعــهــدِ دنــيــاهــا كــمــا
لــقــي الــعِــطــاشُ الــجــدولَ الــمــتــرنّــمــا

وصــبــتْ نــواحــيــهــا وجُــنَّ جــنــونُــهــا
فــرحــاً وكــادَ الــصــمــتُ أنْ يــتــكــلــمــا

وتــجــاذبــتــكَ هــضــابُــهــا وســهــولُــهــا
شــغــفــاً كــمــا جــذبَ الــفــقــيــرُ الــدّرهــمــا

نــظــرتْ بــنــورِ الــبــدرِ فــجــرَ حــيــاتِــهــا
ورأتْ بــه الأمــلَ الــحــبــيــبَ مــجــسّــمــا

بــدرٌ مــطــالــعُــهُ الــقــلــوبُ ونــورهُ
يُــوحــي إلــى الأوطــانِ أنْ تــتــقــدّمــا

فــكــأنّــهُ فــجــرٌ يَــفــيــضُ أشــعَّــةً
جــذَلاً وفــردوسٌ يــفــيــضُ تــبــسّــمــا

وكــأنّــهُ وهَــجُ إلــهــيُّ الــسّــنــا
ومــنــابــرٌ تــمــحــو ديــاجــيــرَ الــعــمــى

وكــأنّــهُ بــفــمِ الــرّبــيــعِ نــشــيــدةٌ
خــضــراءُ نــقّــشَــهــا الــصــبــاحُ ونــمــنــمــا

ورَوى فَمُ التاريخِ سحرَ جمالِها
فِكَراً مجنّحةً ووحياً مُحْكَما

وكأنّه قلبٌ يذوبُ تأوّهاً
للبائسينَ ويستفيضُ ترحّما

فإذا رأى متألماً شاهدتَه
متوجّعاً ممّا بهِ متألما

حتى تراهُ لكلِّ عينٍ ماسحاً
عبراتِها ولكلِّ جرحٍ بلْسما

وأحقُّ أبناءِ البسيطةِ بالعلا
من شاركَ العاني وآسى المعدَما

وأذلُّ أهلِ الأرضِ قلباً منْ رأى
عبثَ الظلومِ وذلَّ عنهُ وأحجما

وإذا تسامى الظلمُ طأطأَ رأسَهُ
متهيّباً وكفاهُ أنْ يتظلّما

أمحمدٌ منْ أنتَ؟ أنتَ عدالةٌ
وصَبابةٌ حرَّى بأحشاءِ الحِمَى

وعواطفٌ تندَى وإنسانيةٌ
عَضما توشّحتِ السموَّ الأعصما

ولدتْكَ آفاقُ المعالي والعلا
شُعَلاً كما تلدُ السماءُ الأنجما

غـنّـاكَ شـعـري والـربـيـعُ وصـفـوُهُ
أهـدى إلـيـكَ زهـورَهُ والـعَـنْـدَمـا

حـيّـاكَ مـيـلادُ الـربـيـعِ بـطـيـبِـهِ
وشـدتْـكَ أشـعـاري نـشـيـداً مـلـهَـمـا

فـاسْـلَـمْ تُـقَـبّـلْـكَ الـقـلـوبُ وتـرتـوي
مـنْ فـيـضِ بـهـجـتِـكَ الأمـانـي والـظّـمـا

⊛⊛⊛

فَجْران

12 ربيع أول سنة 1378هـ

مـــنْ ســـاحـــةِ الأصـــنـــامِ والأوثـــانِ
مــنْ مــســرحِ الــطــاغــوتِ والــطُّــغــيــانِ

مِــن غــابــةِ الــوحــشــيــةِ الــرّعــنــا ومِــنْ
دنــيــا الــقــتــالِ ومــوطــنِ الأضــغــانِ

مــنْ عــالَــمِ الــشــرِّ الــمــســلّــحِ حــيــثُ لا
حــكــمٌ لــغــيــرِ مــهــنّــدٍ وسِــنــانِ

بــزغــتْ تــبــاشــيــرُ الــســعــادةِ والــهــدى
بــيــضــاً كــطُــهــرِ الــحــبِّ فــي الــوجــدانِ

وأهــلَّ مــنْ أفــقِ الــغــيــوبِ عــلــى الــدُّنــا
فــجــرانِ . . فــجــرُ هــدىً وفــجــرُ حــنــانِ

يــا فــرحــةَ الــعَــلْــيــا أهــلَّ مــحــمّــدٌ
وعــلــيــهِ ســيــمــا الــمــجــدِ كــالــعــنــوانِ

وأطــلَّ مِــنْ مــهــدِ الــبــراءةِ والــســمــا
والأرضُ فــي كــفَّــيْــهِ تــعــتــنــقــانِ

* * *

مــاذا تــرى الــصــحــرا؟ أنــوراً ســائــلاً
أمْ أنّــه حُــلــمٌ عــلــى الأجــفــانِ؟

فتحت نواظِرَها فضجَّ سكونُها
ما لي أرى ما لا ترى عينانِ

وتلفّتت ربَواتُ مكةَ في السّنا
حيرى تُكابدُ صمتَها وتعاني

وتكادُ لولا الصّمتُ تسألُ جوَّها
ماذا ترى؟ ومتى التقى فجرانِ؟

وتيقَّظَ الغافي يرى ما لا ترى
في الوهمِ روحُ الملهَمِ الفنّانِ

نزلَ البسيطةَ بالسلامِ محمّدٌ
كالنصرِ عندَ مخافةِ الخُذلانِ

يا صرعةَ الطاغوتِ أشرقَ بالهدى
رجُلُ الهدايةِ والرسولُ الباني

فإذا الجزيرةُ فرحةٌ وصبابةٌ
والجوُّ عرسٌ والحياةُ أغاني

وإذا العداوةُ وحدةٌ وأخوّةٌ
والبغضُ حبٌّ والنفورُ تَداني

هتَفتْ شفاهُ البعثِ فانتفضَ الثرى
وتدافعَ الموتى من الأكفانِ

زخَرتْ وضجّتْ بالحياةِ قبورُها
واهتاجتِ الأرواحُ في الأبدانِ

وتلاقتِ الدنيا يهنِّئ بعضُها
بعضاً فكلُّ الكائناتِ تهاني

* * *

وُلدَ الرسولُ.. مَنِ الرسولُ؟ ومنْ رأى
طفلاً له عَلْيا الخلودِ مغاني؟

يسعى إلى العَليا وتسعى نحوَه
فكأنَّ بينَهما هوًى وأماني

* * *

مَنْ ذلكَ الطفلُ الذي عصمَ الدِّما
وحمى الضعيفَ من القويِّ الجاني

وتناجتِ الأكبادُ حولَ جلالِهِ
بالحبِّ نجوى الحورِ والوِلْدانِ؟

مَنْ ذلكَ الطفلُ الفقيرُ يَشِعُّ منْ
عينيهِ تاريخٌ وسِفرُ مَعاني؟

ما شأنُ هذا الطفلِ ما آمالُه؟
فوقَ المنى والشأنِ والسلطانِ

هذا اليتيمُ وسوفَ يغدو وحدَه
رجلَ الخلودِ وواحدَ الأزمانِ

وتحققَ الأملُ الجميلُ وأينعتْ
روحُ النبوَّةِ في أجلِّ كَيانِ

حملَ الرسالةَ وحدَه ومضى على
حدِّ السيوفِ وألسنِ النيرانِ

عـبـرَ الـمـهـالـكَ والـسـلامُ سـلاحُـهُ
يـدعـو إلـى الـحـسـنـى، إلـى الإحـسـانِ

وإلـى الأمـانـةِ والـبـراءةِ والـتُّـقـى
ومـحـبـةِ الإنـسـانِ لـلإنـسـانِ

وإلـى الـتـآخـي والـتـصـافـي والـوفـا
والـبـرِّ والـعـيـشِ الـظـلـيـلِ الـهـانـي

فـتـجـاوبـتْ حـولَـيْـه أحـقـادُ الـعـدا
وتـفـجّـرتْ فـي الـدربِ كـالـبـركـانِ

فـمـشـى عـلـى نـارِ الـحُـقـودِ كـأنّـهُ
يـمـشـي عـلـى الأزهـارِ والـغُـدْرانِ

وعِـدا الـحـقـيـقـةِ حـولَـهُ تـجـتـاحُـهـم
هـمـجـيّـةٌ دمـويّـةُ الألـوانِ

وغـوايـةٌ تُـصـبـي الـغـويَّ كـأنّـهـا
شـيـطـانـةٌ تـوحـي إلـى شـيـطـانِ

ومـحـمـدٌ يُـلـقـي الأشـعـةَ هـاهُـنـا
وهـنـا ويـفـتَـحُ مـقـلـةَ الـوسـنـانِ

فـطـغـتْ أعـاديـهِ عـلـيـهِ فـردَّهـم
بـالآيـتـيـنِ: الـصـبـرِ والإيـمـانِ

واقـتـادَ مـعـركـةَ الـفـدا مـتـفـانـيـاً
إن الـجـهـادَ عـقـيـدةٌ وتـفـانـي

والـحـقُّ لا تـخـمـيـهِ إلاّ قـوةٌ
غـضـبـى كـألـسـنـةِ الـلـهـيـبِ الـقـانـي

والأرضُ أمُّ الـنـاسِ مـيـدانُ الـوغـى
والـعـاجـزونَ فـريـسـةُ الـمـيـدانِ

والـمـجـدُ حـظُّ مـدرَّبٍ ومـسـلّـح
والـمـوتُ حـظُّ الأعـزلِ الـمـتـوانـي

رفـعَ الـرسـولُ لِـوا الـنـبـوةِ بـالـهـدى
وحـمـى الـهـدى بـالـرمـحِ والـفـرسـانِ

وغـزا الـبـلادَ سـهـولَـهـا ووعـورَهـا
بـالـقـوَّتـيـنِ: الـسـيـفِ والـقـرآنِ

وتـراهُ إنْ لـمـسَـتْ يـداهُ بـقـعـةً
نـشـأتْ عـلـى الإصـلاحِ مـنـهُ يـدانِ

وإذا أتـتْ قـدمـاهُ أرضـاً أطـلـعـتْ
خُـطـواتُـهُ فـجـراً بـكـلِّ مـكـانِ

إنَّ الـزعـامـةَ قـوةٌ وعـدالـةٌ
وشـجـاعـةٌ سـمـحـا وقـلـبٌ حـانـي

* * *

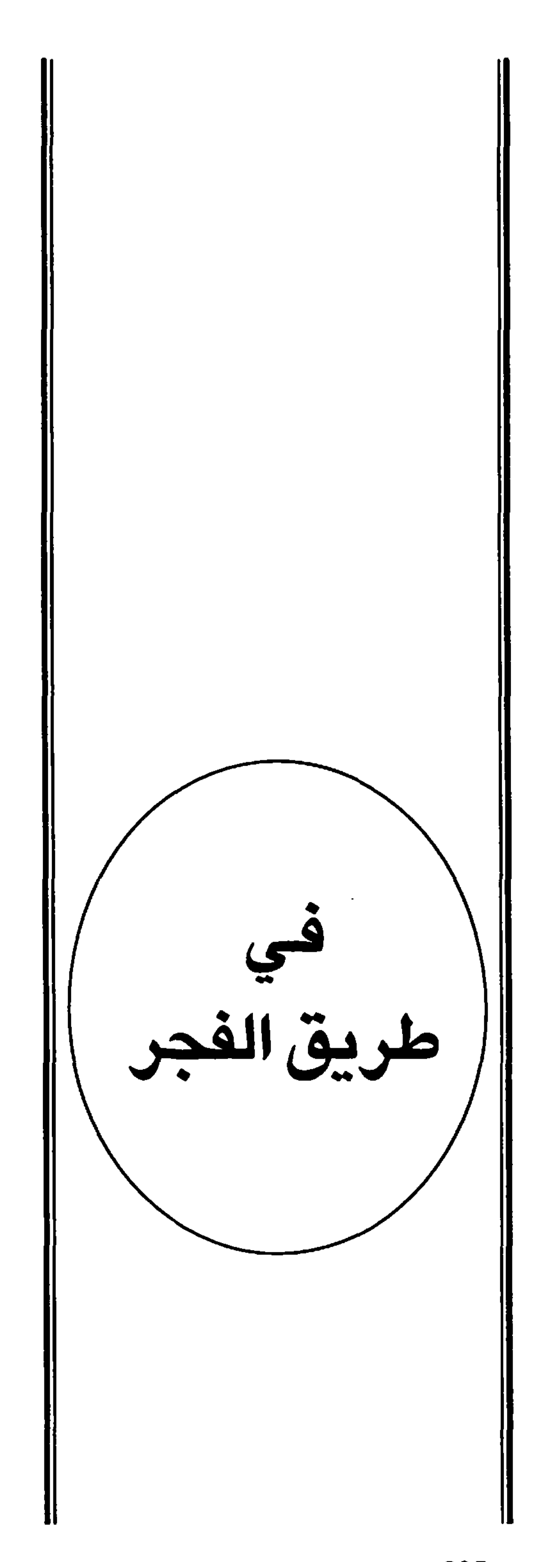
يـا خـيـرَ مـنْ حـمـلَ الـرسـالـةَ والـتُّـقـى
فـي عـزمِ روحٍ فـي أرقِّ جَـنـانِ

ذكـراكَ آيـاتُ الـزمـانِ كـأنَّـهـا
أنـشـودةُ الـعـلـيـا بـكـلِّ زمـانِ

أمــحــمّــدٌ خُــذْ بــنــتَ فــنّــي إنَّــهــا
أختُ الــزهــورِ بــريــئــةُ الألــحــانِ

وعــلــيــكَ ألــفُ تــحــيّــةٍ مــنْ شــاعــرٍ
فــي كــلِّ عــضــوٍ مــنــهُ قــلــبٌ عــانــي

●●●



في
طريق الفجر

إلى قارئي

22/ 2/ 1383هـ ـ 14/ 7/ 1963م

مِنَ القبرِ منْ حشرجاتِ الترابْ
على الجمرِ منْ مهرجانِ الذُّبابْ

ومِنْ حيثُ كانَ يدقُّ القطيعُ
طبولَ الصَّلاةِ أمامَ الذئابْ

ويهوي كما يرتمي في الصّخورِ
قتيلٌ على كتفيْهِ مُصابْ

ومنْ حيثُ كانتْ كؤوسُ الجراحِ
تزغردُ بينَ شفاهِ الحِرابْ

ومنْ حيثُ يحسو حنينُ الربا
غبارَ المنى ونجيعَ السّرابْ

ومنْ حيثُ يتلو السّؤالُ السؤالَ
ويبتلعُ الذعرُ وَهْمَ الجوابْ

عزفتُ اصفرارَ الرَّمادِ العجوزِ
ليحمرَّ فيهِ طفورُ الشَّبابْ

وحرَّقتُ أنفاسيَ المطفآتِ
وأطفأتُها بالحريقِ المُذابْ

أتَشتَمُّ يا قارئي في غِناي
دُخانَ المغنّي وشَهْقَ الرَّبابْ؟

وتسمعُ فيهِ أنينَ الضَّياعِ
تبعثرُهُ عاصفاتُ الضبابْ

فَإنَّ حروفي اختلاجُ السهولِ
وشوقُ السواقي، وخفْقُ الهِضابْ

وشوقُ الرحيقِ بصدرِ الكرومِ
إلى الكأسِ والثلجِ في كلّ بابْ

وخوفُ المودّعِ غيبَ النوى
وسهدُ المنى في انتظارِ الإيابْ

أنا منْ غزلتُ انتحارَ الحياةِ
هنا شفقاً منْ زفيرِ العذابْ

ولحّنتُهُ سَحَراً يَحْتَسي
رؤى الفجرِ بينَ ذراعَيْ كِتابْ

وتنبُضُ فيهِ عروقُ السكونِ
ويمتدُّ في ثلجهِ الالتهابْ

ويتّقدُ الشوقُ في مقلتيْهِ
ويظمأُ في شفتيْهِ العتابْ

❁❁❁

في طريقِ الفجر

27 جمادى الآخرة سنة 1382هـ

أسفرَ الفجرُ فانهضي يا صديقَةْ
نقتطفْ سحرَهُ ونحضنْ بريقَهْ

كمْ حننّا إليهِ وهوَ شجونٌ
في حنايا الظلامِ حيرى غريقَةْ

وتباشيرُهُ خيالاتُ كأسٍ
في شفاهِ الرُّؤَى، ونجوى عميقَةْ

وظمئنا إليهِ وهو حنينٌ
ظامئٌ يُرْعِشُ الخفوقَ شهيقَهْ

واشتياقٌ يقتاتُ أنفاسَهُ الحُمْـ
ـرَ ويحسو جراحَهُ وحريقَهْ

وذهولٌ كأنَّهُ فيلسوفٌ
غابَ في صمتِهِ يناجي الحقيقَةْ

وطيوفٌ كأنَّها ذكرياتٌ
تتهادى من العهودِ السّحيقَةْ

واحتضنَّا أطيافَهُ في مآقينا
كما يحضنُ العشيقُ العشيقَةْ

وهـو حـبٌّ يـجـولُ فـي خـاطـرِنـا
جـولـةَ الـفـكـرِ فـي الـمـعـانـي الـدَّقـيـقَـةْ

والـتـقـيـنـا نُـريـقُ دمـعَ الـمـآقـي
فـأبـتْ كـبـريـاؤنـا أنْ نُـريـقَـهْ

واحـتـرقْـنـا شـوقـاً إلـيـهِ وذُبْـنـا
فـي كـؤوسِ الـهـوى لـحـونـاً رقـيـقَـةْ

وانـتـظـرْنـاهُ والـدّجـى يـرعـشُ الـحـلـمَ
عـلـى هـجـعـةِ الـقـبـورِ الـعـتـيـقَـةْ

والـسُّـرى وحـشـةٌ وقـافـلـةُ الـسَّـفْـ
ـرِ يـخـافُ الـرفـيـقُ فـيـهـا رفـيـقَـهْ

وظـلامٌ لا يـنـظـرُ الـمـرءُ كـفَّـيْـ
ـهِ ولا يُـسـعِـدُ الـشـقـيـقُ شـقـيـقَـهْ

هـكـذا كـانَ لـيـلُـنـا فـتـهـادى
فـجـرُنـا الـطَّـلـقُ فـالـحـيـاةُ طـلـيـقَـةْ

❊ ❊ ❊

فـانـظـري: يـا (صـديـقـتـي) رقـصـةَ الـفـجـرِ
عـلـى خُـضـرةِ الـحـقـولِ الـوريـقَـةْ

مـهـرجـانَ الـشـروقِ يـشـدو ويـنـدى
قُـبُـلاتٍ عـلـى شـفـاهِ الـحـديـقَـةْ

فـانـهـضـي نَـلـثُـمِ الـشـروقَ الـمـغـنّـي
ونـقـبِّـلْ كـؤوسَـه ورحـيـقَـهْ

واخطري يا (صديقتي) في طريقِ الـ
فجرِ كالفجرِ، كالعروسِ الأنيقَةْ

واذكري أنّنا نعشْنا صِباهُ
وحدَوْنا على خطاهُ الرشيقَةْ

وسكبْنا في مهدِهِ دفءَ قلبَيْـ
نَا وأحلامَنا العذارى المشوقَةْ

نحن صُغنَا أضواءهُ مِنْ هوَانا
وفَرَشْنا بالأغنياتِ طريقَهْ

وشَدَوْنا في دربِهِ كالعصافيـ
ـرِ، وشدْوُ الغرامِ فيضُ السليقَةْ

لنْ نُطيقَ السكوتَ فالصمتُ للمَيْـ
ـتِ وتأبى حياتُنا أنْ نطيقَهْ

* * *

نحنُ منْ نحنُ؟ نحنُ تاريخُ فكرٍ
وبلادٌ في المَكْرماتِ عريقَةْ

سبقتْ وهمَها إلى كلِّ مجدٍ
وانتهتْ منهُ قبلَ بدءِ الخليقَةْ

فابسمي، عادَ فجرُنا وهو يتلو
للعصافيرِ مِنْ دِمانا وثيقَةْ

❁❁❁

صراع الأشباح

عقد النوم أهداب الشاعر فطافت به الرؤيا في لا مطاف، وسار في غير درب، وصارع في لا صراع، وأفاق الشاعر يروي قصة الأشباح المتقاتلة في لا قتال.. فهل تصدق الأحلام؟

وحـدي ومـقـبـرةٌ جـواري ... والـوهـمُ والأشـبـاحُ داري
والأفـقُ يـشْـرَقُ بـالـدّجـى ... ويـلـوكُ حشـرجـةَ الـدراري[1]
والـريـحُ تـزحـفُ كـالـجـنـا ... ئـز فـي حُـشـودٍ مِـنْ غـبـارِ
والـنّـجـمُ مُـحـمَـرُّ الـشُّـعـا ... عِ كـأنّـهُ أحـلامُ ثـارِ
وكـأنَّ عـيـنـيْـه تـشـهّـي ... جـارةٍ وحـنـيـنُ جـارِ
وأنـا أتـيـهُ كـنـجـمـةٍ ... حيْـرى، تُـفَـتّشُ عنْ مـدارِ
وكـأنّـنـي طـيـفُ (الـفـرز ... دقِ) يـجـتـدي ذكـرى (نـوارِ)
وأرودُ مـنـزلَ غـادةٍ ... كـالـصَّـيـفِ عـاطـرةِ الـمَـزارِ
وكـأنّـنـي أمـشـي عـلـى ... حُـرَقـي وأشـلاءِ اصـطـبـاري
ودنـوتُ مـنْـهـا فـانـتـشَـتْ ... شـفـتـايَ، واخـضـرَّ افـتـراري
ورنَـتْ إلـيَّ فـتـمـتـمـتْ ... ودنـتْ، وغـابـتْ فـي الـتّـواري
وأردتُ عُـذْراً فـانـطـوى ... فـي خـاطـري الـخـجـلِ اعـتـذاري
وهـمـسـتُ: أيـنَ فـمـي؟ ونـا ... ري فـي دمـي تـقـتـاتُ نـاري
ورجـعـتُ أحـمـلُ فـي الـحـشـا ... حُـرَقـاً كـحـيّـاتِ الـقـفـارِ
وأُحـاورُ الـحـسـنـاءَ فـي ... صـمـتـي فـيُـدْنـيـهـا حـواري
فـأظـنُّـهـا حـولـي رحـيـ ... ـقـاً فـي كـؤوسٍ مـنْ نُـضـارِ

---

(1) يشرق: يغصُّ بماء.

تبدو وتخفَى كالطيوفِ وتستقرُّ بلا قرارِ
وتكادُ تَقْلعُ ثوبَها حيناً وترمي بالخِمارِ
وأكادُ أحضنُ ظلَّها جسداً من الرَّغباتِ عاري
وطفقتُ أزرعُ من رمالِ الوهمِ كرْماً في الصحاري

* * *

فدوَتْ حيالي ضجّةٌ غضبى كدمدَمةِ انفجارِ
وسعتْ إليَّ غابةٌ تومي بأشداقِ الضواري
وعصابةٌ بَرَّاقَةُ الـ ألوانِ داميةُ الشّفارِ
تمشي فيحترقُ الحصا والريحُ تقذفُ بالشَّرارِ
وأحاطَها وَمضُ البروقِ فسجّلتْ أخزى اندحارِ
واللّيلُ يبتلع السَّنا والخوفُ يرتجلُ الطّواري
فتُصارعُ الأشباحُ أشـ ـباحاً على شرٍّ انتصارِ
وهُنا استجرتُ بساحرٍ بادي التُّقى نتنِ الإزارِ
يهذي ويقتَادُ النزيلَ إلى لصيقاتِ العثارِ
ويبيعُ ساعاتِ الفجورِ لكلِّ بائعةٍ وشاري
لصٌّ يتاجرُ بالخنا ويزينُهُ كَذِبُ الوقارِ
ويكادُ يَنفُرُ بعضُهُ من بعضِهِ أشقى نِفارِ
ويَثُورُ إنْ ناوأتَهُ في الإثمِ كالنَّمرِ المُثارِ
وبلا انتظارٍ كشَّرتْ في وجههِ (ذاتُ السّوارِ)
فاهتاجَ وابتدرَ العصا ودوت كعاصفةِ الدَّمارِ
فانقضَّ كالثورِ الذَّبيحِ يخورُ، يَخْنَقُ بالخوارِ
ورمتْ به للموتِ يكْـ ـنسُهُ إلى دارِ البوارِ
وتهافتَ الجيرانُ فاتَّـ ـقَدَ الشِّجارُ على الشّجارِ

فـشَـرَدْتُ عـنـهُ كـطـائـرٍ ظـمـآنَ طـارَ مِـنَ الإسـارِ
والـرّيـحُ تَـبْـصـقُـنـي وتَـرو وي لـلـشّـيـاطـيـنِ احـتـقـاري
وكـأنَّ أنـهـاراً تـنـا ديـنـي وتـنـضـبُ فـي الـمـجـاري
فـأعـبُّ مـنْ عـفـنِ الـرُؤَى وحَـلاً ووهـمـاً مـنْ عُـقـارِ
وأفـرُّ مـنْ نـفـسـي إلـى نـفـسـي وأهْـرُبُ مـنْ فِـراري
أهْـوي عـلـى ظـلّـي كـمـا يَـهـوي الـجـدارُ عـلـى الـجـدارِ
وأسـائـلُ الأحـلامَ عـنْ دنـيـا تـرقُّ عـلـى انـكـسـاري
لا تَـشْـكُـتـي: لـم أنـتـحـر إنّـي أقـلُّ مـن انـتـحـاري
أنـا مـنْ بـحـثـتُ عـن الـرَّدى فـي كـلِّ رابـيـةٍ وغـارِ
ونَـسـيـتُ مـأتـمَ زوجـتـي وأبـي وحـشـرجـةَ احـتـضـاري

***

هـل خَـلْـفَ آفـاقِ الـمـنـى دنـيـا أجـلُّ مـن انـتـظـاري؟!
خـضـراءُ طـاهـرةُ الـجَـنَـى والـرّيّ، دانـيـةُ الـثّـمـارِ
ومـواسـمٌ تَـنْـدى وتُـو لِـمُ لـلـغُـرابِ، ولِـلْـهَـزَارِ
لـلـقُـبّـراتِ ولـلـصّـقـورِ ولـلـعـصـافـيـرِ الـصّـغـارِ
إنّـي كـبِـرْتُ عـن الـهـوى والـزّيـفِ والـحـبِّ الـتِّـجـاري
وبـصـقْـتُ دنـيـا جـيـفـةٍ تـؤذي وتُـغـري بـالـشِّـعـارِ
وتَـصـوغُ مـنْ قـذرِ الـخـطـا يـا الـسّـودِ رايـاتِ الـفـخـارِ
ومَـلـلْـتُ تـيـهـاً مـيّـتَ الـ ألـوانِ مَـكْـرُورَ الإطـارِ
وسـئـمـتُ أشـبـاحـاً أدا ريـهـا، وأشـتـمُ مَـنْ أُداري
ولـعـنـتُ وجـهـي الـمـسـتـعا رَ وكـلَّ وجـهٍ مُـسْـتـعـارِ
وهـفَـتْ إلـيَّ نـسـيـمـةٌ جَـذْلـى كـآمـالِ الـعـذاري
كَـتَـبَـسُّـمِ الأفـراحِ فـي مُـقَـلِ الـصَّـبـيّـاتِ الـغـرارِ

***

وتَـثـاءَبَ الـفـجـرُ الـجـريـحُ كـمـنْ يـفـيـقُ مـن الـخُـمـارِ[1]
وانـشـقَّ أفـقُ الـغـيـبِ عـنْ عـهـدِ الـمـروءاتِ الـكـبـارِ
وكـأنّ دنـيـا أشـرقـت كـالـحُـورِ مـنْ خـلـفِ الـسّـتـارِ
تـلـقـي الـمـحـبّـةَ عـن يـمـيـنـي والـبـراءَةَ عـن يـسـاري
وسَـرَتْ حـكـايـاتُ الـمـديـنـةِ كـالـخـيـالاتِ الـسّـواري
ووجـدتُـنـي أنـهـارُ وخـدي واسْـتَـفَـقْـتُ عـلـى انـهـيـاري
ونـهـضـتُ والـدّنـيـا كـمـا كـانـتْ تُـفـاخـر بـالـصـغـارِ
وتـهـاوتِ الـدّنـيـا الـتـي خـلَـقَ افـتـنـانـي وابـتـكـاري
فـوددتُ لـو ألْـقـى كِـذَا بَ الـلـيـل صِـدْقـاً فـي الـنـهـارِ

❁ ❁ ❁

(1) الخُمار: صداع الرأس من تأثير الخمرة.

عتابٌ ووعيد

غرّة جمادى الآخرة سنة 1380هـ

وجّهت هذه القصيدة إلى الطاغية أحمد في تصور شعري

لـمــاذا لــيَ الــجــوعُ والــقــصــفُ لــكْ؟
يــنــاشــدنــي الــجــوعُ أنْ أســألَــكْ

وأغــرسُ حــقــلــي فــتــجــنــيــهِ أنــتَ
وتُــســكــرُ مــنْ عَــرَقــي مِــنــجــلَــكْ!

لـمــاذا؟ وفــي قــبــضــتــيْــكَ الــكــنــوزُ
تَــمُــدُّ إلــى لــقــمــتــي أنْــمُــلَــكْ

وتــقــتــاتُ جــوعــي وتُــدْعــى الــنّــزيــهَ
وهــلْ أصــبــحَ الــلــصُّ يــومــاً مَــلَــكْ؟

لـمــاذا تــسُــودُ عــلــى شــقــوتــي؟
أجــبْ عــنْ ســؤالــي وإنْ أخــجــلَــكْ

ولــو لــمْ تُــجــب فــســكــوتُ الــجــوابِ
ضــجــيــجٌ يــردِّد: مــا أنــذلَــكْ

لـمــاذا تــدوسُ حــشــايَ الــجــريــحَ
وفــيــهِ الــحــنــانُ الــذي دلّــلَــكْ

ودمــعــي، ودمــعــي ســقــاكَ الــرحــيــقَ
أتــذكُــر يــا نــذلُ، كــمْ أثــمــلَــكْ؟!

فــمــا كــان أجــهــلَــنــي بــالــمــصــيــرِ
وأنـــتَ لـــكَ الـــويـــلُ مـــا أجـــهـــلَـــكْ!

* * *

غـــداً ســـوفَ تـــعـــرفُـــنـــي مـــنْ أنـــا
ويـــســـلـــبُـــكَ الـــنُّـــبْـــلَ مـــنْ نَـــبَّـــلَـــكْ

فــفــي أضــلــعــي، فــي دمــي غــضــبــةٌ
إذا عـــصـــفـــتْ أطـــفـــأتْ مـــشـــعـــلَـــكْ

غـــداً ســـوفَ تـــلـــعـــنُـــكَ الـــذكـــريـــاتُ
ويـــلـــعـــنُ مـــاضـــيـــكَ مـــســـتـــقـــبـــلَـــكْ

ويـــرتـــدُّ آخِـــرُكَ الـــمـــســـتـــكـــيـــنُ
بـــآثـــامـــهِ يَـــزدري أوَّلَـــكْ

ويـــســـتـــفـــســـرُ الإثـــمُ: أيـــنَ الأثـــيـــمُ؟
وكـــيـــفَ انـــتـــهـــى؟ أيَّ دَرْبٍ ســـلَـــكْ؟

* * *

غـــداً لا تـــقـــلْ: تُـــبْـــتُ.. لا تـــعـــتـــذرْ
تـــحـــسَّـــرْ وكَـــفِّـــنْ هُـــنـــا مـــأمـــلَـــكْ

ولا، لا تَـــقُـــلْ: أيـــنَ مـــنِّـــي غـــدٌ؟
فـــلا، لـــمْ تُـــسَـــمِّـــرْ يـــداكَ الـــفـــلَـــكْ

غـــداً.. لـــمْ أصـــفِّـــقْ لـــركـــبِ الـــظـــلام
ســـأهـــتـــفُ: يـــا فـــجـــرُ مـــا أجـــمَـــلَـــكْ

❁❁❁

الجناح المحطم

خــطــرةٌ وانــبــرى الــنــذيــرُ وصــاحــا:
الــحــريــقُ الــحــريــقُ يــطــوي الــجــنــاحــا

وتــعــالــى صــوتُ الــنــذيــرِ وألــوى
أمــلُ الــعــمــرِ وَجْــهَــهُ وأشــاحــا

ودنــا مِــنْ هــنــا الــحــريــقُ وأومــا
بــارقُ الــمــوتِ مِــنْ هــنــاكَ ولاحــا

ورَنــا الــسَّــفْــرُ[1] حــولــه لــيــس يــدري
هــل يــرى الــجِــدَّ أمْ يــحــسُّ الــمــزاحــا؟

تــارةً يــرقــبُ الــخــلاصَ وأخــرى
يــرقــبُ الــيــأسَ والــهــلاكَ الــمــتــاحــا

وتــعــايــا حــيــنــاً يــقــلِّــبُ كــفَّــيْــ
ـهِ وحــيــنــاً يــشــدُّ بــالــرّاحِ راحــا

وإذا الــنــارُ تــحــتــوي مــاردَ الــجــوّ
ويــجــتــاحُــه الــحــريــقُ اجــتــيــاحــا

خــطــوةٌ فــي الــرحــيــلِ واخــتــصــرَ الــمــو
تُ مــســافــاتِــه الــطــوالَ الــفــســاحــا

---

(1) السَّفْرُ: جماعة المسافرين.

وأطاحَ الجناحُ بالرّكبِ في الجوّ
وأودى الجناحُ فيه وطاحا

منْ رآهُ يخرُّ في الهُوَّةِ الحيْرى
ويستنجدُ الرُّبَا والبطاحا؟

مَنْ رآهُ على الصخورِ رفاتاً
وشظايا تعطي الرَّمادَ الرّياحا؟

منْ رأى الصَّقرَ حينَ مدَّ إلى النّا
رِ جناحاً وللفِرارِ جناحا؟

وهوى الطائرُ الكسيرُ ودوَّى
موكبُ الرُّعبِ مِلأهُ وتلاحى

وارتمى يطرحُ الجناحَ المدمّى
مثلما يطرحُ القتيلُ السِّلاحا

* * *

وانطوى الركبُ في السكونِ وأطفتْ
هجعةُ الرملِ عَزْمَه والطِّماحا

وانتهى عمرُهُ وهلْ كانَ إلاّ
في مدى النفسِ غدوةً أو رَوَاحا

خلعَ العُمرَ فاطمأنَّ وأغفى
واستراحتْ جراحُه واستراحا

ماتَ، والشعبُ بينَ جنبيْهِ قلبٌ
خافقٌ يُطعمُ الحنينَ الجراحا

ويَضمُّ البلادَ خلفَ الحنايا
أمنياتٍ وذكرياتٍ مِلاحا

لم يكذ شعبُه يذوقُ هناءً
منهُ حتى بكى وأبكى وناحا

* * *

أيها الرَّكبُ يا شهيدَ المعالي!
هل رأيتَ الحياةَ شرّاً صُراحا؟

أمْ فقدتَ النّجاحَ في العمرِ حتى
رُحتَ تبغي عندَ المماتِ النّجاحا

عندما قبَّلَ الثرى منكَ جُرحاً
أورقَ التربُ منْ دماهُ وفاحا

هكذا المجدُ تضحياتٌ، وغبنٌ
عمرُ منْ لمْ يَخضْ إلى المجدِ ساحا

إنما الموتُ والحياةُ كفاحٌ
يكسِبُ النصرَ مَنْ أجادَ الكفاحا

لا استراحَ الجبانُ لا نامَ جفناه
ولا أدركتْ خطاهُ الفلاحا

إنما الموتُ مَرَّةٌ والدَّمُ المهـ
ـدورُ يَبقى على الزَّمانِ وشاحا

كمْ جبانٍ خافَ الرَّدى فأتاهُ
وتخطَّى ستارَهُ واستباحا

ونـفـوسٍ شـحَّـتْ عـلـى الـمـوتِ لـكـنْ
أيُّ مـوتٍ صـانَ الـنـفـوسَ الـشـحـاحـا؟

كـمْ مـلـيـكٍ يـأوي إلـى الـقـصـرِ لـيـلاً
ثـم يـأوي إلـى الـتـرابِ صـبـاحـا

* * *

شـرعـةُ الـمـجـدِ أن تـصـارعَ فـي الـمَـجْـ
ـدِ، وتـسـتـلَّ لـلـصِّـفـاحِ صـفـاحـا

أيـهـا الـركـبُ نـمْ هـنـيـئـاً ودعْـنـا
نـعـتـسـفْ بـعـدكَ الـخـطـوبَ الـجِـمـاحـا

ووداعـاً يـا فـتـيـةَ الـيـمـنِ الـخَـضْـ
ـرا وداعـاً بـحُـرقـةِ الـصـدرِ بـاحـا

⊛⊛⊛

لا تسألي

22 رجب سنة 1379هـ كانت ليلة من ليالي الخريف، والظلام ممتد في كل جهة كأنه مقبرة معلقة في الهواء، وكان يعبر الطريق كالمقيد في الوحل، وما رفيقاه إلاّ ظله واخته، فلم تساله واجاب، وسالها فاجابت، وكان التساؤل والجواب زاد الرحيل.. وهكذا أجاب، وهكذا سأل

لا تسألي يا أختُ أينَ مجالي؟
أنا في الترابِ وفي السّماءِ خيالي

لا تسأليني أينَ أغلالي؟ سلي
صمتي وإطراقي عنِ الأغلالِ!

أشواقُ روحي في السماءِ وإنما
قدمايَ في الأصفادِ والأوحالِ

وتوهُّمي في كلِّ أفقٍ سابحٌ
وأنا هنا في الصَّمتِ كالتمثالِ

أشكو جراحاتي إلى ظلِّي كما
يشكو الحزينُ إلى الخليِّ السّالي

واللَّيلُ منْ حولي يضجُّ وينطوي
في صمتِهِ كالظالمِ المتعالي

يسري وفي طفراتِهِ ووقارِهِ
كسَلُ الشيوخِ وخفّةُ الأطفالِ

وتخالُهُ ينساقُ وهو مقيَّدٌ
فتُحِسُّهُ في الدَّربِ كالزلزالِ

وأنا هنا أصغي وأسمعُ من هنا
خفقاتِ أشباحٍ من الأهوالِ

ورُؤىً كألسنةِ الأفاعي حُوَّماً
ومخاوفاً كعداوةِ الأنذالِ

وأُحِسُّ قُدَّامي ضجيجَ مراقدٍ
وتثاؤُبَ الآبادِ والآزالِ

وتنهُّداً قلقاً كأنَّ وراءهُ
صخَبَ الحياةِ وضجّةَ الأجيالِ

والطَّيفُ يصغي للفراغِ كأنَّه
لصٌّ يُصيخُ إلى المكانِ الخالي

وكأنَّه (الأعشى) يناجي (ميّةً)
ويلملمُ الذكرى من الأطلالِ

والشُّهبُ أغنيةٌ يرقرقُها الدُّجى
في أفقهِ كالجدولِ السَّلسالِ

والوهمُ يحدو الذكرياتِ كمدلجٍ
يحدو القوافلَ في بساطِ رمالِ

والرُّعبُ يهوي مثلما تهوي على
ساحِ القتالِ جماجمُ الأبطالِ

* * *

وهنا ترقبتُ انهياري مثلما
يترقبُ الهدمَ الجدارُ البالي

وسألتُ جرحي هلْ ينامُ ضجيجُهُ؟
وأمَرُّ من ردِّ الجوابِ سؤالي!

وأشدُّ مما خِفتُ منهُ تخوُّفي
وأشقُّ من وعرِ الطريقِ كَلالي!

وأخسُّ من ضعفي غروري بالمنى
واليأسُ يضحكُ كالعجوزِ حيالي!

وأمضُّ من يأسي شعوري أنّني
حيُّ الشّهيّةِ، ميِّتُ الآمالِ

أسري كقافلةِ الظّنونِ وأجتدي
شبحَ الظّلامِ وأهتدي بضلالي

وأسيرُ في الدّربِ الملفّحِ بالدّجى
وكأنّني أجتازُ ساحَ قِتالِ

وأتيهُ والحمّى تولولُ في دمي
وترتِّلُ الرّعشاتِ في أوصالي

* * *

لا تسأليني عنْ مجالي.. في الثرى
جَسَدي وروحي في الفضاء العالي

وسألتُها: ما الأرضُ؟ قالتْ إنّها
فلوَاتُ أوحاشٍ وروضُ صِلالِ[1]

(1) الصّلال: الحيّات ذات الأجراس.

إنْ كنتَ محتالاً قطفتَ ثمارها
أو لا، فإنّكَ فرصةُ المحتالِ

وأنا هنا أشقى وأجهلُ شقوتي
وأبيعُ في سوقِ الفجورِ جَمالي

والعُمر مشكلةٌ ونحنُ نزيدُها
بالحلِّ إشكالاً إلى إشكالِ

لا حُرَّ في الدنيا فذو السلطانِ في
دنياهُ عبدُ المجدِ والأشغالِ

والكادحُ المحرومُ عبدُ حنينِهِ
فيها، وربُّ المالِ عبدُ المالِ

والفارغُ المكسالُ عبدُ فراغِهِ
والسَّفْر عبدُ الحلِّ والترحالِ

واللّصُّ عبدُ الليلِ والدَّجالُ في
دنياهُ عبدُ نفاقِهِ الدَّجالِ

لا حُرَّ في الدنيا ولا حريّةٌ
إنَّ التّحررَ خدعةُ الأقوالِ

النّاسُ في الدُّنيا عبيدُ حياتِهم
أبداً عبيدُ الموتِ والآجالِ

* * *

وسألتُها ما الموت؟ قالتْ: إنّهُ
شطُّ الخضمِّ الهائجِ الصَّوَّالِ

وسكونُهُ الحاني مصيرُ مصائرٍ
وهدوؤُهُ دعةٌ وعمقُ جَلالِ

ما لي أحاذرُهُ وأخشى قولَهُ
وأنا أجرُّ وراءَهُ أذيالي؟!

أنساقُ في عمري إليهِ مثلما
تنساقُ أيّامي إلى الآصالِ

* * *

وسألتُها فرنتْ وقالتْ: لا تسلْ
دَعني عنِ المفضولِ والمِفضالِ!

أُسكتْ! فليسَ الموتُ سوقاً عندَهُ
عمرٌ بلا ثمنٍ، وعمرٌ غالي!

◎◎◎

عذابٌ ولحن

21 ربيع الآخر سنة 1381هـ.

لِمَنْ أرعِشُ الوترَ المجهَدا
وأشدو وليسَ لشدوي مدى؟

وأُنهي الغناءَ الجميلَ البديعَ
لكي أبدأَ الأحسنَ الأجودا

وأستنشدُ الصَّمتَ وحدي هنا
وأخيلتي تعبرُ السّرمدا

فأسترجعُ الأمسَ منْ قبرِهِ
وأهْوَى غداً قبلَ أنْ يولدا

وأستنبتُ الرَّملَ بالأمنياتِ
زهوراً، وأستنطقُ الجلمدا

وحيناً أنادي وما منْ مجيبٍ
وحيناً أجيبُ وما منْ نِدا

وأبكي ولكنْ بكاءَ الطيورِ
فيدعونني الشّاعرَ المنشدا

* * *

لمنْ أعزفُ الدَّمعَ لحناً رقيقاً
كسحرِ الضّبا كابتسامِ الهدى؟

لعينيْكِ نغّمتُ قيثارتي
وأنطقتُها النَّغَمَ الأخْلدا

أغنّيكِ وحدي وظلُّ القنوطِ
أمامي وخلفي كطيفِ الرَّدى

وأشدو بذكراكِ لمْ تسألي:
لمنْ ذلك الشّدوُ؟ أو منْ شدا؟

كأنْ لمْ نكنْ نلتقي والهوى
يدلّلُ تاريخَنا الأمردا

وحبِّي يغنّيكِ أصْبى اللحونِ
فيحمرُّ في وجنتيْكِ الصَّدى

ونمشي كطفليْنِ لمْ نكترثْ
بما أصلحَ الدهرُ أوْ أفسدا

ونزهو كأنّا ملكنا الوجودَ
وكانَ لنا قبلَ أنْ يوجدا

وملعبُنا جدولٌ منْ عبيرِ
إذا مسَّهُ خَطْوُنا غرَّدا

وأفراحُنا كشِفاهِ الزّهورِ
تهامِسُها قبلاتُ النّدى

أكادُ أضمُّ عهودَ اللّقاءِ
وألثُمُها مَشهداً مَشْهدا

وأجــتــرُّ مـيــلادَ تــاريــخِــنــا
وأَمْــتَــشِــقُ الــمــهْــدَ والــمــولــدا

وأذكــرُ كــيــفَ الــتــقــيــنــا هــنــاكَ
وكــيــفَ ســبــقــنــا هــنــا الــمــوعــدا

وكــيــفَ افــتــرقــنــا عــلــى رغْــمِــنــا
وضِــعــنــا، وضــاعَ هــوانــا سُــدَى

حَــطَــمْــنــا الــكــؤوسَ ولــمْ نــرتــوِ
وَعُــدتُ أمُــدُّ إلــيــهــا الــيَــدا

وأخــدعُ بــالــوهــمِ جــوعَ الــحــنــيــنِ
كــمــا يــخــدعُ الــحُــلُــمُ الــهُــجَّــدا

أحِــنُّ فــأقــتــاتُ ذكــرى الــلُّــقــا
لــعــلّــي بــذكــراهُ أنْ أسْــعَــدا

وأقــتــطــفُ الــصَّــفــوَ مــنْ وهــمِــهِ
كــمــا يــقــطــفُ الــواهــمُ الــفــرقــدا

أتــدريــنَ أيــنَ غَــرَسْــنَــا الــمُــنــى؟
وكــيــفَ ذوَتْ قــبــلَ أنْ نــحــصــدا؟

تــذكــرتُ فــاحــتــرتُ فــي الــذكــريــاتِ
وحــيّــرتُ أطــيــافَــهــا الــشــرَّدا

إذا قــلــتُ: كــيــفَ انــتــهــى حــبُّــنــا؟
أجــابَ الــســؤالُ: وكــيــفَ ابــتــدا؟

فأطرقتُ أحسو بقايا البكاءِ
وقدْ أوشكَ الدَّمعُ أنْ ينفدا

وأبكي مواسمَكِ العاطراتِ
وأيامَها الغضَّةَ الخُرَّدا[1]

ومَنْ فاتَهُ الرَّغْدُ في يومِهِ
مضى يندبُ الماضيَ الأرغدا

* * *

أصيخي إلى قصَّتي إنّني
أقصُّ هنا الجانبَ الأنكدا

أمَضُّ الأسى أن تجورَ الخطوبُ
وأشكو فلا أجدُ المُسعِدا

وأشقى ويشقَى بيَ الحاسدونَ
وما نلتُ ما يخلقُ الحُسّدا

عَلامَ يعادونني! لمْ أجدْ
سوى ما يَسرُّ ألدَّ العدا!

حياتي عذابٌ ولحنٌ حزينٌ
فهلْ لعذابي ولحني مدى؟

---

(1) الخرّد: الأبكار. وهي جمع خريدة.

قصة من الماضي

شوال سنة 1379هـ

أقصها في هذه الرسالة الشعرية على شقيقي النائي، لعله يذكر ماضينا البعيد إن ألهاه عنه حاضره السعيد. فانصت إليّ يا شقيقي أعد إليك قطعاً غالية من عمرينا في هذه الرسالة. ما أسخفنا حين نظن الماضي تلاشى وراءنا كالغبار، والذكريات تنشره أمامنا كائناً حياً، فنعيش فيه ولسنا فيه، وما أثقل محن الماضي حين كانت بالأمس محناً نكابدها، وما أجملها اليوم حين أصبحت ذكرى تطل علينا من أجفان الأطياف الآتية من بعيد.. فاقرأ فصلاً من ماضيك في هذه القصيدة

ذكرى أرقَّ من الرَّحيقِ   خذها فديْتُكَ يا شقيقي
بينَ العشيقةِ والعشيقِ   وألذَّ من نجوى الهوى
في خضرةِ الروضِ الوريقِ   خُذها أرقَّ من السّنا
كوخِ الطفولةِ والطريقِ   واذكرْ تهادِينا على
نحنُ في القيدِ الوثيقِ   وأنا وأنتَ كموثقَيْنِ
في غضبةِ اللُّجِّ العميقِ   نمشي كحيْرةِ زورقِ
وديانِ أصواتَ النعيقِ   ونساجلُ الغربانَ في الـ
أكلتُ أنفاسي وريقي   وإذا ذكرتَ لي الطّعامَ
مّان في الوادي السحيقِ   أيّامَ كُنّا نسرقُ الرُّ
مّانَ وليلُنا أحنى رفيقِ   ونعودُ منْ خلفِ الطريقِ
وخطرةَ الطَّيفِ الرشيقِ   ونخافُ وسوسةَ الرِّياح
والأهلُ في أشقى مضيقِ   حتّى نوافي بيتَنا . .
سةُ في محيّاهُ الصَّفيقِ   فيصيحُ عمّي والشرا
مناغاةَ الشفيقِ   وهناكَ جَدَّتُنا تناغينا

أوهى من الخيطِ الدّقيقِ تَهوى الحياةَ وعمرُها
بينَ التنهُّدِ والشهيقِ وأبي وأمّي حولَنا
شكوى الغريقِ إلى الغريقِ يتشاكيانِ من الطَّوى
يشكو الذُّبالُ من الحريقِ شكواهما صمتٌ كما
ورعشةِ الكوخِ العتيقِ ويحدِّقانِ إلى السكونِ
دعِ وهي تهذي بالنقيقِ واللَّيلُ ينصتُ للضفا
على شفاهٍ من عقيقِ والشهْبُ تلمعُ كالكؤوسِ
إشراقةُ العيشِ الطليقِ وجوارُنا قومٌ لهم
بين الأغاني والنّهيقِ منْ كلّ غِرٍّ لم يَمِزْ
ثيابه وحشٌ حقيقي وتَظُنُّه رجلاً وخلفَ
منْ جوهرِ المسكِ الفتيقِ وتراهُ يزعمُ شخصَهُ
حديثَ تجّارِ الرقيقِ يتحادثونَ عن النُّقودِ
تصبي وتغري بالبريقِ يتخيّرونَ ملابساً
للزورِ والجهلِ الأنيقِ حتى تراهم صورةً
لأناقةِ الخزي العريقِ ونماذجاً برّاقةً

* * *

فهمْ رجالٌ منْ حريرِ يمشونَ في نسجِ الحريرِ
ـاجِ وخيّاطٍ قديرِ وكأنَّهم منْ خلقِ نسّـ
كسدوا بأسواقِ الحميرِ لولا خداعُ ثيابِهم
ويسخرونَ من الفقيرِ فقراءُ منْ خُلقِ الرجالِ
عن المشاكلِ والمصيرِ ويسائلونَ مع الرجالِ
وبيتُ خمّارٍ شهيرِ ومصيرُهم بيتُ البغيِّ
أحلى من الوردِ المطيرِ وهناكَ بنتٌ غضّةٌ

تــرنــو وفــي نــظــراتِــهــا لــغــةُ الــدَّعــارةِ والــفــجــورِ
وحــديــثُــهــا كــالــجــدولِ الــسّــلــســالِ فــضــيّ الــخــريــرِ
حــســنــاءُ تــطــرحُ حــسنَــهــا لــلــمــتــرفــيــنَ، ولــلأجــيــرِ
فــجــمــالُــهــا مــثــلُ الــطــبــيــ ـعــةِ لــلــنّــبــيــلِ ولــلــحــقــيــرِ
فــي مــشْــيــهــا رقــصُ الــحــســانِ وخــفَّــةُ الــطــفــلِ الــغــريــرِ
ويــكــادُ يــعــشــقُ بــعــضُــهــا بــعــضــاً مــن الــحــســنِ الــمــثــيــرِ
أودى أبــوهــا وهــو فــي إشــراقــةِ الــعــمــرِ الــقــصــيــرِ
كــان امــرءاً يــجــدُ الــضــعــيــفُ يــمــيــنَــه أقــوى نــصــيــرِ
يــحــنــو، ويــنــشــرُ مــالَــهُ لــلــطــفــلِ والــشــيــخِ الــكــبــيــرِ
يــرعــى الــجــمــيــع فــكــلُّــه قــلــبٌ ســمــاويُّ الــضــمــيــرِ
جــادتْ يــداهُ بــمــا لــديــهِ وجــادَ بــالــنَّــفَــسِ الأخــيــرِ
فــذوتْ صــبــيَّــتُــه الــجــمــيــلــةُ كــالــزنــابــقِ فــي الــهــجــيــرِ
وبــكــتْ إلــى أخــتــي كــمــا يــبــكــي الأســيــرُ إلــى الأســيــرِ
ومــشــتْ عــلــى شــوكِ الــمــآســي الــحُــمْــرِ والــيُــتْــمِ الــمــريــرِ
ومــضــتْ تــدوسُ الــشــوكَ والــرَّ مْــضــا عــلــى الــقــلــبِ الــكــســيــرِ
والــحــزنُ فــي قــســمــاتِــهــا كــالــشــكُّ فــي قــلــبِ الــغــيــورِ
تــعــرَى فــتــكــســوهــا الــطَّــبــيْــ ـعَــةُ حُــلَّــةَ الــحُــسْــنِ الــنــظــيــرِ
صــبــغــتْ مــلامــحَــهــا الــطَّــبِــيْــ ـعَــةُ مــنْ ســنــا الــبــدرِ الــمــنــيــرِ
مــن وَقــدِة الــصــيــفِ الــبــهــيــجِ وهــدأةِ الــلّــيــلِ الــضّــريــرِ
مــن خــفــقــةِ الــشَّــجَــرِ الــصَّــبــو رِ عــلــى ريــاحِ الــزمــهــريــرِ
ومــن الأشــعّــةِ والــشــذا وصــراحــةِ الــمــاءِ الــنــمــيــرِ
فــتــعــانــقــتْ فــيــهــا الــمــبــا هــجُ كــالأشــعّــة والــعــبــيــرِ
فــجــمــالُــهــا قُــبَــلُ الــحــنــيــنِ وصــدرُهــا أحــنــى ســريــرِ

مَنْ تلكَ جارتُنا الشهيَّةْ؟ قُلْ لي أتذكرُ يا أخي
وغلظةِ الأرضِ الدنيَّةْ هي فوقَ فلسفةِ الترابِ
فهي مشفقةٌ غويَّةْ رحِمتْ مجانينَ الغوايَةِ
الحبُّ والدنيا الشَذيَّةْ بنتُ الطبيعةِ فهي ظلُّ
الحبُّ وأغنياتِ الشاعريَّةْ كانتْ ربيعَ الأمنياتِ
منْ قصّةِ الماضي بقيَّةْ فانصتْ إليَّ فلمْ تزلْ
الذكرى؟ خلودُ الآدميَّةْ جاءتْ بها الذكرى، وما
فهيَ صورتُهُ الجليَّةْ حدِّقْ تَرَ ماضيكَ فيها
القلب في الأرضِ الغبيَّةْ أوّاه! ما أشقى ذكيَّ
وأبرَّ طلعتَهُ الزَّكيَّةْ! ما كانَ أذكى (مُرشداً)
وفرحةَ النفسِ الشجيَّةْ كانَ ابتساماتِ الحزينِ
وكلّهُ منْ عبقريَّةْ عيناهُ منْ شُعَلِ الرشادِ
فروحُهُ المثلى نَبيَّةْ إنْ لمْ يكنْ في الأنبياءِ
فغابَ كالشمسِ البهيَّةْ قتلتْهُ في الوادي اللصوصُ
فلا يضيق من الزَّريَّةْ كانَ ابنُ عمي يَزْدَريهِ
فظٌّ كليْلِ الجاهليَّةْ ومَنِ ابنُ عمّي؟ جاهلٌ
يرنو العقورُ إلى الضحيَّةْ يرنو إلينا مثلما
وفي الثيابِ القيصريَّةْ نعرى، ويسبحُ في النقودِ
وعندَهُ الكأسُ الرَّويَّةْ ونذوبُ من حُرَقِ الظماءِ
كابتساماتِ الصبيَّةْ والكأسُ تبسمُ في يديْهِ
يلذُ العناقيدَ الجنيَّةْ والكَرْمُ في بستانهِ
أشقَتْهُ واحدةٌ شقيَّةْ حتّى تزوَّجَ أربعاً
ضاعَ في غسقِ العشيَّةْ فكأنَّ ثروتَهُ دخانٌ

كـالأسـارى فـي الـبـلـيَّـةْ فـهـوى إلـيـنـا والـتـقـيـنـا
تـومـي بـأشـداقِ الـمـنـيَّـةْ وأتـى الـخـريـفُ وكـفُّـهُ
فـتـغـيَّـرَتْ صُـوَرُ الـقـضـيَّـةْ وتـوقَّـع الـحـيُّ الـفَـنَـا
فـأقـبـلـت دنـيـا رخـيَّـةْ وتـحـرَّكَ الـفـلـكُ الـدَّؤوبُ
ـسـامِ الـفـراديـسِ الـنّـديَّـةْ وتـضـوَّعَ الـوادي بـأنـ
تَ عـهـودَ مـاضـيـنـا الـقـصـيَّـةْ قـلْ لـي شـقـيـقـي هـلْ ذكـر
دفّـاقـةَ الـنّـجـوى سـخـيَّـةْ خُـذْهـا فـديـتُـك قـصَّـةً
فـي قـصَّـةٍ أخـرى طـريَّـةْ وإلـى الـتـلاقـي يـا أخـي
بَ، خـتـامُـهُ أزكـى تـحـيَّـةْ والآنَ أخـتـتـمُ الـكـتـا

❁ ❁ ❁

نحن والحاكمون

شوال 1381هـ

انشاتُ هذه القصيدة قبل ميلاد ثورة 26 سبتمبر بعام

أخـــي صَـــحْـــوُنـــا كـــلُّـــهُ مـــأتـــمُ
وإغـــفـــاؤنـــا ألـــمٌ أبـــكـــمُ

فـــهـــلْ تـــلـــدُ الـــنـــورَ أحـــلامُـــنـــا
كـــمـــا يَـــلِـــدُ الـــزهـــرةَ الـــبـــرعـــمُ؟

وهـــلْ تُـــنـــبـــتُ الـــكَـــرْمَ وديـــانُـــنـــا
ويـــخـــضـــرُّ فـــي كَـــرْمِـــنـــا الـــمـــوســـمُ؟

وهـــلْ يـــلـــتـــقـــي الـــريُّ والـــظّـــامـــئـــونَ
ويـــعـــتـــنـــقُ الـــكـــأسُ والـــمـــبـــســـمُ؟

لـــنـــا مـــوعـــدٌ نـــحـــنُ نـــســـعـــى إلـــيـــهِ
ويـــعـــتـــاقُـــنـــا جـــرحُـــنـــا الـــمـــؤلـــمُ

فـــنـــمـــشـــي عـــلـــى دمِـــنـــا والـــطـــريـــقُ
يـــضـــيُّـــعـــنـــا والـــدّجـــى مـــعـــتـــمُ

فـــمـــنّـــا عـــلـــى كـــلِّ شـــبـــرٍ نـــجـــيـــعٌ
تُـــقـــبِّـــلُـــهُ الـــشّـــمـــسُ والأنـــجـــمُ

❊ ❊ ❊

ســـلِ الـــدَّربَ كـــيـــفَ الـــتـــقـــتْ حـــولـــنـــا
ذئـــابٌ مـــن الـــنّـــاسِ لا تـــرحـــمُ

وتِـهـنـا وحـكّـامُـنـا فـي الـمـتـاهِ
سـبـاعٌ عـلـى خـطـونـا حُـوَّمُ
يَـعـيـشـونَ فـيـنـا كـجـيـشِ الـمـغُـولِ
وأدنـى إذا لـوَّح الـمـغـنـمُ
فـهـم يـقـتـنـون ألـوفَ الألـوفِ
ويُـعـطـيـهـمُ الـرشـوةَ الـمـعـدمُ
ويـبـنـون دوراً بـأنـقـاضِ مـا
أبـادُوا مـن الـشـعـبِ أو هـدَّمـوا
أقـامـوا قـصـوراً مـدامـيـكُـهـا
لـحـومُ الـجـمـاهـيـرِ والأعـظـمُ
قـصـوراً مـن الـظـلـمِ جـدرانُـهـا
جـراحـاتُـنـا ابـيـضَّ فـيـهـا الـدَّمُ

* * *

أخـي إنْ أضـاءتْ قـصـورُ الأمـيـرِ
فـقـلْ: تـلـكَ أكـبـادُنـا تُـضـرمُ
وسـلْ: كـيـفَ لِـنّـا لـعـنـفِ الـطـغـاةِ
فـعـاثـوا هـنـا وهـنـا أجـرمـوا؟
فـلا نـحـنُ نـقـوى عـلـى كـفِّـهـم
ولا هـمْ كـرامٌ.. فـمـنْ ألـوَمُ؟
إذا نـحـنُ كُـنّـا كـرامَ الـقـلـوبِ
فـمـنْ شـرفِ الـحـكـمِ أن يـكـرُمـوا
وإنْ ظـلـمـونـا ازدراءً بـنـا
فـأدنـى الـدَّنـاءاتِ أنْ يَـظـلِـمـوا

وإنْ أدمنوا دمَنَا فالوحوشُ
تعبُّ التجيعَ ولا تسأمُ

وإنْ فخروا بانتصارِ اللئام
فخذلانُنا شرفٌ مُرغمُ

وسائلُنا فوقَ غاياتِهم
وأسمى، وغاياتُنا أعظمُ

فنحنُ نعِفُّ وهُمْ إنْ رأوا
لأدناسِهم فرصةً أقدموا

وإنْ صَعَدوا سُلَّماً للعروشِ
فأخزى المخازي هو السُّلَّمُ

* * *

وما حكمُهم؟ جاهليُّ الهوى
تُقَهْقِهُ من سخفِهِ الأيِّمُ

وأسطورةٌ من ليالي (جديسَ)
رواها إلى تغلبِ (جُرهمُ)

ومطعَمُهُمْ رشوةٌ والذُّبابُ
أكولٌ إذا خَبُثَ المطعمُ

رأوا هدأةَ الشَّعبِ فاستذأبوا
على ساحةِ البغي واستضغموا[1]

---

(1) استضغموا: تشبَّهوا بالضياغم وهي الأسود.

وكـــلُّ جـــبـــانٍ شـــجـــاعُ الـــفـــؤاد
عـــلـــيـــكَ، إذا أنـــتَ مـــســـتـــســـلـــمُ

وإذعـــانُـــنـــا جـــرّأَ الـــمـــفـــســـديـــنَ
عـــلـــيـــنـــا وأغـــراهـــمُ الـــمـــأثـــمُ

* * *

أخـــي نـــحـــنُ شـــعـــبٌ أفـــاقـــتْ مـــنـــاهُ
وأفـــكـــارُهُ فـــي الـــكَـــرى تـــحـــلُـــمُ

ودولـــتُـــنـــا كـــلُّ مـــا عـــنـــدهـــا
يـــدٌ تـــجـــتـــنـــي وحَـــشـــاً يـــهـــضـــمُ

وغـــيـــدٌ بـــغـــايـــا لـــبـــسْـــنَ الـــنُّـــضـــارَ
كـــمـــا يـــشـــتـــهـــي الـــجـــيـــدُ والـــمـــعـــصـــمُ

وســـيـــفٌ أثـــيـــمٌ يـــحـــزُّ الـــرؤوسَ
وقـــيـــدٌ ومُـــعـــتَـــقَـــلٌ مـــظـــلـــمُ

وطـــغـــيـــانُـــهـــا يـــلـــتـــوي فـــي الـــخـــداعِ
كـــمـــا يـــلـــتـــوي فـــي الـــدُّجـــى الأرقـــمُ

وكـــمْ تـــدَّعـــي عـــفّـــةً والـــوجـــودُ
بـــأصـــنـــافِ خِـــسَّـــتِـــهـــا مُـــفـــعـــمُ!

وآثـــامُـــهـــا لـــمْ تـــسَـــعْـــهـــا الـــلُّـــغـــاتُ
ولـــمْ يَـــخْـــوِ تـــصـــويـــرَهـــا مُـــلـــهـــمُ

أنـــا لـــمْ أقـــلْ كـــلَّ أوزارِهـــا
تـــنـــزَّه قـــولـــي وعـــفَّ الـــفَـــمُ

تراها تَصُولُ على ضَعفِنا
وفوقَ مآتِمِنا تَبْسمُ

وتُشعِرُنا بهديرِ الطّبولِ
على أنّها لمْ تزلْ تحكمُ

وتظلمُ شعباً على علمِهِ
ويُغضِبها أنّه يعلمُ

وهل تختفي عنهُ وهي التي
بأكبادِ أمَّتِهِ تُولِمُ؟

وأشرفُ أشرافِها سارقٌ
وأفضلُهم قاتلٌ مجرمُ

* * *

عبيدُ الهوى يحكمونَ البلادَ
ويحكمُهم كلّهم دِرهَمُ

وتقتادُهم شهوةٌ لا تنامُ
وهم في جهالتِهم نُوَّمُ

ففي كلِّ ناحيةٍ ظالمٌ
غبيٌّ يسلِّطُهُ أظلمُ

أيا منْ شبعتم على جوعِنا
وجوعِ بنينا.. ألم تُتْخَموا؟

ألمْ تفهموا غضبةَ الكادحينَ
على الظّلمِ؟ لا بدَّ أنْ تفهموا

○○○

كلُّنا في انتظارِ ميلادِ فجر

شعبان سنة 1378هـ

كنا تحت سماء البادية عندما أدركنا الليل، وما يزال الطريق طويلاً فزحفنا على الجراح فوق الصخور، وسبحنا بين الرمل والظلام حتى أطل الفجر من شرفة الشرق، فاعشوشب الدرب بالأضواء فإذا هو زهور ونور، والهواء أنداء وزجاجات عطر.

هكذا كان سرانا إلى الفجر، وهكذا كان يتحدث الرفاق، وهكذا كان يتردد النداء

يا رفاقَ السُّرى إلى أينَ نسري؟
وإلى أينَ نحنُ نجري ونجري؟

دربُنا غائمٌ يغطِّيهِ ليلٌ
فكأنّا نسيرُ في جوفِ قبرِ

دربُنا وحشةٌ وشوكٌ ووحلٌ
وسباعٌ حيرى، وحيّاتُ قفرِ

ومتاهٌ تحيَّر الصَّمتُ فيهِ
حيرةَ الشكِّ في ظنونِ (المعرّي)

والرُّؤى تنبري كظمآنَ تهوي
حولَ أشواقِهِ خيالاتُ نهرِ

والدُّجى حولنا كمشنقةِ العمرِ
كوادي الشقا، كخيماتِ شرٌ

راقدٌ في الطريقِ يتّسِدُ الصمـ
ـتَ، ويومي بألفِ نابٍ وظُفْرِ

ذابـلٌ والـنـجـومُ فـي قـبـضـتـيْـهِ
ذابـلاتٌ كـالـغـيـدِ فـي كـفِّ أسْـرِ

* * *

يـا رفـاقَ الـسُّـرى إلـى كـمْ نـوالـي
خـطـوَنـا فـي الـدُّجـى إلـى لا مـقـرِ؟
أقـلـقَ الـلّـيـلَ والـسُّـكـونَ خـطـانـا
وخـضـبْـنـا بـجـرحِـنـا كـلَّ صـخـرِ
وغـرسْـنـا هـذا الـطـريـقَ جـراحـاً
واجـتـنـيْـنـا الـثـمـارَ حـبّـاتِ جـمـرِ
فـإلـى كـمْ نـسـيـرُ فـوق دِمـانـا؟
أيـن أيـن الـقـرارُ هـلْ نـحـنُ نـدري؟
كـلُّـنـا فـي الـسُّـرى حـيـارى ولـكـنْ
كـلُّـنـا فـي انـتـظـارِ مـيـلادِ فـجـرِ
كـلّـنـا فـي انـتـظـارِ فـجـرِ حـبـيـبِ
وانـتـظـارُ الـحـبـيـبِ يُـصـبـي ويُـغـري
يـا رفـاقـي لـنـا مـع الـفـجـرِ وَعْـدٌ
لـيـت شـعـري مـتـى يـفـي؟ لـيـتَ شـعـري!

* * *

وهـنـا أدركَ الـفـتـورُ قـوانـا
وانـتـهـى الـزادُ وانـتـهـى كـلُّ ذخـرِ
ومـضـيـنـا كـالـطّـيـفِ نـضـغـي فـهـزَّت
سـمْـعـنـا نـغـمـةٌ كـرنّـاتِ تِـبْـرِ

فجرحنا السّكونَ حتى بلغْنا
بيتَ حسْنا يدعونها أخت عَمْرِو

فَقَرَتْنا لحماً وحُسناً شهيّاً
وحديثاً كأنّهُ ذَوْب سحرِ

وذهبنا وفي دمانا حنينٌ
جائع ينخر الضُّلوعَ ويَفْري

وطغى حولَنا من السفحِ موجٌ
من ضجيجٍ كأنّهُ هولُ حَشْرِ

فإذا قريةٌ تديرُ ضِراباً
وتريشُ السّهامَ حيناً وتبري

فاقتربنا نستكشفُ الأمرَ لكن
أيُّ كشفٍ نحسُّهُ أيّ أمرِ

أعينٌ تقذف اللّظى ونفوسٌ
مثخناتٌ تَنسَلُّ منْ كلّ صدرِ

وجسومٌ حُمرٌ تنوشُ جسوماً
في ثيابٍ من الجراحاتِ حُمرِ

وتهزُّ الخناجرَ الحمرَ أيدِ
ترتمي كالنّسورِ في كلّ نحرِ

وانطفتْ حومَةُ الوغى فاندفعْنا
في سُرانا نلفُّ ذُعراً بذعرِ

ورَحَلْنا والليلُ في قبضةِ الأفـ
قِ كتابٌ يروي أساطيرَ دهرِ

وشددنا جراحَنا وانطلقنا
وكأنّا نشقُّ تيّارَ بَحْرِ

* * *

هوَّم الطّيفُ حولَنا فالتَفتْنا
نحوَهُ كالتفاتِ سَفْرٍ لسفْرِ

وسمعنا همساً من الأمسِ يَرْوي
قصَّةَ الفاتحينَ منْ أهلِ (بدرِ)

فنصتْنا للطّيفِ إنصاتَ صبٍّ
لمحبٍّ يقصُّ قصَّةَ هَجْرِ

وسرى في السكونِ صوتٌ ينادي:
يا رفاقَ السّرى وأحبابَ عمري

يا رفاقي تثاءبَ الشرقُ وانسلّتْ
عذارى الصباحِ منْ كلِّ خدرِ

والعصافيرُ تنفضُ الريشَ في الوكرِ
وتنفي النُّعاسَ منْ كلِّ وكرِ

وكأنَّ الشعاعَ أيدٍ من الوردِ
المندّى تهزُّ أهدابَ زهرِ

وكأنَّ الغصونَ أيدي الندّامى
وشفاهَ الزهورِ أكوابُ خمرِ

ومــضَــى سَــيْــرُنــا وقــافــلــةُ الــفَــجْــ
ـرِ تــصــبُّ الــهــدى عــلــى كــلِّ شــبــرِ

فــإذا دربُــنــا ريــاضٌ تُــغَــنّــي
فــي الــسّــنــا والــهــوى زجــاجــاتُ عــطــرِ

نــحــن فــي جــدولٍ مــن الــنّــور يــجــري
وخُــطــانــا تــدري إلــى أيــنَ تــجــري

❁ ❁ ❁

عيد الجلوس

3 جمادى الآخرة 1378هـ وجهت هذه القصيدة إلى الطاغية أحمد في عيد جلوسه

هـــذا الــصــبــاحُ الــرَّاقــصُ الــمــتــأوّدُ
فــتــنٌ مُــهَــفْــهَــفَــةٌ وســحــرٌ أغــيــدُ

ومــبــاهــجٌ مــا إنْ يــروقُــكَ مــشــهــدٌ
مــنْ حــسْــنِــه حــتــى يــشــوقَــكَ مــشــهــدُ

الــفــجــرُ يــصــبــو فــي الــسُّــفــوحِ وفــي الــرُّبــا
والــرَّوضُ يــرتــشــفُ الــنّــدى ويــغــرّدُ

والــزَّهــرُ يــحــتــضــنُ الــشــعــاعَ كــأنّــهُ
أمٌّ تــقــبِّــلُ طــفــلــهــا وتــهَــدْهِــدُ

فــي مــهــرجــانِ الــنّــورِ لاحَ عــلــى الــمــلا
عــيــدٌ يــبــلــورهُ الــسّــنــا ويــورّدُ

فــهــنــا الــمــفــاتــنُ والــمــبــاهــجُ تــلــتــقــي
زُمَــراً تــكــادُ مــن الــجــمــالِ تــزغــردُ

* * *

عــيــدَ الــجــلــوس أعــزْ بــلادَكَ مــســمــعــاً
تــســألْــك أيــن هــنــاؤهــا؟ هــلْ يــوجــدُ؟

تــمــضــي وتــأتــي والــبــلادُ وأهــلُــهــا
فــي نــاظــريْــكَ كــمــا عــهــدتَ وتــعــهــدُ

يا عيدُ حدِّثْ شعبكَ الظامي متى
يروَى؟ وهلْ يَروى؟ وأينَ المورِدُ؟

حدِّثْ ففي فمكَ الضحوكِ بشارةٌ
وطنيّةٌ، وعلى جبينكَ موعِدُ

فيمَ السُّكوتُ ونصفُ شعبك هاهُنا
يشقى، ونصفٌ في الشعوب مشرَّدُ؟

يا عيدُ، هذا الشعبُ ذلَّ نبوغُهُ
وطوى نوابغَهُ السّكونُ الأسودُ

ضاعتْ رجالُ الفكرِ فيه كأنها
حُلُمٌ يبعثرهُ الدّجى ويبدِّدُ

***

للشعبِ يومٌ تستثيرُ جراحُهُ
فيه ويقذف بالرقود المرقدُ

ولقدْ تراهُ في السّكينةِ، إنما
خلفَ السكينةِ غضبةٌ وتمرُّدُ

تحتَ الرّمادِ شرارةٌ مَشبوبَةٌ
ومِنَ الشرارةِ شعلةٌ وتوقُّدُ

لا، لمْ ينمْ ثأرُ الجنوبِ وجرحُهُ
كالنّارِ يُبرقُ في القلوبِ ويُرعدُ

لا، لمْ ينمْ شعبٌ يحرّقُ صدْرَهُ
جُرحٌ على لهبِ العذابِ مسهَّدُ

شعبٌ يريدُ ولا ينالُ كأنّهُ
ممّا يكابدُ في الجحيمِ مقيّدُ

* * *

أهلاً بعاصفةِ الحوادثِ، إنها
في الحيّ أنفاسُ الحياةِ تُردَّدُ

لو هزَّتِ الأحداثُ صخراً جلمداً
لدَوى وأرعد باللهيبِ الجلمدُ

بينَ الجنوبِ وبينَ سارقِ أرضِهِ
يومٌ تؤرّخُهُ الدّما وتخلّدُ

الشعب أقوى من مدافع ظالم
وأشدُّ من بأس الحديد وأجلدُ

والحقُّ يثني الجيشَ وهو عرمرمٌ
ويفلُّ حدَّ السيفِ وهو مهنَّدُ

لا أمهلَ الموتُ الجبانَ ولا نجا
منهُ، وعاشَ الثائرُ المستشهدُ

يا ويحَ شِرْذمةِ المظالمِ عندما
تُطوى ستائرُها ويفضحُها الغدُ

وغداً سيدري المجدُ أنّا أمّةٌ
يمنيّةٌ شمّا، وشعبٌ أمجدُ

وستعرفُ الدّنيا وتعرفُ أنّه
شعب على سحق الطّغاة معوَّدُ

فـلـيُـكـبـتِ الـمـسـتـعـمـرونَ بـغـيـظِـهـم
ولْـيـخـجـلـوا، ولْـيـخـسـأِ الـمـسـتـعـبِـدُ

* * *

عـيـدَ الـجـلـوسِ وهـل نـصـتٌّ لـشـاعـرٍ
هـنّـاكَ وهـو عـن الـمـسـرَّةِ مُـبْـعَـدُ؟

فـاقْـبَـلْ رعـاكَ الـلّـهُ تـهـنـئـتـي وإنْ
صـرخَ الـنـشـيـدُ وضـجَّ فـيـهِ الـمُـنـشِـدُ

واعْـذُرْ إذا صـبـغَ الـتـنـهُّـدُ نـغـمـتـي
بـالـجـرحِ فـالـمـصـدورُ قـدْ يـتـنـهّـدُ

◉◉◉

رحـلـة النجـوم

شعبان سنة 1382هـ

أيــنَ عــشّــي وجــدولــي وجِــنــانــي؟
أيــنَ جــوّي؟ وأيــنَ بَــرُّ أمــانــي؟

أيــنَ مــنّــي بــقــيّــةٌ مــنْ جــنــاحــي؟
فــرّ مــنّــي الــجــوابُ، ضــاعَ لــســانــي!

غــيــرَ أنــي أســائــلُ الــصَّــمــتَ عــنّــي
وانــكــســارُ الــجــوابِ يــدمــي جــنــانــي

هــل أنــا مِــنْ هــنــا؟ وهــلْ لــي مــكــانٌ؟
أنــا مِــنْ لا هــنــا ومــنْ لا مــكــانِ!

كــمْ إلــى كــمْ أمــشــي، ودربــي ظــنــونٌ
ومــداهُ قــاصٍ عــنْ الــوهــمِ دانِ؟

وســأبــقــى أســيــرُ فــي غــيــر دربٍ
مــن تــرابٍ، دربــي ظــنــونُ الأمــانــي

وأعــانــي مُــرَّ الــسّــؤالِ، ويــتــلــو
هُ ســؤالٌ أمــرُّ مــمــا أُعــانــي

هــلْ هــنــا مــوطــنــي؟ وأصــغــي: وهــلْ
لــي مــوطــنٌ غــيــرُهُ عــلــى الأرضِ ثــانــي؟

* * *

وطــنــي رحــلــةُ الــنّــجــومِ فــأهــلــي
وأحــبّــائــيَ الــنــجــومُ الــرّوانــي

وديــاري تــيــهُ الــخــيــالِ وزادي
ذكــريــاتــي والأغــنــيــاتُ دِنــانــي

فــلْــيــخــنّــي الــزّمــانُ والــشّــعــبُ إنّــي
شــعــبُ شــعــبــي، أنــا زمــانُ الــزّمــانِ

يــتــلاقــى الــزّمــانُ والــشــعــبُ فــي روحــي
شــجــيّــيْــنِ يــعْــزِفــانِ كــيــانــي

مــنْ أنــا؟ شــاعــرٌ، حــريــقٌ يــغــنّــي
وغــنــائــي دمــي.. دخــانُ دخــانــي

فــحــيــاتــي ســرُّ الــحــيــاةِ وشــدوي
لــحــنُ ألــحــانِــهــا، مــعــانــي الــمــعــانــي

وضــيــاعــي ســيــاحــةُ الــعِــطــر فــي الــريــ
ـحِ، وتــيــهــي مــزارعٌ مــنْ أغــانــي

❁ ❁ ❁

زحف العروبة

1958م

لـبَّـيْـكَ . . وازدحـمـتْ عـلـى الأبـوابِ
صـبـواتُ أعـيـادٍ وعـرسُ تـصـابـي

لـبّـيـكَ يـا ابـنَ الـعُـرْبِ أبـدَع دربُـنـا
فـتـنَ الـجـمـالِ الـمـسـكـرِ الـخـلّابِ

فـتـبـرَّجـتْ فـيـهِ الـمـبـاهـجُ مـثـلـمـا
تـتـبـرَّجُ الـغـاداتُ لـلـعُـزَّابِ

واخـضـرَّتِ الأشـواقُ فـيـهِ والـمـنـى
كـالـزّهـرِ حـولَ الـجـدولِ الـمـنـسـابِ

ومـضـى بـهِ زحـفُ الـعـروبـةِ والـدُّنـا
تـرنـو، وتـهـتـفُ عـادَ فـجـرُ شـبـابـي

إنّـا زرعـنـاهُ مُـنـىً وجـمـاجـمـاً
فـنـمـا وأخـصـبَ أجـودَ الإخـصـابِ

ويـحـدِّقُ الـتـاريـخُ فـيـهِ كـأنّـهُ
يـتـلـو الـبـطـولـةَ مـنْ سـطـورِ كـتـابِ

* * *

عـادَ الـتـقـاءُ الـعُـربِ فـاهـتـفْ يـا أخـي
لـلـفـجـرِ، وارقـصْ حـولَ شـدوِ ربـابـي

واشربْ كؤوسَكَ واسقني نخبَ اللّقا
واسكبْ بقايا الدَّنِّ في أكوابي

هٰذي الهتافاتُ السكارى والمنى
حولي تناديني إلى الأنخابِ

خلفي وقدّامي هتافُ مواكبٍ
وهوى يزغردُ في شفاهِ كعابِ

والزّهرُ يهمسُ في الرّياضِ كأنّهُ
أشعارُ حبٌ في أرقّ عتابِ

والجوُّ منْ حولي يرنِّحهُ الصّدى
فيَهيمُ كالمسحورةِ المطرابِ

والريحُ ألحانٌ تهازجُ سيرَنا
والشهبُ أكوابٌ من الأطيابِ

إنّا توحّدنا هوىً ومصائراً
وتلاقتِ الأحباب بالأحبابِ

أترى ديارَ العُرْبِ كيفَ تضافرتْ
فكأنَّ (صنعا) في (دمشقَ) روابي

وكأنَّ (مصرَ) و(سوريا) في (مأربٍ)
علمٌ وفي (صنعا) أعزُّ قبابِ

لاقى الشقيقُ شقيقهُ، فاسألْهما:
كيفَ التلاقي بعدَ طولِ غيابِ؟

* * *

اليومَ ألقى في (دمشقَ) بني أبي
وأبثُّ أهلي في الكنانةِ ما بي

وأبثُّ أجدادي بني غسّانَ في
ربوات (جِلَّقَ) محنتي وعذابي

وأهيمُ والأنسامُ تنشرُ ذكرَهم
حولي فتنضحُ بالعطورِ ثيابي

وأهزُّ في تُربِ (المعرَّةِ) شاعراً
مثلي، توحَّدَ خطبُه ومصابي

وأعودُ أسألُ (جِلَّقاً) عن عهدِها
بـ(أميَّةٍ) وبفتحِها الغلاّبِ

صُوَرٌ من الماضي تُهامسُ خاطري
كتهامسِ العشّاقِ بالأهدابِ

* * *

دَعْني أغرِّدْ فالعروبة روضتي
ورحابُ موطنِها الكبيرِ رحابي

فـ(دمشقُ) بُستاني و(مصرُ) جداولي
وشعابُ (مكَّةَ) مسرحي وشعابي

وسماءُ (لبنانٍ) سماي وموردي
(بَردى) و(دجلةُ) و(الفراتُ) شرابي

وديارُ (عمّانٍ) دياري.. أهلُها
أهلي وأصحابُ (العراقِ) صحابي

بـلْ إخـوتـي ودمُ (الـرشـيـدِ) يـفـورُ فـي
أعـصـابِـهـم ويـضـجُّ فـي أعـصـابـي

* * *

شـعـبُ (الـعـراقِ) وإنْ أطـالَ سـكـوتَـه
فـسـكـوتُـهُ الإنـذارُ لـلإرهـابِ

سَـلْ عـنـه، سـلْ عـبـدَ الإلـه وفـيـصـلاً
يـبـلـغْـك صـرعُـهـمـا أتـمَّ جـوابِ

لـنْ يـخـفـضَ الـهـامـاتِ لـلـطـاغـي ولـمْ
تـخـضـعْ رؤوسُ الـقـومِ لـلأذنـابِ

وطـنُ الـعـروبـةِ مـوطـنـي أعـيـادُه
عـيـدي، وشـكـوى إخـوتـي أوصـابـي

فـاتـركْ جـنـاحـي حـيـثُ يـهـوى يـحـتـضـنْ
جـوَّ الـعـروبـةِ جـيـئـتـي وذهـابـي

يـا ابْـنَ الـعـروبـةِ شُـدَّ فـي كـفـي يـداً
نـنـفـضْ غـبـارَ الـذلِّ والأتـعـابِ

فـهـنـا.. هـنـا الـيـمـنُ الـخـصـيـبُ مـقـابـرٌ
ودمٌ مـبـاحٌ واحـتـشـادُ ذئـابِ

ذكِّـرْهُ بـالـمـاضـي عـسـى يـبـنـي عـلـى
أضـوائِـهِ مـجـداً أعـزَّ جـنـابِ

ذكِّـرْهُ بـالـتـاريـخِ واذكـرْ أنّـهُ
شـعـبُ الـحـضـارةِ مـشـرقُ الأحـسـابِ

صَنَعَ الحضارةَ والعوالمُ نُوَّمٌ
والدهرُ طفلٌ في مهودِ ترابِ

ومشى على قممِ الدُّهورِ إلى العلا
وبنى الصروحَ على ربا الأحقابِ

وهدى السبيلَ إلى الحضارةِ والدُّنا
في التيهِ لم تَحْلُمْ بلمحِ شِهابِ

فمتى يفيقُ على الشروقِ ويومُه
يبدو ويخفى كالشعاعِ الخابي

* * *

يا شعبُ مزِّقْ كلَّ طاغٍ وانتزعْ
عنْ سارقيكَ مهابةَ الأربابِ

واحذرْ رجالاً كالوحوشِ كسوْتَهم
خِلَعاً من (الأجواخِ) والألقابِ

خنقوا البلادَ وجورُهم وعتوُّهُم
كلُّ الصوابِ وفصلُ كلِّ خطابِ!

لمْ يحسبوا للشعبِ لكنْ عندَهُ
للعابثينَ بهِ أشدُّ حسابِ

صمتُ الشعوبِ على الطغاةِ وعنفِهِمْ
صمتُ الصواعقِ في بطونِ سحابِ

فاحذرْ رجالاً كالوحوشِ همومُهم
سلبُ الحمى والفخرُ بالأسلابِ

شهدوا تقدُّمَكَ السريعَ فأسرعوا
يتراجعونَ بهِ على الأعقابِ

لمْ يُحسنوا صدقاً ولا كذباً سوى
حيلِ الغبيِّ وخدعةِ المتغابي

***

قلْ للإمامِ وإنْ تحفَّزَ سيفُهُ:
أعوانُكَ الأخيارُ شرُّ ذئابِ

يومونَ عندكَ بالسّجودِ وعندنا
يومونَ بالأظفارِ والأنيابِ

هُمْ في كراسِيْهم قياصرةٌ وهمْ
عندَ الأميرِ عجائزُ المحرابِ

يتملَّقونَ ويبلغونَ إلى العلا
بخِداعِهم وبأخبثِ الأسبابِ

منْ كلِّ معسولِ النفاقِ كأنَّهُ
حَسْنا تتاجرُ في الهوى وتُرابي

وغداً سيحترقونَ في وهجِ السّنا
وكأنّهم كانوا خداعَ سرابِ

وتفيقُ (صنعاءُ) الجديد على الهدى
والوحدةُ الكبرى على الأبوابِ

❁❁❁

حديث نهدين

كم كانت تسمع حديث نهديها حين يتشاكيان بالخفوق.. أحبت مَن هجرها فاحترقت بعذابين، وكلما انثال سكون المساء على مخدعها حرك شجونها وساءلت نفسها:

كيفَ أنساهُ هلْ تَناسيهِ يُجدي؟
وهو والذكرياتُ والشوقُ عندي

وهو أدنى من الأماني إلى القلبِ
وبيني وبينهُ ألفُ بُعْدِ

واشتهاءُ العناقِ يحلمُ في جيـ
ـدي بأنفاسهِ فيمرحُ عِقدي

عندما يهبطُ الظلامُ أراهُ
ماثلاً في تصوُّراتي وسُهدي

آه إنّي إخالُ زنديْهِ في قدّي
تشدَّانني، فيختالُ قدّي

فكأنّي أضمُّهُ في فراشي
وهو يجني فمي ويقطفُ خدّي

ثمَّ أصغي إلى الفراشِ فلا أسـ
ـمعُ إلاَّ حديثَ نهدٍ لنهدِ

حلُمٌ كاليقينِ يدنيهِ منّي
وخيالٌ يخفيهِ عنّي ويُبدي

فـــأرى طـــيـــفَـــهُ أوانـــاً حـــنـــونـــاً
وأوانـــاً فـــي مـــقـــلـــتـــيْـــهِ تـــعـــدِّي

لـــيـــتَ أنـــي أراهُ فـــي صـــحـــوةِ الـــصُّـــبْـــح
فـــمـــاً ضـــارعـــاً يـــغـــنّـــي بـــحـــمـــدي

كـــلّـــمـــا ذابَ فـــي الـــخـــشـــوعِ تـــأبّـــيْـــتُ
وردّيـــــتُ رغـــــبـــــتـــــي شـــــرَّ ردٍّ

وتـــحـــدَّيـــتُ نـــاظـــريْـــهِ بـــإعـــراضـــي
وأشـــعـــلـــتُ حـــبَّـــهُ بـــالـــتّـــحـــدّي

وتـــجـــاهـــلـــتُـــهُ وقـــلـــبـــي يـــنـــاديـــهِ
وجـــســـمـــي يـــكـــادُ يـــحـــرقُ بُـــرْدي

ثُـــمَّ يـــجـــتـــرُّنـــي ويـــجـــذبُ جـــســـمـــي
حِـــضْـــنُـــهُ جـــذبَ قـــاهـــرٍ مـــســـتـــبـــدٌ

وهـــنـــا، أحـــتـــويـــهِ بـــيـــنَ ذراعـــيَّ
وأطـــويـــهِ بـــيـــنَ لـــحـــمـــي وجـــلـــدي

لـــيـــتَ لـــي مـــا رجـــوتُ أو لـــيـــتـــنـــي أمْـــ
ـحـــوهُ مـــنـــي، مـــنْ ذكـــريـــاتـــي ووجـــدي

لـــيـــتـــنـــي يـــا جـــهـــنّـــمَ الـــهـــجـــرِ أدري
مَـــنْ هـــواهُ ومـــنْ تـــبـــدَّل بـــعـــدي؟

لـــيـــتَـــهُ فـــي الـــشـــجـــونِ مـــثـــلـــيَ مـــهـــجـــورٌ
فـــيـــشـــتـــاقُـــنـــي ويـــذكـــرُ عـــهـــدي

ويـعـانـي الـجـوى، ويـشـقـى كـمـا أشْـ
ـقـى، بـأطـيـافِـهِ وذكـراهُ وحـدي

* * *

هـكـذا تـرجـمـتْ مُـنـاهـا ولـلّـيْـ
ـلِ عـبُـوسٌ، كـأنّـهُ مَـوجُ حـقـدِ

والـظـلامُ الـظـلامُ فـي كـلّ مـرأى
قَـدَرٌ جـاثـمٌ يُـخـيـف وَيُـرْدي

صـامـتٌ والـعـتـوُّ فـي مـقـلـتـيْـهِ
ظـامـئٌ كـالـسّـلاحِ فـي كـفِّ وغـدِ

والـخـيـالاتُ مـوكـبٌ مـنْ حـيـارى
تـائـهٌ يـهـتـدي وحـيـرانُ يـهـدي

وحـنـيـن الـصَّـبـاحِ فـي خـاطـر الأنْـ
ـسـامِ كـالـعـطـر فـي بـراعـمِ وردِ

○○○

هكذا أمضي

رجب سنة 1378هـ

سهدتُ وأصباني جميلُ سهادي
فأهرقتُ في النسيانِ كأسَ رقادي

وسامَرتُ في جفنِ السُّهادِ سرائراً
لطافاً كذكرى من عهودِ ودادِ

ونادمتُ وحيَ الفنِّ أحسو رحيقَهُ
وأحسو؛ وقلبي في الجوانحِ صادي

إذا رمتُ نوماً قلْقَلَ الشوقُ مرقدي
وهزَّتْ بناتُ الذكرياتِ وسادي

وهازَجَني منْ أعينِ الليلِ هاتفٌ
من السحرِ في عينيه موجُ سوادِ

لهُ شوقُ مهجورٍ، وفتنةُ هاجرٍ
وأسرارُ حيٍّ في سكونِ جمادِ

لهُ تارةً طبعُ البخيلِ، وتارةً
له خُلُقُ مطواعٍ وطبعُ جوادِ

تدورُ عليهِ الشهبُ وسْنى كأنّها
بقيَّةُ جمرٍ في غضونِ رمادِ

* * *

لكَ اللّهُ يا ابْنَ الشعرِ كمْ تعصرُ الدُّجى
أغاريدَ عرسٍ أو نحيبَ حدادِ

تنوحُ على الأوتارِ حيناً وتارةً
تغنّي وحيناً تشتكي وتنادي

كأنّكَ في ظلِّ السكينةِ جدولٌ
يغنّي لوادٍ أوْ ينوحُ لوادي

هو الشعرُ لي في الشعرِ دنياً حدودها
وراءَ التمنّي خلفَ كلِّ بعادِ

ألا فلتضقْ عني البلادُ فلمْ يضقْ
طموحي وإنْ ضاقتْ رحابُ بلادي

ولا ضاقَ صدري بالهموم لأنها
بَناتُ فؤادٍ فيه ألفُ فؤادِ

ولا قهرتْ نفسي الخطوبُ وكمْ غدتْ
تراوِحُني أهوالُها وتُغَادي

* * *

قطعتُ طريقَ المجدِ والصَّبرُ وحدَهُ
رفيقي، ومائي في الطريقِ وزادي

وما زلتُ أمشي الدربَ والدربُ كلُّه
مساربُ حيّاتٍ وكَيدُ أعادي

ولي في ضميري ألفُ دنياً من المنى
وفجرٌ من الذكرى وروضةُ شادي

ولي منْ لهيبِ الشوقِ في حيْرة السُّرى
دليلٌ إلى الشأوِ البعيدِ وحادي
هو الصَّبرُ زادي في المسيرِ لغايتي
وإنْ عدتُ عنها فهو زادُ معادي
ولا، لمْ أعذ عنْ غايتي، لمْ أعذ ولمْ
يُكفكفْ عنادُ العاصفاتِ عنادي
فَجُوري عليَّ يا حياةُ أوِ ارْفُقي
فلنْ أنثني عنْ وجهتي ومُرادي
فإنَّ الرَّزايا نضجُ روحي وإنّها
غذاءٌ لتاريخي ووَرْيُ زنادي
سأمضي ولو لاقيتُ في كلِّ خطوةٍ
حسامَ (يزيدٍ) أو وعيدَ (زيادِ)
ألا هكذا أمضي وأمضي ومسلكي
رؤوسُ شياطينٍ وشوكُ قتادِ
ولو أخَّرَتْ رجلي خطاها قطعتُها
وألقيتُ في كفِّ الرياحِ قيادي
فلا مهجتي منّي إذا راعَها الشقا
ولا الرأسُ منّي إنْ حنَتْه عوادي
ولا الروحُ مني إنْ تباكت وإنْ شكا
فؤادي أساهُ فهو ليسَ فؤادي
هو العمرُ ميدانُ الصراعِ وهلْ ترى
فتى شقَّ ميداناً بغيرِ جهادِ؟

حين يصحو الشعب

جمادى الآخرة 1379هـ

قيلت هذه القصيدة قبل الثورة بثلاث سنوات

اعــذرِ الــظــلــمَ وحــمِّــلْــنــا الــمــلامــا
نــحــنُ أرضــعــنــاهُ فــي الــمــهــدِ احــتــرامــا

نــحــنُ دلَّــلــنــاهُ طــفــلاً فــي الــصِّــبــا
وحــمــلــنــاهُ إلــى الــعــرشِ غُــلامــا

وبــنــيْــنــا بــدمــانــا عــرشَــهُ
فــانــثــنــى يــهــدمُــنــا حــيــنَ تــســامــى

وغــرسْــنــا عــمــرَهُ فــي دمِــنــا
فــجــنــيــنــاهُ سُــجُــونــاً وحِــمــامــا

* * *

لا تَــلُــم قــادتــنــا إن ظــلــمــوا
ولُــمِ الــشــعــبَ الــذي أعــطــى الــزِّمــامــا

كــيــفَ يــرعــى الــغَــنــمَ الــذئــبُ الــذي
يــنــهــشُ الــلــحــمَ ويــمــتــصُّ الــعــظــامــا؟

قــد يــخــافُ الــذئــبُ لــو لــمْ يــلــقَ مِــنْ
نــابِــهِ كــلَّ قــطــيــعٍ يــتــحــامــى

ويــعــفُّ الــظــالــمُ الــجــلاّدُ لــو
لــمْ تــقــلِّــدْهُ ضــحــايــاهُ الــحُــســامــا

لا تَـلُـمْ دولـتَـنـا إنْ أشـبـعـتْ
شـرهَ الـمـخـمـورِ مـنْ جـوعِ الـيـتـامـى

نـحـنَ نَـسْـقـيـهـا دمـانـا خـمـرةً
ونـغـنّـيـهـا فـتـزداد أُوَامـا

ونـهـنّـي مـسـتـبـدّاً، زادُهُ
جـثـثُ الـقـتـلـى وأكـبـادُ الأيـامـى

كـيـفَ تـصـحـو دولـةٌ خـمـرتُـهـا
مـنْ دمـاءِ الـشـعـبِ والـشـعـبُ الـنـدامـى؟

* * *

آه مـنّـا آه! مـا أجـهـلَـنـا!
بـعـضُـنـا يَـعْـمَـى وبـعـضٌ يـتـعـامـى

نـأكـلُ الـجـوعَ ونـسـتـسـقـي الـظـمـا
ونـنـادي: (يـحـفـظُ الـلّـهُ الإمـامـا)

سـلْ ضـحـايـا الـظـلـمِ تُـخْـبِـرْ أنّـنـا
وطـنٌ هَـدْهَـدَهُ الـجـهـلُ فـنـامـا

دولـةُ (الأجـواخِ) لا تـحـنـو ولا
تـعـرفُ الـعـدلَ ولا تـرعـى الـذّمـامـا

تـأكـلُ الـشـعـبَ ولا يـسـري إلـى
مُـقـلـتـيْـهـا طـيـفُـه الـعـانـي لِـمـامـا

وهـو يـسـقـيـهـا ويَـظـمـا حـولـهـا
ويـغـذّيـهـا ولـمْ يـمـلـكْ طـعـامـا

تشربُ الدَّمعَ فيُظميها فهل
ترتوي؟ كلاَّ؛ ولمْ تشبعْ أثاما

عقلُها حولَ يديْها فاتحٌ
فمَهُ يلتقمُ الشعبَ التقاما

* * *

يا زفيرَ الشعبِ، حرِّق دولةً
تحتسي منْ جرحكَ القاني مُداما

لا تقلْ: قد سَئِمَتْ إجرامَها
منْ رأى الحيّاتِ قد صارتْ حَماما؟

أنتَ بانيها فجرِّبْ هدمَها
هدمُ ما شيدتَهُ أدنى مَراما

لا تقلْ: فيها قوى الموتِ وقلْ:
ضعفُنا صوَّرها موتاً زؤاما

سوف تدري دولةُ الظلمِ غداً
حينَ يصحو الشعبُ منْ أقوى انتقاما؟

سوفَ تدري لمنِ النّصرُ إذا
أيقظَ البعثُ العفاريتَ النياما

إنَّ خلفَ اللّيلِ فَجراً نائماً
وغداً يصحو فيجتاحُ الظَّلاما

وغداً تخضرُّ أرضي، وترى
في مكانِ الشوكِ ورداً وخُزامى

❁❁❁

لا تقل لي

28/ 11/ 1382هـ ـ 22/ 4/ 1963م

لا تــقــلْ لــي: سَــبَــقْــتــنــى ولــمــاذا
لا أوالـــي وراءكَ الانــــطـــلاقـــا؟

لــمْ أســابــقْــكَ فــي مــجــالِ الــتــدنّــي
والــتــلــوِّي. . فــكــيــفَ أرضــى الــلــحــاقــا؟

أنــا إنْ لــمْ يــكــنْ قــريــنــي كــريــمــاً
فــي مــجــالِ الــسّــبــاقِ عــفــتُ الــسّــبــاقــا

لا تــقــلْ: ضــاعَ فــي الــوحــولِ رفــاقــي
وأضــاعــوا الــضــمــيــرَ والأخــلاقــا

لــمْ أضــيِّــعْ أنــا ضــمــيــري وخُــلْــقــي
وكــفــانــي أنّــي خــســرتُ الــرّفــاقــا

لا تــقــلْ: كــنــتَ صــاحــبــي فــأذْنُ مــنّــي
لــســتُ أشــري ولا أبــيــعُ نــفــاقــا

لا تــقــلْ لــي: أيــنَ الــتــقــيــنــا؟ ولا أيــنَ
افــتــرقْــنــا، فــنــحــنُ لــمْ نــتــلاقَــى؟

قــدْ نــســيــتُ الــلــقــاءَ يــومــاً وإنّــي
لــســتُ أدري مــتــى نــســيــتُ الــفــراقــا!

لا تَــذَوَّقْ صــراحــتــي فــهــي مــرٌّ
إنــمــا مــنْ تــذوَّقَ الــمــرَّ ذاقــا

الطريق الهادر

قالها الشاعر بمناسبة مظاهرة الشباب اليمني التي جرت آخر شهر صفر سنة 1382هـ

هُتافٌ هتافٌ وماجَ الصَّدى
وأرغى هنا وهنا أزبدا

وزحفٌ مَريدٌ يقود السَّنا
ويهدي العمالقةَ المُرَّدا

تلاقتْ مواكبُهُ موكباً
يمدُّ إلى كلِّ نجمٍ يدا

عمائمُهُ منْ لهيبِ البروق
وأعينُهُ منْ بريقِ الفِدا

أفاقَ فناغتْ صبايا مناهُ
على كلِّ أفقٍ صِباً أغيدا

وهبَّ ودوَّى فضجَّ السكونُ
ورجَّعتِ الريحُ ما ردَّدا

وغنّى على خطوهِ شارعٌ
ودربٌ على خطوهِ زَغْرَدا

ومنعطَفٌ لحَّنتْ صمتَهُ
خطاهُ ومنعَطَفٌ غرَّدا

مضى منشداً وضلوعُ الطريقِ
صنوجٌ توقِّعُ ما أنشدا

وأقبلَ يسترجعُ المعجزاتِ
ويستنهضُ الميْتَ والمُقْعَدا

ويبدو مداهُ فيمضي العنيدُ
يحاولُ أن يسْبِقَ الأغْنَدا

فتطغى مشاهِدُهُ كالحريقِ
ويقتحمُ المشهدُ المشهَدا

ويرمي هنا وهناك الدُّخانَ
ويوحي إلى الجوِّ أن يرعُدا

* * *

هو الشَّعبُ طافَ بإنذارِهِ
على مَنْ تحدَّاهُ واستَعْبَدا

وشقَّ لُحوداً تعبُّ الفسادَ
وتنجرُّ تبتلعُ المُفسدا

وأومأ بحبَّاتِ أحشائه
إلى فجرِهِ الخصب أنْ يُولدا

أشارَ بأكبادِهِ فالْتَقَتْ
حشوداً مداها وراءَ المدى

وزحفاً يُجنِّحُ دربَ الصَّباحِ
ويستنفرُ التربَ والجَلْمَدا

ويـنـتـزعُ الـشّـعـبَ مـن ذابـحـيـهِ
ويُـعـطـي الـخـلـودَ الـحـمـى الأخْـلـدا

ويـهـتـفُ: يـا شـعـبُ شـيِّـدْ عـلـى
جـمـاجـمـنـا مـجـدَك الأمـجـدا

وعِـشْ مـوسِـمـاً أبـديَّ الـجـنـى
وعَـشْـجِـدْ بـإبـداعِـكَ الـسَّـرمـدا

وكـحّـلْ جـفـونَـكَ بـالـنـيّـراتِ
وصـغْ مـنْ سـنـا فـجـرِكَ الـمِـزْودا

لـكَ الـحـكـمُ أنـتَ الـمـفـدَّى الـعـزيـزُ
عـلـيـنـا ونـحـنُ ضـحـايـا الـفـدا

* * *

ودوَّى الـهـتـافُ: (اسـقـطـوا يـا ذئـابُ
ويـا رايـةَ الـغـابِ ضـيـعـي سُـدى)

وكـرَّ شـبـابُ الـحـمـى فـالـطـريـقُ
ربـيـعٌ تـهـادى وفـجـرٌ بـدا

ومـرَّ يـضـيءُ الـحِـمـى كـالـشـمـوعِ
يـضـيءُ تـوهُّـجـهـا مَـعْـبَـدا

ويُـزجـي عـذارى بـطـولاتِـهِ
فـيـتَّـشـحُ الـجـرحَ والـسـؤددا

ويَـغـشـى عـلـى الـظـلـمِ أبـراجَـهُ
فـيُـزري بـهِ وبـمـا شـيّـدا

ويكسرُ في كفّ طاغي الحمى
حُساماً بأكبادِهِ مغمدا

وتندى خطاه دماً فائراً
يذيبُ دماً كادَ أنْ يجمدا

ويُلقي على كلِّ دربٍ فتًى
دعتْهُ المروءاتُ فاستشهدا

ويُدني إلى الموتِ حكماً يخوضُ
من العارِ مستنقعاً أسودا

ويجترُّ أذيال (جنكيزِ خان)
ويقتاتُ أحلامَهُ الشُّرَّدا

ويحدو ركابَ الظلامِ الأثيمِ
فيبتلعُ الصَّمتُ رجعَ الحُدا

ويحسو النّجيعَ ولا يرتوي
فيطغى، ويستعذبُ الموردا

رأى الشعبَ صيداً فأنحى عليهِ
وراضَ مخالبَهُ واعتدى

فهلْ ترتجيهِ؟ ومنْ يرتجي
من الوحشِ إصلاحَ ما أفسدا؟

وهلْ تجتدي ملِكاً شَرُّه
سخيُّ اليدين عميمُ الجدا؟

وحكماً عجوزاً حناهُ المشيبُ
وما زالَ طغيانُهُ أمردا

تربَّى على الوحلِ مِنْ بدئهِ
وشاخَ على الوحْلِ حيثُ ابتدا

فماذا يرى اليومَ؟ جيلاً يمورُ
ويهتفُ: لا عاشَ حكمُ العِدا

* * *

زحفْنا إلى النصرِ زحفَ اللهيب
وعَرْبَدَ إصرارُنا عربدا

ودُسْنا إليهِ عيونَ الخطوبِ
وأهدابُها كشفارِ المُدَى

طلغْنا على مَوَجاتِ الظلامِ
كأعمدة الفجر نهدي الهدى

ونرمي الضحايا ونسقي الحقولَ
دماً يبعثُ الموسمَ الأزْغَدا

لنا موعدٌ مِنْ وراءِ الجراحِ
وها نحنُ نستنجزُ الموعدا

وهلْ يُورقُ النصرُ إلاّ إذا
سقى دمُنا روضَهُ الأجردا

أَفَقْنَا فشبَّتْ جراحاتُنا
سعيراً على الذلِّ لنْ يَخْمُدا

رفــغــنــا الــرؤوسَ كــأنَّ الــنــجــومَ
تــخــرُّ لأهــدابِــنــا سُــجَّــدا

وســرْنــا نــشــقُّ جــفــونَ الــصــبــاح
ونــنــضــحُ فــي مــقــلــتــيْــهِ الــنّــدى

فــضــجَّ الــذئــابُ: مَــنِ الــطــافــرونَ؟
وكــيــفَ؟ ومــنْ أيــقــظَ الــهُــجّــدا؟

وكــيــفَ اســتــثــارَ عــلــيــنــا الــقــطــيــعُ؟
ومــنْ ذا هــداهُ؟ وكــيــفَ اهــتــدى؟

هُــنــا مَــوْكــبٌ أبــرقــتْ ســحــبُــهُ
عــلــيــنــا وحــشــدٌ هُــنــا أرعــدا

وهــزَّ الــقــصــورَ فــمــادتْ بــنــا
وأشــعــلَ مــنْ تــحــتِــنــا الــمــرقــدا

وكــادتْ جــوانــحُــنــا الــواجــفــاتُ
مــن الــذّعــرِ أنْ تــلــفــظَ الأكــبُــدا

* * *

فــمــاذا رأتْ دولــةُ الــمــخــجــلاتِ؟
قــوًى أنــذرتْ عــهــدَهــا الأنــكــدا

بــمــنْ تــحــتــمــي؟ واحــتــمــتْ بــالــرَّصــاص
وعــســكــرتِ الــلَّــهَــبَ الــمــوقــدا

ولــحّــنــتِ الــغــدرَ أنــشــودةً
مــن الــنّــارِ تــحــتــقــرُ الــمــنــشــدا

ونـــادتْ بـنـــادقَـــهـــا فـــي الـــجـــمـــوعِ
فـــأخـــزى الـــمـــنـــادي جـــوابُ الـنِّـــدا

وهـــلْ يـــنـــفـــدُ الـــشّـــعـــبَ إنْ مـــزَّقـتْـــه
قـــوى الـــشـــرِّ؟ هـــيـــهـــات أنْ يـــنـــفـــدا

فـــردَّتْ بـــنـــادقُـــهـــا: والـــخـــســـيـــسُ
إذا مـــلـــك الـــقـــوَّة اســـتـــأســـدا

وجـــبـــنُ الـــقُـــوى أنْ تُـــعـــدَّ الـــقُـــوى
لـــتـــســـتـــهـــدفَ الأعـــزلَ الـــمُـــجْـــهـــدا

وأردى الـــســـلاحِ لأردى الأنـــامِ
وأجـــوَدُه يـــنـــصـــرُ الأجـــودا

ويـــومُ الـــبـــطـــولاتِ يـــبـــلـــو الـــســـلاحَ
إذا كـــانَ وغـــداً حـــمـــى الأوغـــدا

فـــأيُّ ســـلاحِ حـــمـــى دولـــةً
تـــغـــطِّـــي الـــمـــخـــازي بـــأخـــزى رِدا؟

وتـــأتـــي بـــمـــا لـــيـــسَ تـــدري الـــشـــرورُ
ولا ظـــنَّ (إبـــلـــيـــسُ) أنْ يُـــعـــهَـــدا

لـــمـــنْ وُجِـــدَتْ؟ مـــنْ أشـــذِّ الـــشـــذوذِ
ومـــنْ أغـــبـــنِ الـــغـــبـــنِ أنْ تـــوجـــدا

بَـنَـتْ مـنْ دمِ الـشـعـبِ عـرشـاً خـضـيـبـاً
ورضَّـــتْ جـــمـــاجـــمَـــهُ مـــقـــعـــدا

وأطفتْ شباباً أضاءتْ مُناهُ
فأدمى السّنا حكمُها الأرمدا
وسلْ: كيفَ مدَّتْ حلوقَ الردى
إليهِ فأعيا حلوقَ الرَّدى؟
وكمْ فرشتْ دربَه بالحرابِ
فراحَ على دمه، واغتدى
وروَّى الترابَ المفدَّى دَماً
مضيئاً يصوغُ الحصى عسجدا
وعادَ إلى السِّجنِ يذكي النّجومَ
على ليلِهِ فرقداً فرقدا
ويرنو فينظرُ خضرَ الرؤى
كما ينظرُ الأعزبُ الخُرَّدا
فتختالُ في صدرِهِ موجةٌ
من الفجرِ تهوى المدى الأبعدا
ويهمسُ في صمتِهِ موعِدٌ
إلى الشعبِ لا بدَّ أنْ تسعدا
سينصبُّ فجرٌ ويشدو ربيعٌ
ويخضوضرُ الجدبُ أنّى شدا
فهذي الروابي وتلكَ السّهولُ
حَبالى وتستعجلُ المولدا

● ● ●

حوار جارين

من وحي الصراع السُّلالي بين الهاشمية والقحطانية الذي شجع عليه الإمام أحمد

خطراتٌ وأمنياتٌ عذارى
جنَّحتْ وهمَهُ فرقّ وطارا

وسرى في متاهةِ الصَّمتِ يشدو
مرَّةً للسُّرى ويصغي مِرارا

ويناجي الصَّدى ويومي إلى الطيفِ
ويستنطقُ الرُّبا والقفارا

وتعايا كطائرٍ ضيَّعَ الوكرَ،
وأدمى الجناحَ والمنقارا

ليس يدري أينَ المصيرُ ولكنْ
ساقَهُ وهمُهُ الجموحُ فسارا

وهنا ضجَّ: (يا منى أينَ نمضي؟
وإلى أيِّ غايةٍ نتبارى؟

والطريقُ الطويلُ أشباحُ موتٍ
عابساتُ الوجوهِ يطلبنَ ثارا

موحشٌ يخضِنُ الفراغَ على الصمتِ
كما تَخْضِنُ الرياحُ الغبارا

تأكلُ الشمسُ ظلَّها في مواميهِ
كما يأكلُ الغروبُ النهارا)

* * *

أينَ يا ليلتي إلى أينَ أسْري؟
والمنايا تهيِّئ الأظفارا

والدّجى هاهُنا كتاريخِ سجّانٍ
وكالحقدِ في قلوبِ الأسارى

يتهادى كهودَجٍ من خطايا
حارَ هاديهِ في القفارِ وحارا

ويهزُّ الرؤى كما هدهدَ السُّكّـ
ـيرُ سكِّيرةً تُعاني الخُمارا[1]

والرّؤى تذكرُ الصباحَ المندّى
مثلما يذكرُ الغريبُ الدّيارا

وهي ترنو إلى النجومِ كما تر
نو البغايا إلى عيونِ السّكارى

والأعاصيرُ تركبُ القممَ الحيْرى
كما يركبُ الجبانُ الفرارا

* * *

إيهِ، يا ليلتي وما أكبرَ الأخْـ
ـطارَ قالتْ: لا تحتسبْها كبارا!

---

(1) الرُؤى: أحلام المنام وهي جمع رؤيا. وقد تستعمل لأحلام اليقظة ويخطئ من يعتبرها رؤية البصر.

قـالَ مـنْ فـي الـوجـودِ أقـوى مـن الأخْــ
ـطـارِ؟ قـالـتْ: مـنْ يـركـبُ الأخـطـارا

* * *

وتـهـادى يـرجـو الـمـفـازَ وتـغـشـى
دربَـه غـمـرةٌ فـيـخـشـى الـعـثـارا

قـلـقٌ بـعـضُـهُ يـحـاذرُ بـعـضـاً
ويـداهُ تـخـشـى الـيـمـينُ الـيـسـارا

حـائـرٌ كـالـظـنـونِ فـي زحـمـةِ الـشـكِّ
وكـالـلّـيـلِ فـي عـيـونِ الـحـيـارى

ولـوى جـيـدَهُ فـأومـا إلـيـهِ
قـبـسٌ شـعَّ لـحـظـةً وتـوارى

فـرأى فـي بـقـيَّـةِ الـنـورِ شـخـصـاً
كـانَ يـعـتـادُهُ صـديـقـاً وجـارا

قـدمـاهُ بـيـنَ الـتـعـثُّـرِ والـوحـلِ
ودعـواه تـقـطـفُ الأقـمـارا

فـتـدانـى مـنْ جـارهِ، ورآه
مـثـلـمـا يـنـظـرُ الـفـقـيـرُ الـنُّـضـارا

ودعـاهُ إلـى الـمـسـيـرِ فـألـوى
رأسَـهُ وانـحـنـى يـطـيـلُ الإزارا

وثـنـى عـطـفَـهُ وضـجَّ وأرغـى
وتـعـالـى ضـجـيـجُـهُ وأشـارا

فـانـحـنـى جـارُهُ وقـالَ: أجـبْـنـي
هـلْ تـرى صـحـبـتـي شـنـاراً وعـارا؟

أنـتَ مـثـلـي مـعـذَّبٌ فـكـلانـا
صـورةٌ لـلـهـوانِ تـخـزي الإطـارا

فـاطَّـرِحْ بَـهْـرجَ الـخـداعِ ومـزِّقْ
عـنْ مـحـيّـاكَ وجـهَـكَ الـمـسـتـعـارا

كـلُّـنـا فـي الـضـيـاعِ والـتِّـيـهِ فـانـهـضْ
ويـدي فـي يـديـكَ نـرفـعْ مـنـارا

قـال: أيـنَ الـهـوانُ؟ فـاذكـرْ أبـانـا
إنّـهُ كـانَ فـارسـاً لا يُـجـارى

إنّـنـا لـمْ نَـهُـنْ وأجـدادُنـا الـفـر
سـانُ كـانـوا مـلءَ الـزَّمـان فـخـارا

إنّـنـا لـمْ نـهُـنْ أمـا كـانَ جـدّانـا
الـحـسـيـبـانِ (حِـمْـيـراً) و(نـزارا)

* * *

فـانـتـخـى جـارُهُ وقـالَ: ومـا الأجْـ
ـدادُ؟ سـلْ عـنـهُـمُ الـبِـلـى والـدمـارا

فَـخْـرُنـا بـالـجـدودِ فـخـرُ رمـادِ
راحَ يـعـتـزُّ أنّـهُ كـانَ نـارا

قـد يـسـرُّ الـجـدودَ مـنـكَ ومـنّـي
أنْ يـرونـا فـي جـبـهـةِ الـمـجـدِ غـارا

وهـــنـــا أصـــغـــيـــا إلـــى أنّـــةِ الأو
راقِ والـــرّيـــحُ تـــعـــصـــفُ الأشـــجـــارا

فـــإذا بـــالـــشـــروقِ يـــنـــخـــرُ فـــي الـــلّـــيـــلِ
كـــمـــا يـــنـــخـــرُ الـــلّـــهـــيـــبُ الـــجـــدارا

وتـــمـــادى الـــحـــوارُ فـــي الـــعـــنـــفِ حـــتـــى
أســـكـــتـــتْ ضـــجّـــةُ الـــصَّـــبـــاحِ الـــحـــوارا

وتـــراءى الـــصَّـــبـــاحُ يـــحـــتـــضـــنُ الـــسّـــحـــرَ
كـــمـــا تـــحـــتـــضـــنُ الـــكـــؤوسُ الـــعُـــقـــارا

وبـــنـــاتُ الـــشـــذا تـــحـــيّـــي شـــروقـــاً
شـــاعـــريـــاً يـــعـــنـــقـــدُ الأفـــكـــارا

والـــصَّـــبـــا تـــرعـــشُ الـــزهـــورَ فـــتـــومـــي
كـــالـــمـــنـــاديـــل فـــي أكـــفّ الـــعـــذارى

❂ ❂ ❂

سلوى

16 شعبان 1382هـ

سـلـوى ويـهـمـسُ فـي نـدائـي أمـلٌ كـأغـنـيـةِ الـضـيـاءِ
سـلـوى ويـرتـدُّ الـصَّـدى بـجـوابـهـا: يـا لانـتـشـائـي
أيُّ الـمـنـى تـخـضـرُّ فـي جـدبـي وتـزهـرُ بـالـهـنـاءِ
وتـعـيـدُ (تـمُّـوزاً) وتـغـ ـزلُ مـنْ أشـعَّـتِـهِ ردائـي
مـنْ ذا إزائـي؟ هـلْ هـنـا سـلـوى؟ فـ(نَـيْـسـانٌ) إزائـي
يـشـدو أمـامـي بـالـشَّـذا ويـزنـبـقُ الـذكـرى ورائـي
سـلـوى، وأصـغـي، واسـمُـهـا بـفـمـي ربـيـعٌ مـنْ غِـنـاءِ
وشـذا صـداهـا فـي هـواي مـواسـمٌ بـيـضُ الـعـطـاءِ
وأعـودُ أصـغـي والـصَّـدى يـدنـو ويـوغـلُ فـي الـتـنـائـي

* * *

فـأفـيـقُ أبـنـي فـي مَـهَـبِّ الـرّيـحِ عُـشًّـا مـنْ هـبـاءِ
وعـواصـفُ الـمـأسـاةِ تُـطْـ ـفـئـنـي فـيـحـتـرقُ انـطـفـائـي
وأنـا أغـنّـيـهِ لأنَّ تـحـرُّقـي عـطـرُ الـبـقـاءِ
والـصـمـتُ حـولـي كـالـضـغـا ئـنِ فـي عـيـونِ الأدنـيـاءِ
والـسُّـهـدُ أفـكـارٌ مُـعَـلَّـ ـقـةٌ بـأهـدابِ الـفـضـاءِ
والـلّـيـلُ بـحـرٌ مـن دخـا نٍ شـاطـئـاهُ مـن الـدّمـاءِ
جـوعـانُ يـبـتـلـعُ الـرُّؤى ويـمـجُّ دمـعَ الأشـقـيـاءِ
يـهْـذي كـمـا يـروي الـمُـشـعـ ـوذُ مـعـجـزاتِ الأنـبـيـاءِ

ويــعـــبُّ خــمــراً مــنْ دمِ الــذكـرى جـحـيـمـيّ الإنـاءِ
وأنـــا هـــنـــاك روايـــةٌ لـلـحزنِ تـبـحـثُ عـنْ (روائـي)
أبـكـي عـلـى سـلـوى أنـا جـيـهـا أغـنـيـهـا بـكـائـي
وأعـيـدُ فـيـهـا مـأتـمـي أو أبـتـدي فـيـهـا عـزائـي
وحـدي أنـاديـهـا، وعـفـواً نـلـتـقـي فـي لا لـقـاءِ
تـبـدو وتـغـربُ فـجـأةً كـالـحـلـمِ يـدنـو وهـوَ نـائـي
أو تنثني جذلى كفجرِ الصَّيفِ فـي صـحـوِ الـهـواءِ
وتَـسـيـلُ فـي وهـمـي رحـيـقـاً مـنْ عـنـاقـيـدِ الـسّـمـاءِ
وهـنـاكَ أبـتـدئ الـرحـيـقَ فـيـنـتـهـي قـبـلَ ابـتـدائـي
فـأعـودُ أحـتـضـنُ الـشّـقـاءَ لأنّـنـي أمُّ الـشّـقـاءِ
ومـواكـبُ الأشـبـاحِ فـي جـوّي كـحـيّـاتِ الـعَـراءِ
كـتـثـاؤبِ الأحـزانِ فـي مُـقَـلِ الـيـتـامـى الأبـريـاءِ
والـظّـلـمـةُ الـخـرسـاءُ تُـفـنـي قـريـتـي قـبـلَ الـفـنـاء
وتـشـدُّ أعـيـنَـهـا وتـو صـيـهـا بـصـبـرِ الأغـبـيـاءِ
فـيـتـاجـرُ الـحـرمـانُ فـيـهـا بـالـصَّـلاةِ وبـالـدُّعـاءِ
بـالـحـوْقـلاتِ، وبـالأنـيـنِ وحـشـرجـاتِ الـكـبـريـاءِ
ويـبـيـعُ أخـلاقَ الـرجـالِ ويـشـتـري عـرضَ الـنّـسـاءِ

* * *

وأنـا كـأهـلـي، مـيِّـتٌ أحـيـا كـأهـلـي بـادّعـائـي
وأعـيـشُ فـي أوهـامِ سـلـوى والأسـى زادي ومـائـي
أشـدو لـتـعـذيـبـي كـمـا تـشـدو الـبـلابـلُ لـلـشّـتـاءِ

والـمـوعـدُ الـمـسـلـولُ يَبـسـمُ كـابـتـسـامـاتِ الـمُـرائـي
ويـعـيـدُ لـحـنـاً نـائـحـاً كـسُـعـال أمِّـي فـي الـمـسـاءِ
فـتـلـمُّ بـي أطـيـافُ سـلـوى كـالـصَّـبـيّـاتِ الـوِضـاءِ
وتـرفُّ حـولـي مـوسـمـاً أسـخـى وأوسـعَ مـنْ رجـائـي

●●●

أنا وأنتَ

يا ابنَ أمّي أنا وأنتَ سواءٌ
وكلانا غباوةٌ وفُسُولَةْ

أنتَ مثلي مغفَّلٌ نتلقّى
كلَّ أكذوبةٍ بكلِّ سهولَةْ

ونسمّي بُخْلَ الرجالِ اقتصاداً
والبراءاتِ غفلةً وطفولَةْ

ونسمّي شراسَةَ الوحشِ طغيا
ناً ووحشيةَ الأناسِ بطولَةْ

ونقولُ: الجبانُ في الشَرِّ أنثى
ووفيرُ الشرورِ وافي الرجولةْ

ونرى أصلَ (عامبرٍ) تربةَ الأرْ
ضِ و(سعداً) نرى النجومَ أصولَهْ

فننادي هذا هجينٌ وهذا
فرقديُّ الجدودِ سامي الخؤولَةْ

نزعمُ الانتقامَ حزماً وعزماً
وشَروبَ النجيعِ حرَّ الفحولَةْ[1]

* * *

(1) شَروب: شارب مكثر.

يا ابنَ أمي شعورُنا لم يزلْ طفلاً
وها نحنُ في خريفِ الكهولَة

كمْ شغلْنا سوقَ النفاقِ فبعْنا
واشترينا بضاعةً مرذولَة

لا تلُمني ولمْ ألمْكَ.. لماذا؟
يحسنُ الجهلُ في البلادِ الجهولَة

⊛⊛⊛

وحدة الشاعر

10 رمضان سنة 1380هـ

حُـلُـمُ الآتـي وذكـرى الـغـابـرِ
مـسْـرَحُ الـشـعـرِ ودنـيـا الـشـاعـرِ

ذكـريـاتُ الأمـسِ تُـغـريـهِ كـمـا
يـفـتـنُ الـمـهـجـورَ طـيـفُ الـهـاجِـرِ

والـغـدُ الـمـأمـولُ فـي أشـواقِـهِ
صـورةٌ مـنْ كـلِّ حُـسْـنٍ بـاهـرِ

صـورةٌ كـالـوعـدِ مـنْ أحـلـى فـم
كـابـتـسـامـاتِ الـلّـقـاءِ الـعـاطـرِ

وكـعـيْـنَـيْ طِـفْـلـةٍ تـرنـو إلـى
مُـقـلـتـيْ طِـفـلٍ كـسـولِ الـنـاظـرِ

* * *

عـالَـمُ الـشّـاعـر ذكـرى ومُـنًـى
وحـنـيـنٌ كـالـجـحـيـمِ الـهـادرِ

يـقـطِـفُ الأحـلامَ والـذكـرى كـمـا
يـقـطِـفُ الـعـنـقـودَ كـفُّ الـعـاصـرِ

أيُّ ذكـرٍ؟ أيُّ شـوقٍ عـادنـي
فـإذا قـلـبـي جـنـاحـا طـائـرِ

وإذا الدنيا بكفّي مِعزَفٌ
ساحرٌ في كفّ شادٍ ماهرِ
تارةً أشدو وأصغي تارةً
لرواياتِ الزمانِ السّاخرِ
فيقصُّ الدهرُ من دنيا أبي
ذِكَراً[1] تُخجِلُ وجهَ الذّاكرِ
وأنا أحملُ ذكراه، كما
يحمِلُ المظلومُ سوطَ الجائرِ
وأغنّي عِزَّ أجدادي الأُلى
فخروا بالعجزِ فخرَ القادرِ
ومَن الأجدادُ؟ ما شرْعَتُهم؟
شرعةُ الوحشِ الغبيِّ الكاسرِ
ومخازيهم تراثٌ خالدٌ
ورثوهُ كابراً عنْ كابرِ
كيفَ أنسى الأمسَ واليومُ ابنُه
والغدُ الآتي وليدُ الحاضرِ
وأنا ابنُ الشعرِ قلبي عالَمٌ
منْ حنينٍ وحنانٍ غامرِ
ترتمي الأدهارُ حولي مثلما
يرتمي موجُ العبابِ المَائرِ

(1) ذِكَر: جمع ذكريات.

والدّنا في عزلتي هائمةٌ
كهوى (ليلى) وطيفِ (العامري)

وحدتي صمتٌ يغني ورُؤىً
مِنْ عصا (موسى) وعجلِ (السامري)

منْ شذوذِ الطفلِ منْ زهو الفتى
منْ أسى الشيخِ الفقيرِ العاثرِ

منْ خيالاتِ الشياطينِ ومنْ
حكمةِ الرُّسْلِ ودجْلِ الساحرِ

منْ ضراعاتِ المساكينِ ومنْ
خُيَلاءِ المستبدِّ القاهرِ

منْ هوى التاجرِ في الرّبحِ ومنْ
شبحِ الإفلاسِ حوْلَ التاجرِ

منْ شكاوى عاشقٍ يمشي على
قلبهِ نحو حبيبٍ نافرِ

وحدتي وحيٌ ودنيا منْ هدىً
وضلالٍ ويقينٍ حائرِ

وحنانٍ وانتظارٍ خائفٍ
ورجاءٍ كابتسامِ الغادرِ

وهوىً يضحكُ للطيفِ كما
يضحكُ الروضُ لعينِ الزائرِ

وحدتي أرجوحةٌ منْ فِكَرٍ
دائراتٍ كالشروقِ الدّائرِ

وبـنـاتُ الـفـنِّ حـولـي زُمـرٌ
كـرَيـاحـيـنِ الـرَّبـيـعِ الـزاهـرِ

وأنـا كـالـرّاغـبِ الـمـحـرومِ فـي
مـوكـبِ الـغـيـدِ الـمـثـيـرِ الـسّـافـرِ

أشـتـهـي تـلـكَ فـتـدنـو أختُـهـا
مـنْ يـديَّ كـالأبـيِّ الـصَّـاغـرِ

حـلـوةٌ تـدنـو وتـخـفـى حـلْـوةٌ
كـالـسَّـنـا خـلـفَ الـظـلامِ الـعـاكـرِ

هـذهِ تـعـطـي ولا أسـألُـهـا
وأنـاجـي تـلـكَ نـجـوى الـخـاسـرِ

ولـعـوبٌ أجـتـدي نـفـحَـتـهـا
وهـي تـأبـى وتـمـنّـي خـاطـري

وعـدُهـا يـبـعـثُ ذكـرى (حـاتـمٍ)
ووفـاهـا صـورةٌ مـنْ (مـادِرٍ)

كـمْ تـنـاديـنـي فـتـغـري لـوعـتـي
وتـولّـي كـالـحـبـيـبِ الـمـاكـرِ

والـدُّجـى مـقـبـرةٌ تـغـفـو عـلـى
حُـلـمِ الـنـعـشِ ونـوحِ الـقَـابـرِ

قـلِـقُ الـصَّـمـتِ كـرؤيـا مـومِـسٍ
هـجـعـتْ بـيـن ذراعَـيْ فـاجـرِ

كـأمـانـي ظـالـمٍ يـرنـو إلـى
مـقـلـتَـيْـهِ شـبـحٌ مـنْ ثـائـرِ

خـائـفٌ يـسـري وفـي أعـطـافِـهِ
صَـلَـفُ الـطـاغـي وتـيـهُ الـكـافـرِ

وتـضـيـعُ الـشُّـهـبُ فـي مـوكـبِـهِ
كـخـيـالاتِ الـمـريـضِ الـسَّـاهـرِ

ودخـانُ الـحـقـدِ فـي أهـدابِـهِ
كـالـخـطـايـا فـوقَ عِـرضٍ عـاهـرِ

يـخـطـرُ الـشـيـطـانُ فـيـهِ وعـلـى
شـفـتـيْـهِ قَـهْـقَـهـاتُ الـظـافـرِ

وخـفـوقُ الـصَّـمـت يُـنـبـي أنَّ فـي
سـرّهِ ضـوضـاءَ زحـفِ طـافـرِ

والـرّؤى تـشـتـفُّ مِـنْ خـلـفِ الـرُّبـا
مـطـلـعَ الـيـومِ الـهـتـوفِ الـزاخـرِ

وتـبـثُّ الـغـيـبَ شـكـوى تـوبـةٍ
تـتـشـهَّـى بـسـمـةً مـنْ غـافـرِ

وأنـا وحـدي أنـاغـي هـاتـفـاً
مـنْ فـمِ الـوحـي الـشـذيِّ الـطـاهـرِ

وهـدوءُ الـكـوخِ يـسـتـفـسـرُنـي:
هـلْ أغـنّـي لـلـفَـراغِ الـسّـادرِ؟

قـلـتُ إنّـي شـاعـرٌ، فـي وحـدتـي
ألـفُ دنـيـا مـنْ طـيـوفِ الـشـاعـرِ

❂❂❂

لقيتها

شعبان 1379هـ

أيــنَ اخــتــفــتْ فــي أيِّ أفْــقٍ ســامــي؟
أيــنَ اخــتــفــتْ عــنّــي وعــنْ تَــهْــيــامــي؟

عــبــثــاً أنــاديــهــا وهــلْ ضــيَّــعــتُــهــا
فــي الــلَّــيــلِ أمْ فــي زحــمــةِ الأيّــامِ؟

أمْ فــي رحــابِ الــجــوّ ضــاعــتْ؟ لا: فــكــمْ
بَــثَّــيْــتُ أنــســامَ الأصــيــلِ غــرامــي

ووقــفــتُ أســألــهُ وقــلــبــي فــي يــدي
يــرنــو إلــى شــفــقِ الــغــروبِ الــدامــي

وأجــابــنــي صــمــتُ الأصــيــلِ، وكــلَّــمــا
أقــنــعــتُ وجْــدي زادَ حــرُّ ضــرامــي

وإذا ذكــرتُ لــقــاءَهــا ورحــيــقــهــا
لاقــيــتُ فــي الــذكــرى خــيــالَ الــجــامِ

وظــمــئــتُ حــتــى كــدتُ أجــرعُ غــلّــتــي
وأضــجُّ فــي الآلامِ: أيــنَ حِــمــامــي

وغــرقــتُ فــي الأوهــامِ أنــشــدُ ســلــوةً
ونــســجــتُ فــردوســاً مــن الأوهــامِ

* * *

وأفقتُ من وهمي أهيمُ وراءَها
عبثاً وأحلُمُ أنّها قُدَّامي

وأظنُّها خلفي فأرجعُ خطوةً
خلفي؛ فتنشُرُها الظُّنونُ أمامي

وأكادُ ألمسُها فيبعُد ظلُّها
عنّي، وتدني ظلَّها أحلامي

وأعودُ أُنصتُ للسكينةِ والرُّبا
وحكايةِ الأشجارِ والأنسامِ

وأُحسُّها في كلِّ شيءٍ صائتٍ
وأحسُّها في كلِّ حيّ نامي

في رقّةِ الأزهارِ في همسِ الشَّذا
في تمتماتِ الجدولِ المترامي

* * *

فتّشتُ عنها الليلَ وهو متيَّمٌ
الكأسُ في شفتيْهِ وهو الظامي

والغيمُ يخطُرُ كالجنائزِ والدُّجى
فوقَ الرّبا كمشانقِ الإعدامِ

وسألت عنها الصمت وهو قصيدة
منثورةٌ تومي إلى النَّظَامِ

ووقفتُ والأشواقُ تُرهفُ مسمَعاً
بينَ الظّنونِ كمِسمعِ النمَّامِ

والنجمُ كأسٌ عسجديٌّ، ملؤهُ
خمرٌ تحنُّ إلى فمِ (الخيّامِ)
وهمستُ: أينَ كؤوسُ إلهامي وفي
شفتيَّ أكوابٌ من الإلهامِ
والريحُ تخبطُ في السهولِ كأنَّها
حيرى تلوذُ بهدأةِ الآكامِ
وكأنَّ موكبَها قطيعٌ ضائعٌ
بينَ الذئابِ يصيحُ: أينَ الحامي؟
وتلاحقتْ قطعُ الظلامِ كأنَّها
في الجوِّ قافلةٌ من الإجرامِ
وتلفَّتَ السّاري إلى الساري كما
يتلفّتُ الأعمى إلى المُتَعامي
وأنا أهيمُ وراءَها يجتاحُني
شوقٌ وتَقْتادُ الظُّنونُ زمامي
وسألتُ ما حولي وفتشتُ الرُّؤى
وغمستُ في جيبِ الظلامِ هُيامي
فتّشتُ عنها لمْ أجدْها في الدُّنا
ورجعتُ والحمَّى تلوكُ عِظامي
وأهجتُ آلامي وحبّي فالتظتْ
ولقيتُها في الحبِّ والآلامِ
وتهيأتْ لي في التلاقي مثلما
تتهيأ الحسناءُ للرَّسّامِ

وتبرَّجتْ لي كالطفولةِ غضَّةً
كفم الصَّباح المترف البسّامِ
وجميلةً فوقَ الجمالِ ووصفِهِ
وعظيمةً أسمى من الإعظامِ
تسمو كأجنحةِ الشّعاعِ كأنَّها
في الأفقِ أرواحٌ بلا أجسامِ

* * *

لا، لا تقلْ لي: سمِّها فجمالُها
فوقَ الكنايةِ فوقَ كلِّ أسامي
إنّي أعيشُ لها وفيها إنّها
حبّي وسرُّ بدايتي وختامي
وأُحبُّها روحاً نقيّاً كالسّنا
وأحبُّها جِسْماً من الآثامِ
وأحبُّها نوراً وحَيْرةَ مُلْحِدٍ
وأحبُّها صحواً وكأسَ مُدامِ
وأريدُها غضبى وإنسانيَّةً
وشذوذَ طفلٍ واتِّزانَ عِصامي
دَعْني أغرِّدْ باسمِها ما دامَ في
قَدَحي ثمالاتٌ من الأنغامِ
فتّشتُ عنها وهي أدنى منْ مُنى
قلبي، ومنْ شوقي وحرِّ أُوامي
ولقيتُها يا شوقُ.. أينَ لقيتُها؟
عندي هنا في الحبِّ والآلامِ

جريح

هو ثائر من أبطال الجنوب، أهاب به داعي الكفاح إلى المعركة، فهب إليها كالعاصف. وهناك صارع النار المجنحة فعز عنه النصير، ونفد العتاد وانصب عليه الرصاص، فعاد ملفعاً بالجراح، يئن في الفراش، وينادي الموت.. والموت عزيز المرام على من يريده

لا تـســـلْ عــنْ أنــيــنِــهِ وسُــهــادِهْ
إنَّ فـــي جـــرحِــهِ جـــراحَ بـــلادِهْ

إنَّ فـــي جــرحِــهِ جــراحــاتِ شــعــبٍ
راكــدِ الـــحــسِّ حــيُّــه كــجــمــادِه

ثـــائــرٌ يـــحــمــلُ الـــبــلادَ قـــلــوبــاً
فـــي حــشــاهُ وشــعــلــةً فـــي اعــتــقــادِهْ

وهـــبَ الـــشــعــبَ قـــلــبَــه ودِمــاهُ
وأحـــاســيــسَــهُ وصـــفـــوَ وِدَادِهْ

فـــهـــو أصـــواتُـــهُ إذا ضــجَّ فـــي الـــنّــا
سِ ونــجــوى ضــمــيــرهِ فـــي انــفــرادِهْ

إنَّـــه ثـــائـــرٌ يـــريـــدُ ويَـــســمـــو
فـــوقَ طـــاقـــاتِـــهِ سُـــمـــوَّ مـــرادِهْ

أوقـــدَ الـــحــقــدَ فـــي حــنــايــاهُ ثــاراً
عـــاصـــفـــاً يـــســتــفــزُّ نـــارَ زِنـــادِهْ

* * *

فمضى والعنادُ في مُقْلَتَيْهِ
صارخٌ، والجحيمُ في أحقادِهْ

وتلقّى الرَّصاصَ منْ كلِّ فجٍّ
وهو ما زالَ في جنونِ عِنادِهْ

كلّما أومأَ الفرارُ إليهِ
أمْسَكتْ قبضةُ الوغى بقيادِهْ

وتحدَّى الحتوفَ حتى تلظّتْ
حولهُ وانتهتْ بقايا عَتادِهْ

* * *

عادَ كالسيّفِ حاملاً منْ دماهُ
شَفقاً يُخبرُ الدُّنا عنْ جِلادِهْ

والجراحُ التي تراها عليهِ
كالعناوينِ في سجلِّ جهادِهْ

وارتمى في الفراشِ والثأرُ فيهِ
ساهرٌ يُنذرُ الوغى بمعادِهْ

لمْ ينمْ لحظَةً وإنْ نامَ هزَّتْ
ذكرياتُ الوغى سكونَ وِسادِهْ

وتلظَّتْ فيهِ الجراحُ فأوهتْ
جسمَهُ وانطفا حماسُ اعتدادِهْ

يسألُ الصّمتَ والمنى: كيفَ يشفي
كبرياء الجراحِ منْ جلاَّدِهْ

فـهـو بـيـنَ الـطـمـوحِ والـعـجـزِ والأشْـ
ـواق كـالـصَّـقـرِ فـي يـدَيْ صـيّـادِهْ

لا تَـلُـمْـهُ إذا شَـكَـا إنَّ شـكـواه
وأنّـاتِـهِ دُخـانُ اتِّـقـادِهْ

إنَّ أنـفـاسَـهُ غُـبـارٌ وجـمـرٌ
مِـنْ شـظـايـا فـؤادِهِ ورمـادِهْ

كـلّـمـا قـالَ آه أو صـعّـدَ الأنْـفَـا
سَ شـاهـدتَ قـطـعـةً مِـنْ فـؤادِهْ

وإذا صـاحَ جـوعُـهُ فـي الـحـنـايـا
فَـرُفـاتُ الـمُـنـى بـقـيَّـةُ زادِهْ

عـمـرُهُ الـمـدلـهـمُّ سـجـنٌ، ويُـنـكـي
جُـرحَـهُ أنَّ عُـمـرَهُ فـي ازديـادِهْ

فـهـو يـشـقـى فـي يـقـظـةِ الـعـيـنِ بـالـشَّـعْـ
ـبِ ويـشـقـى بـحـلـمِـهِ فـي رقـادِهْ

مـلَّ طـولَ الـحـيـاةِ لا نـالَ مـنـهـا
مـا يُـرجِّـي ولا دنـا مِـنْ حـصـادِهْ

والـشـقـيُّ الـشـقـيُّ مَـنْ مـلَّ طـولَ الـ
ـعُـمْـرِ والـعـمـرُ لـمْ يـزلْ فـي امـتـدادِهْ

❁❁❁

بين ليل وفجر

1378هـ

فـي هـجـعـةِ الـلـيـلِ الـمـخـيـفِ الـشـاتـي
والـجـوُّ يـحـلـمُ بـالـصَّـبـاح الآتـي

والـريـحُ كـالـمـحـمـومِ تـهـذي والـدجـى
فـي الأفـقِ أشْـبـاحٌ مـن الإنْـصـاتِ

والـشُّـهـبُ أحـلامٌ مـعـلَّـقـة عـلـى
أهـدابِ تـمـثـالٍ مـن الـظـلـمـاتِ

والـطـيـفُ يـخـبـطُ في الـسـكـيـنـةِ مثـلـمـا
تـتـخـبّـطُ الأوهـامُ فـي الـشُّـبـهـاتِ

والـظُّـلـمـةُ الـخـرسـا تَـلَـعْـثَـمُ بـالـرّؤى
كـتـلـعـثـمِ الـمـخـنـوقِ بـالـكـلـمـاتِ

* * *

فـي ذلـكَ الـلـيـلِ الـمـخـيـفِ مـضـى فـتـىً
قـلـقُ الـثـيـابِ مـروَّعُ الـخـطـواتِ

يـمـشـي ويـنـظـرُ خـلـفَـهُ وأمـامَـهُ
نـظـرَ الـجـبـانِ إلـى الـمـغـيـرِ الـعـاتـي

ويـرى الـحـتـوفَ إذا تـلـفَّـتَ أو رنـا
ويُـحـسُّ أصـداءَ بـلا أصـواتِ

ويعودُ يسألُ نفسَهُ: ما خيفتي؟
ماذا أُحسُّ؟ وأين أين ثباتي؟

ماذا يُخوّفني أنا رجلُ السُّرى
وأنا رفيقُ اللّيلِ والفلواتِ

هلْ ليلتي غيرُ الليالي، أمْ أنا
غيري؟ أكادُ الآنَ أُنكرُ ذاتي

أينَ الصَّباحُ؟ وأينَ منّي قريتي؟
والرّعبُ قدّامي وفي لفتاتي

* * *

وهنا تراءتْ للمروَّعِ عُصبةٌ
كالذّعرِ شيطانيّةُ اللّمَحاتِ

شُعْثٌ كأهلِ الكهفِ إلاّ أنَّ في
نظراتِهم همجيّةَ الشهواتِ

وتقلّبتْ مُقلُ العصابةِ في الفتى
وكأنّها تشويهِ بالنّظراتِ

وتخيلتْ (كيسَ النقودِ) فأبرقتْ
رغباتُها في الأعينِ الشّرِهاتِ

وتمَلْمَلَتْ فيها الشراسةُ مثلما
يتململُ الزّلزالُ في الهضباتِ

والْتاعَ فيها الشرُّ فانهالتْ على
ذاكَ الفتى بالضربِ والطّعَناتِ

فاستلَّ خنجرَهُ وكسّرَ وحدَهُ
وحشيّةَ الوثباتِ بالوثباتِ

وتلفّتتْ تلكَ العصابةُ حولَها
فرأتْ بعينِ الوهمِ ظلَّ سُراةِ

وهناكَ لاذتْ بالفرارِ وأدبرتْ
ملعونةَ الرَّوحاتِ والغدواتِ

وغدتْ يصادمُ بعضُها بعضاً كما
تتصادمُ الآلاتُ بالآلاتِ

وجثا الفتى بينَ الجراحِ كمدنفٍ
يستنجدُ العُوّادَ بالزفراتِ

وتلكّأتْ عندَ التوجّعِ روحُهُ
بينَ المماتِ وبينَ نصفِ حياةِ

وامتدَّ في حضنِ الطريقِ وداؤهُ
حيٌّ وصفرتُهُ منَ الأمواتِ

وتداعتِ الأوجاعُ فيهِ والتظتْ
فيهِ الجراحُ الحمرُ كالجَمَراتِ

* * *

وإذا تهيَّأَ للنهوضِ تثاءبتْ
فيهِ الجراحُ تثاؤبَ الحيّاتِ

وعلى يمينِ الدّربِ كوخٌ تلتقي
في صدرِهِ النكباتُ بالنكباتِ

بــيــنَ الــقــصــورِ وبــيــنَــهُ مِــيــلٌ ومــا
أدنــى الــمــكــانَ وأبــعــدَ الــرحــمــاتِ!

يــشــكــو إلــى جــيــرانِــهِ فــيــصــمُّــهــم
عــنــهُ ضــجــيــجُ الــقــصــفِ والــلَّــذاتِ

كــوخٌ إذا خــطــرتْ بــهِ ريــحُ الــدُّجــى
أوْمَــا إلــى الــسّــكــانِ بــالــرَّعــشــاتِ

(ســنــواتُ يــوســفَ) عــمــرُهُ وجــدارُهُ
أبــداً تــنــوءُ بــأعــجــفِ الــسّــنــواتِ

فــيــهِ الــعــجُــوزُ وبــنــتُــهــا وغــلامُــهــا
يــتــذكّــرونَ مــواردَ الأقــواتِ

فــالــحــقــلُ جــدبٌ ظــامــئٌ وســمــاؤهُ
صــحــوٌ تــلــوحُ كــصــفــحــةِ الــمِــرآةِ[1]

والأغــنــيــاءُ، وهــلْ تــرقُّ قــلــوبُــهــم؟
لا، إنّــهــا أقــســى مــن الــصَّــخــراتِ

وتــغــلــغــلــوا فــي الــصَّــمــتِ فــانــتــبــهــوا عــلــى
شــبــحٍ يــنــادي الــصَّــمــتَ بــالأنّــاتِ

فــإذا فَــتــىً قــلــقُ الــمــلامــحِ يــخــتــفــي
تــحــت الــجــراحِ الــحــمــرِ والــخــفــقــاتِ

فــمــشــى ثــلاثــتُــهــم إلــيــهِ وانــثــنــوا
بــالــضَّــيــفِ بــيــن الــدَّمــعِ والآهــاتِ

---

(1) الحقول في بلد الشاعر تكره الصحو، لأن المطر سبب إخصابها.

وروى لهمْ خبرَ العصابةِ أنّها
سدَّتْ عليهِ الدّربَ بالهجماتِ

وتهيّجتْ فيهِ الجراحُ فصدَّها
وتسترتْ باللّيلِ كالحشراتِ

فدنتْ فتاةُ الكوخِ تمسحُ وجهَهُ
وتبلسمُ الأجراحَ بالدّعواتِ

وتبلُّ منْ دمهِ يديْها إنها
تشتمُّ فيهِ أعبقَ النفحاتِ

وترى بهِ ما ليسَ تدري هلْ ترى
سرَّ القضا، أم آيةَ الآياتِ؟

فإذا الجراحُ تنامُ فيهِ ويشتفي
ويردُّ عمراً كان وشْكَ فواتِ

وإزاؤهُ البنتُ الجميلةُ كلُّها
روحٌ سماويٌّ وطهرُ صلاةِ

يتجاوبُ الإغراءُ في كلماتِها
كتجاوبِ الأوتارِ بالنغماتِ

* * *

أغفى الجريحُ على السكونِ وأغمضتْ
أجفانَ منْ حوليهِ كفُّ سُباتِ

والكوخُ في خُرَقِ الأسى مُترقِّبٌ
بشرى ترِفُّ عليهِ كالزّهراتِ

واللّيلُ تمثالٌ سجينٌ يرتجي
فكَّ القيودِ على يدِ النّحّاتِ

فبدا احمرارٌ في الظَّلامِ كأنَّهُ
لعناتُ حِقدٍ في وجوهِ طغاةِ
وتسلَّلَ السَّحَرُ البليلُ على الرُّبا
كالحلمِ بينَ الصَّحوِ والغفواتِ
يَنْدى وينشرُ في البقاعِ أريجَهُ
ويرشُّ دربَ الفجرِ بالنّسَماتِ
وصبتْ على الجبلِ الشموخِ أشعةٌ
مسحورةٌ كطفولةِ القبلاتِ
فكأنَّما الجبلُ المعمَّمُ بالسّنا
مَلِكٌ يهزُّ الفجرَ كالرَّاياتِ
رفعَ الجبينَ إلى العلا فتقلَّبتْ
في رأسِهِ الأضواءُ كالموجاتِ
وتسلّقَ الأفقَ البعيدَ شموخُهُ
فترى عمامتَهُ من الهالاتِ
وتلألأتْ فوقَ السّفوحِ مباسمٌ
ورديّةُ الأنفاسِ والبسماتِ
وانصبَّ تيّارُ الشُّروقِ كأنَّهُ
شُعَلُ النبوّةِ في أكفُّ هُداةِ
وغزا الدروبَ فأجفلتْ قُطّاعُها
ووجوهُم تحمرُّ بالصفعاتِ
وتصايحتْ تلكَ العصابةُ ما أرى
هٰذي الجهاتُ المشرقاتُ عُداتي

أيـنَ الـمـفـرُّ؟ وأيـنَ أطـلـبُ مـهـربـاً؟
والـنّـورُ يـسـطـعُ مـنْ جـمـيـعِ جـهـاتـي

كـيـفَ الـفِـرارُ، ولـيـسَ لـي كـهـفٌ ولا
دربٌ؛ فـيـا لـي! يـا لـسـوءِ مـمـاتـي!

وأفـاقَ أهـلُ الـكـوخِ حـيـنَ ثـقـوبُـهُ
تـومـي إلـى الأبـصـارِ بـالـومـضـاتِ

فـدنـا ثـلاثـتُـهـم يـرونَ جـريـحَـهـم
فـإذا الـفـتـى فـي سـكـرةِ الـفـرحـاتِ

نـفـضَ الـنّـعـاسَ وشـدَّ فـيـهِ جـراحَـهُ
واسـتـقـبـلَ الـدّنـيـا بـعـزمِ أُبـاةِ

ورمـى إلـى كـفِّ الـغـلامِ وأمِّـه
بـعـضَ الـنـقـودِ ودَعـوةَ الـبـركـاتِ

وصـبـا إلـى كـفِّ الـفـتـاةِ وقـالَ: يـا
(نـجـوى) خُـذي نـخـبَ الـزّفـافِ وهـاتـي

وطـوى الـجـراحَ وهـبَّ يـقـتـادُ الـسّـنـا
ويـبـشِّـرُ الأكـواخَ بـالـخـيـراتِ

ويـقـودُ تـاريـخـاً ويُـنـبـتُ خَـطْـوهُ
فـجـراً يـنـيـرُ مـسـالـكَ الـقـاداتِ

* * *

فـضـحَ الـصَّـبـاحُ الـمـجـرمـيـن فـأصـبـحـوا
أخـبـارَ جُـرمٍ فـي فـمِ الـلَّـعَـنـاتِ

وتـعـالـتِ الأكـواخُ تـنـظـرُ أهـلَـهـا
يـضـعـونَ (غـارَ الـنـصـرِ) فـي الـهـامـاتِ

لـمسَ الـرَّبـيـعُ قـلـوبَـهـم وحـقـولَـهـم
فـاخـضـوْضَـرَتْ بـالـبـشـرِ والـثـمـراتِ

والـجـوُّ يـلـقـي الـنّـورَ في الـدنـيـا، كـمـا
تـلـقـي الـسُّـيـولَ مـنـاكـبُ الـرَّبـواتِ

والـزَّهـرُ فـي وهـنِ الـشـبـابِ مـفـتّـحٌ
فـوقَ الـغـصـونِ كـأعـيـنِ الـفـتـيـاتِ

والأفـقُ يـورقُ بـالأشـعـةِ والـنّـدى
والأرضُ تـمـرحُ فـي حُـلـيٍّ نـبـاتِ

* * *

وهـنـا انـتـهـى دورُ الـجـرائـمِ وابْـتـدا
دورٌ ورِيـفُ الـظـلِّ كـالـجـنّـاتِ

فـتـجـمّـعَ الإخـوانُ بـعـدَ تـفـرّقٍ
وانـضـمَّ شـمـلُ الأهـلِ بـعـدَ شـتـاتِ

صـرعـتْ أبـاطـيـلَ الـدّجـنّـةِ يـقـظـةٌ
أقـوى مـن الإرهـابِ والـقـوّاتِ

والـدَّجـلِ يـذهـبُ كـالـجُـفـاءِ ولـمْ تَـدُمْ
إلاّ الـحـقـيـقـةُ فـوقَ كـلِّ عُـتـاةِ

إنَّ الـحـيـاةَ مـآتـمٌ تُـفـضـي إلـى
عـرسٍ وأفـراحٌ إلـى حـسـراتِ

لـكـنَّـهـا بـخـريـفِـهـا وشـتـائِـهـا
وبـصـيـفِـهـا حِـكَـمٌ ودرسُ عـظـاتِ

فـاخـتـرْ لـسـيـرِ الـعـمـرِ أيّـةَ غـايـةٍ
إنَّ الـحـقـيـقـةَ غـايـةُ الـغـايـاتِ

خطرات

1380هـ

قالَ لي: هلْ تُحسُّ حولَيْكَ رعبا
وعَجاجاً كالنّارِ طارَ وهبّا؟

فكأنَّ النّجومَ شَهْقَاتُ جرحى
جمدتْ في محاجرِ الأفقِ تَغبى

قلتُ: إنَّ الطريقَ شبَّ عِراكاً
آدميّاً في أجيفِ الغَنْم شبّا

فكأنّي أشتمُّ في كلّ شبرٍ
ميتةً تستثيرُ كلباً وكلبا

أقوياءٌ تُفني الضّعافَ وتدعو
خِسّةَ الغالبينَ نصراً وكسبا

* * *

قال: إنّا نبكي الضَّعيفَ صريعاً
ونُهنّي القويَّ رغباً ورهبا

زعمَ المرء أنّه علّةُ الدنيا
فأشقى ما هبَّ فيها ودبّا

واستباحَ ابنَهُ وأردى أخاه
وتولّى تراثَ قتلاهُ غصبا

فكأنَّ الثّرى رفاتُ ضحايا
زوَّرتها السّنونُ طيناً وعشبا
قلت: لا توقظِ (المعرّي) فيلقى
(أمّ دفرٍ) أغوى خداعاً وأصبى
ويرانا أخسَّ من أن يثيرَ الـ
ـهَجْوُ أو نستحقَّ نقداً وسبّا
لا تُذكِّر (أبا العلا) إن جيل الـ
ـيومِ أضرى من جيلِ أمسِ وأغْبى

* * *

وهنا قال صاحبي: لا تعامى
فترى ألْمَعَ المحاسنِ ذنْبا
يا أخي، والهوى يُصمُّ ويُعمي
كيف ترضى الهوى دليلاً وركبا؟
فتأمّلْ تجدْ صراعاً كريماً
وصراعاً جمَّ النَّذالاتِ خِبّا[1]
وقتيلاً يغفو ويُشهِرُ ثاراً
وشهيداً يَندى سلاماً وحبّا
ودماً في الثَّرى تجمَّد جمراً
ودماً في السّماءِ أورق شُهبا
ونفاحاً أخزى هجوماً وتربا
سمَّدتْهُ الدّماء فاخضرَّ خِصْبا

(1) خِبًّا: لئيما.

وذكــرنـــا أنّـــا نـــســيــرُ وأغـــفــى
جــهــدُنــا والــطــريــقُ مــا زالَ صَــعْــبــا
دربُـــنـــا كـــلُّــهُ عَـــجــاجٌ وريـــحٌ
كـــفّـــنـــتْ جـــوَّهُ رمـــاداً وحَـــضْـــبـــا
وظـــلامٌ تـــأَلّـــهَ الـــشّـــرُّ فـــيـــهِ
وتـــمـــطّـــى شـــيـــطـــانُـــهُ فَـــتَـــنَـــبَّـــا
وصـــراعٌ إن أطـــفـــأ الـــضَّـــعــفَ حــربــاً
شـــبَّ حـــقـــدُ الـــرَّمـــادِ حــربــاً فـحــربــا

* * *

كــيــف نــســري؟ وراءنــا عــاصــف يــطـ
ـغــى، وقــدّامــنــا أعــاصــيــر نــكــبــا
يــتــلــهّــى بــخــطــونــا عــبــث الــرّيْـ
ـحــيْــنِ دفــعــاً إلــى الأمــامِ وجــذبــا
قــلــت: لــيــت الــمــماتَ يُــنــهــي خــطــانــا
قــال: مــا كــلُّ مــن دعــا الــمــوتَ لــبّــى
يــا رفــيــقــي الــمــوتُ شــرٌّ وأدهــى
مـــنـــه أنّـــا نـــريـــدُهُ وهـــو يـــأبـــى

* * *

قـــال لـــي: لا تـــقـــفْ، تـــقـــوَّ بـــزنـــدي
فـــمـــضـــيـــنـــا نـــشـــدُّ بـــالـــجـــنـــبِ جـــنـــبـــا
واتّـــحـــدنـــا جـــنـــبـــاً كـــأنّـــا اخـــتـــلـــطـــنـــا
وجـــمـــعـــنـــا الـــقـــلـــبـــيْـــنِ فـــي الـــجـــنـــبِ قـــلـــبـــا

فاهتدى سيرُنا كأنَّا فرشنا
لخطانَا مباسمَ الفجرِ دربَا

وانتشى جوُّنا انتشاءَ النّدامى
وأدار النّجومَ أكوابَ صهبا

يُشعِلُ الحبَّ من دجى الأُفْقِ فجراً
يسفحُ العطرَ في طريقِ الأحبّا

* * *

ونظرنا في الأفقِ وهو بقايا
من ظلامٍ مُخمَرَّةُ الوجهِ غضبى

وخيالُ السَّنا يجرّبُ عينيْهِ
فيطْوي هُدباً ويفتحُ هدبا

وسألنا: فيم التّعادي؟ وفيمَ
نخضبُ اللّيل بالجراحاتِ خضبَا؟

ولماذا نجني المنايا بأيدينا
ونرمي الحياةَ في التربِ تربا؟

والورى إخوةٌ ففيمَ التعادي؟
وهو أخزى بَدءاً وأشأمُ عُقبى؟

أمُّنا الأرضُ.. يسعدُ الأمَّ أن
تلقى بنيها صبّاً يعانقُ صبّا

* * *

مروءات العدو

شوال سنة 1378هـ

يُخوّفني بالنَّهبِ والقتلِ ناقمٌ
عليَّ وهلْ لي ما أخافُ عليهِ؟

إذا رامَ نهبي لم يجدْ ما يرومُهُ
وإن رامَ موتي فالمصيرُ إليهِ

إذا سلَّ روحي سلّني من يدِ الشَّقا
وخلّصني من شرِّهِ بيديْهِ

وأطلقني من سجنِ عمري فقاتلي
عدوٌّ، مروءاتُ الصديقِ لديْهِ

❁❁❁

مصرع طفل

19 رمضان سنة 1378هـ

صديقي الأستاذ عبد العزيز المقالح.. أتجه إليك بهذه القصيدة التي أستقيها من دمعك على طفلك الوحيد؛ فها هي مع أجمل العزاء:

كـيـفَ انـتـهـى مـن قـبـلِ أنْ يـبـتـدي؟
هـل تـنـطـفـي الـروحُ ولـم تـوقـدِ؟

وكـيـفَ أنـهـى الـسـيَّرَ مـن لـم يـرحْ
فـي دربـهِ الـمـجـهـولِ أو يـغـتـدي؟

وافـى مـن الـديـجـورِ يـحـبـو إلـى
كـهـفِ الـسّـكـونِ الـنـازحِ الأسـودِ

ألـقـى بـه الـمـهـدُ إلـى قـبـرهِ
لـم يـقـتـربْ مـنـهُ ولـم يـبـعـدِ

مـا بـالُـه خـفَّ إلـى مـوتِـهِ؟
هـل كـانَ والـمـوتَ عـلـى مـوعـدِ؟

مـا أقـصـرَ الـشـوطَ وأدنـى الـمـدى
مـا بـيـن عـهـدِ الـلـحـدِ والـمـولـدِ!

* * *

يـا مـن رأى الـطـفـلَ يـعـانـي الـرَّدى
ويـرفـعُ الـكـفَّ كـمـنْ يـجـتـدي!

كــأنَّــهُ فــي خــوفِــهِ يــحــتــمــي
بــكــفِّــهِ مــن صــولــةِ الــمــعــتــدي!

وكــلَّــمَــا انــهــالَ عــلــيــهِ انــطــوى
يــلــوذُ بــالــثــوبِ، وبــالــمــرقــدِ

وتــــارةً يــــرنــــو إلــــى أمِّــــهِ
وتــــارةً يــلــقــي يــــداً فــــي يــــدِ

ومــــرَّةً يــــرجــــو أبــــاً مــــشــــفــــقــــاً
ومــــرَّةً يــــرنــــو إلــــى الــــعُــــوَّدِ

يــهــوى أبــوهُ لــو يــذودُ الــقــضــا
عــنــهُ وتــهــوى الأمُّ لــو تــفــتــدي

يــا مــنْ شــهــدتَ الــطــفــلَ فــي مــوتِــهِ
ألــم تــمــتْ مــن روعــةِ الــمــشــهــدِ؟!

***

يــا صــائــدَ الــعــصــفــورِ رفــقــاً بــهِ
فــلــم يــخــضْ جــوّاً ولــم يــصــعــدِ

أتــى يــغــنّــي الــروضَ لــكــنَّــهُ
لــم يــنــشــقِ الــروضَ ولــم يُــنــشــدِ

طــفــلٌ كــعــصــفــورِ الــرَّوابــي طــوى
ردا الــصِّــبــا مــن قــبــلِ أن يــرتــدي

أهَــلَّ فــي بــدءِ الــصِّــبَــا فــانْــطَــفَــا
لــم يــهــدِ حــيْــرانــاً ولــم يَــهْــتــدِ

***

ونـامَ فـي حـضـنِ الـهـنـا مـبـعَـداً
عـن الأعـادي وعـن الـحُـسَّـدْ

عـن ضـجّـة الـدنـيـا وأشـرارِهـا
وعـن غـبـارِ الـعـالَـمِ الـمُـفْـسِـدِ

تـدافـع الـطـفـلُ إلـى قـبـرهِ
فـنـامَ تـحـتَ الـصـمـتِ كـالـجـلـمـدِ

مـا أسـعـدَ الـطـفـلَ وأَهْـنَـا الـكـرى
عـلـى سـكـونِ الـمـرقـدِ الـمـفـردِ!

هـنـا ثـوى الـطـفـلُ وأبـقـى أبـاً
يـبـكـي وأمّـا فـي الـبـكـا الـسّـرمـدي

تـقـول فـي أسـرارِهـا أمُّـهُ:
لـو عـاشَ سـلـوى الـيـومِ، ذخـرُ الـغـدِ!

لـو عـاشَ لـي يـا ربُّ، لـو لـم يـمـتْ
أو لـيـتَـهُ يـا ربُّ، لـم يـوجـدِ

* * *

هـل خـافَ هـذا الـطـفـلُ جـهـدَ الـسُّـرى
فـاخـتـزلَ الـدَّربَ ولـم يـجـهـدِ؟

مـا بـالُـهُ جـفَّ وريُّ الـصِّـبـا
حـولـيـهِ والـعـيـشُ الـظـلـيـلُ الـنّـدي؟!

مـضـى كـطـيـفِ الـفـجـرِ لـم يـقـتـطـفْ
مـن عـمـرهِ غـيـرَ الـصِّـبـا الأرغـدِ

لـم يـطـعَـمِ الـدّنـيـا ولـم يـدرِ مـا
فـي سـوقِـهـا مـن جـيّـدٍ أو ردي

حـبـا مـن الـمـهـدِ إلـى لـحـدِهِ
لـم يـشـقَ فـي الـدّنـيـا ولـم يَـسْـعَـدِ

فـهـاك يـا (عـبـد الـعـزيـزِ) الـرِّثـا
شـعـراً حـزيـنَ الـشّـدو والـمُـنـشِـدِ

يـبـكـي كـمـا تـبـكـي وفـي شـجـوهِ
تـعـزيـةٌ عـن طـفـلِـكَ الأوحـدِ

⊛⊛⊛

بعد الضياع

1379هـ

إلى مَنْ أسيرُ أهاضَ المسيرُ
قوايَ وأدمى جناحي الكسيرْ
وكيفَ المسيرُ ودربي طويلٌ
طويلٌ وجهدي قصيرٌ قصيرْ؟!
فكنتُ كفرخٍ أضاعَ الجناحَ
وتدعوهُ أشواقُهُ أن يطيرْ
ولي أمنياتٌ كزهرِ القبورِ
يموتُ ويُرعشُهُ الزَّمْهَريرْ
أجرُّ خطايَ فأخشى العثارَ
وتجتاحني رغبةٌ كالسَّعيرْ
فحيناً أهبُّ كطفلٍ لعوبٍ
وحيناً أدُبّ كشيخٍ حَسيرْ
وآونةً أرتمي في الجراحِ
كما يرتمي في القيودِ الأسيرْ
وتدفعني وحشةُ الذكرياتِ
وتثني خطاي طيوفُ المصيرْ

* * *

أمــامــي غــيــوبٌ وسِــرٌ رهــيــبٌ
وخــلــفــي عــذابٌ ومــاضٍ مــريــرْ

إلــى أيــن أمــضــي وهــل أنــثــنــي؟
أمــامــي خــطــيــرٌ وخــلــفــي خــطــيــرْ

هــنــا هــزَّنــي مــن وراءِ الــمــنــى
نــداءٌ كــضــحــكِ الــصَّــبــيّ الــغــريــرْ

كــخــفــقِ الأمــانــي كــنــجــوى غــديــرٍ
شــذيّ الــصَّــدى زنــبــقــيّ الــخــريــرْ

فــجــئــت إلــيــكِ كــمــن يــلــتــجــي
إلــى واحــةٍ مــن جــحــيــمِ الــهــجــيــرْ

ورفَّ عــلــيَّ هــواكِ الــحــنــون
رفــيــفَ الــرَّبــيــعِ الــشــذيِّ الــخــضــيــرْ

فــلا تــســألــي مــن هــدانــي إلــيــكِ؟
هــدانــي إلــيــكِ صِــبــاكِ الــنّــضــيــرْ

أتــخــفــيــنَ عــنّــي وحــولــي شــذاكِ
يــوشّــي الــدُّروبَ ويــغــشــى الأثــيــرْ

فــأقــبــلــتُ فــي الــطــيــبِ أمــشــي إلــيــكِ
عــلــى ألــفِ أغــنــيــةٍ مــن عَــبــيــرْ

ولــمّــا الــتــقــيــنــا احــتــضــنّــا الــهــوَى
كــمــا يــحــضــنُ الــفــجــرَ صــدرُ الــغــديــرْ

وغـــنـــاكِ حـــبـــي فـــلاقـــى لـــديـــكِ
صـــدًى نـــاعـــمـــاً مـــتـــرفـــاً كـــالـــحـــريـــرْ
ونـــاديـــتُ فـــيـــكِ هـــوًى أوّلاً
ونـــاديـــتِ فـــيَّ الـــحَـــبـــيـــبَ الأخـــيـــرْ

* * *

وســـرْنـــا جـــمـــيـــعـــاً يـــداً فـــي يـــدِ
نُـــغَـــنّـــي كـــثـــيـــراً ونـــبـــكـــي كـــثـــيـــرْ
وطـــابَ لـــنـــا مـــنـــزلٌ واحـــدٌ
صـــغـــيـــرٌ كـــعـــشِّ الـــهَـــزارِ الـــصَّـــغـــيـــرْ
ولـــم تـــســـألـــيـــنـــي: أعـــنـــدي ســـريـــرٌ؟
لأنَّ الـــمـــحـــبّـــةَ أغـــنـــى ســـريـــرْ
وهـــل لـــي ســـريـــرٌ أنـــا شـــاعـــرٌ
شـــعـــوري غـــنـــيٌّ وجـــيـــبـــي فـــقـــيـــرْ؟
وحـــســـبـــي أنَـــا مـــنْ عـــطـــايـــا الـــوجـــودِ
شـــعـــورٌ غـــنـــيٌّ وفـــكـــرٌ مُـــنـــيـــرْ
إذا كـــانَ هـــمّـــي شـــرابـــاً وقـــوتـــاً
فـــمـــا الـــفـــرقُ بـــيـــنـــي وبـــيـــنَ الـــحـــمـــيـــرْ
خُـــلـــقـــتُ حَـــنـــونـــاً لـــكـــلِّ الأنـــامِ
بـــأرجـــاءِ قـــلـــبـــي قـــرارٌ قـــريـــرْ
أُعـــزّي الـــفـــقـــيـــرَ وأرثـــي الـــغـــبـــيَّ
عـــلـــى عـــجـــزِهِ وأُهـــنّـــي الـــقـــديـــرْ

أُعــزّي الــجــمــيــعَ وأهــوى الــجــمــيــعَ
ومــحــتــقِــرُ الــنّــاسِ أدنــى حــقــيــرْ

وأسْــتَــلْــهِــمُ الــدَّمــعَ والأغــنــيــاتِ
ونــوحَ الــنــعــيِّ وصــوتَ الــبــشــيــرْ

* * *

أنــا شــاعــرٌ يــا (ابــنــةَ الــعــم) لــي
مــن الــحــبِّ نــبــعٌ شــهــيٌّ غــزيــرْ

وشــعــرٌ رقــيــقٌ كــحــلــمِ الــصــبــاحِ
عــلــى مــقــلِ الــيــاســمــيــنِ الــمــطــيرْ

فــحــسْــبــي وحــسْــبُــكِ ديــوانُ شــعــرٍ
وبــيــتٌ صــغــيــرٌ وحــبٌّ كــبــيــرْ

وكــأسٌ مــن الــشــوقِ والــذكــريــاتِ
وأغــنــيــةٌ مــن شــذاكِ الــمــثــيــرْ

إذا قــرَّتِ الــنّــفــسُ لــذَّ الــمــقــام
وســاوى الــتــرابُ الــفــراشَ الــوثــيــرْ

فــقــدْ يُــتْــعــسُ الــجــدبُ كــوخَ الــمــقــلّ
وتُــشــقــي الــرفــاهــةُ قــصــرَ الأمــيــرْ

يــضــيــقُ الــفَــقــيــرُ ويــشــقــى الــغَــنــيّ
فــلا ذاكَ بِــدْعٌ ولا ذا نــكــيــرْ

فــذا يــشــتــهــي لــم يــجــدْ بُــلْــغَــةً
وهــذا يــعــافُ الــغــذاءَ الــوفــيــرْ

ويُخفي وراءَ الطلاءِ الأنيقِ
صدوعَ الحنايا وخزيَ الضميرْ

فومْضُ السّعادةِ من حولهِ
كومْضِ الأشعّةِ حولَ الضَّريرْ

فكمْ مترفٍ مبتلىً بالألوفِ
وكمْ كادحٍ هانئٍ باليسيرْ

❊ ❊ ❊

لنا يا (ابنةَ العمِّ) من حبّنا
حنانٌ يغنّي وعيشٌ غضيرْ

وفنٌّ يضمُّ هوانا كمَا
يضمُّ السَّميرَةَ أشهى سميرْ

ويحتضنُ الحبَّ والأمنياتِ
كما تحضنُ الكأسَ كفُّ المُديرْ

إليكِ انتهتْ رحلتي في الضياع
فأنسيتِني هَوْلَها المستطيرْ

فلقياكِ كالظّلّ بعدَ الهجيرِ
وكالنَّصرِ بعدَ الجهادِ العسيرْ

❂❂❂

يوم المعاد

18 ذو الحجة 1378هـ

يا أخي يا ابنَ الفدا فيمَ التمادي
وفلسطينُ تنادي وتنادي؟

ضجَّتِ المعركةُ الحمرا فقم
نلتهبْ.. فالنورُ منْ نارِ الجهادِ

ودعا داعي الفدا فلْنحترقْ
في الوغى، أو يحترقْ فيها الأعادي

يا أخي يا ابنَ فلسطين التي
لم تزلْ تدعوكَ من خلفِ الحِدادِ

عُدْ إليها، لا تقلْ: لم يقتربْ
يومُ عَوْدي قل: أنا (يوم المعادِ)

عدْ ونصرُ العربِ يحدوكَ وقل:
هذه قافلتي والنصرُ حادي

عدْ إليها رافعَ الرأسِ وقلْ:
هذهِ داري، هُنا مائي وزادي

وهُنا كَرْمي، هُنا مزرعتي
وهُنا آثار زرعي وحَصادي

وهُنا ناغيتُ أمّي وأبي
وهُنا أشعلتُ بالنّورِ اعتقادي

هذهِ مِدفأتي أعرِفُها
لم تزلْ فيها بقايا منْ رمادِ

وهنا مهدي، هنا قبرُ أبي
وهنا حَقْلي وميدانُ جِيادي

هذهِ أرضي لها تضحيتي
وغرامي ولها وهجُ اتّقادي

هاهُنا كنتُ أماشي إخوتي
وأحيّي هاهُنا أهلَ ودادي

هذهِ الأرضُ درجنا فوقَها
وتحدَّيْنا بها أغدى العوادي

وغرسناها سلاحاً وفداً
ونصبنا عزْمَنا في كل وادي

وكتبنا بالدّما تاريخَها
ودِما قوم الهدى أسنى مِدادِ

* * *

هكذا قلْ: يا ابن (عَكّا) ثم قل:
هاهُنا ميدانُ ثاري وجلادي

يا أخي يا ابن فلسطينَ انطلقْ
عاصفاً وارمِ العدا خلف البعادِ

سِرْ بنا نسحقْ بأرضي عُصبةً
فرَّقتْ بينَ بلادي وبلادي

قلْ لـ(حيفا) استقبلي عَوْدتَنا
وابشري ها نحنُ في دربِ المعادِ

واخبري كيفَ تشهّتْنا الرُّبا
أفصحي كمْ سألتْ عنّا النَّوادي!

قلْ لإسرائيلَ: يا حُلْمَ الكرى
زعزعتْ عَودَتُنا حُلْمَ الرّقادِ

خابَ (بلفورُ) وخابتْ يدُهُ
خيبةَ التجّارِ في سوقِ الكسادِ

لم يضِعْ، لا، لم يضِعْ شعبٌ أنا
قلبُهُ وهو فؤادٌ في فؤادي

قل لـ(بلفور) تلاقتْ في الفِدا
أمّةُ العربِ وهبّتْ للتّفادي

وحّدَ الدربُ خطانا والتَقتْ
أمّتي في وَحدةٍ أو في اتحادِ

عندما قلنا: اتحدنا في الهوى
قالتِ الدنيا لنا: هاكمْ قيادي

ومضينا أمّةً تُزجي الهُدى
أينما سارتْ وتهدي كلّ هادي

❁❁❁

المنتحر

جمادى الآخرة سنة 1377هـ

لفظَ الروحَ فاطمأنَّتْ ضُلوعُهْ
وانطفا شوقُهُ ونامَ ولُوعُهْ

وقعَ المتعبُ الكئيبُ على الموتِ
فماذا جرى وكيفَ وقوعُهْ؟

جفَّتِ الكأسُ في يديهِ وأشْتَى
فيهِ وادي المُنى وماتَ ربيعُهْ

حارَ في الموتِ والحياةِ، كراعٍ
ضاعَ تحتَ الدُّجى وضاعَ قطيعُهْ

كلّما ساءل الدُّجى: أينَ يمضي؟
لجَّ في الصَّمتِ واستفاضَ خشوعُهْ

وانحنى كالعجوزِ وانْساقَ كالمخْـ
ـمورِ وامتدَّ في السكونِ هزيعُهْ

* * *

لا تسلْ ذلكَ الفتى: كيفَ صاحَ الـ
ـجرحُ فيهِ؟ وكيفَ صمَّ سميعُهْ

كيفَ أسْرارُ قلبهِ؟ أيَّ سرٍّ
كانَ يطوي؟ وأيَّ سرٍّ يذيعُهْ؟

هـــمَّ بـــالـــمـــوت والـــظّـــنـــونُ تُـــواري
حـــولَـــه الـــخـــوفَ تـــارةً وتُـــشـــيـــعُـــهْ

وتـــلـــكّـــا فـــدارَ فـــي ذهـــنـــهِ (سُـــقْـــ
ـراطُ) هـــذا اســـمُـــهُ وهـــذا لُـــمـــوعُـــهْ

ذلـــكَ الـــفـــيـــلـــســـوفُ لـــم يـــدرِ هـــل أَحْـــ
ـسنَ صـــنـــعـــاً أم كـــيـــفَ ســـاءَ صـــنـــيـــعُـــهْ؟!

جـــرعـــةُ الـــكـــأسِ أنـــهـــتِ الـــعـــمـــرَ فـــيـــه
فـــانـــتـــهـــى أصـــلُ شـــرِّهِ وفـــروعُـــهْ

وتـــلـــكّـــا الـــفـــتـــى وحـــارَ. . أيـــشـــري
مـــن يـــدِ الـــمـــوتِ عـــمـــرَهُ أم يـــبـــيـــعُـــهْ؟

أومـــأتْ كَـــفُّـــهُ إلـــى خـــنـــجـــرِ الـــمـــوتِ
وأومـــا إلـــى الـــحـــيـــاةِ نُـــزوعُـــهْ

لـــيـــس يـــدري أيَّ الأمـــرَّيـــنِ أحْـــلـــى
سَـــعْـــيُـــه نـــحـــو حـــتـــفِـــهِ أم رجـــوعُـــهْ؟

طـــاوعَ الـــخـــنـــجـــرُ الأصَـــمُّ يَـــديْـــهِ
حـــيـــنَ كـــادتْ يـــمـــيـــنُـــهُ لا تُـــطـــيـــعُـــهْ

وتـــوارى فـــي صـــدرهِ خـــنـــجـــرُ الـــمـــوتِ
فـــضـــجَّ الـــحَـــشـــا وفـــارتْ صُـــدوعُـــهْ

والْـــتَـــوى حـــولَـــهُ الـــرَّدى كـــالأفـــاعـــي
وتـــلـــوَّى كـــالأفـــعـــوانِ صـــريـــعُـــهْ

وتراختْ على الفراشِ يداهُ
ثمَّ أغفى وفي يديهِ نَجيعُهْ

* * *

متعبٌ طالَ عمرُهُ وشقاهُ
وتمادتْ جراحُهُ ودُموعُهْ

طالما شَبَّ من دماه شموعاً
للهوى فانطفا الهوى وشموعُهْ

حين لم يستطعْ بلوغَ مناهُ
ماتَ، والموتُ كلُّ ما يستطيعُهْ

وانطوى عمرهُ الطويلُ فألقى
قيدَهُ وانتهى شقاهُ وجوعُهْ

وانزَوى حيثُ لا يُحسُّ صديقاً
يجتبيه ولا عَدوّاً يَروعُهْ

نزلَ المضجعَ الأخيرَ فلانَتْ
قسوةُ التُّربِ واستراحَ ضجيعُهْ

أسكتَ القبرُ فيهِ كلّ ضجيجٍ
واحتواهُ سكونُهُ وهجُوعُهْ

إنما القَبْرُ مضجَعٌ يستوي العا
لَمُ فيهِ رفيعُهُ ووضيعُهْ

نافقتْ بيننا الحياةُ فهذا
حلَّ كوخاً وذاكَ طالتْ ربوعُهْ

يـا لَـظـلـمِ الـحـيـاةِ مـا أعـدلَ الـقـبـرَ
تـسـاوى فـيـهِ الـوجـودُ جـمـيـعُـهْ!

لا تَـلُـمْ ذلـك الـفـتـى حـيـن أردى
نـفـسَـهُ فـالـشّـقـا الـطـويـلُ شـفـيـعُـهْ

وانـتـحـارُ الـمـضـيـم أخْـصَـرُ لـلـضَّـيـمِ
وأجـدى مـنْ أنْ يـطـولَ خـضـوعُـهْ

مـزَّق الـعـمـرَ حـيـنَ ضـيّـعـهُ الـعـمـرُ
وحُـمْـقٌ حـفـظُ الـفـتـى مـا يـضـيـعُـهْ

كـمْ شـوتْ روحُـهُ الـضّـلـوعَ، ويـومـاً
لـفـظ الـروحَ فـاطـمـأنّـتْ ضـلُـوعُـهْ

❁ ❁ ❁

بين ذهاب ومعاد

18 صفر سنة 1380هـ

تلفّتتْ كالسّارقِ الخائفِ
إلى العشيقِ اللاَّهثِ الرَّاجفِ

مذعورةً ترتاعُ منْ خطوِها
من الخيالِ الكاذبِ الطّائفِ

شَرْشَفُها المذعورُ كالغصنِ في
جوّ الخريفِ الأصفرِ العاصفِ[1]

تمشي ويمشي إثْرَها والدُّجى
حوليْهِما كالرَّاهبِ العاكفِ

وانطلقَتْ وانقضَّ في إثرِها
كالبرقِ في إيماضِهِ الخاطفِ

حتى احتوى شخصيْهما مخدعٌ
غضٌّ كأفراحِ الصّبا الوارفِ

فاللّيلُ رقْصٌ عابثٌ كالصّبا
ومعزَفٌ يشدو بلا عازفِ

* * *

(1) الشرشف: دواء أسود يغطّي ثياب المرأة وسائر جسَمها، والكلمة لهجة محلية.

ولاحَ وهْمانِ لِعَيْنَيْهِما
كواقفٍ يصغي إلى واقفِ

فقَنَّعَتْ وجْهَيْهِما صُفْرَةٌ
كذكرياتِ المذنبِ الآسفِ

وأغْتَمَ الجوُّ فلم يَخْشيا
على ستارِ الحبُّ من كاشِفِ

وأنصتَ اللّيلُ ولمْ يستمعْ
إلاّ شكاوى عمرِه التّالفِ

كأنّهُ شيخٌ على وجهِهِ
مقبرةٌ من عهدِهِ السّالِفِ

شيخٌ لهُ وجهٌ كدَجْلِ الرؤى
ولحيةٌ تدعو يدَ النّاتفِ

أصغى فلم يسْمَعْ سوى غيمِهِ
وثرثراتِ المَطَرِ الواكفِ

وخَطْوِ فلاَّحٍ هناكَ انحنى
يمحو بقايا العَرَقِ النّازفِ

هنا اطمأنّتْ واطمأنَّ الفتى
إلى اللِّقاءِ الصّاخبِ القَاصفِ

وحدَّقتْ في وجْهِ محبوبها
تحديقَةَ الظّامي إلى الغَارِفِ

وَوَشْـــوَسَـــتْ . . مــا سِـــرُّ إطــراقِــهِ
ومـــا ورا إطـــراقـــة الـــعـــارفِ؟!

هـــل أذْهَـــلَـــتْـــهُ فِـــتْـــنَـــتـــي أمْ أنـــا
أسْـــعـــى وراءَ الـــمـــوعـــدِ الآزفِ؟

هـــل أجْـــتَـــديـــهِ؟ آهِ أم ألـــتـــجـــي
إلـــى ســلاحـــي الـــمـــدمـــع الـــذارفِ؟!

أم لا يـــنِـــمُّ الـــوجـــه عـــن قـــلْـــبـــهِ
أمْ حـــبُّـــهُ كـــالـــدرهـــمِ الـــزّائـــفِ؟

لا ، لـــم يـــكـــنْ . . إنـــي أرى قـــلـــبَـــهُ
فـــي عـــيْـــنِـــهِ كـــالـــشَّـــرِهِ الـــواجِـــفِ

عـــيْـــنـــاهُ فـــي عـــيْـــنـــيَّ لـــكـــنْ مـــتـــى
يـــدنـــي فـــمـــي مـــن فـــمـــهِ الـــرَّاشـــفِ؟

وأومـــأت فـــي ثَـــغْـــرِهـــا بـــســـمـــةٌ
إيـــمـــاءةَ الـــزَّهـــرِ إلـــى الـــقـــاطِـــفِ

فـــضـــجَّ فـــي أحـــشـــائِـــهِ مـــوكـــبٌ
مـــن الـــحـــنـــيـــنِ الـــدَّافـــق الـــجـــارفِ

فـــضـــمَّـــهـــا حـــتـــى ارتـــمـــتْ وارْتـــمـــى
عـــلـــى الـــسّـــريـــرِ الـــنّـــاعـــمِ الـــعـــاطـــفـــي

فـــضـــمَّ ســـكّـــيـــراً وسِـــكّـــيـــرةً
وشـــدّ مـــشـــغـــوفـــاً إلـــى شـــاغِـــفِ

* * *

وعـــادَ والـــفـــجـــرُ وراء الـــدّجـــى
لَـــمْـــحٌ كـــهـــجـــسِ الـــخَـــاطِـــرِ الـــكـــاسِـــفِ

وفـــجـــأةً أوْمَـــتْ بَـــنَـــانُ الـــسّـــنـــا
إيـــمـــاءَةَ الـــحُـــســـنِ إلـــى الـــوَاصِـــفِ

وأقـــبـــلَ الـــفـــجـــرُ وفـــي جِـــيـــدِهِ
قِـــلادَةٌ مـــن جُـــرحِـــهِ الـــرَّاعِـــفِ

فـــالـــدَّربُ فـــي إشـــراقِـــهِ جَـــدْولٌ
مُـــزَغْـــرِدٌ فـــي جَـــدْوَلٍ هـــاتِـــفِ

وكـــبـــريـــاءُ الـــبَـــعْـــثِ أهْـــزُوجَـــةٌ
عـــلـــى شِـــفـــاهِ الـــمـــوكِـــبِ الـــزَّاحـــفِ

❂ ❂ ❂

بشرى النبوءة

ألقيت هذه القصيدة في الحفل الذي أقامته وزارة التربية والتعليم في صنعاء بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف عام 1379هـ

بُشرى من الغيبِ ألقَتْ في فم الغارِ
وحياً وأفْضَتْ إلى الدُّنيا بأسرارِ

بُشرى النبوَّةِ طافتْ كالشذا سَحَراً
وأعْلَنَتْ في الرُّبا مِيلادَ أنْوارِ

وشقَّتِ الصَّمتَ والأنْسامُ تحمِلُها
تحتَ السكِينةِ من دارٍ إلى دارِ

وهَدْهَدَتْ (مكَّةُ) الوسْنى أناملُها
وهزَّتِ الفجرَ إيذاناً بإسْفارِ

فأقبل الفجرُ من خَلْفِ التلالِ وفي
عَيْنَيْهِ أسْرارُ عُشَّاقٍ وسُمَّارِ

كأنَّ فَيْضَ السنا في كلِّ رابيةٍ
مَوْجٌ وفي كلِّ سفحٍ جدولٌ جاري

تدافعَ الفَجْرُ في الدّنيا يزفُّ إلى
تاريخها فجرَ أجيالٍ وأدهارِ

واستقبلَ الفتحُ طفلاً في تبسُّمِهِ
آياتُ بشرى وإيماءاتُ إنذارِ

وشبَّ طفلُ الهدى المنشودُ متّزِراً
بالحقّ متّشِحاً بالنورِ والنارِ

في كفّهِ شعلةٌ تهدي وفي فمِه
بشرى وفي عَيْنِهِ إصْرارُ أقدارِ

وفي ملامِحِهِ وعدٌ وفي دمِهِ
بطولَةٌ تتحدّى كلّ جبارِ

وفاضَ بالنورِ فاغتمَّ الطغاةُ بهِ
واللّصُّ يخشى سُطوعَ الكوكَبِ السّاري

والوغيُ كالنّورِ يُخزي الظّالمينَ كما
يُخْزي لصوصَ الدَّجى إشراقُ أقمارِ

* * *

نادى الرَّسولُ نداءَ العدلِ فاحتشدتْ
كتائبُ الجورِ تُنْضي كلَّ بتّارِ

كأنّها خلْفَهُ نارٌ مجَنّحَةٌ
تعدو وقدَّامَهُ أفواجُ إعْصارِ

فضجَّ بالحقّ والدّنيا بما رَحُبَتْ
تَهْوي عليهِ بأشْداقِ وأظْفارِ

وسارَ والدَّربُ أحقادٌ مسلّحةٌ
كأنَّ في كلّ شبرٍ ضيغماً ضاري

وهبَّ في دَرْبِهِ المرْسومِ مُندفعاً
كالدَّهْرِ يقْذِفُ أخْطاراً بأخطارِ

فـأدْبَـرَ الـظّـلْـمُ يُـلـقـي هـاهُـنـا أجـلاً
وهـاهُـنـا يـتـلـقّـى كـفُّ حـفّـارِ

والظّلمُ مهما اختمتْ بالبَطْشِ عُصبتُهُ
فـلـمْ تُـطِـقْ وقـفـةً فـي وجْـهِ تـيّـارِ

رأى الـيـتـيـمُ أبـو الأيـتـامِ غـايَـتَـهُ
قُـصْـوَى فـشـقَّ إلـيـهـا كـلُّ مِـضـمـارِ

وامـتـدَّتِ الـمِـلّـةُ الـسّـمْـحَـا يَـرِفُّ عـلـى
جَـبِـيـنـهـا تـاجُ إعْـظـامٍ وإكـبـارِ

مـضـى إلـى الـفـتـحِ لا بَـغْـيـاً ولا طـمـعـاً
لـكـنْ حـنـانـاً وتـطـهـيـراً لأوْزارِ

فـأنـزل الـجـورَ قـبـراً وابـتـنـى زمـنـاً
عَـدْلاً، تُـدبِّـرهُ أفـكـارُ أحـرارِ

* * *

يـا قـاتـلَ الـظـلـمِ صـالـت هـاهُـنـا وهُـنـا
فـظـايـعٌ . . أيـنَ مـنـهـا زنـدُك الـواري؟

أرضُ الـجـنـوب ديـاري وهـي مَـهْـدُ أبـي
تـئـنُّ مـا بـيـنَ سَـفّـاحٍ وسِـمـسـارِ

يـشـدُّهـا قـيـدُ سَـجّـانٍ ويـنـهـشُـهـا
سـوْطٌ، ويـحـدو خـطـاهَـا صـوتُ خـمّـارِ

تـعـطـي الـقـيـادَ وزيـراً وهـو مـتّـجِـرٌ
بـجـوعِـهـا فـهـو فـيـهـا الـبـايـعُ الـشّـاري

فكيف لانتْ لجلاّدِ الحمى (عَدَنٌ)
وكيفَ ساسَ حِماها غدْرُ فُجّارِ؟

وقادها زعماءٌ لا يبرّرهم
فعلٌ وأقوالُهمْ أقوالُ أبرارِ

أشباهُ ناسٍ وخيراتُ البلادِ لهمْ
يا لَلرّجالِ وشعبٌ جائعٌ عاري

أشباهُ ناسٍ دنانيرُ البلادِ لهمْ
ووزنُهُمْ لا يساوي ربعَ دينارِ

ولا يصونونَ عند الغدر أنفُسَهم
فهل يصونونَ عهدَ الصّحبِ والجارِ

ترى شخوصَهُمُ رسمّيةً وترى
أطماعَهُمْ في الحمى أطماعَ تجّارِ

* * *

أكادُ أسخرُ منهُمْ ثمّ تُضحكني
دعواهُمُ أنَّهُمْ أصحابُ أفكارِ

يبنونَ بالظُّلمِ دوراً كي نمجّدهمْ
ومجدُهُم رجسُ أخشابٍ وأحجارِ

لا تخبِرِ الشّعْبَ عنهمْ إنَّ أعيُنَهُ
ترى فظائعَهمْ منْ خلفِ أستارِ

الآكلونَ جراحَ الشّعْبِ تخبرنا
ثيابُهُمْ أنَّهُمْ آلاتُ أشرارِ

ثيابُهُمْ رشوةٌ تُنبي مظاهِرُها
بأنَّها دمعُ أكبادٍ وأبصارِ

يشرونَ بالذّلّ ألقاباً تُستّرُهُمْ
لكنَّهُم يَسترونَ العارَ بالعارِ

تُحسُّهُمْ في يدِ المستعمرينَ كما
تحسّ مسبحةٌ في كفّ سَحّارِ

ويلٌ وويلٌ لأعداءِ البلادِ إذا
ضجَّ السكونُ وهبّتْ غضبةُ الثّارِ!

فليغنمِ الجورُ إقبالَ الزَّمانِ لَهُ
فإنَّ إقبالَهُ إنذارُ إدبارِ

❊ ❊ ❊

والنّاسُ شرٌّ وأخيارٌ وشرُّهمُ
منافقٌ يتزيّا زيَّ أخيْارِ

وأضْيَعُ الناسِ شعبٌ باتَ يحرسُهُ
لِصٌّ تُستِّرُهُ أثوابُ أحبارِ

في ثغره لُغَةُ الحاني بأمّتِهِ
وفي يديهِ لها سكّينُ جَزّارِ!

حِقدُ الشعوبِ براكينٌ مسمّمةٌ
وقودُها كلّ خوّانٍ وغدّارِ

من كلّ محتقِرٍ للشّعبِ صورتُهُ
رسْمُ الخياناتِ أو تمثالُ أقذارِ

وجثّةٌ شَوَّشَ التّغطيرُ جيفَتَها
كأنّها مَيتةٌ في ثوبِ عطّارِ

بين الجنوبِ وبينِ العابثينَ بهِ
يومٌ يحنُّ إليهِ يومُ (ذي قارِ)

* * *

يا خاتمَ الرُّسْلِ هذا يومُكَ انبعثتْ
ذكراهُ كالفجرِ في أحْضانِ أنهارِ

يا صاحبَ المبدأ الأعلى، وهل حملتْ
رسالَةَ الحقّ إلاّ روحُ مختارِ

أعلى المبادئِ ما صاغتْ لحاملها
من الهُدى والضَّحايا نصبَ تذكارِ

فكيف نذكر أشخاصاً مبادئهُمْ
مبادئُ الذئبِ في إقدامهِ الضاري؟!

يبدونَ للشّعبِ أحباباً وبينَهُمُ
والشعبِ ما بينَ طبعِ الهرِّ والفارِ

ما لي أغنّيكَ يا (طٰهَ) وفي نَغَمي
دمعٌ وفي خاطري أحقادُ ثوّارِ؟

تململَتْ كبرياءُ الجرحِ فانتزفَتْ
حِقدي على الجورِ منْ أغوارِ أغواري

* * *

يا (أحمدَ النورِ) عفْواً إنْ ثأرْتُ ففي
صدري جَحيمٌ تَشَظّتْ بين أشعاري

(طٰـــهَ) إذا ثـــارَ إنـــشـــادي فـــإنَّ أبـــي
(حـسّـان) أخـبـارُهُ فـي الـشِّـعـرِ أخـبـاري

أنـا ابـنُ أنـصـاركَ الـغـرّ الألـى قـذفـوا
جـيـشَ الـطّـغـاةِ بـجـيـشٍ مـنـكَ جـرَّارِ

تـظـافـرتْ فـي الـفـدا حـولـيْـكَ أنـفـسُـهـم
كـــأنّـــهـــنَّ قـــلاعٌ خـــلـــفَ أسْـــوارِ

نـحـنُ الـيـمـانـيـنَ يـا (طٰـهَ) تـطـيـرُ بـنـا
إلـــى روابـــي الـــعُـــلا أرواحُ أنـــصـــارِ

إذا تـــذكّـــرْتَ (عَـــمّـــاراً) ومـــبـــدأهُ
فـافـخـرْ بـنـا . . إنّـنـا أحـفـادُ (عَـمّـارِ)

(طٰـهَ) إلـيـكَ صـلاةُ الـشِّـعـر تـرفـعُـهـا
روحـــي وتـــعـــزِفُـــهَـــا أوتـــارُ قِـــيـــثـــارِ

❂ ❂ ❂

مغنِّي الهوى

شعبان سنة 1376هـ

لا تَسخري يا أختُ بالشّاعرِ
تكفيهِ بلوى دهرِهِ السّاخرِ

رفقاً بغرّيدِ الهوى إنّهُ
يَنوحُ نوْحَ الطّائرِ الحائرِ

يبكي بترديدِ الأغاني وما
لِلَحْنِهِ والحبُّ من آخرِ

فلا تَضيقي بمُغنّي الهوى
وهل يَضيقُ الرَّوضُ بالطائرِ؟

تذكّري خلفَ النَّوى عاشقاً
يلقاكِ في وجدانِهِ الذّاكرِ

أَوْما إلى كفِّ الهوى قلبُهُ
إيماءةَ العنقودِ للعاصرِ

محرَّقُ الأنفاسِ تسري بهِ
ظُنونُهُ حولَ الدّجى العابرِ

واللّيلُ وادي الحبِّ تنثالُ منْ
سكونِهِ الذكرى على السّاهرِ

وتلتقي الأشجانُ في جَوِّهِ
مَواكباً في موكبٍ سادرِ
تمرّ بالأشواقِ أطيافُهُ
كما تمرُّ الغيدُ بالعاهِرِ
وتستثيرُ النائمينَ الرّؤى
وتضحكُ الأوهامُ للسّامرِ
كم شاق هذا الليلُ خِلاًّ إلى
خِلٍّ ومِطواعاً إلى نافرِ
وجالَتِ الأحلامُ فيهِ كمَا
يجولُ سِرُّ الحبِّ في الخاطِرِ
وضمَّ مشتاقٌ مشوقاً بهِ
وحَنَّ مَلْهوفٌ إلى زائرِ

* * *

سلِ الدُّجى عن طيفِ (ليلى) وكم
حيّاهُ (مجنونُ بني عامرِ)
وسلْهُ عن أخبارِ أهلِ الهوى
من أبْعَدِ الماضي إلى الحاضرِ
فإنَّهُ رحَّالةُ الدَّهرِ، كمْ
سَرَى الهوى في ركبِهِ السّائرِ
مسافرٌ يسْري ويَطوي السُّرى
على جَناحِ الفَلَكِ الدّائرِ

رحّالَةُ الأزمانِ يُزجي إلى
مستقبلِ الدهرِ صَدى الغابرِ

كم في حنايا اللّيل سِرٌّ وما
أكْتَمَهُ للسِّرِّ والظاهرِ!

ينساقُ في الصَّمتِ وفي صمتِهِ
حنينُ مهجورٍ إلى هاجِرِ

وشوقُ مفتونٍ إلى فتنةٍ
ووجْدُ مسحورٍ إلى ساحرِ

وحقدُ مظلومٍ على ظالمٍ
وضِغْنُ مأسورٍ على آسِرِ

* * *

يا أختُ هل ألقى إليكِ الدُّجى
أشواقَ قلبٍ بالشَّقا زاخرِ؟

يستولِدُ الآمالَ لكنْ كما
يستولِدُ العِنِّينُ من عاقرِ

يا ربّةَ الحُسْنِ هنا مُغْرَمٌ
يُصغي لنجوى طَيْفِكِ العاطِرِ

مُعَذَّبٌ تاريخُهُ قِصَّةٌ
حَيْرى كقلبِ التّاجِرِ الخَاسِرِ

رِقّي عليهِ إنَّهُ كلّهُ
قلبٌ شجيُّ الشِّعرِ والشَّاعِرِ

۞۞۞

شاعر الكأس والرشيد

كتبت هذه القصيدة عندما نشرت السلطة الإمامية إرهابها باسم جلد باعة الخمر وشاربيه، عام 1379هـ

لـو تَـسَـامَـتْ عـقـولُـنـا عـنْ هـوانـا
لـهـدَيْـنـا الـهُـدى وقُـدْنـا الـزَّمـانـا

ولَـسِـرْنـا وخـطْـونـا يـلـدُ الـفـجْـرَ
الـمـغـنّـي، ويُـنـبـتُ الـرَّيـحـانـا

لـو تـلـظّـتْ قـلـوبُـنـا بـسَـنـا الـحـبّ
لـمـا عـانـتِ الـعـيـونُ الـدّخـانـا

لـو كَـبـحـنـا غـرورَنـا لـمـلأنـا
مـنْ عـطـايَـا الـوجـودِ وُسْـعَ مُـنـانـا

فـعـطـايـا الـحـيـاةِ أوسـعُ مـنْ آ
مـالِ أبـنـائِـهـا وأسـخـى حـنـانـا

لـو مـلـكـنـا الـهـدى لـمـا سـلَّ كـفٌّ
خـنـجـراً راعِـفـاً وأدمـى سـنـانـا

كـيـف يـسـتـلُّ بـعـضُـنـا روحَ بـعـضٍ
أَلِـنُـخـيـي مـآتـمـاً واضـطِـغـانـا؟

ونُـسـمّـي لـصَّ الـحـيـاة شُـجـاعـاً
ونُـسـمّـي عـفَّ الـيـديـنِ جـبَـانـا

* * *

نحنُ غرسُ الإلهِ يحصده اللّهُ
لماذا تعيثُ فيهِ يدانا؟

ما لنا نسبِقُ الحِمامَ إلينا
وهو أمضى يداً وأحنى بنانا؟

ونخافُ العِدا وحين نعادي
هل درينا أنّا خَلقنا عِدانا؟

لو نفضْنا شرورنَا لرأينا
أوجهَ الخيرِ في الضّياءِ عِيانا

نحنُ نُبدي عيوبَنا حينَ نرمي
بالخطايا فلانةً أو فلانا

نحنُ لو لم نكنْ أصولَ الخطايا
ما رأينا ظِلالها في سوانا

كم سألنا التفتيشَ عن جيفةِ الإثـ
ـمِ وسرنا والإثمُ يحدو خطانا!

وهتكْنا مخابئ الإثم في الحيّ
وعُدْنا نفتّشُ الأكفانا

* * *

لا تَنَمْ يا (أبا نواسٍ) أما كُنْـ
ـتَ أثيماً في لهوهِ يتفانى؟

أَوَ ما كنتَ أظرفَ الناسِ في القصْـ
ـفِ وأعلى الغواة فنّاً وشانا؟

فهتكنا عنكَ الستارَ كأن لمْ
يخطرِ الإثمُ بيننا عُريانا
هل تخوَّفتَ غضبةَ السّوط في الدُّنْـ
يا؟ وهلْ ذقتَ في القبورِ الأمانا؟
لستُ أدري ماذا لقيتَ؟ لماذا
غبتَ في الصمتِ لمْ تحرِّكْ لسانا؟
إن تَمُتْ هيكلاً فقدْ عشتَ أفكا
راً، وأورقتَ في الشفاهِ بيانا
أين منكَ الرَّدى؟ وأقوى من الأحـ
ياءِ مَيْتٌ يُسَهِّدُ الأذهانا
عشتَ عصراً ولمْ يزلْ كلّ عصرِ
يتساقى فجوركَ الفَتّانا
تلك ألحانُكَ الظوامي كؤوسٌ
تتغنّى فتُسكر النّدمانا
لكأنّي ألقاكَ في لحنِكَ الظَّمْـ
آنِ روحاً ملحّناً وكيانا
وذهولُ الإلهامِ يرعشُ عينيكَ
كما ترعشُ الصَّبا الأقحوانا
وأُحِسُّ (الرشيد) ينزلُ دنياهُ
كمَا ينزِلُ الصباحُ الجِنانا
وتغنّيهِ وهو ينتزفُ الكأس
ويسقي المدلّلاتِ الحسانا

والنَّدامى الصَّباحُ بين يديْهِ
وكؤوسٌ تنأى وأخرى تَداني

والمليحاتُ مهرجانٌ من الحُسْنِ
يغنّي منَ الهوىَ مهرجَانا

وهو يلهو لهوَ الشجيِّ ويمضي
في جنونِ الهوى يُعرّي القِيانا

فترى في النّديِّ ألف ربيعٍ
ينشرُ العطرَ والسّنا ألوانا

وصِباحاً من الحِسانِ العرايا
مغرماً يعزفُ الهوى ألحانا

وخصوراً تميدُ بينَ زنودٍ
بضَّةٍ تنهب الخصورَ اللُّدانا

وصدوراً نَهْدَى تضمّ صدوراً
واحتضاناً غضّاً يلفّ احتضانا

والجمالُ العريانُ يُطغي المحبِّينَ
ويهوى الجنونَ والطغيانا

❋ ❋ ❋

ما ترى يا (أبا نواس)؟ ترى الأكْـ
ـوابَ ملأى وتحتسي الحِرْمانا

تتشهّى مُدامةً لم تجدهَا
فتُغنّي خيالها الفَتّانا

لــو وجــدتَ الــرَّحــيــق مــا ذبــت شــجــواً
وتــحــرَّقْــتَ فــي الــمــنــى أشــجَــانــا

شــاعــرُ الــحــبِّ حــيــنَ يــهــجــرهُ الــمَــحْــ
بُــوبُ يَــفْــتَــنُّ فــي الــحــنــيــنِ افــتِــنــانــا

عــشــتَ تــبــكــي عــلــى الــمُــدامِ وتــذرو
فــي هــوى الــكــأسِ دمْــعَــكَ الــهــتّــانــا

وتُــنــادي الــهــنــاءَ فــي كــلِّ وهــم
وتــهــنّــي الــبــسـاط والــصَّــولــجــانــا

* * *

بــدعــةُ الــذلِّ أن تــحــنَّ وتــبــكــي
وتــغــنّــي (الــرشــيــدَ) و(الــخــيــزرانــا)

مــلــكٌ يــرضــعُ الــدِّنــانَ كــمــا يــهــوى
وأنــت الــذي تــغــنّــي الــدِّنــانَــا

و(الأمــيــنُ) الــنّــديــمُ يــمــنــعُــكَ الــخــمــرَ
ويــحــســو وتــنــحــنــي ظــمــآنــا

وهــو فــي الــقــصــرِ يــحــتــســي عــرقَ الــشــعــبِ
ويَــزْوي الــقــيــانَ والــغِــلْــمــانَــا

يــمــلأ الــكــأسَ مــن دمــوعِ الــيــتــامَــى
ويــغــنّــي عــلــى نــشــيــجِ الــحــزانــى

ويــرى أنّــهُ أمــيــنٌ عــلــى الــديــنِ
وإن ضــيّــعَ الــرشــادَ وخــانــا

كـيــف يــحــمــي ديــنَ الإلــهِ ظــلــومٌ
يــتــحــدّى الإلــهَ والإنــســانــا؟

يــدَّعــي عــصــمــةَ الــمــلائــكــةِ الــطُّــهــرِ
ويــأتــي مــا يُــخْــجِــلُ الــشّــيــطــانــا

* * *

هــكــذا يــا (أبــا نــواس) تَــلــوَّى
حــولــك الــشَّــعــبُ فــي الــجــراحِ وهــانــا

كــيــف مــرَّغْــتَ وجــهَــكَ الــحُــرَّ فــي الــذّلّ
وأسْــلَــسْــتَ لــلــطّــغــاةِ الــعِــنــانــا؟

وتــغــنّــيــتَ لـــ(الأمــيــنِ) فــأصــغــى
وتــراخــى فــي غــيِّــهِ وتــوانــى

وتــخــيّــرتَ لـــ(الــرشــيــدِ) بــحــوراً
قــلّــدتْ جــيــدَهُ الــغــلــيــظَ جُــمــانــا

وهــززتَ (الــخــصــيــبَ) فــاهــتــزَّ جَــنْــبــا
هُ وذوَّبــتَ مُــقــلــتــيْــكَ فَــلانــا

وتــبــاكَــيْــتَ بــيــنَ كــفَّــيْــهِ كــالــطّــفــلِ
فــيــا لــلــشــمــوخِ كــيــفَ اســتــكــانــا؟!

* * *

كــيــف ألــقــاكَ يــا أخــا الــكــأسِ فــي الــمَــدْ
حِ ذلــيــلاً ومُــطْــرِقــاً خــجــلانــا؟

تــســألُ الــصــمــتَ كــيــفَ حــلّــت قــوافــيْــ
ــكَ مــن الــذلِّ والــنــفــاقِ مــكــانــا؟

أفترضى للفنّ أخزى مكانٍ؟
إنَّ للفنّ حُرمَةً وصيانا
وألاقيك في ترنُّمِكَ الخَمْـ
ـريّ ربيعاً مرنّماً جذلانا
تعزفُ العطرَ والفتونَ المندّى
وتهزُّ الشَّبَابَ والعنفوانا
لا تقلْ لي: كيف التقينا؟ وقلْ لي:
باركَ الفنُّ والخيالُ لقانا!
شاعرَ الكأس قرَّب الطّيفُ عهديْنا
فكيفَ اتّفاقُنَا؟ كيفَ كانا؟
بَعُدَ العهدُ بيننا فادَّكرْنا
واختصرنا بالذكرياتِ الزَّمانا
واعتنقنا على النّوى والتقينا
نتشاكى من الأسى ما عَنانا
أنا أشقى كما شَقِيتَ ولكنْ
لا تُتَمْتِمْ: وأيُّنا أشقانا؟
لا تسلني، فمحنتي أنَّ لي في الـ
ـيأسِ أهلاً وفي الأسى إخوانا
نحنُ منْ نحنُ؟ مِزْهرانِ منَ الشَّوْ
قِ كلانا لحنُ العذابِ كلانا
(شاعرَ الكأسِ والرشيدِ) وداعاً
وسلاماً يُشذِيكَ آناً فآنا

ليلة

كانتِ الحسناءُ سجينة الدار تساهر الليالي لتقتنص عاشقاً، وكان طريداً تحت كل كوكب. وفي ليلة من ليالي العمر طالع العاشقة المجهولة تائه مجهول، وكان بعيداً عن الحب فقربه الجمال منه، وضمتهما ليلة لقاء؛ فانتصرا على الحرمان، وكان ميلاد حب:

رَنَتْ والدُّجى في خاطرِ الصمتِ هادئ
يطاوِعهُ حُلْمٌ وحُلْمٌ يناوئ

وبينَ حنايا الليلِ دهرٌ مكفَّنٌ
قديمٌ ودهرٌ في حناياهُ ناشئ

رنتْ والسَّنا في مُقْلةِ الليلِ متعبٌ
يئنُّ وفي دُورِ المدينَةِ طافئ

فلاحتْ لعينيها خيالاتُ عابرٍ
يحثُّ الخطى حيناً وحيناً يباطئ

وجالتْ بعينيهْا هُناكَ وهاهُنَا
فطالعَها وجهٌ على العشقِ طارئ

وقالتْ: من الآتي؟ فأرعدَ قلبَهُ
وأخجَلَ عينيْهِ الغرامُ المفاجئ

ورفَّتْ له من كلِّ مرأىً صبابةٌ
وضجَّ حنينٌ بين جنبيهِ ظامئ

وقال: فتىً تاهتْ سفينةُ عمرِهِ
وغابتْ وراءَ اليأسِ عنهُ المرافئ

يفتِّشُ عن سلواهُ في التِّيهِ مثلمَا
يفتِّشُ عن أهليهِ في الطيفِ لاجئ

فحارتْ به واحتارَ في الحبِّ مثلها
فهل تَبدأُ الشكوى؟ وهل هو بادئ؟

* * *

ولفَّهمَا ظلُّ السكينَةِ والهوى
يعاندُ أحياناً وحيناً يمالئ

فحدَّقَ يستقصي مفاتنَ جسمِها
كما يتقصَّى أحرفَ السّطْرِ قارئ

وقال: فتاتي فيكِ تورِقُ فتَنةٌ
ويختالُ فجرٌ كالطفولةِ هانئ

ويهتزُّ في نهديْكِ موجٌ مضرَّمٌ
عميقٌ وفي عينيك يحلمُ شاطئ

وألفاظكِ النَّعسا تشعُّ كأنّها
على شفتيكِ الحلوتين لآلئ

* * *

وضمَّتْهُمَا في زحمةِ الحبِّ نشوةٌ
وهوَّمَ في حضنِ الخطيئةِ خاطئ

فتاةٌ يموجُ الحسنُ فيها وترتمي
عليها الصَّباباتُ الجياعُ الظَّوامئ

جـــمـــــالٌ وإغـــــراءٌ وروحٌ نـــــديّـــــةٌ

وجـــســـمٌ بـــأحـــضـــانِ الـــغـــوايـــةِ دافـــئُ

⊛⊛⊛

يومَ العِلْم

بمناسبة افتتاح دار المعلمين في صنعاء عام 1377هـ

ماذا يقولُ الشِّعرُ؟ كيفَ يُرنِّمُ؟
هتفَ الجمالُ، فكيفَ يَشدو المُلْهَمُ

ماذا يُغنِّي الشِّعرُ؟ كيفَ يَهيمُ في
هذا الجمالِ؟ وأينَ أينَ يُهوِّمُ؟

في كُلِّ مُتَّجهٍ ربيعٌ راقصٌ
وبِكُلِّ جوٍّ ألفُ فجرٍ يبسمُ

يا سكرةَ ابنِ الشِّعرِ هذا يومُهُ
نَغَمٌ يبعثرهُ السَّنا ويُلَملِمُ

يومٌ تُلاقيهِ المدارسُ والمُنى
سَكرى كما لاقى الحبيبةَ مُغْرَمُ

يومٌ يكادُ الصَّمتُ يهدرُ بالغنا
فيهِ ويرتجلُ النَّشيدَ الأبكَمُ

يومٌ يرنِّحُهُ الهَنا ولَهُ غدٌ
أهنا وأَحفلُ بالجمالِ وأنعَمُ

* * *

يا وثبةَ (اليمنِ السَّعيد) تيقَّظَتْ
شُبَّانُهُ وسَمَتْ كما يَتوسَّمُ

مـاذا يَـرى (الـيـمـنُ) الـحـبـيـبُ تَـحـقَّـقـتْ
أسـمـى مُـنـاهُ وجُـلُّ مـا يـتـوهَّـمُ

فَـتـحَـتْ تـبـاشـيـرُ الـصَّـبـاحِ جُـفـونَـهُ
فـانـشـقَّ مَـرْقَـدُهُ وهـبَّ الـنُّـوَّمُ

وأفـاقَ والإصـرارُ مـلءُ عـيـونِـه
غـضـبـانَ يـكـسِـرُ قَـيـدَهُ ويُـدمْـدِمُ

ومـضـى عـلـى ومـضِ الـحـيـاةِ شـبـابُـه
يـقْـظـانَ يـسـبـح فـي الـشّـعـاع ويـحـلـمُ

* * *

وأطـلّ (يـومُ الـعـلـم) يـرفـلُ فـي الـسَّـنـا
وكـأنَّـه بـفـمِ الـحـيـاة تـرنُّـمُ

يـومٌ تـلـقِّـنـهُ الـمـدارسُ نـشْـأهـا
درسـاً يُـعـلِّـمُـهُ الـحـيـاةَ ويُـلـهـمُ

ويُـرَدِّدُ الـتـاريـخُ ذكـرَاهُ وفـي
شَـفَـتـيـهِ مـنـهُ تـسـاؤلٌ وتـبـسُّـمُ

يـومٌ أُغَـنِّـيـهِ ويُـسـكـرُ جـوَّهُ
نَـغَـمـي فَـيَـسْـكَـرُ مـن حـلاوتِـهِ الـفـمُ

وقـفَ الـشـبـابُ إلـى الـشـبـابِ وكـلُّـهـم
ثـقـةٌ وفـخـرٌ بـالـبـطـولـةِ مُـفـعـمُ

فـي مـهـرجـانِ الـعـلـمِ رَفَّ شـبـابُـه
كـالـزهـرِ يـهـمـسُ بـالـشَّـذا ويـتـمـتـمُ

وتــأَلَّــق الــمــتــعــلِّــمــون كــأنَّــهــم
فــيــه الأشــعَّــةُ والــسَّــمــا والأنــجــمُ

* * *

يــا فــتــيــةَ الــيــمــنِ الأشــمِّ وحــلــمَــهُ
ثــمــرُ الــنُّــبــوغِ أمــامَــكُــمْ فــتــقــدَّمــوا

وتــقــحَّــمُــوا خــطــرَ الــطَّــريــق إلــى الــعُــلا
فــخــطــورةُ الــشُّــبَّــانِ أن يــتــقــحَّــمُــوا

وابــنــوا بــكــفِّ الــعِــلْــمِ عــلْــيــاكــم فــمــا
تــبْــنــيــهِ كَــفُّ الــعــلــم لا يــتــهــدَّمُ

وتــســاءلــوا مَــنْ نــحــن؟ مــا تــاريــخُــنَــا؟
وتــعــلَّــمــوا مــنــهُ الــطُّــمــوحَ وعَــلِّــمُــوا

هٰــذي الــبــلادُ وأنــتُــمُ مِــنْ قــلــبِــهــا
فِــلَــذٌ وأنــتــمْ ســاعِــدَاهــا أنــتــمُ

فــثِــبــوا كــمــا تَــثِــبُ الــحــيــاةُ قــويَّــةً
إنَّ الــشَّــبــابَ تــوثُّــبٌ وتــقــدُّمُ

لا يــهــتــدي بــالــعــلــمِ إلاَّ نَــيِّــرٌ
بــهِــجُ الــبــصــيــرةِ بــالــعــلــومِ مُــتــيَّــمُ

وفــتــىً يُــحِــسُّ الــشَّــعــبَ فــيــه لأنَّــهُ
مــن جِــســمــهِ فــي كُــلِّ جــارحــةٍ دمُ

يــشــقــى لــيُــســعِــدَ أُمَّــةً أو عــالــمــاً
عــطْــرُ الــرِّســالــةِ حــرقــةٌ وتــألُّــمُ

فـتـفـهَّـمـوا مـا خـلـفَ كـلِّ تـسـتُّـرِ
إنَّ الـحـقـيـقـةَ دُربَـةٌ وتـفـهُّـمُ

قـد يـلـبـسُ الـلـصُّ الـعـفـاف ويـكـتـسـي
ثـوبَ الـنـبـيِّ مـنـافـقٌ أو مـجـرمُ

مَـيْـتٌ يـكـفّـنُ بـالـطِّـلاءِ ضـمـيـرَهُ
ويـفـوحُ رَغْـمَ طِـلائـه مـا يـكـتـمُ

* * *

مـا أعـجـبَ الإنـسـانَ هـذا مِـلأُهُ
خـيـرٌ وهـذا الـشـرُّ فـيـه مـجـسَّـمُ!

لا يـسـتـوي الإنـسـانُ هـذا قـلـبُـهُ
حَـجَـرٌ وهـذا شـمـعـةٌ تـتـضـرَّمُ

هـذا فـلانٌ فـي حـشـاهُ بـلـبـلٌ
يَـشْـدُو وهـذا فـيـه يـزأرُ ضَـيْـغَـمُ

مـا أغـربَ الـدُّنـيـا عـلـى أحـضـانِـهـا
عُـرْسٌ يُـغـنِّـيـهَـا ويـبـكـي مـأتـمُ!

بـيـتٌ يـمـوتُ الـفـأرُ خـلـفَ جـدارِهِ
جُـوعـاً وبـيـتٌ بـالـمـوائـدِ مُـتْـخَـمُ

ويـدٌ مـنـعَّـمـةٌ تـنـوءُ بـمـالـهـا
ويـظـلُّ يـلـثـمُـهـا ويُـعـطـى الـمـعـدمُ

فـمـتـى يـرى الإنـسـانُ دُنْـيَـاً غـضـةً
سَـمْـحـا فـلا ظُـلْـمٌ ولا مُـتَـظـلِّـمُ؟

يـا إخْـوَتَـي نـشءَ الـمـدارسِ يـومُـكـم
بِـكْـرُ الـبـلادِ فَـكَـرِّمُـوهُ تُـكـرمُـوا

وتَـفَـهَّـمُـوا سِـفْـرَ الـحـيـاةِ فَـكُـلُّـهَـا
سِـفْـرٌ ودرسٌ والـزَّمَـانُ مُـعـلِّـمُ

مَـاذَا أقـولُ لَـكُـمْ وتَـحْـتَ عُـيُـونِـكُـمْ
مَـا يُـعْـقـل الـوَعْـيَ الـكَـرِيـمَ ويُـفْـهِـمُ؟

❁ ❁ ❁

في الجراح

28/ 11/ 1382هـ ـ 22/ 4/ 1963م

وحـــــدي وراءَ الـــيـــأسِ والـــحَـــزَنِ
تــجــتــرُّنــي مِــحَــنٌ إلــى مِــحَــنِ

وطــفــولــةُ الــفــنَّــانِ تُــذْهِــلُــنــي
عــن ثــقــلِ آلامــي وعــن وَهَــنــي

فــأنــا هــنــا طــفــلٌ بــدونِ صِــبــاً
والــيــأسُ مُــرضِــعَــتــي ومــحــتــضِــنــي

وعــــداوةُ الأنـــذالِ تَـــتْـــبـــعُـــنـــي
وتُـــغَـــسِّـــلُ الأدرانَ بـــالـــدَّرنِ

وتــفــوحُ جــيــفــتُــهــا هُــنــا وهُــنــا
كــالــرِّيــحِ فــي الــمُــســتــنــقــعِ الــنَّــتــنِ

وتــغــيــبُ عــن دَرْبِــي، وأعــيُــنُــهَــا
فــي الــدَّربِ غــابــاتٌ مــن الإِحَــنِ

وعِــــدايَ أقـــزامٌ يُـــخـــوِّفـــهُـــمْ
صــحــوِي ويَــرتَــاعــونَ مِــنْ وَسَــنــي

مــا خَــوْفُــهــم مــنِّــي؟ ومــا اقــتــرنَــتْ
بــالــحــقــدِ أســرَارِي ولا عَــلَــنِــي

خَافُوا لأنَّ الشرَّ مِهْنَتُهُم
وأنا بلا شرٍّ بلا مِهَنِ
ولأنَّني أذري نقائصَهُمْ
ولأنَّهمْ خانوُا ولَمْ أخُنِ
ولأنَّهم باعوا عروبَتَهم
وعَلوتُ فوقَ البيعِ والثَّمنِ
ورضِيتُ أنْ أشقى وأَسْعَدَهُمْ
وَهَجُ الوُحولِ وزُخرُفُ العَفَنِ

* * *

أحيا كعصفورِ الخريفِ بلا
ريشٍ، بلا عُشٍّ، بلا فَنَنِ
أقتاتُ أوجاعِي وأعزِفُها
وأَشِيدُ مِنْ أصدائِهَا سَكَني
وأتيهُ كالطَّيفِ الشَّريدِ بِلا
ماضٍ، بلا آتٍ، بلا زَمَنِ
وبِلا بلادٍ، مَنْ يُصَدّقني؟
أنّي هُنَا رُوحٌ بلا بَدَنِ
مَنْ ذا يُصَدِّقُ أنَّ لي بَلَداً
عيناهُ مِنْ حُرَقي ولَمْ يَرَني؟
وأنا هُنَا أَرْضَعْتُ أَنْجُمَهُ
سُهْدِي ووسَّدَ ليلَهُ شَجَني

أأعيشُ فيهِ وفوقَ تُربتِه
كالميِّتِ المُلقى بلا كفنِ؟

وَوَلائِدِي بِسُفوحِهِ نَهَرٌ
ومشاعلٌ خُضْرٌ على القُنَنِ

ماذا؟ أيَذرِي إخْوَتي وأَبِي
أنِّي يمانيٌّ بلا يَمَنِ؟

هلْ لي هُنا أو هاهُنَا وَطَنٌ؟
لا، لا.. جراحي وحدَها وطني

⊛⊛⊛

تَحَدِّي

15/ 7/ 1381هـ

نظمت هذه القصيدة في العهد الإمامي المباد

هــدّدونــا بــالــقَــيْــدِ أوْ بــالــسِّــلاحِ
واهْــدِروُا بــالــزَّئــيــرِ أو بــالــنُّــبــاحِ
وَكُــلُــوا جُــوعَــنــا وســيــروا عــلــى أشْــ
ـلائِــنــا الــحُــمْــرِ، كــالــخُــيُــولِ الــجــمــاحِ
واقْــرَعُــوا فَــوْقَــنَــا الــطُّــبُــولَ وَغــطُّــوا
خــزْيَــكُــمْ بــالــتَّــصــنُّــعِ الــفــضَّــاحِ(1)
هــدّدونــا لــن يــنــثــنــي الــزَّحــفُ حَــتَّــى
يَــزحــفَ الــفــجــرُ مِــنْ جــمــيــعِ الــنَّــواحــي

* * *

قــســمــاً لَــنْ نَــعُــودَ حــتــى تــرانــا
رايــةُ الــنَّــصْــرِ فــي الــنَّــهــارِ الــضَّــاحــي
خــوِّفــونــا بــالــمــوتِ، إنَّــا اسْــتَــهَــنَّــا
فــي الــصِّــراعِ الــكــريــمِ بــالأرواحِ
قَــدْ أَلِــفْــنَــا الــرَّدى كــمــا تــألَــفُ الــغــا
بــاتُ عــصــفَ الــخــريــفِ بــالأذواحِ

(1) الطبول: كان ضرب الطبول في العهد الإمامي من أبّهة الدولة.

واحــتــقــرنــا قــطــعَ الــرؤوسِ وأدمَــ
ـنّـا الــمــنــايــا فــي حــانــةِ الــسَّــفَّــاحِ

فــاحْــفِــروا دربــنَــا قــبــوراً فــإنَّــا
ســوفَ نــمــضــي لــلــدَّفــنِ أوْ لــلــنَّــجــاحِ

* * *

نــحــنُ شــعــبٌ أعْــيَــا خــيــالَ الــمــنــايــا
وتَــحــدَّى يــدَ الــزَّمــانِ الــمَــاحــي

كــلَّــمــا أدمَــتِ الــطُّــغــاةُ جَــنَــاحــاً
مِــنــهُ أدمــى نُــحــورَهــا بــجــنــاحِ

أتــعــبَ الــسِّــجــنَ والــقــيــودَ ولَــمْ يــتــعــبْ
وأَغْــفَــى سَــجَّــانُــهُ وهــو صَــاحــي

ســاهــرٌ كــالــنُّــجــومِ يــســتــولِــدُ الــفــجــرَ
وَيُــومــي إلــيــهِ بــالأجــراحِ

* * *

أيُّــهــا الــعــابــثــونَ بــالــشَّــعــبِ زِيــدُوا
لــيــلَــنَــا وامــلأوهُ بــالأشــبــاحِ

لَــغِّــمُــوا دَرْبَــنَــا، ومُــدُّوا دُجــانَــا
واطْــفِــئــوا الــشُّــهــبَ وانــتــظــارَ الــصَّــبــاحِ

ســوفَ نَــمْــشــي عــلــى الــجــراحــاتِ حَــتَّــى
نُــشــعِــلَ الــفــجــرَ مــن لــهــيــبِ الــجــراحِ

فــاسْــتَــبِــيــحُــوا دمــاءَنَــا تــتــورَّدْ
وجــنــةُ الــصُّــبــحِ بــالــدَّمِ الــمُــسْــتــبــاحِ

إنَّـمـا تُـنـبـتُ الـكـرامـاتِ أرضٌ
سـمَّـدتْ تُـربَـهـا عـظـامُ الأضـاحـي

ودمـاءُ الـشّـهـيـدِ أنـضـرُ غـارٍ
فـي جـبـيـنِ الـبُـطـولـةِ الـلّـمَّـاحِ

وجـراحـاتُـنَـا عـلـى الأُفْـقِ أبْـهـى
شَـفَـقٍ لامـعٍ وأزهـى وِشَـاحِ

قَـدْ أجَـبْـنَـا صـوتَ الـمُـرُوءاتِ لَـمَّـا
عَـرْبَـدَ الـظَّـالِـمُ الـعـنـيـدُ الإبـاحـي

وابـتَـنَـى الـقَـصْـرَ مِـنْ ضـلُـوعِ الـمـلايـيـ
ـنِ، وجُـوعِ الأجـيـرِ والـفـلاَّحِ

فـخَـلَـعْـنَـا عـنْ صـدرِهِ قـلـبَ (شـمـ
ـشـونَ) وعـن وجـهِـهِ قـنـاعَ (سـجـاحِ)

نـحـنُ سِـرْنَـا عـلـى الـدِّمـاءِ إلـيـهِ
وعـلـى الـنَّـارِ والـقَـنَـا والـصِّـفـاحِ

وانـطـلـقـنـا عـلـى الـمـنـايـا كـأنَّـا
نـتـمـنَّـى الـحُـتـوفَ فـي كـلِّ سـاحِ

لـم تُـرَنِّـخ مـصـبـاحَـنَـا أيُّ ريـحٍ
دَمُـنَـا الـزَّيـتُ فـي فـمِ الـمِـصـبـاحِ

* * *

نـحـنُ شـعـبٌ خُـضْـنَـا إلـى الـفـجـرِ هَـوْلاً
فـاغِـراً فـي الـطَّـريـقِ كـالـتـمـسـاحِ

وعـبـرنَـا لـيـلاً كـألـسـنـةِ الـحـيَّـ
ـاتِ والـدَّربُ عـاصـفٌ بـالـتَّـلاحـي[1]

وتَـفـشَّـتْ دمـاؤُنـا فـي الـرَّوابـي
الـسُّـمـرِ، كـالـعِـطـرِ فـي مـهـبِّ الـريـاحِ

بـيـنـنـا والـمـرامِ خـطـوةُ عـزمٍ
واثـبٍ كـالـضُّـحـى شـبـابُ الـطِّـمـاحِ

قـسـمـاً لَـمْ نَـقِـفْ عـن الـسَّـيـرِ حـتَّـى
نَـضـفـرَ الـغـارَ فـي جـبـيـنِ الـكـفـاحِ

❂ ❂ ❂

(1) التلاحي: الخصام والسباب.

رحلةُ التِّيه

سنة 1973م

هدَّني السجنُ وأَدمى القيدُ ساقي
فتعايَيْتُ بجُرحي ووِثَاقي

وأضعتُ الخطو في شوكِ الدُّجى
والعَمَى والقيدُ والجرحُ رفاقي

ومللْتُ الجُرْحَ حتَّى ملَّني
جُرحيَ الدَّامي ومكثي وانْطِلاقي

وتلاشيتُ فلَمْ يبقَ سِوى
ذكرياتِ الدَّمعِ في وهمِ المآقي

* * *

في سبيلِ الفجرِ ما لاقيتُ في
رحلةِ التِّيه وما سوف ألاقي

سوف يفنى كلّ قيدٍ وقُوى
كلِّ سفَّاحٍ، وعِطْرُ الجرحِ باقي

سوفَ تَهْدي نارُ جرحي إخوتي
وأُعيرُ الأنجُمَ الوَسْنى احتراقِي

فَلَنَا شعبٌ فمَنْ يُنْكرُني
وهوَ في دَمْعي وسُهْدِي واشْتِياقي؟

أنـــا ألـــقـــاهُ شـــجـــونـــاً ومـــنـــىً
فـــأُلاقـــيـــهِ هـــنـــا قـــبـــلَ الـــتَّـــلاقِـــي

⊛⊛⊛

الحكم للشعب

26 سبتمبر 1962م

لن يستكينَ ولن يستسلمَ الوطنُ
توثّبَ الروحُ فيهِ وانتخى البدنُ

أما ترى كيفَ أغلى رأسَهُ ومضى
يدوس أصنامه البلها ويمتهنُ

وهبَّ كالماردِ الغضبانِ مُتَّشِحاً
بالنّارِ يجتذبُ العَلْيا ويحتضنُ

فزَغزَعتْ معقِلَ الطغيانِ ضربتُه
حتّى هَوَى وتساوى التّاجُ والكفنُ

وأذّنَ الفجرُ من نيرانِ مدفعِهِ
والمعجزاتُ شِفَاهٌ والدُّنا أُذُنُ

تيقّظتْ كبرياءُ المجدِ في دمِهِ
واحمرَّ في مُقْلتيْهِ الحِقْدُ والإحَنُ

* * *

يا صَرْعةَ الظُّلم شقَّ الشعبُ مرقدَهُ
وأشْعَلَتْ دَمَهُ الثّاراتُ والضِّغَنُ

ها نحنُ ثُرنَا على إذْعانِنَا وعلى
نُفوسِنَا واستثارَتْ أُمُّنَا (اليمنُ)

لا (البدرُ) لا (الحَسَنُ) السَّجّان يَحْكُمُنَا
الحكمُ للشَّعبِ لا (بَدْرٌ) ولا (حَسَنُ)

نحنُ البلادُ وسكَّانُ البلادِ وما
فيها لنا، إنَّنا السُّكانُ والسَّكنُ

اليومُ للشَّعبِ والأمسُ المجيدُ لَهُ
لَهُ غدٌ ولهُ التاريخُ والزَّمنُ

فليَخسأِ الظُّلمُ ولتذهبْ حكومتُهُ
ملعونةً وليَولِّ عهدُهَا النَّتِنُ

* * *

كم كابدَ الشَّعبُ في أشواطِهِ مِحَناً
ماذا ترى؟ أنضجَتْهُ هذهِ المِحَنُ

كم خادعتهُ بزيفِ الوعدِ قادتُهُ
هيهاتَ أنْ يُخدعَ الفهَّامةُ الفطِنُ

لن ينثني الشَّعبُ هزَّ الفجرُ غَضْبَتَهُ
فانقضَّ كالسَّيلِ لا جُبنٌ ولا وهنُ

حنَّ الشَّمالُ إلى لُقْيَا الجنوبِ وكم
هزَّتْ فؤاديهِمَا الأشواقُ والشَّجنُ

وما الشمالُ؟ وما هذا الجنوبُ؟ هما
قلبانِ ضمَّتْهُما الأفراحُ والحزنُ

ووحَّد اللَّهُ والتَّاريخُ بينهُما
والحقدُ والجرحُ والأحداثُ والفِتَنُ

* * *

(شـمـسـان) سـوفَ يُـلاقِـي صِـنْـوَهُ (نُـقُـماً)
وتـرتـمـي نـحـوَ (صـنـعـا) أختُـهـا (عـدنُ)

الـمـجـد لـلـشّـعـب والـحـكـم الـمـطـاع لـه
والـفـعـلُ والـقـولُ وهـو الـقـائـلُ الـلَّـسِـنُ

❂ ❂ ❂

من ذا هنا؟

ذو الحجة سنة 1372هـ

مَنْ أُنادي؟ وأنتِ صَمًّا سَمِيعَة
بينَ صَوْتي وبينَ أُمِّي قطيعَة

مَنْ أُنادي؟ مَنْ ذَا هُنا؟ لم يُجِبْني
آهِ، إلاَّ صمتُ القُبور الصَّديعَة

يا بلادي، وأنشني أشغلُ التَّفـ
ـتِيشَ عنِّي، وعَنْ بلادي الصَّريعَة

كيفَ ماتَتْ كما يموتُ شبابُ الـ
ـعِطْرِ في صُفرةِ الغصونِ الخليعَة

من درى كيفَ أطبقتْ مُقلتيهَا
ورمى اللَّيلُ حُلمهَا في مضيعَة؟

أوكلَتْ أمرَهَا الطُّغاةَ كراعٍ
نامَ واستودعَ الذِّئابَ قطيعَة

وتعامَتْ فاستعْبَدَتْها عبيدُ اللَّـ
ـهْوِ باسمِ الهُدى وباسمِ الشَّريعَة

وانزوَتْ وحدَهَا تئنُ وتستلقي
وراءَ الحياةِ، خلفَ الطَّبيعَة

❁ ❁ ❁

لنعترف

أيـنَ أضـعـنَـا يـا رفـاقَ الـسَّـمـاخ
فـجـراً أفـقـنَـا قـبـلَ أن يـسـتـفـيـقْ
نَـسقـيـهِ مـن خـلـفِ الـلَّـيـالـي الشُّحَاخ
دمـاً ويـسـقـيـنـا خَـيـالَ الـرَّحـيـقْ
وفـجـأةً مـن شـاطـئِ الـلَّـيـلِ لاخ
وغـابَ فـيـهِ كـالـولـيـدِ الـغـريـقْ
لا تـغـضـبـوا ضـاعَ كـرجـعِ الـصُّـداخ
فـي ضـجَّـةِ الـفـوضـى وسُـخْـفِ الـنَّـعـيـقْ

***

لِـنـعـتـرِفْ أنَّـا أضـعـنـا الـصَّـبـاخ
فـلْـنـحـتـرِقْ حـتَّـى يُـضـيءَ الـطَّـرِيـقْ
أَلَـمْ نـؤَجِّـج نـحـنُ بـدءَ الـكـفـاخ؟
فـلْـنـتَّـقِـدْ حـتَّـى مـداهُ الـسـحـيـقْ
لـن نَـنْـطـفـي مـا دامَ فـيـنـا جِـراخ
مُـسَـهَّـداتٌ فـي انـتـظـارِ الـحـريـقْ
لـن نـنـطـفـي رغـم احـتـشـاد الـرِّيـاخ
فـبـيـنـنـا والـنَّـصـرِ وعـدٌ وثـيـقْ
وفـجـرُنَـا الآتـي يـمـدُّ الـجـنـاخ
لـنـا ويُـومـي بـاخـتـلاجِ الـبـريـقْ

❂❂❂

ثائران

17 رجب سنة 1382هـ ـ 13 ديسمبر سنة 1962م

مَـنْ (جَـمـالٌ) ومَـنْ أُسـمِّـي (جَـمـالا)؟
مُـعـجِـزَاتٌ مـنْ الـهُـدى تـتـوالـى

وشُـمـوخٌ يـسـمـو عـلـى كُـلِّ فـكـرٍ
وعـلـى كُـلِّ قـمـةٍ يـتـعـالـى

مَـنْ (جَـمـالٌ)؟ حـقـيـقـةٌ تـنـثـني عـنـ
ـهـا الـخـيـالاتُ يـحـتـرِقْـنَ انـفـعـالا

وعـنـادٌ أغـنـيَـا الـبـطـولاتِ حـتَّـى
رجـعَ الـمـوتُ عـنـهُ يـشـكـو الـكـلالا

* * *

مـوكـبٌ مـن مـشـاعـلَ انـطـفـأ الـحسَّـ
ـادُ مِـنْ نـفـخِـهِ وزادَ اشـتـعـالا

وتَـدلَّـتْ أضـواؤه كـالـعـنـاقـيـدِ
فـأذكـت فـي كـلِّ عـيـنٍ ذُبـالا

وتـمـلأ ثُـوَّارُ (صـنـعـا) هُـداهُ
فـاسـتـطـاروا يُـحَـرِّقـونَ الـضَّـلالا

والـتَـقَـوْا يَـغـسـلـونَ بـالـنَّـارِ دُنـيـا
نـا، ويَـمـحـونَ بـالـدَّمِ الأوحـالا

وأَضَاءوا واللَّيلُ يبتلعُ الشُّهْبَ
وأُمُّ الهلالِ تَطْوي الهِلالا

فتَنَاغى ومضُ المآذنِ: ماذا؟
أيَّ فجرٍ أشْتَمُّ فيه (بِلالا)؟

ووراء الحنينِ شعبٌ مُسَجًّى
مَلَّ موتَ الحياة، ملَّ المَلالا

والرُّؤى تسألُ الرّؤى كيفَ ضَجَّ الصَّـ
ـمْتُ، واستفسرَ الخيالُ الخيالا

مَنْ أطلُّوا كصحوِ نيسانَ يكسونَ
الرُّبا الجُرْدَ خُضْرَةً واخْضِلالا

* * *

ومضى الثَّائرونَ يَفْدُونَ شعباً
يَتَحَدَّوْنَ باسمِهِ الآجَالا

كالقلاعِ الجهنَّمِيَّاتِ يَنْقَضُّـ
ـون يَرمونَ بالجِبالِ الجِبَالا

ويَشُبُّونَ ثورةً رَمَتِ التَّاجَ
وَهبَّتْ تُتَوِّجُ الأجْيَالا

ومَشَتْ والشُّروقُ في خَطْوها الجبَّـ
ـارِ، يَنثالُ في الدُّروبِ انْثيالا

ومدَدْنَا المُنَى فكانَتْ عَطَاءً
سَرْمديّاً تَجاوزَ الآمَالا

فَطَفرْنَا إلى الحياةِ كموْتَى
دفعتهُمْ قُبورُهم أطفالا

* * *

وبَدأْنَا الشَّوطَ الكبيرَ وأعددنا لأحْداثِهِ الكبارِ (جَمَالا)
واهتدينا بهِ فكانَ دَليلاً
وأباً يحملُ الجهودَ الثِّقَالا
وبَلَوْنَا فيهِ أخاً لم يزِدْهُ
لهبُ الحادثاتِ إلاَّ صقَالا
ودروبُ الكفاحِ تُنبيكَ عنهُ
كم طَواهَا وأتْعَبَ الأهوالا
وثنى الموتَ في (القناة) وألقى
في أساطيلهِ الحريقَ ارتِجَالا
ورمى الغزوَ والغُزاةَ رماداً
تُخبرُ العاصفاتُ عنهُ الرِّمالا
وفُلولاً تكابَتُ الرُّوحُ فيها
مثلما تكبتُ العجوزُ السُّعَالا

* * *

لا تَسَلْ (بورَ سعيد) واسألْ عداهُ
كيفَ أدمَى اللَّظى وجالَ وصَالا
وتَحدَّى الرَّدى الغضوبَ و(مصْرٌ)
خلفهُ تسحبُ الذُّيولَ اختيالا

وانـتـظـارُ الـفـرارِ والـنَّـصـرُ وعـدٌ
يَـحـتـمـي بـالـمُـحـالِ يُـدني الـمُـحـالا

والـضُّـحـى يـرتـدي رداءً مـن الـنَّـارِ
ويُـرخـي مـن الـدُّخـانِ ظِـلالا

ومـنـايـا تـمـضـي وتـأتـي مـنـايـا
وقـتـالٌ دامٍ يُـثـيـرُ قـتـالا

وسـؤالٌ يَـمـضـي ومـا مـن جـوابٍ
وجـوابٌ يـأتـي يُـعـيـدُ الـسُّـؤالا

فـإذا (نـاصـرٌ) يـقـودُ تِـلالاً
مـنْ شـبـابِ الـقُـوى تَـدُكُّ تِـلالا

وجـحـيـمـاً تـحـتـلُّ أجـسـادَ مَـنْ جـا
ءُوا يَـرومـونَ عـنـدهُ الاحـتـلالا

وأُبَـاةٌ لا يـعـتـدُونَ ويُـهـدونَ
إلـى الـمُـعـتـدي الأثـيـمِ الـزَّوالا

ويـطـيـرونَ يـضـفـرونَ الـنُّـجـومَ الـ
ـخُـضْـرَ (غـاراً) يُـكـلِّـلـون الـنِّـضـالا

وإذا الـنَّـصـرُ بـيـن كَـفَّـيْ (جـمـالٍ)
يـنـحـنـي خـاشـعـاً ويَـنـدى ابـتـهـالا

❋ ❋ ❋

مَـنْ (جـمـالٌ)؟ سـلِ الـبـطـولاتِ عـنـهُ
كـيـفَ أغـرت بـهِ الـعِـدا الأنـذالا؟

فـتـبـارتْ أذنـابُ (لـنـدنَ) تُـزْري
بـاسـمـهِ فـازدهـى اسـمُـهُ وتَـلالا

وأجـادُوا فـيـه الـسِّـبـابَ ولـكـن
يُـحـسِـنُ الـشَّـتـمَ مَـنْ يُـسِـيءُ الـفِـعَـالا

كـيـفَ يـخـشـى أذيـالَ (لـنـدنَ) مَـنْ صبَّ
عـلـى (لـنـدنَ) الـمـنَـايـا الـعـجـالا؟

إنَّ مَـنْ تـضـربُ الـرؤوسَ يـداهُ
لا يُـبـالـي أنْ يـركُـلَ الأذيـالا

* * *

يـا لـصـوصَ الـعـروشِ عـيـبـوا (جَـمـالاً)
واخـجـلـوا أنَّـكـم قَـصُـرْتُـمْ وطـالا

فـسـقـطـتـم عـلـى الـوحـولِ ذُبـابـاً
وسـمـا يـعـبـر الـشُّـمـوسَ مـجـالا

واكـتـمـلـتـم نـقـصـاً وزادَ كـمـالاً
ومَـدَى الـنَّـقـص أنْ يـعـيـبَ الـكـمـالا

فـبَـنَـى أُمَّـةً وشِـدْتُـمْ عُـروشـاً
خـائـنـاتٍ تُـبـارِك الـقـتَّـالا

وقـصـوراً مِـنَ الـخَـنَـا مُـثـقَـلاتٍ
بـالـخـطـايـا كـالـعـاهـراتِ الـحَـبَـالـى

فَـسَـلُـوا عـنـكُـمُ الـلَّـيـالـي الـسُّـكـارى
والـحـسـانَ الـمُـدلَّـلاتِ الـكَـسَـالـى

وضـيـاعَ الـحِـمَـى ومـا لـسـتُ أدري
ودنـايـا شـتَّـى عِـراضـاً طِـوالا

لا تَـضِـيـقُـوا فـإنَّ لـلـشَّـرفِ الـعـا
لـي رجَـالاً، ولـلـدَّنـايـا رِجَـالا

لا تَـضِـيـقُـوا إنَّ الـعـروبـةَ تـدري
مَـنْ (جـمـالٌ) وتـعـرفُ (الـسَّـلالا)

بـطـلُ الـثـائـريـنَ وافـى أخـاهُ
والـبـطـولاتُ تـجـمـعُ الأبـطـالا

أخـوانِ تـلاقـيـا فـاشْـرَأبَّـتْ
(وحـدةُ الـعُـربِ) تـنـحـرُ الانـفـصـالا

فـاهْـتِـفِـي يـا حـيـاةُ: إنَّـا اتَّـحـدنـا
فـي طـريـقِ الـمُـنَـى وزِدْنَـا اتِّـصـالا

والـتـقـى (الـنـيـلُ) و(الـسَّـعـيـدةُ) جِـسْـمـاً
صـافَـحَـتْ كَـفُّـهُ الـيـمـيـنُ الـشِّـمَـالا

***

وطنـي

سنة 1373هـ

وطـنـي أنـت مُـلـهـمـي هَـزَجَ الـمـغـرم الـظَّـمـي
أنـت نـجـوى خـواطـري والـغـنـا الـحـلـوُ فـي فـمـي
ومـعـانـيـكَ، شـعـلـةٌ فـي عـروقـي وفـي دمـي
أنـت فـي صـدر مـزهـري مـوجـة مـن تـرنّـمِ
وصـدىً مـسـكـرٌ إلـى عـالـمِ الـخـلـد يـنـتـمـي
ونـشـيـدٌ مـعـطَّـرٌ كـالـربـيـع الـمـرنَّـمِ
وهُـتـافٌ مـسَـلـسـلٌ كـالـرحـيـق الـمـخـتَّـمِ

* * *

إيـهِ يـا مـوطـنـي أفِـقْ مـن كـراكَ الـمـخـيِّـمِ
طـالـمـا تـهـت فـي الـدُّجـى والـظَّـلام الـمـطـلـسـمِ
وقـطـعـتَ الـمـتـاهَ فـي مـأتـم بـعـد مـأتـمِ
وتـمـشَّـيـت فـي الـلَّـظـى والـعـذابِ الـمـنـظّـمِ
أنـت تـجـثـو عـلـى الـلّـظـى وعـلـى الـشـوك تـرتـمـي
سَـاسَـكَ الـجـوع والـشَّـقـا والـنّـظـامُ الـجـهـنَّـمـي
إنَّ بـلـواكَ مـنـك هـل أنـت مِـنْ أنـتَ تـحـتـمـي؟
فـتـوثَّـبْ إلـى الـعـلا وثـبـةَ الـفـارس الـكـمِـي
وخُـضِ الـنَّـارَ واحـتـمـلْ كـبـريـاءَ الـتَّـألُّـمِ
واصـرعِ الـظّـلـم تـكـتـفِ ذلَّ شـكـوى الـتَّـظـلُّـمِ

۞ ۞ ۞

عازفُ الصَّمت

17 ذي القعدة سنة 1382هـ ـ 11 أبريل سنة 1963م

أطلْتَ هنا وهناكَ الوقوف
تُلَبِّي طُيوفاً وتدعو طُيوف

وفي كُلِّ جارحةٍ منكَ فِكْرٌ
مُضيءٌ وقلبٌ شجيٌّ شَغُوف

تُغَنِّي هُنا وتناجي هُناك
وتَغزلُ في شفتيكَ الحروف

وتهمسُ حتَّى تعيرَ الصُّخُورَ
فماً شادياً وفُؤاداً عَطُوف

وتُعطي السُّهولَ ذهولَ النَّبيِّ
وتُعطي الرُّبا حيْرةَ الفيلسوف

تُلَحِّنُ حتَّى تُرابَ القُبور
وتَعزِفُ حتَّى فراغَ الكُهوف

وتُفني وجُوداً عتيقاً حقيراً
وتَبْنِي وجُوداً سَخيّاً رَؤوف

وتَغرِسُ في مُقْلَتيْكَ الرُّؤى
كُروماً تَمُدُّ إليكَ القُطُوف

وتَـرنـو، وتَـرنـو وعَـيْـنَـاك شَـوْقٌ
هَـتُـوفٌ يُـنـاجِـيـهِ شَـوْقٌ هَـتـوفْ

وأنـتَ حَـنِـيـنٌ يُـنـادي حَـنِـيـنـاً
وألـفُ سُـؤالٍ يُـلـبِّـي أُلُـوفْ

ودُنْـيـاكَ عُـشٌّ يُـغَـنِّـي ثَـرَاهُ
فَـتَـخْـضَـرُّ أَصْـدَاؤه فـي الـسُّـقـوفْ

❊ ❊ ❊

وحـيـنَ تَـفِـيـقُ وتَـفْـنَـى رُؤَاكَ
ويَـنْـأى الـخـيـالُ الـمُـرِيـدُ الـعَـزُوفْ

تَـرى هـاهُـنَـا وتُـلاقـي هـنـاك
صُـفـوفـاً مِـنَ الـوَحْـلِ تَـتْـلُـو صُـفـوفْ

عـلـيـهـا وجُـوهٌ أراقَ الـنِـفـاقُ
مَـلامِـحَـهَـا، وأضـاعَ الأُنُـوفْ

وقَـتْـلـى دَعَـوْهَـا ضـحـايـا الـظُّـرُوف
وكـانـوا الـضَّـحـايـا وكـانـوا الـظُّـروفْ

أكـانـوا مـلاهـي صـروفِ الـزَّمـان؟
وأُولَـى وأُخْـرى مَـلاهـي الـصُّـروفْ

وتَـشْـتَـمُّ فـوقَ اخـمِـرارِ الـتُّـراب
صـدًى غـائِـمـاً مِـنْ أغـانـي الـسُّـيُـوفْ

وتـلـمـحُ فـوقَ امـتـدادِ الـدُّروب
سـيـاطَ الـخـطـايـا تَـسـوقُ الـزُّحُـوفْ

ومَقْبرةٌ يَظْمأُ المَيِّتُونَ
عليها ويحسُوْنَ وعداً خَلُوفْ

ومُجْتَمَعاً حَشريًّا يَحِنُّ
على غيرِ شيءٍ حنينَ الألُوفْ

ويَغدو على دَمِهِ كالذِّئابِ
ويَلْقى الذِّئابَ لقاءَ الخَروفْ

* * *

فماذا هُنا من صُنوفِ السُّقوط؟
أحطُّ الصُنوفِ وأَخْزى الصُنوفْ

هُنا الأرضُ مُسْتَنقعٌ مِنْ ذبابٍ
هُنا الجوُّ أُرْجُوحَةٌ مِنْ كُسُوفْ

يُطَبِّلُ للخائِنِينَ الطَّريقُ
كأنَّ حَصَاهُ اسْتَحالت دُفُوفْ

◎◎◎

مـآتم وأعـراس

29 شعبان 1382هـ ـ يناير سنة 1963م

أذاع الشاعر هذه القصيدة من (راديو صنعاء) بمناسبة مرور أربعة أشهر من عمر الثورة اليمنية المظفرة.

كـيـفَ كُـنَّـا يـا ذِكْـريـاتِ الـجـرائِـمْ
مـأتـمـاً فـي الـضَّـيَـاعِ يَـتْـلـو مـآتِـمْ؟
كـيـفَ كُـنَّـا قـوافِـلاً مِـنْ أنـيـنِ
تَـتَـعـايـا هُـنـا كـشـهْـقـاتِ نـادِمْ؟
وقَـطـيـعـاً مـن الـبَـراءاتِ يَـهْـوي
مِـنْ يَـدَيْ ذابـحٍ إلـى شـذْقِ لاقِـمْ
ومَـضَـيْـنـا يَـسُـوقُـنـا سَـيـفُ جـلاَّ
دٍ، وتَـنْـجَـتَـرُنَـا سـكـاكـيـنُ ظـالِـمْ
ضـاعَ فـي خَـطْـوِنـا الـطَّـريـقُ فَـسِـرْنـا
ألـمـاً واجِـمـاً عـلـى إثْـرِ واجِـمْ
والـسُّـكـونُ الـمَـديـدُ يـبـتـلـعُ الـحُـلْـمَ
ويَـسْـري فـي وهـمِـنَـا وهـو جـاثِـمْ
والـدُّجـى حـاقِـدٌ يَـبـيـعُ الـشـيـاطـيـنَ
فَـنَـشْـري مـن الـقُـبـورِ الـتَّـمـائِـمْ
وخُـطـانَـا دمٌ تَـجـمَّـدَ فِـي الأَشْـ
واكِ جَـمْـراً وفِـي الـصُّـخـورِ مَـيَـاسِـمْ

وريـــاحُ الـــثُّـــلـــوجِ تَـــشْـــتِـــمُ مَـــسْـــرَا
نـــا، فَـــتَـــشْـــوي وجُـــوهَـــنـــا بـــالـــشَّـــتَـــائِـــمْ

***

كـيـفَ كُـنَّـا نَـقْـتـاتُ جُـوعـاً ونُـعْـطِـي
أَرْذَلَ الـمُـتْـخَـمِـيـنَ أشْـهَـى الـمَـطَـاعِـمْ؟
وجِـــرَاحَـــاتُـــنَـــا عـــلـــى بـــابِ (مـــولا
نـــا) تُـــقِـــيـــمُ (الـــذُّبـــابُ) مِـــنـــهـــا ولائِـــمْ
وهـو فـي الـقـصرِ يَـحْـتَـسي الـشَّـعبَ خَـمْـراً
ودَمـــاً والـــكُـــؤوسُ غَـــضْـــبـــى لَـــوَائِـــمْ
ويُـــرَائِـــي وفِـــي حَـــنَـــايَـــاهُ دُنْـــيـــاً
مِـــنْ ضَـــحَـــايـــا وعَـــالَـــمٌ مِـــنْ مـــآثِـــمْ
فَـــنُـــفَـــدِّيـــهِ وهـــو يُـــغْـــمِـــدُ فـــيـــنـــا
صـــارِمـــاً مُـــدْمِـــنـــاً ويَـــسْـــتَـــلُّ صـــارِمْ
ويَـــشِـــيـــدُ الـــقـــصـــورَ مِـــنْ جُـــثَـــثِ الـــشَّـــعـــبِ
الـــمُـــسَـــجَّـــى ومِـــنْ رُفَـــاتِ الـــمـــحـــارِمْ
ويُـــغَـــطِّـــي بـــالـــتَّـــاجِ رَأســـاً خـــلايَـــاهُ
وأَفْـــكَـــارُهُ ذِئـــابٌ حـــوائِـــمْ
وتِـــلالٌ مِـــنَ الـــحِـــرابِ وكَـــهْـــفٌ
مِـــنْ ضَـــوَارٍ وغـــابَـــةٌ مِـــنْ أراقِـــمْ

***

كـــيـــفَ كُـــنَّـــا نَـــدْعُـــوهُ مَـــوْلـــىً مُـــطَـــاعـــاً
وهـــو لـــ(الإنْـــجِـــلـــيـــزِ) أَطْـــوَعُ خـــادِمْ؟

هَـدَّنـا الـضَّـعـفُ فـادَّعـى قُـوَّة (الـجـنِّ)
وبـأْسَ الـرَّدى وفَـتْـكَ الـضـيـاغِـمْ
فَـتَـحَـامَـاهُ ضَـعـفُـنـا واتَّـخَـذْنَـاهُ
إلـهـاً مِـنْ (شَـغْـوَذَاتِ) الـمَـزَاعِـمْ
عَـمْـلـقَ الـدَّجْـلُ شَـخْـصَـهُ وهـو قـزمٌ
تـتـطـنَّـاهُ قـاعِـداً وهـو قَـائِـمْ!
وصَـبِـيَّ الـشُّـذوذِ وهـو عـجـوزٌ
نـصـفُـهُ مـيِّـتٌ، وبـاقِـيـهِ نـائِـمْ!
وأثـيـمٌ أيَّـامـه لـلـدَّنـايـا
ولـيـالـيـهِ لـلـبَـغـايـا الـهـوائِـمْ
ويـداهُ يَـدٌ تُـجـرِّحُ شـعـبـاً
ويـدٌ تَـقْـطـفُ الـجِـراحَ (دراهِـمْ)

* * *

ويُـوَلِّـي عـلـى الـوزاراتِ والـحُـكْـمِ
رِجـالاً كـالـعـانـسـاتِ الـنَّـواقِـمْ
ولُـصـوصـاً كـأنَّـهـم قـومُ (يـاجُـوجَ)
صـغـارُ الـنُّـهـى كِـبَـارُ الـعَـمـائِـمْ
وطِـوالُ الـذُّقـونِ شُـعْـثـاً، كـأهـلِ
الـكـهـفِ؛ بـل كـالـكـهـوفِ صُـمٌّ أعـاجِـمْ
يَـحْـكُـمـونَ الـجُـموعَ والـعـدلُ يـبـكـي
والـمـآسـي تُـدْمِـي سُـقُـوْفَ الـمَـحـاكِـمْ
تـارةً يَـرْقـصـون فـوقَ الـضَّـحـايـا
وأوانـاً يُـشَـرِّعـونَ الـمـظـالِـمْ

فيُسَمُّونَ (شرْعَةَ الغابِ) حَزْماً
إن أصابوا فالذِّئبُ أحْزَمُ حازِمْ
ويُصَلُّونَ والمحاريبُ تَستفتي:
متى تصبحُ الأفاعي حمائِمْ؟
ويعودونَ يلفظونَ الحَكايا
مثلما تَنثرُ النشيلَ البهائِمْ
ويميلونَ يعبرونَ الرّؤى خَيْراً
وشَرّاً من خاطرِ الغيبِ ناجِمْ
كلّهم متحفُ الغباءِ وكُلٌّ
يدَّعي أنَّهُ محيطُ المعاجِمْ
فيلوكون مِنْ (مريضِ) التَّواريخ
حُروفاً من فَهْرَساتِ التَّراجِمْ
ويُنيلونَ (باقِلاً) ثَغْرَ (قِسٌّ)
ويُعيرونَ (مَادِراً) جودَ (حاتِمْ)
كيفَ هُنَّا فقادنا أغْبِياءٌ
ولصوصٌ متوَّجُونَ أكارِمْ؟
وصِغارٌ مُؤَنَّثونَ وغِيدٌ
غالياتُ الحُلى رخاصُ المباسِمْ

* * *

هكذا كَانَ حاكمونا وكُنَّا
فنَحرْنَا فينَا خُضوعَ السَّوائِمْ
وانتظرنَا الصَّباحَ حتَّى أَفَقْنَا
ليلةً وهو ضجَّةٌ مِنْ طلاسمْ

أتُرى قامتِ القيامةُ أم هَبَّ
العفاريتُ يَطْحَنُونَ القماقمْ؟

وأصَخْنَا نُفَسِّر الوَهْمَ بالأو
هامِ والظَّنَّ بالظُّنونِ الرَّواجِمْ

ووراءَ الضَّجيجِ إيماءُ رَعْدٍ
يزرعُ الشُّهبَ في يدَيْهِ خواتِمْ

والدُّجى يَعْلُكُ السُّكونَ ويَغْدو
مثلما تَعْلِكُ الخيولُ الشَّكائِمْ

* * *

وسألنا ماذا؟ فأوْمتْ طُيوفٌ
زاهراتُ البنانِ خُضْرُ المعاصِمْ

وتَحدَّى صمتَ القبورِ دويٌّ
شَفقيُّ الصَّدى عَنِيدُ الغماغِمْ

والعيانُ الكبيرُ ميعادُ رؤيا
أنكَرتْ صِدْقَهُ العيونُ الحوالِمْ

وإذا فاجأ اليقينُ على الشَّكِّ
حسبْتَ اليقينَ تهويلَ واهِمْ

وهُنا حرَّق الغيومَ انفجارٌ
والصَّدى يعزفُ اللهيبَ ملاحِمْ

فتراخَى (قصرُ البشائِر) كالشَّيخِ
ولاذَتْ جُدرانُهُ بالدَّعائِمْ

واخْـتَـمـى بـالـقـوى فَـضَـجَّ عـلـيـهِ
لَـهَـبٌ عـارِمٌ يـلـبِّـيـهِ عـارِمْ

وحـريـقٌ يُـدْمِـي قُـواهُ ويـمـضـي
وحـريـقٌ جـهـنَّـمـيٌّ يُـهـاجِـمْ

فـارتـمـى فـي الـلَّـظـى كـمـا تَـرْتَـمـي الأفْـ
ـيَـالُ حُـمْـرَ الـرؤوسِ جـرحـى الـقـوائِـمْ

وتـعـالـى الـدُّخـانُ والـنَّـارُ فـالـلَّـيـلُ
نـهـارٌ صـحـوُ الأسـاريـرِ غـائِـمْ

وتَـنَـادَى الـشُّـروقُ مـن كُـلِّ أُفْـقٍ:
ثـورةٌ فـانـبـئـي الـرُّبـا يـا نَـسَـائِـمْ

فـإذا مـأتـمُ الـمـآتـم أعـرا
سٌ نَـشـاوَى مُـزغـرِدَاتٌ نـواغِـمْ

* * *

أشـرقَ الـثَّـائـرونَ فـالـمـوتُ عُـرْسٌ
وأنـيـنُ الـحِـمَـى لُـحـونٌ بَـواسِـمْ

وارْتـعـاشُ الـخـريـفِ دفءٌ رَبـيـعِـيٌّ
وصـيـفٌ دانـي الـعـنـاقـيـدِ دائِـمْ

والـجِـراحُ الـتـي عـلـى كُـلِّ شـبـرٍ
أثـمـرتْ فَـجْـأةً وكـانـتْ بـرَاعِـمْ

مَـنْ رَأى الـثـائِـريـنَ زَحْـفـاً مـن الـخَـصْـبِ
وزحـفـاً مـنْ شـامـخـاتِ الـعَـزائِـمْ؟

وصــبــاحــاً ضَــافــي الــشُّــروقِ مُــطِــلاً
وصــبــاحــاً فــي شــاطــئ الــلَّــيــلِ عــائِــمْ
وشــبــابــاً تَــوهَّــجُــوا فــانْــطَــفَــا (نَــيْــ
ـرونُ) وانــهــارَ أغــبــرَ الــوجــهِ فــاحِــمْ
واسْــتَــثَــاروا دفءَ الــحــيــاةِ فــمــاتَ الــ
ـمــوتُ، وانــقَــضَّ عــرشُــهُ وهــو راغِــمْ
وأطــلَّــتْ وجُــوهُــهــم مِــنْ وراءِ
الــلَّــيــلِ، كــالــصَّــحــوِ مِــنَ وراءِ الــغــمــائِــمْ
ومَــشَــوْا تــزرعُ الــدُّروبَ خُــطَــاهُــم
مَــوْسِــمــاً طــيِّــبــاً يَــجُــرُّ مــواسِــمْ
وشُــمــوســاً هَــواتِــفــاً وانــتــصــاراً
حــاسِــمــاً يــهــتــدي عــلــى إثْــرِ حــاسِــمْ
والــضُّــحــى فــي الــدُّروب يــمــرحُ كــالأفــ
ـراحِ، فــي أعــيُــنِ الــصَّــبــايــا الــنَّــواعِــمْ

* * *

فــتــهــادَتْ مــواكِــبُ الــشَّــعــبِ ألــوا
نــاً كــنــيــســانَ مــائــجِ الــحُــسْــنِ فــاغِــمْ
وتــوالَــتْ حُــشــودُهُ الــكُــثْــرُ تَــشْــدو
فــالــرُّبــا والــسُّــهــولُ شــادٍ وبــاغِــمْ
ونــســيــنــا فــي غَــمْــرَةِ الــبِــشْــرِ عــهــداً
أسْــودَ الــقَــلْــبِ أحــمــرَ الــسَّــيــفِ قــاتِــمْ

كُـلَّـمـا عَـبَّ جِـيـفـةً مـدَّ لـلأُخـرى
كُـؤوسـاً كـحـنـجـراتِ الـضَّـراغِـمْ

كـانَ حـكَّـامُـهُ ذبـابـاً عـلـيـهـا
مـن صـديـدِ الـجِـراحِ أخْـزَى الـمـعـالِـمْ

وذِئـابـاً بُـلـهـاً وكُـنَّـا قـطـيـعـاً
قَـسَّـمُـونـا واسـتَـجْـمَـعـونـا غـنـائِـمْ

فـانْـقَـسَـمْـنَـا بِـرُغـمـنـا وسـألـنـا
أيـنَ أيـنَ الـقُـربَـى؟ وأيـنَ الـمـراحِـمْ؟

أوَمـا نـحـنُ إخـوةٌ أمُّـنـا الـخَـضْـ
ـراءُ؟ فـيـمَ اخـتِـصـامُـنَـا؟ مَـنْ نُـخـاصِـمْ؟

أنـجـبـتْـنـا هٰـذي الـبـلادُ فـأنْـهَـتْ
بِـدَعَ الـفـنِّ قـبـلَ بـدءِ الـعَـوالِـمْ

وغـذَتـنَـا تـآخـيـاً كـانَ أبْـقَـى
مـن رُبـا ريـفِـهـا ووَهْـجِ الـعَـواصِـمْ

* * *

فـمَـضَـوْا يُـطـعِـمُـونَـنَـا الـحِـقـدَ حـتَّـى
جَـهِـلَ الـمـرءُ قـصـدَهُ وهـوَ عـالِـمْ

وتَـمـادَوْا فـي الـهـدمِ حـتَّـى كَـسَـرْنـا
مِـعـولَ الـحِـقـدِ فـي يـدَيْ كُـلِّ هـادِمْ

ودفـنَّـا حُـكْـمَ الـشُّـذوذِ رُفـاتـاً
واحْـتَـشَـدنَـا نـتـوِّجُ الـشَّـعـبَ حـاكِـمْ

والـتـقـيـنـا نـمُـدُّ لـلـفـجـرِ أُفـقـاً
مِـن دمِ الـتَّـوأمـيـنِ (عـادٍ) و(هـاشِـمْ)
ومَـراحـاً مـن تـضـحـيـاتِ (الـبَـلاقِـيـسِ)
وَمَـغـدى مِـنْ تـضـحـيـاتِ (الـفَـواطِـمْ)
فـانـطـلـقْ حـيـث شـئـت يـا فـجـرُ إنَّـا
قَـدْ فَـرَشْـنَـا لـك الـدُّروبَ جـمـاجِـمْ
وزَحَـفْـنَـا نَـهْـدِي الـهُـدى ومـدَدْنَـا
مـن قُـوانَـا إلـى الأعـالـي سـلالِـمْ
وسَـمَـوْنَـا صَـفْـاً مـبـادئـهُ الـحـبُّ
وغـايـاتُـهُ سـمـاءُ الـمـكـارِمْ

* * *

وأضَـأْنـا حـتَّـى انـثَـنـى سـارقُ الإسْـ
ـلامِ عـريـانَ يَـخْـتَـمـي بـالـهـزَائِـمْ
واشـرأبَّـتْ أرضُ الـنَّـبِـيِّ تُـدوِّي
مَـنْ (سُـعـودٌ)؟ أطْـغـى وأغْـشَـمُ غـاشِـمْ
وغَـبِـيٌّ سَـلْـمٌ لـكـلِّ عـدوٍّ
وهـو حَـرْبٌ عـلـى أخِـيـهِ الـمُـسَـالِـمْ
مَـنْ رآه يَـرْجـو (حُـسَـيـنـاً) ويَـهْـذي:
مَـنْ يَـقِـيـنَـا هَـؤلاَ مِـنْ الـنَّـارِ داهِـمْ؟
فـيـعـودُ الـجـوابُ عـنـهُ سُـؤَالاً:
هَـلْ لـطـاغٍ مِـنْ غـضـبـةِ الـشَّـعـبِ عـاصِـمْ؟

❁❁❁

الحريقُ السَّجين

3/ 1/ 1383هـ ـ 26/ 5/ 1963م

هـــنـــاكَ وراءَ الأنـــيـــنْ
أنِـــيـــنِ الـــتُّـــرابْ
حَـــريـــقٌ ســجِـــيـــنْ

يُهَدْهِدُ خَلْفَ امتدادِ الغيومِ صـبــاحــاً دفــيــنْ
يَـمــدُّ نـهـودَ أغـانـيـهِ، يُـرضـعـنَ حُـلْـم الأنِـيـنْ
وتَـخْـضَرُّ بـينَ جناحيْ صَدَاهُ رمـالُ الـسّـنـيـنْ
عـلـى وَجْـهِـهِ مِنْ سُهادِ اللَّـ يـالـي ذهـولٌ حَـزِيـنْ
وجُـوعٌ إلـى لا مَـدَى حَـنـيـنٌ يُـنَـادي حَـنِـيـنْ

❊ ❊ ❊

وشَـوْقٌ يُـفَـتِّـش فـي كُـلِّ طَـيـفِ عـن الـجـنَّـةِ الـضـائِـعَـةْ
ويُـنـهِـضُ مـن عـثـراتِ الـتُّـرابِ مُـنـىً ضـارعَـةْ
ويَـحْـسـو الـفَـراغَ ويـسـقِـيـهِ أُغْـنـيَـةً رائِـعَـةْ
ويَـسْـتَـودِعُ الـرِّيـحَ أنْـفَـاسَ رغـبـتِـهِ الـجـائِـعَـةْ

❊ ❊ ❊

ويُـوقِـدُ أَشْـلاَءَهُ لـلـرُّؤى والـصَّـدى الـعـائـدِ
ويَـطْـمَـعُ أَنْ يَـسْـتـفِـزَّ ضـمـيـرَ الـدُّجَـى الـحـاقِـدِ
وحَـشْـرَجَـةُ الـشُّـهـبِ فِـيـهِ بـقـايـا دَمٍ جـامِـدِ
ويُـغْـطِـي عُـيـونَ الـجَـلـيـدِ رُؤى الـمـوسـمِ الـواعِـدِ

وتَـغـوي الـرِّيـاحُ فـيـخَـفِـقُ كـالـطَّـائِـرِ الـبَـارِدِ
ويَـغـيَـا جَـنَـاحٌ فـيَـسْـمـو عـلـى جـانِـحٍ واحِـدِ

* * *

يُـدَلِّـلُ فَـوْقَ انـتـظـارِ الـرُّبـا مُـنْـيَـةً كـادِحَـةْ
ويَـسْـقِـي الـحـنـانَ قُـبُـوراً هُـنـاكَ مُـعَـذَّبَـةً صـائِـحَـةْ
تُعالِجُ أوْجَاعَـهَا الـمُعـضِلاتِ بِـ(يٰـس) و (الـفـاتِـحَـة)
وتَخْشَى خيالَ الشُّروقِ فتغلقُ حُـفْـرَتَـهَـا الـنَّـازِحَـةْ

●●●

شمسان

سنة 1373هـ

حُرَقُ (الجنوبِ) قذائفٌ في مُهجَتي
تَغزو الحدودَ وتَحرِقُ الأسْدَادا

وحدي وفي أرضِ الجنوبِ عشيرتي
تتطلَّبُ السُّقيا وتَرجو الزَّادا

وتَسيرُ في الأصفادِ تائِهةَ الخُطَى
تَستنجِدُ الأغْوارَ والأنْجَادا

فمتى تُحَرِّقُ بالدِّمَا أصفادَهَا
وتُبيدُ مَنْ صَنَعوا لها الأصْفادا

دَعْني أُلَمْها في القيودِ، لعلَّها
تَتَذكَّرُ الآباءَ والأجْدادا

ولعلَّها ترنو إلى تاريخِنَا
فتَرى الفُتوحَ وتَعرِفُ القُوَّادا

فعلى رُبا التَّاريخِ مجدُ جدودِنَا
يَهْدِي البنينَ ويُرشِدُ الأحْفَادا

أذنى المَواطِنِ مَوطِنٌ إنْ هَزَّهُ
جُرْحُ الكرامةِ للصِرَاعِ تَمَادى

وأَذَلُّ ما في الأرضِ شعبٌ يَجْتدي
مُسْتَعْمِراً ويُؤَلِّهُ اسْتِبدادا

ويَـئـنُّ مِـنْ جَـلاَّدِهِ وهـو الَّـذي
صَـنَـعَ الـطُّـغـاةَ وسَـلَّـحَ الـجَـلاَّدا

فـي الـنَّـاسِ أنـذالٌ وأوغَـدُ أُمَّـةٍ
مَـنْ ولَّـتِ الأنْـذالَ والأوْغـادا

(صِـرواحُ) يـا شَـمَـمَ الـبـطـولـةِ لـم يَـزَلْ
(شـمـسـانُ) يَـسْـطـعُ بـاسـمِـك الأطْـوادا

* * *

(شـمـسـانُ) زَمْـجَـرَ بـالإبـاءِ وأرْعَـدت
هَـضَـبـاتُـه تَـتَـحَـرَّقُ اسْـتِـشْـهـادا

أنِـفَ الـدَّخـيـلَ فَـسِـرْ إلـيـهِ وشُـدَّ فـي
زَنْـدَيْـكَ مـنـهُ سَـواعِـداً وزِنـادا

واذْرِ الـعـداةَ عـلـى الـسّـفـوحِ وفـي الـرُّبـا
مِـزَقـاً كـمـا تَـذْرو الـرِّيـاحُ رمـادا

❁ ❁ ❁

قالت الضحية

ذو القعدة سنة 1382هـ

كـيـفَ كُـنـتـم أيَّـامَ كُـنْـتُ مُـثِـيـرَة؟
حـشـراتٌ حَـولِـي وكُـنْـتُ أمِـيـرَةْ

كُـنْـتُ أمـشـي فـتَـفْـرِشـونَ طَـرِيـقـي
نـظَـراتِ مُـسْـتَـجـديـاتٍ كـسـيـرَةْ

وشُـجـونـاً حُـمْـراً وشَـوْقـاً رَخـيـصـاً
ونِـداءً وثَـرثَـراتٍ كَـثـيـرَةْ

تَـتَـنَـاجَـوْنَ بَـيـنَـكُـمْ: أتُـراهـا
بـنـتُ (كِـسْـرى) أم (شَـهـر زاد) الـصـغـيـرة؟

لـو رأى (شَـهـريـارُ) طَـيْـفَ صِـبـاهـا
بـاعَ فـيـهـا سُـلـطـانَـهُ وسـريـرَهْ

وتَـحـومـونَ تَـزرعَـون رمـالَ الـ
ـجُـوْعِ نَـجـوى وأمـنـيـاتٍ وَفِـيـرَةْ

لـيـتـهـا لِـي أو لـيـتَ أنِّـي طـريـقٌ
لـخُـطـاهـا تَـمُـدُّ فـيـهِ الـمـسـيـرَةْ

لـيـتـنـي مـشـطُـهـا فـأَشْـتَـمَّ مـنـهـا
شـعـرَهَـا أو أكـونَ فـيـهِ ضَـفـيـرَةْ

لـيـتـنـي ثـوبُـهَـا. ويَـهـمـسُ ثـانٍ
يَـدَّعـي أنَّـهُ مُـنـاهـا الـكـبـيـرَةْ

آخـرُ الـعـهـدِ بـيـنـنـا سـمَـرُ الأمـسِ
شَـكـوتُ الـهَـوَى وبَـثَّـتْ سعـيـرَهْ

لا تَـقـولـوا: سـامَـرْتُ وهـمـاً فـمـا زالَ
عـلـى سـاعِـدَيَّ دِفءُ الـسَّـمـيـرَهْ

فَـيُـلَـبِّـيْـهِ ثـالِـثٌ: لـيـتَ أنّـي
نُـقـطـةٌ فـوقَ خـدِّهـا مُـسْـتَـديـرَهْ

ويُـجـاريـهِ رابـعٌ: فَـيُـغَـنّـي
لـيـتـنـي الـبـحـرُ وهـي فِـيَّ جـزِيـرَهْ

ويُـعـيـدُ الـمُـنـى أديـبٌ شَـجِـيٌّ
لـيـتَـهـا جـدولٌ أُنـاغـي خـريـرَهْ

هـكـذا كُـنـتـمْ أمـامـي وخَـلْـفِـي
غَـزَلاً مُـغـرِيـاً وكُـنـتُ غَـرِيـرَهْ

ولأنّـي أُنـثـى وأُمّـي عـجـوزٌ
مـاتَ عـنـهـا أبـي، سَـقَـطْـتُ أجِـيـرَهْ

كـيـفَ أروي حِـكـايـتـي؟ وإلـى مَـنْ؟
كـيـفَ تَـشـكـو إلـى العـقـورِ الـعَـقِـيـرَهْ

نـشـأتْ قِـصَّـتـي وكـانَ أبِـي كَـهْـلاً
وَقُـورَ الـسِـمَـاتِ نـذلَ الـسَّـريـرَهْ

يَـشْـتَـري كُـلَّ حَـظِّـهِ مِـنْ عَـجـوزٍ
بـالأسـاطـيـرِ والـغُـيـوبِ خَـبـيـرَهْ!

كـانَ زُورُ الـمـديـحِ يَـحـلـبُ كـفَّـيْـهِ
ويُـعـطـيـهِ وَسْـوَسَـاتٍ خَـطـيـرَهْ

فَيَرى أنَّ قومَهُ أهمَلُوهُ
فأَضَاعُوا أنقَى وأغْلَى ذخيرَةْ

فَتَمَنَّى قتلَ الأُلوفِ ولكنْ
بُغيةٌ صَعبةُ القِيادِ عَسيرَةْ

فالتوى يَذبحُ الصِّغارَ مِنْ الأطْـ
ـفالِ أو يخطفُ الصَّبايا النَّضيرَةْ

ويُرابي بالبائِساتِ وراءَ الْـ
ـحَيِّ والهيْنَماتُ تُخْفِي نَكِيرَهْ

واخْتَمَى بالصَّلاةِ لم يَدنُ مِنْهُ
بَصَرُ الحيِّ أو ظُنونُ البصِيرَةْ

فانْثَنى ليلةً كما يَخْبِطُ المَخْـ
ـمُورُ في الوَحْلِ، والسَّماءُ مَطيرَةْ

قلِقاً تجرحُ الفراغَ خطاهُ
وهو يُصْغي إلى خُطَاهُ الحَسيرَةْ

وصَفِيرُ السُّكونِ ينفخُ أُذنيْهِ
فيرتابُ، يَسْتعيدُ صَفيرَهْ

وتَمادى تَنَهُّدُ الجوِّ حوليْهِ
ووَالى شَهِيقَهُ وزَفِيرَهْ

ورَمى خلفَهُ وبيَنَ يديهِ
عاصِفَاً أدمَتِ البروقُ هَدِيرَهْ

وعلى المُنْحَنى حُفيرَةُ صَخْر
جاءَها فانْطَوَتْ عليهِ الحفيرةْ

وهُـنـاكَ انـتـهـى أو انْـقـضَّـتِ الـجِـنُّ
عـلـيـهِ كـمـا تـقـولُ الـعَـشِـيـرَةْ
زعـمـوه كـأنْ يـصـيـحُ مـن الـصَّـخـر
ويَـرجـو أصـداءَهُ أن تُـجِـيـرَهْ
لـسـتُ أدري كـيـفَ انـتـهـى؟ مـاتَ يَـوْمـاً
ورَمَـى عِـبْـئَـهُ عـلـيـنـا ونِـيـرَهْ

* * *

فَـتَـبـنَّـى الـضَّـيـاعُ طِـفْـلاً كـسِـيـحـاً
وأنـا، والأَسَـى وأُمّـاً فَـقِـيـرَةْ
فـسـهـرنـا نَـشْـقـى ونَـسْـتَـرجِـعُ الأمـسَ
ونـبـكـي أبـي ونـرويـهِ سِـيـرَةْ
كـانَ يَـشْـرِي الـحُـظـوظَ مـن أُمِّ يـحـيـى
كُـلَّ يـومٍ كـانَـتْ لـهُ كـالـمُـشِـيـرَةْ
كـانَ يَـمْـتَـدُّ هـاهُـنـا كُـلَّ لـيـلٍ
وهـنـا يَـرتـمـي قُـبـيـل الـظَّـهِـيـرَةْ

* * *

كُـنْـتُ فـي مِـحـنـتـي كـزَنـبـقـةِ الـرَّمـلِ
أُعـانـي جـفـافَـهُ وهـجـيـرَهْ
فـأَشَـرْتُـمْ إلـيَّ بـالـمُـغـريـاتِ الـ
ـخُـضْـرِ والـبـيـضِ، والـوعـودِ الـغـزِيـرَةْ
ومَـلأتُـم يـدي وأشْـعَـلْـتُـمُـونـي
شـمـعـةً فـي دُجـى الـخـطـايـا الـضَّـرِيـرَةْ

وعلى رُغمِ عفّتي، رُغمَ أُمّي
وأبي عُدْتُ مُومِساً سكِّيرَةْ

ولَهوْنا حِيناً وأشْتَى رَبيعي
فَتَعرَّيتُ أرْتَدي زَمْهريرَهْ

وانْصَرَفتمْ عنِّي.. أمَا كُنتُ يوماً
عِندكم منيةَ الحياةِ الأثيرَة؟

وزَعمتُمْ بأنّني كُنتُ وَحْلاً
آدمِيّاً.. أمَا شَرِبتُمْ عَصِيرَهْ؟

وأشَعْتُمْ في الحيِّ أنّيَ شرٌّ
يَتَفادى دُنوّهُ ونذيرَهْ

فتوقّى حتّى خيالَ وجودي
وهو حَيٌّ على الحياةِ جَرِيرَهْ

* * *

كيفَ أبقى هنا وأنصافُ ناسٍ
جِيرَتي، ليسَ لي رِفاقٌ وجِيرَةْ

وغَدِي رهبةٌ ويومي انتحارٌ
واحتقارٌ، والأمسُ ذِكرى مَريرَةْ

وهنا حَيُّنَا خُطَاهُ إلى الأمسِ
وأمجادُهُ عِظَامٌ نَثِيرَةْ

دفنَ الأمسَ جُثَّةً مِنْ دَنايا
وانْثَنى يَستعيرُ مِنْها مَصِيرَهْ

فهو حَيٌّ مِنَ الجليدِ المدَمَّى
يَجتبي لِصَّهُ ويَجفو خَفيرَهْ

يَـدَّعـي الـمـجـدَ وهـو مـقـبـرةٌ تـهْـ
ـتَـزُّ خـلـفَ الـتُّـرابِ وهْـيَ قَـرِيـرَةْ

يَـزدريـنـي وَحْـدي وإنِّـي وإيَّـاهُ
ضـحـايـا شُـرورِهِ الـمُـسْـتَـطِـيـرَةْ

يَـزدرِيـنـي وتَـوْبـتَـي وحـنـانـي
فـوقَ أهـدابِـهِ صـلاةٌ مُـنِـيـرَةْ

هـل أُنَـادِي الـضَّـمـيرَ والـخُـلْـقَ فـيـهِ؟
لـم أجِـدْ فـيـهِ خُـلْـقَـهُ أو ضَـمِـيـرَهْ

* * *

أيُّـهـا الآكِـلُـونَ عِـرضِـي لأنِّـي
كـنـتُ أُلـعـوبـةً لـديـكُـمْ أسِـيـرَةْ

حَـقَّـرونـي يـا دُوْدُ لـو لَـمْ تَـكـونـوا
حُـقَـرَاءَ مـا كُـنْـتُ يـوَمـاً حَـقِـيـرَةْ

لا تَـقـولـوا: كـانَـتْ بَـغِـيّـاً، أَمَـا الـفُـجَّـ
ـارُ كُـثْـرٌ والـفَـاجِـرَاتُ كـثـيـرَةْ؟

لـسـتُ وحـدي، كَـم الـبَـغَـايـا ولـكِـن
تـلـكَ مَـغْـمـورَةٌ وهٰـذي شـهِـيـرَةْ

صَـدِّقـونـي إنْ قُـلـتُ فـي دُورِكُـمْ مـثـلـي
فَـلَـسْـتُ الأولَـى ولـسـتُ الأخِـيـرَةْ

كُـلُّ حـسـنـاءَ زهـرةٌ.. هـل يَـرُدُّ الـزَّ
هـرُ عـنـهُ حـتَّـى الـذُّبـابَ الـمُـغِـيـرَةْ؟

●●●

لا ارتِداد

5/ 1/ 1383هـ ـ 28/ 5/ 1963م

الـدَّربُ شـيـاطـيـنٌ فـرَحـى زُمَـرٌ تَـهْـذي مَـرحـى مَـرحـى
وتَـخـوضُ الـدَّربَ فـتـسـلـبُـهُ رُؤْيـاهُ أَغْـنِـيَـةَ الـقَـرْحَـى
وتُـحَـوِّلُ هَـجْـعَـةَ تُـربَـتِـهِ تَـشـهِـيداً، ولَـيـالِـيـه جَـرْحـى
وتـعُـبُّ دَمـاً وتَـمُـجُّ دَمـاً ومُـداهـا تَـرتـجِـلُ الـذَّبْـحَـا
والـشُّـهـبُ حـنـيـنٌ مَـضْـلـوبٌ ظَـمْـآنٌ يَـجـتـرعُ (الـمِـلْـحَـا)
فَـتَـئِـنُ الـرِّيـحُ تُـمـازِحُـهُ وتُـلَـوِّنُ أُذْنـاهُ الـمَـزْحَـا
والآفـاقُ الـوَسْـنَـى وَرَقٌ مُـحِـيَـتْ، أو أوراقٌ تُـمـحَـى
والـحَـيُّ سُـكـونٌ مُـصَـفَّـرٌ كـخـطـايـا تَـسْـتَـجـدِي الـصَّـفْـحَـا
وتـمـوتُ الـشَّـكـوى فـي فَـمِـهِ فـيُـكَـلِّـفُ رَغـشَـتَـهُ الـبَـوْحـا
إصـغـاءٌ لـم يـسْـمـع شَـدْواً غَـنَّـاهُ ولـم يَـذْكُـرْ نَـبْـحَـا
صَـمْـتٌ، إغْـفَـاءٌ، ثَـلْـجِـيٌّ لـم يَـلْـمَـحْ فـي الـحُـلْـمِ الـصُّـبْـحَـا
فـتَـثَـاءبَ حـولَـيْـهِ جَـبَـلٌ وتَـنَـهَّـدَ فـاجْـتَـرَّ الـسَّـفْـحـا
وتَـلَـظَّـى دَمُـهُ فـامْـتَـدَّتْ كـالـجُـذوةِ قـامَـتُـهُ الـسَّـمْـحـا
وتَـسَـلَّـقَـتِ الأطـيـافُ إلـى عَـيْـنَـيْـهِ تَـقْـتَـبِـسُ الـلَّـمْـحـا

* * *

فَـرنَـا والـظُّـلْـمَـةُ مِـشْـنَـقَـةٌ بِـجـراحِ الأَنْـجُـمِ مُـبْـتَـلَّـة
ودُخـانٌ عِـمْـلاقٌ يُـرْخـي فـوقَ الـتِّـيـهِ الـعـانـي ظِـلَّـهْ

ويَـروعُ الـحُـلْـمُ فـبـاغَـتَـهُ تَـيّـارُ الـصَّـحْـوِ عـلـى غَـفْـلَـة
وتَـلَـوَّى حـيـنـاً فـي دَمِـهِ وهَـوَى أشْـلاءَ مُـنـحَـلَّـة
وتـعـالَـتْ أحـلامُ الـوادي تُـومِـي كـعـنـاقـيـدِ الـنَّـخْـلَـة
وأفـاقَ ثَـرَاهُ كـمـوعُـودٍ بـالـمـوتِ، أَبَـلَّ مِـنَ الـعِـلَّـة
وتَـمَـطَّـى يَـبْـدأُ مِـيـلاداً خـضـبـاً نَـيْـسَـانِـيَّ الـحُـلَّـة
واهْـتَـزَّ كـأسْـخَـى مَـزْرعـةٍ حُـبْـلَـى تـتـمـخَّـضُ بـالـغَـلَّـة
وافْـتَـرَّ وبَـاحَـتْ شَـفَـتَـاهُ لـلـبَـيْـدَرِ بُـشْـرَى مُـخْـضَـلَّـة
ومُـنـىً كـتَـبَـسُّـمِ زَنْـبَـقَـةٍ فـتَـحـتْ شـفَـتَـيْـهَـا لـلـنَّـحـلَـة
وأعـادَ الـجـوُّ حِـكـايـتَـهُ كـحـديـثِ الطِّـفـلِ إلى الطُّـفـلَـة
وكَـغُـنْـجِ الـوَعْـدِ عـلـى ثَـغْـرٍ خَـمْـرِيٍّ يَـشْـتَـهـوي الـقُـبْـلَـة
وأسـالَ الـجـوُّ مـبـاهـجَـهُ كـالـشـلَّالاتِ الـمُـنْـهـلَّـة
وغَـلَـى فـي الـثَّـلـجِ دمٌ حـيٌّ فـأحـالَ بُـرودَتَـهُ شُـعْـلَـة

* * *

وامـتـدَّ عـمـوداً جَـمْـرِيّـاً واحْـمَـرَّ بِـعـيْـنَـيْـهِ الأَرَقُ
مـاذا؟ مَـنْ أَذْكـى الـرَّمـلَ هُـنـا؟ فَـهَـفَـا يَـخْـضَـرُّ ويَـنْـطَـلِـقُ
وتَـنَـادَى الـتُّـرْبُ فـمَـقْـبـرةٌ تَـذْوِي ورَمَـادٌ يَـخْـتَـرِقُ
وهُـنـا احـتـشـدَ الـعـدَمُ الـغَـافـي كـالـصَّـيْـفِ يـفُـوحُ ويـأتَـلِـقُ
يَـلِـدُ الـمـيـعـادُ بِـجَـبْـهَـتِـهِ تَـارِيـخـاً يُـبْـدِعُـه الـعَـرَقُ
ويُـوشِّـحُـهُ أُفُـقٌ صَـحْـوٌ بـالـدِّفْءِ، ويـحـضُـنُـهُ أُفُـقُ
وتَـوالَـى مَـوْكِـبُـهُ الـشَّـادي فَـتَـغَـنَّـت وازْدَهَـتِ الـطُّـرُقُ
وتَـعَـنْـقَـدَتِ الـشُّـهْـبُ الـسَّـكْـرَى بِـيَـدَيْـهِ واخْـضَـرَّ الـشَّـفَـقُ
يَـمْـضـي يَـجْـتَـرُّ مَـوَاسِـمَـهُ ويُـزَغْـرِدُ حَـوْلَـيْـهِ الـعـبَـقُ
ويُـجَـنِّـحُ فَـجْـراً مِـغْـطَـاءً يَـنْـصَـبُّ وفَـجْـراً يَـنْـبَـثِـقُ

فـتَـغـيـمُ هُـنَـالِـكَ أسْـئِـلـةٌ (تَـلْـغـو): هـل يَـرْتَـدُّ الـغَـسَـقُ؟
وتَــهُــزُّ بَــقِــيَّــةَ أشْــبَــاح تَـطْـفُـو فَـيُـرَسِّـبُـهـا الـغَـرَقُ
وتُــزَوِّرُ بَــوْحَــاً مَــسْــلُــولاً بـسُـعـالِ الـدَّعْـوى يَـخْـتَـنِـقُ
فَـتَـضِـجُّ الـرَّبْـواتُ الـجَـذْلَـى لـم يَـخْـفِـقْ في الـمَـوْتَـى الـرَّمَـقُ

⊛⊛⊛

فارس الآمال

ذو القعدة سنة 1381هـ
على ذكرى الشهيد عبد الله اللُّقَيَّة

أخـــي أدعـــوكَ مِـــنْ خـــلـــفِ اتِّـــقَـــادي
وأبـــحـــثُ عَـــنْ لـــقـــائِـــكَ فـــي رمـــادي

ويَـــنْـــطِـــبـــقُ الـــحـــريـــقُ عـــلـــيَّ قَـــبْـــراً
فـــيَـــمْـــضَـــغُـــنِـــي ويَـــغْـــيَـــا بـــازْدِرَادي

وأحْـــيَـــا فـــي انْـــتِـــظـــارِكَ نِـــصْـــفَ مَـــيْـــتٍ
ورائِـــحَـــةُ الـــرَّدى مـــائِـــي وزَادي

وأرْقـــبُ (فـــارِسَ الآمـــالِ) حـــتَّـــى
إخـــالُ إزاءَ حَـــمْـــحَـــمَـــةَ الـــجِـــيَـــادِ

وتَـــزْفَـــعـــنـــي إلـــيـــكَ رُؤى ذُهُـــولـــي
فـــتـــتـــكـــئ الـــنُّـــجـــومُ عـــلـــى وِسَـــادي

وأهـــوي عـــنـــكَ أصـــفـــعُ وجْـــهَ حَـــظِّـــي
وأُعْـــطـــي كُـــلَّ (جِـــنْـــكِـــيـــزٍ) قِـــيَـــادي

وعـــاصِـــفَـــةُ الـــوَعـــيـــدِ تَـــهُـــزُّ حَـــوْلـــي
يَـــدُ (الـــحَـــجَّـــاجِ) أَوْ شِـــدْقَـــيْ (زِيـــادِ)

فـــتَـــخْـــفِـــقُ مِـــنْـــكَ فـــي جُـــدرانِ كـــوخـــي
طُـــيـــوفٌ كـــالـــمـــصـــابـــيـــحِ الـــهـــوادي

فَتَشْدُو كُلُّ زَاوِيَةٍ ورُكْنٍ
ويُبْدِعُ عازِفٌ ويَجِيدُ شَادي

ويلمعُ وهْمُ خَطْوِكَ فِي الرَّوَابي
فَتَرْقُصُ كالجَمِيلاتِ الخِرادِ

ويَجمعُ جِيرَتِي فَرَحُ التَّلاقي
ويَخْتَلِطُ احتشادٌ باحتشادِ

ويَظْمَا الشَّوْقُ في عينيْ (سَعِيدِ)
فَيَنْدى الوَعْدُ مِنْ شَفَتَيْ (سُعادِ)

وتعوي الرِّيحُ تَنْثُرُ وَسْوَسَاتِي
وُرَيْقاتٍ تَحِنُّ إلى المِدَادِ

وتَخْنُقُ حُلْمَ جِيرَانِي وحُلْمِي
وتَسْلُبُ حيَّنا صَمْتَ الحِدادِ

ويَخْتَرِقُ الطَّرِيقُ إليكَ شَوْقاً
فَتُطْفِئُهُ أعَاصِيرُ العوَادي

وتَقْبِرُ فِيهِ قافِلَةَ الأمانِي
وتُرْدِي الصَّوتَ في فمِ كُلِّ حادي

* * *

ويسألُ هل تَعودُ إلى حِمانا؟
فتَسْعَدُ سُمَّرٌ ويُضيءُ نادي

مَزَارِعُنَا إلى لُقْياكَ لَهْفَى
وبَيْدَرُنا يَتُوقُ إلى الحَصَادِ

أتَـرْحَـلُ تـسـتـفِـزُّ الـفـجـرَ حـتَّـى
شَـقَـقْـتَ دُجَـاهُ.. تُـبْـتَ عـنِ الـمَـعَـادِ

أتـأْبَـى أنْ تـعـودَ ألاَ تُـلَـبِّـي
نِـدائـي هـل دريـتَ مَـنِ الـمُـنـادي؟

سُـؤالٌ عـنـكَ يـحـفِـرُ كُـلَّ تـلٍّ
ويَـسْـبِـرُ عـنـكَ أغـوارَ الـوِهـادِ

أُفـتِّـشُ عـنـكَ أطـيـافَ الـعَـشـايـا
وأهـدابَ الـنُّـسـيـمـاتِ الـغـوادي

وتَـنْـأى عَـنْ مـدى ظَـنِّـي فـأمْـضِـي
إلـيـكَ عـلـى جـنـاحٍ مِـنْ سُـهـادِ

وأهْـمِـسُ أيـنَ أنـتَ؟ وأيُّ تُـرْبٍ
نـمـا واخْـضَـرَّ مِـنْ دَمِـكَ الـجَـوَادِ

أيـسـألُـكَ الـنِّـضـالُ دَمـاً شـهـيـداً
فَـتَـسـقـيـهِ وأنـتَ تـمـوتُ صَـادي؟

أجِـبْ حـدِّثْ فـلـمْ يُـخـمِـدْكَ قَـتْـلٌ
فـأنـتَ الـحَـيُّ والـقَـتْـلـى الأعـادي

أُحِـسُّـكَ فـي بَـرَاءةِ كُـلِّ حَـيٍّ
صِـبـاً وأُحِـسُّ نَـبْـضَـكَ فـي الـجَـمـادِ

وأشْـتَـمُّ اخـتِـلاجَ صَـدَاكَ حَـوْلِـي
يُـمَـنِّـيـنـي ويَـغْـبِـقُ فـي فُـؤادي

فأدنو مِنْ نَجيعكَ أَصْطَليه
وأُشْعِلُ مِنْ تَلَظِّيهِ اعتقادي

* * *

أتسألُ كيفَ جِئْتُ إليكَ إنِّي
أُفتِّشُ في دمائِكَ عن بِلادي؟

وأنْضَحُ مِنْ شذاها ذِكرياتي
وأقبسُ مِنْ تحدِّيها عِنادي

أتَأبى أن تُجيبَ؟ ومَنْ يُحلِّي
بِغَارِ النَّصرِ هَاماتِ الجلادِ؟

وهل أرتَدُّ عنكَ بِلا رَجاءٍ؟
يُعاتِبُني ويُخجِلُني ارْتدادي؟

أتَدْرِي أنَّ خلفَ الطِّينِ شَعباً
مِنْ الغِربانِ يَفخرُ بالسَّوادِ؟

يَموتُ توانِياً ويعيشُ وَهماً
بِلا سببٍ بِلا أدنى مُرادِ

يسيرُ ولا يسيرُ.. يُبيدُ عهداً
ويأكلُ جِيفةَ العَهدِ المُبادِ

يبيعُ ويَشتري بالغَبْنِ غَبْناً
ويجترُّ الكَسادَ إلى الكَسادِ

وتَهْدي خطوَهُ جُثَثٌ كسالى
تُفِيقُ مِنْ الرُّقادِ إلى الرُّقادِ

تُــعِــيــدُ تَــشــاؤبــاً أو تَــبْــتَــديــهِ
كــأســمــارِ الــعَــجــائــزِ فــي الــبَــوادي

* * *

(أعــبــدَ الــلَّــهِ) كــم يُــشــقــيــكَ أنَّــا
ضــحــايــا الــعَــجــزِ أو صَــرعــى الــتَّــمــادي؟

أيــنْــبِــضُ فــي ثَــراكَ الــشَّــعــبُ يــوْمــاً
فــتــورِقُ رَبْــوةٌ ويَــرِفُ وادي

وتَــعــتــنِــقُ الأُخُــوَّةُ والــتَّــصَــافــي
ويَــبْــتَــسِــمُ الــوَدادُ إلــى الــوَدادِ

رحــلْــتُ إلــيــكَ أسْــتَــجْــدِي جــوابــاً
وأسْــتَــوْحِــيــكَ مَــلْــحَــمــةَ الــجِــهــادِ

❁ ❁ ❁

يـوم المفاجأة

كانت هذه القصيدة أغنية ترحيب بالرئيس جمال عبد الناصر بمناسبة زيارته المفاجئة للجمهورية العربية اليمنية في 11 ذي الحجة سنة 1383هـ الموافق 23 أبريل سنة 1964م.

جـــمـــالٌ! أَيَـــأْتِـــي؟ أَجَـــلْ، ربَّـــمَـــا
وَتَـــسْـــتَـــفْـــسِـــرُ الأُمْـــنِـــيَـــاتُ الـــسَّـــمَـــا

أَيَـــأْتـــي؟ وَيَـــرْنُـــو الـــسُّـــؤَالُ الـــكَـــبـــيـــرُ
يُـــزَغْـــرِدُ فِـــي مُـــقْـــلَـــتَـــيْـــهِ الـــظَّـــمَـــا

فَـــيُـــخْـــبِـــرُهُ الـــحُـــلْـــمُ إِخْـــبَـــارَ طِـــفْـــلٍ
يَـــروضُ عـــلـــى اسْـــمِ أَبِـــيـــهِ الـــفـــمـــا

وَفـــي أَيِّ حِـــيـــنٍ؟ وَصَـــاحَ الـــبَـــشِـــيـــرُ
فَـــجَـــاءَتْ إِلَـــيْـــهِ الـــذُّرَا عُـــوَّمَـــا

وَأَرْخَـــى عَـــلَـــيْـــهِ الـــضُّـــحَـــى صَـــحْـــوَهُ
وَدَلَّـــى سَـــوَاعِـــدَهُ سُـــلَّـــمَـــا

وَحَـــيَّـــاهُ شَـــعْـــبٌ رأى فِـــي الـــشُّـــرُوقِ
جَـــنَـــى الـــحُـــلْـــمِ مِـــنْ قَـــبْـــلِ أَنْ يَـــحْـــلُـــمَـــا

فَـــأَيُّ مُـــفَـــاجَـــأَةٍ بَـــاغَـــتَـــتْـــهُ
كَـــمَـــا تَـــفْـــجَـــأُ الـــفـــرحـــةُ الأَيِّـــمَـــا؟

فَـــمَـــاد رَبِـــيـــعٌ عَـــلَـــى سَـــاعِـــدَيْـــهِ
وَفَـــجْـــرٌ عَـــلَـــى مُـــقْـــلَـــتَـــيْـــهِ ارْتَـــمَـــى

وَلَبَّى الهُتَافُ المُدَوِّي هُنَاك
هُتَافاً هُنا، وَهُنَا مُفْعَمَا

يُلَبِّي وَيَدْعُو فَيَطْغَى الضَّجِيجُ
وَيَغلو الصَدَى يَغزِفُ الأَنْجُمَا

تُثِيرُ الجَمَاهِيرُ فِي جَوِّهِ
مِنَ الشَّوْقِ أجْنِحَةً حُوَّمَا

وتَسألُ فِي وَجْهِهِ مَوْعِداً
خصيباً وتَسْتَعْجِلُ المَوْسِمَا

وَتَحْدُو غداً فَوْقَ ظَنِّ الظُّنُونِ
وَأَوْسَع مِنْ أُمْنِيَاتِ الحِمَى

* * *

جَمَالٌ! فَكُلُّ طَرِيقٍ فَمٌ
يُحَيِّي وأَيْدٍ تَبُثُّ الزَّهَرْ

تَرَامَتْ إِلَيْهِ القُرَى والكُهُوف
تُوَلِّي جُمُوعٌ وَتَأْتِي زُمَرْ

وَهَزَّتْ إِلَيهِ حُشُوْدُ الحِسَانِ
مَناديلَ مِنْ ضَحِكَاتِ القَمَرْ

وَلاَقَتْهُ (صَنْعَاءُ) لُقْيَا الصِّغَار
أَباً عَادَ تَحْتَ لِوَاءِ الظَّفَرْ

تُلاَمِسُهُ بِبَنَانِ اليَقِينِ
وَتَغْمِسُ فِيهِ ارْتِيَابَ البَصَرْ

وَتَـهْـمِـسُ فِـيْ صَـخَـبِ الـبُـشْـرَيَـات
أَهٰـذَا هُـوَ الـقَـائِـدُ الـمُـنْـتَـظَـرْ؟

أَرَى خَـلْـفَ بَـسْـمَـتِـهِ (خَـالِـداً)
وَأَلْـمَـحُ فِـي وَجْـنَـتَـيْـهِ (عُـمَـرْ)

وَتَـدْنُـو إِلَـيْـهِ تُـنَـاغِـي الـمُـنَـى
وَتَـشْـتَـمُّ فِـي نَـاظِـرَيْـهِ الـفِـكَـرْ:

أَهٰـذَا الَّـذِي وَسِـعَـتْ نَـفْـسُـهُ
هَـوَى قَـوْمِـهِ وَهُـمُـومَ الـبَـشَـرْ؟

أَطَـلَّ فَـأَوْمَـا انْـتِـظَـارُ الـحُـقُـولِ
وَمَـاجَ الـحَـصَـى وَاشْـرَأَبَّ الـحَـجَـرْ

وَهَـنَّـأَتِ الـرَّبْـوَةُ الـمُـنْـحَـنَـى
وَبَـشَّـرَتِ الـنَّـسْـمَـةُ الـمُـنْـحَـدَرْ

وَأَخْـبَـرَ (صِـرْواحُ) عَـنْـهُ الـجِـبَـالَ
فَـأَوْرَقَ فِـي كُـلِّ نَـجْـمٍ خَـبَـرْ

وَأَشْـرَقَ فِـي كُـلِّ صَـخْـرٍ مَـصِـيـفٌ
يُـعَـنْـقِـدُ فِـي كُـلِّ جَـوٍّ ثَـمَـرْ

* * *

وَأَغْـلَـتْ زُنُـوْدُ الـرُّبَـا وَحْـدَةً
سَـمَـاوِيَّـةَ الأُمِّ طُـهْـرَ الأَبِ

نَـمَـتْـهَـا الـمُـرُوءاتُ فِـي (مَـأْرِبٍ)
وَأَرْضَـعَـهَـا الـوَحْـيُ فِـي (يَـثْـرِبِ)

وَغَــنَّــى عَــلَــى صَــدْرِهَــا شَــاعِــرٌ
وَصَــلَّــى عَــلَــى مِــنْــكَــبَــيْــهَــا نَــبِــي

وَرَدَّدهَــــا الــــشَّــــرْقُ أُغْــــرُوْدَةً
فَــعَــبَّ صَــدَاهَــا فَــمُ الــمَــغْــرِبِ

وَدَارَتْ بِــهَــا الــشَّــمْــسُ مِــنْ مَــوْسِــمٍ
سَــخِــيٍّ إِلَــى مَــوْسِــمٍ أَطْــيَــبِ

إِلَــى أَنْ غَــزَتْــهَــا سُــيُــولُ الــتَّــتَــارِ
وَرَنَّــحَــهَــا الــعَــاصِــفُ الأَجْــنَــبِــي

تَــهَــاوَتْ وَرَاءَ ضَــجِــيــجِ الــفَــرَاغِ
تُــفَــتِّــشُ عَــنْ أَهْــلِــهَــا الــغُــيَّــبِ

وَتَــبْــحَــثُ عَــنْ دَارِهَــا فِــي الــطُّــيُــوفِ
وَتَــسْــتَــنْــبِــئُ الــلَّــيْــلَ عَــنْ كَــوْكَــبِ

وتَــحْــلُــمُ أَجْــفَــانُــهَــا بِــالــكَــرَى
فَــتَــخْــفِــقُ كَــالــطَّــائِــرِ الــمُــتْــعَــبِ

هُــنَــاكَ جَــثَــتْ فِــي اشْــتِــيَــاقِ الــمَــعَــادِ
تُــحَــدِّقُ كَــالــمُــوثَــقِ الــمُــغْــضَــبِ

فَــتَــلْــحَــظُ خَــلْــفَ امْــتِــدَادِ الــسِّــنِــيــنَ
عَــلَــى زُرْقَــةِ (الــنِّــيــل) وَغْــداً صَــبِــي

تَــمُــرُّ عَــلَــيْــهِ خَــيَــالاتُ (مِــصْــرَ)
مُــرورَ الــغَــوَانِــي عَــلَــى الأَعْــزَبِ

رَأَتْ فَـمَـه بُـرْعُـمـاً لا يَـبُـوحُ
وَنَـيْـسـانُ فـي قَـلْـبِـهِ مُـخْـتَـبـي

* * *

وَكـانَ انْـتِـظـاراً فَـحَـنَّـتْ إِلَـيْـهِ
حَـنِـيـنَ الـوَلِـيـدِ إِلـى الـمُـرْضِـعَـةْ

وَدارَتْ نُـجُـومٌ وعـادَتْ نـجـومٌ
وَأَهْـدابُـهـا تَـرْتَـجـي مَـطْـلَـعَـهْ

وكـانَـتْ تُـواعِـدُهـا الأُمْـسِـيـاتُ
كَـمـا تَـعِـدُ الـبِـيـدرَ الـمَـزْرعَـةْ

ولاقَـتْـهُ يَـوْمـاً وَكـانَ اسْـمُـهُ
(جَـمـالاً) فـلاقَـتْ صِـبـاهـا مَـعَـهْ

هُـنـا لاقَـتِ الـوحـدةُ ابْـنـاً يَـسـيـرُ
فَـتَـمْـشـي الـدُّنـا خَـلْـفَـهُ طَـيِّـعَـةْ

وَمَـهْـداً صَـبُـوراً سَـقـاهـا الـنِّـضـالَ
فـأَهْـدَتْ إِلـى الـمُـغْـتَـدي مَـصْـرَعَـهْ

غَـذاهـا دَمُ (الـنِّـيـلِ) خِـصْـبَ الـبَـقـاء
وَلَـقَّـنَـهـا الـفِـكْـرَةَ الـمُـبْـدِعَـةْ

وَعَـلَّـمَـهَـا مِـنْ عَـطـايـا حَـشـاهُ
وَكَـفَّـيْـهِ أَنْ تَـبْـذُل الـمَـنْـفَـعَـةْ

وَمِـنْ جَـوِّه رفـرفـاتِ الـحَـمـام
وَمِـنْ رَمْـلِـه طَـفْـرةَ الـزَّوْبَـعَـةْ

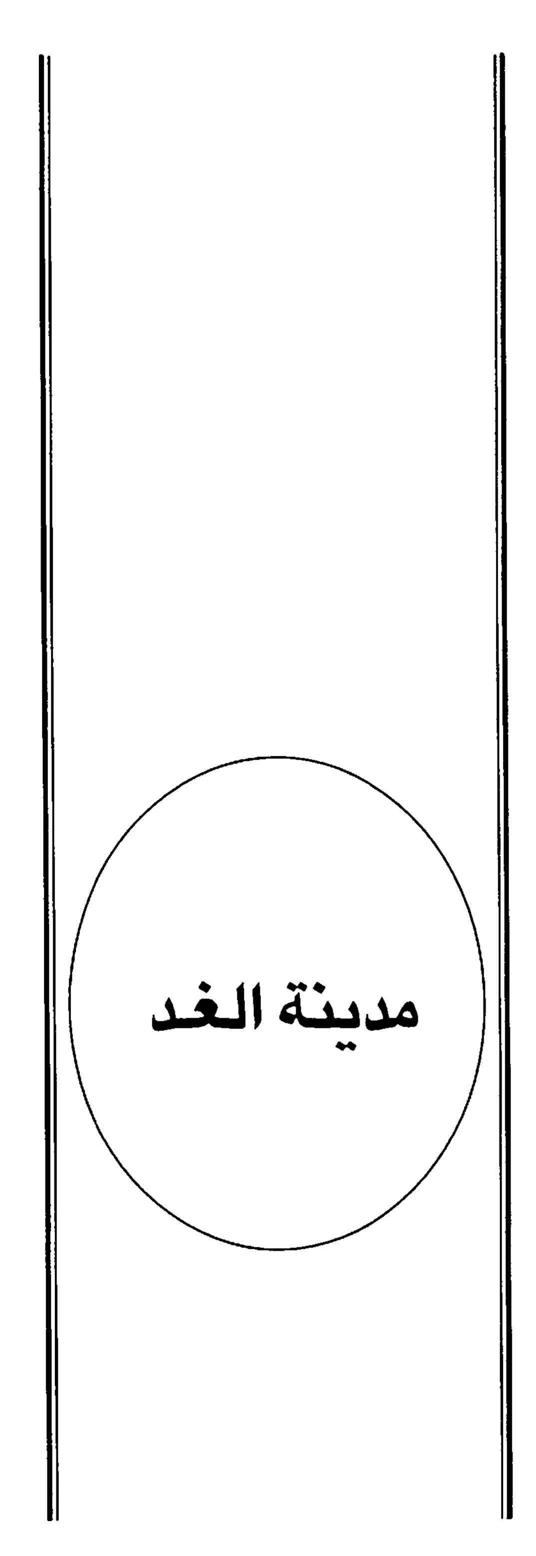
وَقَطَّرَها في خدودِ النُّجوم
صَلاةً وأَغْنِيَةً مُمْتِعَةْ

وَأَطْلَعَ لِلْعُرْبِ أَقْباسَها
شموساً بِصَحْوِ المُنَى مُشْبَعَةْ

هُناكَ أَفَقْنا عَلَى وَخْدَةٍ
يَمُدُّ الخُلُودُ لَها أَذْرُعَهْ

فَصارَتْ مَبادِئُنا في السَّلام
وَأَلْوِيَةَ النَّصْرِ فِي المَغْمَعَةْ

٭ ٭ ٭


مدينة الغد

فاتحة

18/ 3/ 1968م

يـا صـمـتُ مـا أحـنـاكَ لـو تـسـتـطـيـعْ
تـلـفُّـنـي، أو أنـنـي أسـتـطـيـعْ

لـكـنَّ شـيـئـاً داخـلـي يـلـتـظـي
فـيـخـفـقُ الـثـلـجُ، ويَـظـمَـا الـربـيـعْ

يـبـكـي، يُـغـنِّـي، يـجـتـدي سـامـعـاً
وهـو الـمُـغـنِّـي والـصـدى والـسـمـيـعْ

يـهـذي فـيـجـثـو الـلَّـيـلُ فـي أضـلُـعـي
يـشـوي هـزيـعـاً، أو يـدُمِّـي هـزيـعْ

وتـطـبـخُ الـشُّـهْـبُ رمـادَ الـضُّـحـى
وتـطـحـنُ الـريـحُ عـشـايـا الـصَّـقـيـعْ

ويـلـهـثُ الـصـبـحُ كـمـهـجـورةٍ
يـجـتـاح نـهـدَيْـهـا خـيـالُ الـضـجـيـعْ

❊ ❊ ❊

شـيءٌ يـنـاغـي، داخـلـي يـشـتـهـي
يـزقـو، يـدوِّي كـالـزحـامِ الـفـظـيـعْ

يـدعـو، كـمـا يـدعـو نـبـيٌّ، بـلا
وعـيٍ، ويـنـجـرُّ انـجـرارَ الـخـلـيـعْ

فيغتلي خلفَ ذبولي فتىً
ويجتدي شيخٌ، ويبكي رضيعْ

يجوعُ حتى الصيفِ ينسى الندى
معيادَهُ، يهمي شهيقُ النجيعْ

ويركضُ الوادي، وتحبو الرُّبا
ويهربُ المرعى، ويَغيا القطيعْ

ما ذلك الحِمْلُ الذي يحتسي
خفقي، ويعصي ذاهلاً أو يُطيعْ

يشدو فترتدُّ ليالي الصِّبا
فجراً عنيداً، أو أصيلاً وديعْ

وتحبلُ الأطيافُ تَجْنَى[1] الرؤى
ويولدُ الآتي ويحيا الصريعْ

فتبتدي الأشتاتُ في أحرفي
ولادةً فرحى، وحملاً وجيعْ

* * *

هذه الحروفُ الضائعاتُ المَدى
ضيَّعتُ فيها العمرَ، كي لا تضيعْ

ولستُ فيما جئتهُ تاجراً
أُحِسُّ ما أشري وماذا أبيعْ

إليكها يا قارئي إنها
على مآسيها عَذابٌ بديعْ

---

(1) تجنى: تدخل موسم الإثمار.

مدينةُ الغد

صنعاء 30 يونية سنة 1967م

من دهورٍ وأنتِ سحرُ العبارةْ
وانتظارُ المُنى وحلمُ الإشارةْ

كنتِ بنتَ الغيوب دهراً فنمَّت
عن تجلِّيكِ حشرجاتُ الحضارةْ

وتداعى عصر يموتُ ليحيا
أو ليفنى، ولا يُحسُّ انتحارَهْ

جانحاه في منتهى كلِّ نجم
وهواهُ، في كلِّ سوقٍ تجارةْ

باعَ فيه تألُّهُ الأرضِ دعواهْ
وباعت فيه الصلاةُ الطَّهارةْ

أوَما تلمحينَهُ كيف يَغدو
يطحنُ الريحَ والشَّظايا المُثارةْ

* * *

نَمَّ عن فجرِكِ الحنونِ ضجيجٌ
ذاهلٌ يلتظي ويمتصُّ نارَهْ

عالَمٌ كالدَّجاجِ، يعلو ويهوي
يلقُطُ الحَبَّ مِن بطونِ القذارةْ

ضَيَّعَ القلبَ، واستحال جذوعاً
ترتدي آدميّةً مستعارةْ

* * *

كلُّ شيءٍ وشى بميلادِك المَوْ
عودِ واشْتَمَّ دفئَهُ واخضرارَه
بشَّرتْ قريةٌ بلقياكِ أخرى
وحكت عنكِ نجمةٌ لمنَارةْ
وهذتْ باسمكِ الرؤى فتَنادتْ
صَيَحاتُ الديوكِ من كلِّ قارةْ
المدى يستحمُّ في وعدِ عينيْكِ
وينسى في شاطِئيْه انتظارَهْ
وَجِباه الذُّرا مرايا تجلَّت
من ثُريّاتِ مقلتَيْكِ شرارةْ

* * *

ذاتَ يومٍ ستُشرقين بلا وَعْـ
ـدٍ، تعيدين للهشيمِ النَّضارةْ
تزرعين الحنانَ في كلِّ وادٍ
وطريقٍ، في كُلِّ سوقٍ وحارةْ
في مدى كلِّ شرفةٍ، في تمنّي
كلِّ جارٍ، وفي هوى كلِّ جارةْ
في الروابي حتى يعي كلُّ تلٍّ
ضَجرَ الكهفِ واصطبارَ المغارةْ

* * *

سوف تأتين كالنبوءاتِ، كالأمـ
ـطارِ، كالصَّيْفِ، كانثيالِ الغَضارةْ

تَملأين الوجودَ عدلاً رخِيّاً
بعد جورٍ مدجَّجٍ بالحقارةْ

تحشُدين الصفاءَ في كلِّ لمسٍ
وعلى كلِّ نظرةٍ وافترارَةْ

تلمسين المُجندلين فَيَغدو
ن، تُعيدين للبغايا البَكارَةْ

وتصوغين عالماً تُثمر الكُثـ
ـبانُ فيه، ترفُّ حتى الحجارةْ

وتعفُّ الذئابُ فيهِ، وينسى
جبروتُ السِّلاحِ فيهِ المهارةْ

العشايا فيه، عيونٌ كَسالى
واعداتٌ، والشمسُ أشهى حرارةْ

لخطاهُ عبيرُ (نيسان) أو أَشـ
ـذَى، لتحديقه أجدُّ إنارةْ

ولألحانِه شفاهٌ صبايا
وعيونٌ تخضرُّ فيها الإثارةْ

أيُّ دنيا ستُبدعين جَناها
وصِباها فوق احتمالِ العبارةْ؟!

❂❂❂

عـائد

صنعاء سبتمبر 1963م

مَنْ أنتَ؟ واستبقَتْ جوابي: لـهـبٌ يـحـنُّ إلـى الـثـهـابِ
مَـنْ أنـتَ، عـزَّافُ الأسـى والـنـارُ قـيـثـارُ الـعـذابِ
وعـلـى جـبـيـنِـك، قِـصَّـةٌ حَـيْـرى، كـديـجـورِ الـيـبـابِ
وخـواطـرٌ، كـهـواجـسِ الْـ إفـلاسِ، فـي قـلـقِ الـمُـرابـي
وأنـا، أتـدري، مـن أنـا؟ قُـلْ لـي، وأسكَـرهـا اضـطـرابـي
سَـلْ تـمـتـمـاتِ الـعـطـرِ: هـل (نـيـسـانُ) يـمـرحُ فـي ثـيـابـي؟
مَـنْ هـذه؟ أسـطـورةُ الْـ أحـلام، أخـيـلـةُ الـشُّـهـابِ
هـمـسـاتُـهـا الـخـضـرُ الـرِّقـا قُ أشـفُّ مِـن ومـضِ الـسـرابِ
إنـي عـرفـتُـكِ كـيـف أفـ ـرح؟ كيف أذهلُ عن رغابي؟
مـن أيـن أبـتـدِئُ الـحـديـ ـثَ؟ وغبتُ في صمتِ ارتيابي
مـاذا أقـولُ؟ وهـل أُفـتِّـ ـشُ عن فمي، أو عن صوابي؟
مَـنْ أنـتِ، أشـواقُ الـضُّـحـى قُـبَـلُ الأصيلِ، على الـهـضابِ
حـلْـمُ الـمـواسـمِ والـبـلا بـلِ والـنُّـسـيـمـاتِ الـرطـابِ
أُغـرودةُ الـوادي، نـبـوغُ الْـ ـعـنـدلـيـبِ، شـذا الـروابـي
وذهـولُ فـنَّـانِ الـهـوى ورؤى الـصِّـبـا وهـوى الـتـصـابـي
وهـجُ الأغـانـي والـصـدى حُـرقُ الـمـعـازفِ والـرَّبـابِ
لا تـبـعـدي، أَرسـتْ عـلـى شُـطـآنِـك الـنَّـعْـسَـى، رِكـابـي
فَـدنَـتْ تُـسـائـل مَـنْ رفـا قي في الضياع، ومن صِحابي؟

هــل ســاءَلــتْــكَ مــديــنــةٌ عــنّي، وسـهَّـدهـا مُـصَـابـي؟
كــانــت تــرى نــكــبــاتِ أهــلي في شحوبي واكتئابي
فـتـقـولُ لـي: مـن أيـنَ أنــتَ؟ وتزدريـني بـالـتَّـغـابـي
أنـا مِـن مـغـانـي شـهـرزادَ إلى رُبا الصَّحوِ انتسابي
بــي مــن ذوائــبِ (حــدَّةٍ)[1] عبقُ السماحةِ والغلابِ
وهــنـا أصَـخْـتُ ووشـوشـاتُ (القاتِ)[2] تُنبي باقترابي
وأظــلَّــنــا جــبــلٌ ذُراهُ كالعمالقةِ الغضابِ
عـيـنـاهُ مُـتّـكـأ الـنـجـومِ، وذيلُه طُرقُ الذئابِ
فـهـفـتْ إلـيَّ مـزارعٌ كـمباسمِ الغيدِ الكَعابِ
وحـنـتْ نـهـودُ الـكـرمِ فـاسترخَتْ لِلَمْسي واحتلابي
وسـألـتُ (ريَّـا) والـسـكـونُ يَـنِـثُّ وَهْـوَهـةَ الكلابِ
مـاذا؟ أيـنـكـرُ حَـيُّـنـا خفقاتِ خطوي وانسيابي؟
إنّـا تـلاقـيْـنـا هـنـا، قـبـل انتظارِكِ واغترابي
هـل تـلـمـحـيـن الـذكـريـاتِ تـهـزُّ أضلاعَ الترابِ؟
وطـيـوفَ مـأسـاةِ الـفـراقِ تُعيدُ نوحَكِ وانتحابي
والأمـسُ يـرمـقـنـا وفـي نظراتِه خَجَلُ المتابِ
كـيـف اعـتـنـقْـنـا لـلـوداعِ وبي من اللَّهفاتِ ما بي؟!
وهـتـفـتُ: لا تَـتَـوَجَّـعـي سأعودُ، فارتقبي إيابي
ورحـلـتُ وحـدي، والـطـريـقُ دمٌ، وغـابٌ مـن حِـرابِ
فـنـزلـتُ حـيـث دمُ الـهـوى يـجـتـرُّ أجـنـحـةَ الذُّبابِ
حـيـث الـبـهـارجُ والـحُـلـى سلوى القشورِ عن اللُّبابِ

(1) حدَّة: متنزَّه سياحي جنوب صنعاء.
(2) القات: شجر يمضغ فيحدث تأثيراً كقهوة البنّ أو أكثر قليلاً.

فــتــريْــن ألــوانَ الــطِّــلا ءِ على الصُّدوعِ، على الخرابِ
والــتـسـلـيـاتِ بـلا حـسـا بِ، والـمـلالُ بـلا حِـسـابِ
والـجـوُّ مـحـمـومٌ، يـئـنُّ وراء جـدرانِ الـضـبـابِ
كَـمْ كُـنـتُ أبـحـثُ عـن طِـلا بـي حيـث ضيَّعني طِلابـي
والـيـومَ عُـدتُ، وعـادَ لـي مـرحُ الـحـكـايـاتِ الـعِـذابِ
مـا زلـتُ أذكـرُ كـيـفَ كُـنَّـا لا نـنـافـقُ أو نُـحـابـي
نُـفـضـي بـأسـرارِ الـغـرامِ إلـى الـمـهـبَّـاتِ الـرِّحـابِ
والـريـحُ تـغـزلُ مـن زهـو ر (الـبُـنِّ)، أغـنـيـةَ الـعـتـابِ
فـتـهـزُّنـا أرجـوحـةٌ مـن خـمـرةِ الـشـفـقِ الـمُـذابِ
وكـمـا تـنـاءَيْـنـا الـتـقـيـنـا نـبـتـدي صـفـوَ الـشـبـابِ
ونـعـيـدُ تـاريـخَ الـصِّـبـا والـحـبِّ، مـن بـدءِ الـكـتـابِ
أتـريْـن كـيـف اخـضـوضـرت لـلـقـائـنـا مُـقَـلُ الـشِّـعـابِ؟
وتـلـفَّـتَ الـوادي إلـيـكِ، وهـشَّ يـسـألُ عـن غـيـابـي
مـا دمـتِ لـي فـكُـوَيْـخُـنـا قـصـرٌ يـعـومُ عـلـى الـسَّـحـابِ
والـشُّـهـبُ بـعـضُ نـوافـذي والـشَّـمـسُ شُـبَّـاكـي وبـابـي

❁ ❁ ❁

امرأةُ الفقيد

أكتوبر 1964م

لِـمَ لا تـعـود؟ وعـادَ كـلُّ مـجـاهـدِ
بُـحلـى (الـنـقيـبِ) أو انـتـفـاخِ (الـرائـدِ)
ورجـعـتَ أنـتَ، تـوقُّـعـاً لَـمـلـمـتُـهُ
مـن نـبـضِ طـيـفِـك واخـضـرارِ مـواعِـدي
وعـلـى الـتـصـاقِـكَ بـاحـتـمـالـي أقـلـقـتْ
عـيـنـاي مُـضـطـجـعَ الـطـريـقِ الـهـامـدِ
وامـتـدَّ فـصـلٌ فـي انـتـظـارِكَ، وابـتـدا
فـصـلٌ تـلـفَّـح بـالـدخـانِ الـحـاقـدِ
وتـمـطَّـتِ الـربـواتُ تـبـصـقُ عُـمْـرَهـا،
دَمَـهـا، وتـحـفـرُ عـن شـتـاءٍ بـائـدِ

وغـداةَ يـومٍ عـادَ آخِـرُ مـوكـبٍ
فـشَـمَـمْـتُ خَـطْـوَكَ فـي الـزحـامِ الـراعـدِ
وجَـمـعـتُ شـخـصَـكَ بُـنـيـةً ومـلامـحـاً
مـن كـلِّ وجـهٍ فـي الـلـقـاءِ الـحـاشـدِ
حـتـى اقـتـربـتُ وأمَّ كـلٌّ بـيـتَـهُ
فـتَّـشـتُ عـنـكَ بـلا احـتـمـالٍ واعـدِ

* * *

مـــن ذا رآكَ؟ وأيـــن أنـــتَ، ولا صـــدًى
أومـــي إلـــيـــكَ، ولا إجـــابـــةُ عـــائـــدِ

وإلــى انــتــظــارِ الــبــيــتِ، عُــدتُ كــطــائــرِ
قــلــقٍ يــنــوءُ عــلــى جــنــاحٍ واحــدِ

* * *

لا تــنــطــفــي يــا شــمــسُ غــابــاتُ الــدُّجــى
يــأكــلْــن وجــهــي يــبــتــلــغْــنَ مــراقــدي

وسَــهــدتُ والــجــدرانُ تُــصــغــي مــثــلــمــا
أُصــغــي، وتــســعــلُ كــالــجــريــحِ الــسَّــاهــدِ

والــســقــفُ يــســأل وجــنــتــيَّ: لــمــن هــمــا؟
ولــمــن فــمــي، وغــرورُ صــدري الــنــاهــدِ؟

ومــغــازلُ الأمــطــارِ تــعــجــنُ شــارعــاً
لَــزِجــاً حــصــاهُ مــن الــنَّــجــيــعِ الــجــامــدِ

وأنـــا أُصــيــخُ إلــى خــطــاكَ أُحــسُّــهــا
تــدنــو وتــبــعــد، كــالــخــيــالِ الــشــاردِ

ويــقــول لــي شــيءٌ، بــأنَّــكَ لــم تَــعُــدْ
فــأعــوذُ مــن هــمــسِ الــرجــيــمِ الــمــاردِ

* * *

أتــعــودُ لــي؟ مَــن لــي؟ أتــدري أنــنــي
أدعــوكَ؟ إنَّــك مــقــلــتــاي وســاعــدي

إنــي هــنــا أحــكــي لــطــيــفِــك قِــصَّــتــي
فــيــعــي، ويــلــهــثُ كــالــذُّبــالِ الــنَّــافِــدِ

خـلَّـفـتَـنـي وحـدي، وخـلَّـفَـنـي أبـي
وشـقـيـقـتـي، لـلـمـأتـم الـمُـتـزايـدِ

وفـقـدتُ أُمّـي. . آه يـا أُمُّ افـتـحـي
عـيـنـيـكِ، والـتـفـتـي إلـيَّ وشـاهـدي!

وقـبـرتُ أهـلـي، فـالـمـقـابـرُ وحـدهـا
أهـلـي، ووالـدتـي الـحـنـونُ ووالـدي

وذُهـلـتَ أنـتَ أو ارتـمـيـتَ ضـحـيَّـةً
وبـقـيـتُ وحـدي لـلـفـراغِ الـبـاردِ

* * *

أتـعـود لـي؟ فـيـعـبُّ لـيـلـي ظـلَّـهُ
ويـصـيـحُ فـي الآفـاقِ: أيـن فـراقـدي؟

●●●

اليوم الجنين

مايو 1965م

علـى الـدَّربِ والـمَـرْتـعِ يـجـودُ، ولا يـدَّعـي
يـوشِّـي غـنـاءَ الـحُـقـولِ وأنـشـودةَ الـمَـصـنـعِ
ويُـعـطـي حـيـاةً بـلا نـيـوبٍ ولا مَـضـرعِ
يـشـدُّ أَبَـضَّ الـخـصـورِ إلـى أغْـطَـشِ الأَذْرُعِ
ويـسـخـو سـخـاءَ الـمـصِـيـفِ عـلـى الـطَّـيـرِ والـضِّـفـدعِ
عـلـى الـسـفـحِ والـمُـنـحنَى عـلـى الـسّـهـلِ والأَزْقَـعِ
أَتَـشْـتَـمُّ أنـفـاسُـهُ طـيـوفَ الـرُّبـا الـهُـجَّـعِ
هـنـاك رؤى مَـهْـدِهِ نـبـيـذيَّـةُ الـمـنـبـعِ
خَـمـامٌ مـن الأُغـنـيـاتِ عـلـى جَـدولٍ مُـمْـرِعِ
مـرايـا هـوائـيَّـةٌ سـرابـيَّـةُ الـمَـخْـدَعِ
وغـيـبٌ وراء الـقـنـاعِ ووعـدٌ بـلا بُـرقـعِ
هـنـاكَ انـتـظـارٌ يـحـسُّ خـطـاهُ وحُـلْـمٌ يَـعـي
ودفءٌ صـريـعٌ يـحـنُّ إلـى لـمـسِـهِ الـمُـبـدعِ
ووادٍ يُـصـيـخُ إلـى تـبـاشـيـرِهِ الـلُّـمَّـعِ
فـأحـلـمُ أنَّ الـجـنـيـنَ ولـيـدٌ بـلا مُـرضـعِ
فـألـوي زنـودَ الـحـنـانِ عـلـى خـصـرهِ الـطـيِّـعِ
ويـحـبـو عـلـى سـاعـديَّ فـأُرضِـعُـهُ أدمُـعـي
ويـنـأى، فـتـرنـو الـكُـوَى يُـفـتِّـشْـنَ عـنـهُ مـعـي
ويـرتـدُّ حـلـمٌ مـضـى ويـمـضـي بـلا مـرجـعِ

وتـحـتـشـدُ الأمـسـيـاتُ على الـعـامـرِ الـبَـلـقـعِ
فـأرجـوهُ أَنْ يَـشْـرئـبَّ إلـى شُـرفـةِ الـمـطـلـعِ
أمُـدُّ لَـهُ سُـلَّـمـاً إلـى الـنُّـورِ مـن أضْـلُـعـي
وأشـدو لـمـيـلادِهِ ويُـصـغـي بـلا مـسـمـعِ
فـأبـكـيـهِ فـي مـقـطـعٍ وألـقـاهُ فـي مـقـطـعِ

⊛⊛⊛

أسمار القرية

يولية سنة 1964م

مِنْ صدى البيدِ والشِّعابِ الحواشذْ
بالمهاوي والضارياتِ السواهذْ
مِن مُدى الموتِ حين تحمرُّ فيها
شهوةُ الذُّودِ والقبورِ الزَّوارذْ
مِن لياليه حين مسَّ (عليّاً)
ليلةَ العُرسِ.. إنه شرٌّ وافذْ
أو أتى (مرشداً) فأوما إليه
صاحباهُ أنَّ الضحيَّةَ (راشدْ)[1]
مِن صخورٍ جُلودُهنَّ حرابٌ
وكهوفٍ عيونُهنَّ مواقذْ
حيث للريحِ والتلالِ عروقٌ
من أفاعٍ، وغابةٌ من سواعدْ
وعلى المُنحنى تمدُّ (صَيادُ)[2]
للأذِلاَّءِ حائطاً مِن أساوذْ[3]

(1) من حكايات الأسمار في أرياف بلادنا، أن المحتضر يشاهد ملك الموت في يده سكين حمراء، وأنه قد يغلط فيهم بقبض روح شخص والمراد آخر وعلى الخصوص إذا اشتبه الاسمان.

(2) صَياد: اسم جِنيَّة توصف بصيد الرجال وهي أكثر طمعاً في الأذلاء.

(3) الأساود: نوع من الحيّات.

ولــهـــا حـــافـــرا حـــمـــارٍ وتـــبـــدو
مَـــزأةً، قـــد تـــزوَّجـــتْ ألـــفَ مـــاردْ

مـــن ركـــوبِ الـــسُّـــرى عـــلـــى كـــلِّ قـــفـــرٍ
لـــم تَـــرِدْهُ حـــتـــى خـــيـــالاتُ رائـــدْ

والـــلـــيـــالـــي عـــلـــى أكُـــفِّ الـــعـــفـــاريــ
ــتِ نُـــعـــوشٌ، ذواهـــبٌ وعـــوائـــدْ

مِـــن قـــوى الـــبـــأسِ قـــصـــةٌ تـــلـــو أخـــرى
تـــصـــرعُ الـــوحـــشَ قـــبـــل نـــهـــضـــة قـــاعـــدْ

مِـــن ســـؤالٍ عـــن الـــحـــجـــازِ وردٌّ
عـــن غـــلاءِ الـــكـــســـاءِ والـــتِّـــبْـــنُ كـــاســـدْ

مـــن خـــصـــامٍ بـــيـــن الأقـــاربِ فـــي الـــوا
دي، وحـــربٍ فـــي الـــتـــلِّ بـــيـــن الأبـــاعـــدْ

مـــن تـــثـــنّـــي الـــمـــراتـــعِ الـــخُـــضْـــرِ تـــومـــي
بـــالأغـــانـــي لـــلـــراعـــيـــاتِ الـــنـــواهـــدْ

مـــن مـــتـــاهِ الـــظـــنـــونِ تـــســـتـــجـــمـــعُ الأسْـــ
ـــمـــارَ، شُـــعْـــثَ الـــرؤى، وفـــوضـــى الـــمَـــشـــاهـــدْ

بـــيـــن جـــدرانِـــهـــا ركـــامُ الـــحـــكـــايـــا
مـــن جـــديـــدِ الـــقـــرى وأكـــفـــانِ تـــالـــدْ

وتـــجـــاعـــيـــدُ شـــعـــوذاتٍ عـــلـــيـــهـــا
كـــرُفـــاتٍ تـــقـــيَّـــأتـــهـــا الـــمـــراقـــدْ

وعَـــلـــى كُـــلِّ بـــوجِـــهـــا وصـــداهـــا
تـــتـــنـــادى زواحـــفٌ ورواكـــدْ

تـــجـــمـــع الـــقـــريـــةُ الـــشـــتـــاتَ فـــتـــحـــوي
أمـــســـيـــاتٍ مـــن عـــاصـــفـــاتِ الـــفَـــدافـــدْ

وسيولاً من الفراغ المدوّي
أَسْهلَت فوقها بطونُ الروافذْ

وغناءً كخَفْقِ بيتٍ من القشّ
تعاوتْ فيه الرياحُ الشدائذْ

وبخوراً وشادياً من جليدٍ
ونداءً: كم في الصلاةِ فوائذْ

يحشرُ السُّمَّرُ الضجيجَ عليها
من شظايا نعشِ السنينَ البوائذْ

يتلاقون كلَّما حشرجَ الطَّبْـ
ـلُ، وأعلى الدخانُ ريحَ الموائذْ

فيقصُّون كيفَ طارَ (ابنُ علوا
نِ)[1]؟ وماذا حكى (عليُّ بن زائذْ)[2]؟

عن مدارِ النجومِ وَهْيَ وعيدٌ
عن فمِ الغيبِ أو بريقِ المواعذْ

عندما تُسبلُ الثُّريَّا عِشاءً
عقدها تحبلُ السحابُ الخرائذْ

وإذا الغربُ واجَهَ الصَّيْفَ بالأزْ
ياحِ باعتْ عيالَها (أمُّ قالذْ)[3]

ويعودون يغزلون من الرَّمْـ
ـلِ، ودودِ البلى عروقَ المحامذْ

---

(1) ابن علوان: بطل أسطوري معتقد به في اليمن.

(2) عليُّ بن زائد: حكيم معتبر في الأوساط القبلية اليمنية ويعتمد الزرّاع على تجاربه السائرة في أمثال تحدد أوقات الأمطار والبذر والحصاد.

(3) أمُّ قالد: سنة القحط عند المزارعين.

فيلوكون معجزاتِ (فقيهِ) يحشدُ الجِنَّ والظَّلامُ يشاهِدْ
ومزايا قومٍ يصلُّون في الظُّهْـ ـرِ وفي اللَّيلِ يسرقون المساجدْ
وحكايا تطولُ عن بائعاتِ الـ ـخبزِ كم في حديثِهنَّ مَكايدْ
عن بناتِ القصورِ يَقْطُرْنَ طيباً كروابٍ من الورودِ الفرايدْ
أو كصيفٍ أجادَ نضجَ العطايا أو ربيعٍ في البُرعمِ الطفل واعدْ
شَعْرُهُنَّ انثيالُ فجرٍ خجولٍ ظلُّهُ في عيونِهِنَّ مَراودْ
كلُّهنَّ اسْتَمَخْنَهُم فتأبَّتْ حكمةُ الطينِ فيهمُ أن تُساعدْ
ويتوبون يستعيذون باللَّـ ـهِ، لأنَّ الإناثَ نبعُ المفاسدْ
ويَودُّون لو يعودُ زمانٌ كان ثرَّ الجَنَى عميمَ المَواردْ
ويسبُّونَ حِجَّةً[1] طَوَتِ الزَّا دَ، فلاكَ الفراغَ جوعُ المزاودْ

(1) حجة: سنة من السنين.

وتناءتْ أسمارُهُمْ وتدانت
مثلما تختفي الرؤى وتعاوِدْ

والتقوا ليلةً عجوزاً[1] توارت
في أخاديدِها النُّجومُ الخوامدْ

فابتدَوا ثرثراتِهِمْ وأعادوا
ما ابتدوا من رواسبٍ وزوائدْ

وعلى صمتِهِمْ تهيَّأَ شيخٌ
مثلما تخفقُ الطيوفُ الشَّواردْ

فحكى قصةً تململَ فيها
كلُّ حرفٍ، كأنَّهُ قلبُ حاقِدْ

وتعالى فيها التبجُّحُ بالثأ
رِ، فهاجَتْ مستنقعاتُ العوائدْ

وتنادَوا: لبّيك يا عمُّ هيّا
كلُّنا سائرون لا عادَ واحِدْ

إنَّها ساعةٌ إليهم فكِرُّوا
عَميَتْ عنكمو العيونُ الحواسدْ

واشرأبَّتْ بيوتُهُمْ تلمحُ الشُّهْـ
ـبَ دماً في ملامحِ الأُفْقِ جامدْ

وتعايا فيها النُّعاسُ تَعايي
طائرٍ موثَقِ الجناحين باردْ

(1) ليالي العجوز: بين أواخر الشتاء وأوائل الصيف في عرف أهل الريف.

ومع الفجرِ ساءلَ السفحُ عنهم
جدولاً، في ترقُّبِ الفجرِ ساهِذ
فرآهُ يهفو، يمدُّ ذراعيْـ
ـهِ، ويُومي لها بأهدابِ عابذ
وارتمى يحتسي عبيرَ خُطاها
ويُعاني وَخْزَ الحصى ويُكابذ
ودَنَتْ فالتَوَى على صُبحِ ساقيْـ
ـها، يُناغي ويَجتدي ويُراوذ
مَنْ أتتهُ؟ فلاَّحةٌ مِشْطُها الشَّمْـ
ـسُ عليها مِنَ الشُّروقِ قَلائذ
وقميصٌ مِنَ النَّدى ماج فيهِ
موسمٌ نابضُ الأفانينِ مائذ
وانثنتْ مثلما يميسُ عمودٌ
زنبقيٌّ تَشْتَمُّ أخبارَ (قائذْ)[1]
وعلى فجأةٍ تلقَّت خُطاها
من غبارِ الصَّدى، غيومٌ رواعذ
أيُّ شيءٍ جرى؟ وتُصغي وتعدو
وتُداري نشيجَها فيُعانذ
وتَرامَتْ مناحَةُ القريةِ الثَّكْـ
ـلى كما يزخرُ انفجارُ الجلامذ

(1) من أسماء أهل الريف.

ودنَتْ.. مَنْ تُرى؟ أبا طفلَتَيْها
وهو جذعٌ مِنَ الجراحاتِ هامدْ

وعجوزاً تبكي وحيداً وأطفا
لاً كزُغْبِ الحَمامِ يبكون والدْ

وجريحاً يصيحُ أين يدايا؟
أين رجلايَ؟ هُنَّ ما كنتُ واجدْ

وشقيقاتُهُ يَمُتْنَ التياعاً
ويَهَبْنَ لهُ القلوبَ ضمائدْ

يرتمي يرتمين، يجثو فينصُبْـ
ـنَ لهُ مِن صدورِهِنَّ سائدْ

وعواءُ النجيعِ في السَّاحِ يَذْوي
يذهبُ الحاقدون والحقدُ خالدْ

أحمقُ الحمقِ أن تصيرَ الكراها
تُ تُراثاً، أو يَسْتَحِلْنَ عَقائدْ

وعلى إثْرِ مَن مَضَوا عادتِ الأسْـ
ـمارُ تحيا على أصولِ القواعدْ

وتُباهي: أرْدَوْا صغيرين منَّا
وقتَلنا منهم ثلاثين ماجدْ

وتعيدُ الذي أعادتْ دهوراً
من صدى البيدِ والشعابِ الحواشدْ

❁ ❁ ❁

شعب على سفينة

أبريل سنة 1946م

كهودجٍ مِنَ الضَّبابْ   مِنَ الطيوفِ والسَّرابْ
تَزُفُّهُ سفينةٌ   مِنَ الضياعِ والتُّرابْ
ومِنْ تخيُّلِ الغِنى   ومِنْ تلهُّفِ الرَّغابْ
ومِنْ حكايا العائدِيـ   ـنَ بالحقائبِ العُجابْ
المتخماتِ بالحُلى   وبالعطورِ والثيابْ
وبالجُيوبِ تحتوي   دراهماً بلا حسابْ
لمَّا أتَوا تلفَّتتْ   حتى القصورُ والقِبابْ
حتى السهوبُ والقُرى   حتى الكهوفُ والشِّعابْ
وكلُّ صخرٍ عندنا   وكلُّ شارعٍ وبابْ

* * *

وَرُغْمَ خوفِهِ مضى   مِن غربةٍ إلى اغترابْ
حشاهُ ملجأُ الطَّوى   عيناهُ مرفأُ الذُّبابْ
على الفراغِ يبتدي   وينتهي دُجى العذابْ
و(مأربٌ) تساؤلٌ:   متى يعودُ؟ وارتقابْ
و(حدَّةٌ)[1] مخاوفٌ   وموعدٌ على ارتيابْ
أينثني؟ فينثني   إلى المزارعِ الشَّبابْ
ومُقلتا (سَمارةٍ)[2]   جوًى (ومَيتمٌ) عِتابْ

---

(1) حدَّة: من مصايف صنعاء.

(2) سمارة: جبل مطلٌ على ناحية (إبّ). وميتم: نهر في المنطقة نفسها.

يَـــعـــي لُـــهــاثَ ربـــوةٍ تــعــدُّ أشــهُــرَ الــغــيــابْ
وتـــشـــرئـــبُّ ربـــوةٌ إلــى مــحــاجــرِ الــشِّــهــابْ
تَـــهـــزُّ نـــهـــدَهـــا إلـــى مـــســـافـــرٍ بـــلا إيـــابْ
تـــحـــطُّـــهُ جـــزيـــرةٌ ويـــرتـــمـــي بـــه عُـــبـــابْ
مـــســـافـــرٌ أضـــنـــى الـــسُّـــرى وراءَ غـــيـــهـــبَ الـــذئـــابْ
وأقـــلـــقَ الـــحـــصـــى بـــلا مَـــدَى، وأجـــهـــدَ الـــهـــضـــابْ
مِـــنْ قـــارةٍ لـــقـــارةٍ يـــجـــوبُ أرحـــبَ الـــرِّحـــابْ
وَهْـــوَ عـــلـــى عـــيـــونِـــهـــا تـــســـاؤلٌ بـــلا جـــوابْ
فـــيـــنـــحـــنـــي ويـــبـــتـــنـــي لـــهـــا نـــواطـــحَ الـــسَّـــحـــابْ
يُـــضـــيـــئـــهـــا ولا يـــرى يَـــشـــيـــدُهـــا وهـــو الـــخـــرابْ
يـــعـــيـــشُ عُـــمْـــرَهُ عـــلـــى أرجـــوحـــةٍ مِـــن الـــحِـــرابْ
أيّـــامُـــهُ ســـفـــيـــنـــةٌ جـــنـــائـــزيَّـــةُ الـــذِّهـــابْ
تـــزفُّـــه إلـــى الـــنـــوى كـــهـــودجٍ مِـــن الـــضَّـــبـــابْ

❁ ❁ ❁

الشهيدة

يولية 1965م

كـرجـوعِ الـسَّـنـا لِـعـيْـنـيْ كـفـيـفِ
بـغـتـةً كـاخـضـرارِ نـعـشٍ جـفـيـفِ

وكـمـا مـدَّتِ الـحـيـاةُ يـديْـهـا
لـغـريـقٍ، عـلـى الـمـنـيَّـةِ مُـوفـي

وكـمـا يـنـثـنـي إلـى خَـفْـقِ شـيـخ
عـنـفـوانُ الـصِّـبـا الـطـلـيـقِ الـخـفـيـفِ

رجـعـتْ فـجـأةً رجـوعَ وحـيـدِ
بـعـد شـكٍّ إلـى أبـيـهِ الـلَّـهـيـفِ

كـابـدتْ دَربـهـا إلـى الـعـودة الـجَـذْ
لَـى، وأَدْمَـتْ شـوطَ الـصراعِ الـشَّـريـفِ

حـدَّقـتْ . . مَـن تُـرى؟ ومَـنْ ذا تُـنـادي؟
أيـن تـمـضـي؟ إلـى الـفـراغِ الـمـخـيـفِ!

وأرتْـهـا خـوالـجُ الـذُّعـرِ وجـهـاً
بـربـريّـاً، كـبـابِ سـجـنٍ كـثـيـفِ

وجـذوعـاً لـهـا وجـوهٌ، وأذقـا
نٌ، وإطـراقـةُ الـحـمـارِ الـعَـلـيـفِ

فـتـنـادَتْ فـيـهـا الـظُّـنـونُ وأَضْـغَـتْ
لـحـفـيـفِ الـصَّـدى ووهـمِ الـحـفـيـفِ

وكما يرتمي على قلقِ السَّمـ
ـعِ هدوءٌ بعد الضَّجيجِ العنيفِ
سرَّحتْ لمحةً فطالعها شي
ءٌ، كإيماءةِ السِّراجِ الضعيفِ
كان يُعطي حياتَهُ للحيارى
وعلى وجههِ اعتذارُ الأسيفِ
فأحسَّت هناك حيّاً مهيضاً
يتلوَّى تحت الشِّتاءِ الشفيفِ[1]
قُرَىً بِغنَ عُمْرَهُنَّ على أُذْ
نى الخصوماتِ والهُراءِ السخيفِ
واشرأبَّتْ ثقوبُهنَّ إلى الرِّيـ
ـحِ، يُسائِلْنَ عن شميمِ الرغيفِ
فدَنَتْ تنظرُ الحياةَ عليهنَّ
بقايا مِنَ الغُثاءِ الطَّفيفِ
والدَّوالي هناك أشلاءُ قتلى
جَمَدَتْ حولَها بقايا النَّزيفِ
وتجلَّتْ أُمّاً تجعَّد فيها
عَرقُ الصيفِ وارتعاشُ الخريفِ
سألَتْها عن اسْمِها فَتَبَدَّى
مِنْ أخاديدها حنانُ الأليفِ

(1) الشتاء الشفيف: عنيف البرد.

واســـتـــدارت تَـــقـــصُّ أنَّ أبـــاهـــا
مــن (زَبــيــدٍ) وأمَّــهــا مــن (ثــقــيــفِ)

فــأعــادتْ لــهــا الــربــيــعَ فــمــاســت
فــي شــبــابَــيْــنِ.. تــالــدٍ وطــريــفِ

نــزلــتْ ضــيــفــةَ الــحــنــانِ فــكــانَــتْ
لــديــارِ الــضــيــاعِ أســخــى مُــضــيــفِ

نــزلــتْ فــي مــواكــبٍ مــن شــروقٍ
وحــشــودٍ مِــنَ اخــضــرارِ الــرَّفــيــفِ

فــي إطــارٍ مِــن انــتــظــارِ الــعــصــافــيــ
ــرِ، ومِــن لــهــفــةِ الــصَّــبــاحِ الــكــفــيــفِ

وتــهــادتْ عــلــى الــرُّبــا فــتــلــظَّــى
فــي عــروقِ الــثــلــوجِ دفءُ الــمَــصــيــفِ

وأجــادتْ مِــنَ الــفــراغِ وجــوهــاً
وجــبــاهــاً مــن الــشــمــوخِ الــمــنــيــفِ

رجــعــتْ فــانــثــنــى اصــفــرارُ الــتــوابِــيْــ
ــتِ إلــى خُــضــرةِ الــشــبــابِ الــوريــفِ

●●●

ابن سبيل

16/ يولية/ 1965م

سارَ والدَّربُ ركامٌ من غباءِ
كلُّ شبرٍ فيهِ شيطانٌ بدائي

كان يرتدُّ ويمضي مثلما
تخبطُ الريحُ مضيقاً مِنْ عناءِ

بين جنبيْهِ جريحٌ هاربٌ
مِنْ يدِ الموتِ، ومسلولٌ فِدائي

يصلب الخطوَ على ذُعرِ الحصى
وعلى جذعٍ مديدٍ مِنْ شقاءِ

وعلى منعطفٍ أو شارعٍ
مِنْ دمِ الذكرى وأنقاضِ الرجاءِ

من يعي يسأله: أين أنا؟
ضاعَ قُدَّامي، كما ضاعَ ورائي

وإلى لا منتهى هذا السُّرى
في المتاهاتِ ومِنْ غيرِ ابتداءِ

إنني أخطو على شِلْوي وفي
وَهَوَهاتِ الرِّيحِ أَشْتَمُّ دمائي

من يؤاويني؟ أيُصغي منزلٌ
لو أنادي، أو يَعي أيُّ خباءِ؟

الممرّاتُ مغاراتٌ لها
وثبةُ الجنِّ، وإجفالُ الظُّباءِ

وهناك الشُّهْبُ غربانٌ، بلا
أعينٍ، تجتازُ غيماً لا نهائي

وهنا الشَّمسُ عجوزٌ، تحتسي
ظِلَّها، تصبو إلى تحديقِ رائي

مَنْ دنا منّي؟ وكالطَّيْفِ التوى
ونأى خلفَ خيالاتِ التنائي

مِنْ وراءِ التلِّ عَنَّتْ غابةٌ
من أفاعٍ، وكهوفٌ من عُواءِ

وعيونٌ كالمرايا، لمعتْ
في وجوهٍ من رمادٍ وانحناءِ

إنه حشدٌ، بلا اسْمٍ وجهُهُ
خلفَهُ مِرآةُ تزويرِ الطِّلاءِ

مَن يرى أيَّ زحامٍ، ودرى
أنه يرنو إلى زيفِ الخواءِ؟

* * *

وبلا زادٍ ولا دربٍ مضى
كالخيالاتِ الكسيحاتِ الظِماءِ

تخفُقُ الأحزانُ في أهدابِه
وتُناغي كعصافيرِ الشتاءِ

ينحني، يستفسرُ الإطراقُ عن
وجهِهِ الذّاوي، وعن بابِ مُضاءِ

عــن يــدٍ صــيــفــيَّــةِ الــلَّــمــسِ، وعــن
شُــرفــةٍ جَــذْلــى، وعــن نــبــضِ غــنــاءِ

وتــأنَّــتْ نــجــمــةٌ، أرســى عــلــى
جــفــنِــهــا طــيــفٌ خــريــفــيُّ الــرِّداءِ

فــتــمــلاَّهــا مــلِــيّــاً، وارتــدى
جــوُّ عــيــنــيــه أصــيــلاً مــن صــفــاءِ

والــتــظــى بــرقٌ، تــضــنَّــى خَــلْــفَــهُ
ألــفُ دنــيــاً مــن يــنــابــيــعِ الــســخــاءِ

وبــلا وعــيٍ دنــا مــن كــوخــهِ
كــغــريــقٍ، عــاد مــن حَــلْــقِ الــفــنــاءِ

فــأحــسَّ الــبــابَ يــلــوي حــولــه
ســاعــدَيْ شــوقٍ، وحــضــنــاً مــن بــكــاءِ

أيــن مــن يــســألــه، يــخــبــرُهُ
عــن مــآســيــهِ؛ فــيــحــنــو أو يُــرائــي؟

وجــثــا، يــحــنــو عــلــيــه مــنــزلٌ
ســقــفُــهُ الــثــلــجُ، وجــدرانُ الــمــســاءِ

وكــمــا تــنــجــرُّ أمٌّ ضــيَّــعــت
طِــفــلَــهــا، يــبــحــثُ عــن أدنــى غــذاءِ

يــجــتــدي الــصَّــمــتَ نــداءً أو يــداً
أو فــمــاً يــفــتــرُّ، أو رَجْــعَ نــداءِ

ويُــداري الــسُّــهــدَ أو يــرنــو إلــى
ظِــلِّــهِ، يــخــتــالُ فــي ثــوبٍ نــســائــي

فـــتُــــعـــــاطـــيــــه مـــنـــــاهُ أكْـــؤســــاً
مـــن دخـــانٍ، واحـــتـــضـــانـــاً مـــن هـــبـــاءِ
تـــحـــتـــســـي أنـــفـــاسَـــهُ أُمْـــسِـــيَـــةٌ
عـــاقـــرٌ، تـــمـــتـــصُّ ألـــوانَ الـــهـــواءِ

هـــل هـــنـــا لابـــن ســـبـــيـــلِ الـــريـــحِ مِـــنْ
مـــوعـــدٍ، أو هـــاهُـــنـــا دفءُ لـــقـــاءِ؟
عـــاد مـــن قَـــفْـــرٍ دُخـــانـــيٍّ إلـــى
عـــامـــرٍ أقـــفـــرَ مـــن لـــيـــلِ الـــعَـــراءِ

وغـــدا يـــبـــتـــدئُ الأشـــواطَ مـــن
حـــيـــث أنـــهـــاهـــا، إلـــى غـــيـــرِ انـــتـــهـــاءِ
يـــقـــطـــعُ الـــتِّـــيْـــهَ إلـــى الـــتِّـــيـــهِ، بـــلا
شـــوقِ أســـفـــارٍ، ولا وعـــدِ انـــثـــنـــاءِ

وبـــلا ذكـــرى، ولا ســـلـــوى رؤىً
وبـــلا أرضٍ، ولا ظـــلِّ ســـمـــاءِ
عُـــمْـــرُهُ دوّامـــةٌ مـــن زئـــبـــقٍ
وســـهـــادٌ وطـــريـــقٌ مـــن غَـــبـــاءِ

⁂

صديقُ الرِّياح

مارس 1966م

علـى اسمِ الـجنيـهاتِ، والأسلحةْ
يـتـاجـرُ بـالـموتِ كـي يـربَحهْ

ويشتمُّ كفَّيْ مُرابـي الـحروبِ
فـيزرعُ فـي رملِهِ مطمحَهْ

ذوائبُهُ الـحاضناتُ النُّجومَ
بأيدي المُرابين كالمِمسحَةْ

يُمنِّيهِ طاغٍ حساهُ الفجورُ
وجَلْمَدَ في حلقِهِ النَّحنحَةْ

فيدمى وتغدو جراحاتُهُ
منادِيلَ في كفِّ مَنْ جرَّحَهْ

وتومي لـه حربةُ (الهُرْمُزانِ)
بـ(قرآنِ عثمانَ) والمِسْبَحةْ

فيهوي، لـه جُبَّةٌ من رمادٍ
ومن داميات الحصى أوشِحَةْ

علـى وجهِهِ ترسُبُ الحشرجاتُ
وتطفو قبورٌ بـلا أضرحَةْ

ويجترُّهُ من وراءِ السرابِ
أسىً يرتدي صَبغةً مُفْرِحَةْ

فــيــجــتــاحُ تــلاًّ شــواهُ الــحــريــقُ
وتــلاً دخــانُ الــلّــظــى لــوَّحــهْ
ويــغــتــالُ رابــيــةً مُــمْــســيــاً
وتــأكــلُــهُ ربــوةٌ مُــصْــبِــحَــةْ
وكــالــسُّــلِّ يــمــتــصُّ زيــتَ (الــريــاضِ)
ويُــرضِــعُ مــن دمِــه الــمــذبــحَــةْ
ويــســقــطُ حــيــث تــلــوحُ الــنــقــودُ
هــنــا أو هــنــا، لا يــعــي مــطــرحَــهْ
طــيــوفُ الــحــيــاةِ عــلــى مُــقــلــتَــيْــهِ
عــصــافــيــرُ دامــيــةُ الأجــنِــحَــةْ
تَــعُــبُّ أســاريــرَهُ الأمــســيــاتُ
وتــنــســى الــصــبــيــحــاتُ أن تــلــمــحَــهْ
و غــايــاتُــهُ أن يُــديــرَ الــحــروبَ
ويــبــتــزَّ أســواقــهــا الــمُــربــحَــةْ
ومــا دام فــيــهِ بــقــايــا دَمٍ
فــمــن صــالــح الــجَــيــبِ أن يــســفــحَــهْ
يــجُــودُ بــأشــلائِــهِ ولــتــكُــنْ
لــ(إبــلــيــسَ) أو (آدم) الــمــصــلــحَــةْ

* * *

وتــلــك عــوائــدُهُ الــخــالــداتُ
يــجــوعُ، ومــن لــحــمِــهِ يــأكــلُ

بِلا دِرْهمٍ كان يَدْمَى فكيف؟
وكنزُ (المُعَزُّ) لهُ يُبذَلُ

أينسى عراقَتَهُ، إنه
أبو الحربِ أو طِفلُها الأوّلُ

وما زال تُنجِبُهُ كلَّ يومٍ
(بسوسٌ) وأخرى به تحبلُ

إلى أين يسري؟ وردَّ الصدى:
إلى حيث لا ينثني الرُّحَّلُ

وكانَ هناك سراجٌ حزينٌ
يَئِنُّ، ونافذةٌ تسعُلُ

فأصغى الطريقُ إلى مَسْمَرٍ
كنعشٍ ينوءُ بما يحملُ

وقال عجوزٌ سها الموتُ عنهُ:
على مَنْ ننوحُ؟ ومَنْ نثكلُ؟

رمى أمسِ (يحيى) أخاهُ (سعيداً)
وأردى ابن أختي أخي (مقبلُ)

فردَّ لهُ جارُهُ: لو رأيتَ
متاريسَنا كيف تستقْتِلُ

تمورُ فتغشى الجبالُ الجبالَ
ويبتلعُ الجندلَ الجندلُ

ويهوي الجدارُ على ظِلِّهِ
ويجترُّ أسوارَهُ المعقِلُ

وقالت عروسٌ صباحَ الزفافِ:
سعى قبل أن يبردَ (المخملُ)

ويوماً حكوْا: أنَّهُ في (حريبِ)[1]
ويوماً أتى الخبرُ المذهلُ

وصاح فتًى: أخبروا عن أبي
وأجهشَ، حتى بكى المَنزِلُ

وولَّى ربيعٌ مريرٌ، وعادَ
ربيعٌ بمأساتِه مثقلُ

وضاعَ المدى وصديقُ الرياحِ
يحومُ، وعن وجهِهِ يَسألُ

ويمضي به عاصفٌ قُلَّبٌ
ويأتي به عاصفٌ حُوَّلُ

* * *

أما آن يا ريحُ أن تهدأي
ويا راكبَ الريحِ أن تتعبا؟

وأين ترى شاطئَ الموجِ يا
(براشُ)[2] ويا نسماتِ الصَّبا

ويا آخرَ الشوطِ: أين اللقاء؟
ويا جدبُ أرجوكَ أن تُخصِبا

---

(1) حريب مدينة شرق اليمن.
(2) براش: جبل شرق صنعاء.

ويا حلمُ هل تجتلي مُعجزاً
تحيلُ خطاهُ الحصى كَهْرَبا

يُبيدُ بكفٍّ نيوبَ الرياحِ
ويمحو بكفٍّ، حلوقَ الرُّبا

ويغرسُ في الذئبِ رفقَ النِّعاجِ
ويمنحُ بعضَ القوى الأرنبا

أيأتي؟ ويحتشدُ الانتظارُ
يمدُّ له المهدَ والملعبا

ويبحثُ عن قدميْه الشروقَ
ويحفرُ عن ثغرِهِ المَغْربا

وعادت كما بدأتْ غيمةٌ
توشّي بوارقَها الخُلَّبا

وتُفرِغُ أثداءَها في الرمالِ
وتهوي تحاولُ أن تَشْرَبا

و(صنعاءُ) ترتقبُ المعجزاتِ
وتحلمُ بالمُعجزِ المُجْتَبى

وكالصَّيفِ شعٌّ انتظارٌ جديدٌ
على الأفقِ، وامتدَّ واعشوشَبا

وحدَّقَ من كلِّ بيتٍ هوىً
يراقبُ عملاقَهُ الأغلبا

ويختارُ أحلى الأسامي لَهُ
وينتخبُ اللَّقبَ الأعجبا

ويَـــخْــلــقُــهُ فــارســاً يــمــتــطــي
هــلالاً ويــتَّــشــحُ الــكــوكَــبــا

ســيــدنــو فــقــد آن لــلــسُّــهْــدِ أن
يــنــامَ، ولــلــنَّــوحِ أن يــطــربــا

فــعُــمْــرُ الــرَّصــاصِ كــعُــمْــرِ ســواهُ
وإن طــالَ جــاءَ لــكــي يــذهــبــا

وقــد يُــقْــمِــرُ الــجــوُّ بــعــد اعــتــكــارٍ
وقــد يُــنــجــلُ[1] الأحــمــقُ الأنــجــبــا

❁❁❁

(1) يُنجل: يكون له نجل.

كانت وكان

أغسطس سنة 1965م

كـانـت لـه، حـيـث لا ظِـلٌّ ولا سـعـفُ
مـن الـنـخـيـلِ الـحـوالـي، نـاهـدٌ نَـصَـفُ

وكـان أرغـدُ نـصـفَـيْـهـا الـذي ابـتـدأتْ
أو انـمـحـى مـن صِـبـاهـا الـيـاءُ والألـفُ

أغـرى وأفـتـنُ مـا فـي بـعـضِ فـتـنـتِـهـا
طـفـولـةٌ، وامـتـلاءٌ مـثـمـرٌ هَـيـفُ

كـانـت لـه بـعـضَ عـام، لا يـمـتُّ إلـى
مـاضٍ ولا امـتـدَّ مـن إخـصـابِـه خَـلَـفُ

ولَّـى، ولا خـبـرٌ يُـهـدى إلـيـهِ وفـي
حـقـائـبِ الـريـحِ مـن أخـبـارهِ تُـحَـفُ

وقِـصَّـةٌ لـمْـلَـمَ الـتـاريـخُ أحـرُفَـهـا
فـاسـتـضـحـكَ الـحـبرُ في كفَّيْهِ والـصُّـحـفُ

وغـابَ أوَّلَ يـومٍ عـن تـذكُّـرِهِ
وفـي تـظـنـيـهِ مـن إيـمـائِـهِ نُـتَـفُ

كـان الـخـمـيـسُ أو الاثـنـيـن واحـتـشـدتْ
مـواقـفٌ، تـدفـعُ الـذكـرى وتـلـتـقِـفُ

فـي بـدءِ (تـشـريـنَ)، نـادَتْـهُ نـوافـذُهـا
فـحـامَ كـالـطـيـف، يـسـتـأنـي ويـنـجَـرفُ

هل ذاك مخدعها؟ تومي النجوم على
جبينِهِ، وعلى عينيْهِ تعتكِفُ

بل تلك.. غرفتُها أو تلك.. أيُّهما؟
أو هذه، وارتدت أزياءَها الغُرفُ

* * *

وبعدَ يومٍ وليلٍ، جاءَ يسألُها
عن عمِّها.. أخبروه أنهُ دَنِفُ

من ذا تريدُ؟ وتسترخي عبارتُها
فيأكلُ الأحرفَ الكَسْلَى ويرتشِفُ

ويدَّعي أنَّهم قالوا: أليس لها
عمٌّ ويعتصرُ الدَّعوى وينتزِفُ

ويستزيدُ جواباً: هل هنا سكنٌ؟
أظنُّ (بيتُ فُلانٍ) أهلُهُ انصرفوا

وَخانَهُ الرِّيقُ، فاستحلتْ تلعثُمَهُ
واخضرَّ في شفتيْها العذرُ والأسفُ

ونِصفَ (كانون) زارت بنتَ جارتِهِ
فأفشتِ الخبرَ الأبوابُ والشُّرَفُ

وقالت امرأةٌ: من تلك؟ والتفَتتْ
أخرى، تُكذِّبُ عينيْها وتعترفُ

وعرَّفتها عجوزٌ، كلُّ حِرفتِها
صُنعُ الخطايا، لوجهِ اللهِ تحترِفُ

وقـصَّـتِ امـراةٌ عـنـهـا، لـجـدَّتِـهـا
فـصلاً، كـمـا ذابَ فـوق الـخُـضْـرَةِ الـصَّـدَفُ

فـعـوَّذتْـهـا وقـالـت: كـنـت أُشـبِـهُـهـا
لـكـن لـكـلِّ طـويـلٍ يـا ابـنـتـي طَـرَفُ

وغـمـغـمَ الـشَّـارعُ الـمـهـجـور: مَـن خـطـرَتْ
كـمـا تَـخَـطَّـرَ تَـلٌّ مـائـجٌ تَـرِفُ

وحـيـن عـادت، وحـيَّـاهـا عـلـى خـجـلٍ
ردَّتْ، ومـا كـان يـرجـو، لـيـتـهـا تـقـفُ

وخـلـفـهـا اقـتـادَهُ وعـدُ الـسَّـرابِ إلـى
بـيـتٍ نـضـيـجِ الـصِّـبـا جـدرانُـهُ الـشَّـغَـفُ

حـتـى احـتَـسـتْـهـا شـفـاهُ الـبـابِ، لا أحـدٌ
يُـومـي إلـيـه، ولا قـلـبٌ لَـهُ يَـجِـفُ

وظَـنَّ وارتـابَ حـتـى اشـتَـمَّ قِـصَّـتَـهُ
كـلـبٌ هـنـاكَ وثـورٌ كـان يـعـتـلِـفُ

وعـاد مـن حـيـث لا يـدري عـلـى طُـرقٍ
مـن الـذهـولِ إلـى الـمـجـهـولِ يـنـقـذِفُ

فـاعـتـادَ ذكـراهُ بـيـتٌ مـسَّـهُ فـمُـهـا
فـي دربِـهـا، وبـظـلِّ الـدَّارِ يـلـتـحِـفُ

وقـرَّبـت دارَهـا مـن ظـلِّ مـلـجـئـهِ
يـدٌ تَـعـلَّـمَ مِـن إغـداقِـهـا الـسَّـرفُ

وكـان يُـصْـغـي فـتـدعـو غـيـرُهـا ٱبـنـتَـهـا
وجـارةٌ غَـيـرُهـا تَـخْـفَـى وتـنـكـشِـفُ

متى تبوحُ؟ وهل يُفضي بخطرتِها
دربٌ، ويخبرُ عنها الريحَ منعطفُ؟

وحلَّ شهرٌ رماديُّ الخُطى هرِمٌ
ضاعت ملامِحُه، واسترختِ الكتِفُ

وفي نهايتِه، جاءت تُسائِلُهُ
عن هِرِّها: لم يزُرنا، فاتنا الشَّرفُ

فنغَّمتْ ضحكةً كَسْلى، طفولتُها
جَذْلى، على الرقَّةِ المغناجِ تَنْقَصِفُ

فمدَّ كفّاً خجولاً، وانحنى فَرَنا
من وجهِها الموعدُ المجهولُ والصَّلَفُ

وكان يرنو، وجوعُ الأربعين على
ذبولِ خدَّيْهِ يستجدي ويرتجفُ

وقال ما ليس يدري فادَّعت غضباً:
مَنْ خِلْتَني؟ قُلْ لغيري: إنني كَلِفُ

وأعرضتْ واستدارتْ: كيف شارِعُنا؟
حلوٌ، أما ساكنوه السوْءُ والحَشَفُ؟

(فلانةٌ) لم تَدَعْ عِرْضاً و(ذاك) فتىً
يُغوي ويكذبُ في ميعادِهِ الحلِفُ

* * *

من ذلك اليومِ يوم (الهرِّ) كان له
عُمْرٌ، ومتَّجهٌ غضٌّ ومنصرفُ

واخـضـرَّ قُـدَّامَـهُ عُـشٌّ تُـدَلِّـلُـهُ
عـلـى رفـيـفِ الـدَّوالـي روضـةٌ أَنِـفُ

أجْـنَـتْ[1] لـهُ، أيُّـهـا يـدعـو مَـجـاعـتَـهُ؟
وأيُّ أفـنـانِـهـا يـحـسـو ويـقـتـطِـفُ؟

ومـرَّ عـهـدٌ كـعـمـرِ الـحُـلْـمِ يـرقُـبُـهُ
مـتـى يـعـودُ؟ يُـمـنِّـيـهِ ويـخـتـلـفُ

وكـان فـيـه كـمـولـودٍ عـلـى رَغَـدٍ
أنـهـى رضـاعـتَـه الـتـشـريـدُ والـشَّـظَـفُ

كـانـت لَـهُ ويَـقُـصُّ الـذكـريـاتِ عـلـى
طـيـفٍ، يـقـابـلُ عـيـنـيْـه ويـنـحـرفُ

والـيـومَ فـي الـقـريـةِ الـجَـوْعـى يُـضـيِّـعُـهُ
دربٌ، ودربٌ مـن الأشـواكِ يـخـتـطـفُ

يَـسِـيـحُ كـالـرِّيـحِ فـي الأحـيـاءِ يَـلـفِـظُـهُ
تِـيـهٌ، ويـسـخـرُ مـن تـصـويـبِـهِ الـهَـدَفُ

❁ ❁ ❁

(1) أجنت له: أبدت له الثمار الجنيّة.

نهايةُ حسناءَ ريفيَّة

سبتمبر سنة 1965م

كما تذبلُ الدَّالياتُ الصَّبايا
ذوَتْ في سخاءِ المُنى والعطايا
وكالثَّلجِ فوقَ احتضارِ الطُّيورِ
تراخَتْ على مُقلتيْها العشايا
وكابنِ سبيلٍ جثَتْ وحدها
تُهدِّجُ خلفَ الضَّياعِ الشكايا
وتَشْغُلُ في صدرِها أمسياتٌ
من الطينِ، تبصقُ ذَوْبَ الحنايا
ويوماً أشار أخوها القتيلُ:
تعاليْ تشهَّتْ يديْكِ يدايا
فناحتْ كبِنتِ مليكٍ غدَتْ
بأيدي (التَّتارِ) أذلَّ السَّبايا
أهٰذي أنا؟ وتعيدُ السؤالَ
وتبحثُ عن وجهِها في المَرايا
أما كان ملءَ قميصي الربيعُ؟
فأين أنا؟ في قميصي سوايا
وفرَّ سؤالٌ خجولٌ تَلاهُ
سؤالٌ، على شفتيْها تعايى

وأيــن الــفَــراشُ الــذي امــتــصَّــنــي؟
أيــرثــي هــشــيــمُ الــغــصــونِ الــعَــرايــا؟

وذاتَ مــســاءٍ تــمــطَّــى الــســكــونُ
كــبــاغٍ يــهِــمُّ بــأدهــى الــقــضــايــا

وأقــعــى يــهــزُّ إزاءَ الــجــدارِ
أكُــفّــاً مــن الــشــوكِ خُــرْسَ الــنــوايــا

وفــي الــصــبــحِ أهــدتْ لــهــا جــارتــان
غــبِــيّــاً رضــيَّ الــرُّقــى والــسَّــجــايــا

يَــفُــضُّ الــكــتــابَ ويَــشْــوي الــبــخــورَ
ويــســتــلُّ مــا فــي قــرارِ الــخــفــايــا

فــتَــشْــتــمُّ أمــسِ الــمُــســجَّــى، يــعــودُ
وتــجــتــرُّهُ مــن رمــادِ الــمــنــايــا

وتــنــتــظــرُ الــزائــريــن كــأُمٍّ
تــراقــبُ عَــوْدَ بــنــيــهــا الــضــحــايــا

فــلا طــيــفَ حُــبٍّ يــشــقُّ إلــيــهــا
سُــعــالَ الــكــوى أو فَــحــيــحَ الــزَّوايــا

وكــان يَــمُــدُّ الــمــســاءُ الــنــجــومَ
إلــيــهــا مــعــبَّــأةً بــالــهــدايــا

وتــتَّــئِــدُ الــشَّــمــسُ قــبــل الــغــروبِ
تُــوشِّــي رؤاهــا بــأزهــى الــخــبــايــا

ويــجــثــو الــصــبــاحُ مــلــيّــاً، يَــرشُّ
شــبــابــيــكَــهــا بــأرقِّ الــتَّــحــايــا

وتحملُ عَنْ وَهْجِ أسمارِها
رياحُ الدُّجى هَوْدجاً من حكايا

وكانت كما يخبِرُ الذاكرونَ
أبضَّ الغواني وأطرى مزايا

وأنضَرُ مِن صاحباتِ (السُّمُوِّ)
ولكنها بنتُ أشقى الرعايا

تهادتْ من الريفِ عامَ الجرادِ
تُعاطي المقاصيرَ أحلى الخطايا

وفي بَدءِ (نسيانَ) حثَّ الخريفُ
إليها من الريحِ أمْضى المطايا

فشظَّى كؤوسَ الهوى في يديْها
وخبَّأَ في رئتيْها الشظايا

وخلَّفَ منها بقايا الأنينِ.
وعادَ؛ فأنهى بقايا البقايا

❁ ❁ ❁

لا اكتراث

سبتمبر سنة 1965م

روِّيــهِ، أو حــطِّـمــي فــي كــفِّــه الــقَــدَحــا
فـلـم يَـعُـدْ يـنـتـشـي، أو يـطـعـمُ الـتَّـرحـا

لا، لــم يُــحــسَّ ارتــواءً، أو يــجــدْ ظــمــأً
أو يــبــتــهــجْ إن غَــدَت أحــلامُــهُ مُــنَــحــا

سُــدىً تُــمــنِّــيــن مَــنْ مــاتــت رغــائِــبــهُ
مِنْ طولِ مـا اغـتـبـقَ الـقِـطْـرانَ واصْـطَـبَـحـا

فــعــادَ، لا يــرتــجــي ظِــلاً ولا شــجَــراً
ولا يــراقــبُ وعــداً، جــدَّ أو مَــزَحــا

إذا اشــتــهــى اقــتــاتَ شِــلْــواً مــن تــذكُّــرهِ
وامـتـصَّ مـا خـطَّ فـي رمـلِ الـهـوى ومـحـا

كــالــطَّــيــفِ يــحــيــا بــلا شــوقٍ ولا حُــلُــمِ
ولا انــتــظــارِ رجــاءٍ، ضَــنَّ أو سَــمَــحــا

يُــنــقِّــرُ الــسُّــهْــدَ عــن مــيــعــادِ أُغــنــيــةٍ
كــطــائــرٍ جــائــعٍ، عــن سِــربــهِ نَــزَحــا

ويَــنْــزوي، كــضــريــحٍ يــســتــعــيــدُ صدًى
يــبــكــي ويــهــزجُ (لا حُــزْنــاً ولا فَــرحــا)

لا تسألي، لم يَعُدْ مَن تعرفين هنا
ولَّى وخلَّفَ من أنقاضِهِ شَبَحا

آسي بقاياهُ، أو شَظِّي بقيَّتَهُ
للرِّيح، لم يدرِ مَن آسى ومَنْ جَرحا

❁ ❁ ❁

رائدُ الفَراغ

ديسمبر 1964م

طاوٍ، يريدُ بلا إرادَةْ ... ظمآنُ، يجترعُ اتِّقادَةْ

هيمانُ، تَركُضُ فيهِ أشـ ... ـواقُ الجنينِ إلى الوِلادَةْ

فيُفتِّشُ الأطيافَ، عن ... إيماءِ قُرْطٍ أو قِلادَةْ

عن وعدِ باذلةٍ تجو ... دُ فيستزيدُ إلى الزِّيادَةْ

لفتاتُها لحنٌ، تتو ... قُ إليه أخيلَةُ الإجادَةْ

ويُسائلُ الأشباحَ: مَنْ ... أعصي، ومَنْ أُدْني قيادَهْ؟

مَنْ أملأُ الجاراتِ؟ مَنْ ... أشهى.. يحومُ بكُلِّ غادَةْ

ويغيبُ في حُمَّى السُّها ... دِ، يُعيدُ كارثةً مُعادةْ

وكما يُقدِّرُ يرتمي ... في دفءِ (تقوى) أو (سعادَةْ)

ويمدُّ زنديْه، ويَهـ ... ـصِرُ مَنْ يظُنُّ، بلا هوادَةْ

ويمورُ حتى يشتكي ... قلقُ الفراشِ إلى الوسادَةْ

ويعودُ يغفو، أو يُحرِّ ... قُ في ندامتِهِ سُهادَهْ

* * *

حتى أطَلَّتْ ليلةٌ ... مِعطاءَةُ الأيدي جوادَةْ

مَنحَتْهُ مِنْ رغدِ الموا ... سمِ فوق أحلام الرَّغادَةْ

وعلى صبيحتِها دَهَتْـ ... ـهُ صبيحةٌ وَأَدَتْ رُقادَهْ

ضاعِفْ كِراءَ البيتِ أو ... دَعْهُ أتحرمُني الإفادَةْ؟

ماذا يقولُ لـ(مدفَنٍ) ... ورِثَ الغباوةَ والسِّيادَةْ

ذَهَبتْ ملامِحُ وجهِهِ ... وتَجلْمَدَتْ فيهِ البَلادَةْ

مِنْ أين يُعطي مِنْ قَطَعْتَ سبيلَهُ، وحكرتَ زادَهْ
حَسناً. . سأتركُهُ، أضِفْهُ إلى مبانيكَ المُشادَهْ
وانجرَّ يرتادُ الفراغَ ويُطعمُ الشَّوكَ ارتيادَهْ
والريحُ تَبصقُهُ وتَضفَعُ في ملامحِهِ بِلادَهْ

۞۞۞

من أيـن؟

يناير 1965م

مِـنْ أيـن تـهـمـسـيـن لـي؟ فـتـسـتـعـيـدُ الأهْـويَـةْ
مِـنْ أيـن؟ إنَّـنـي عـلـى أيْـدِي الـظُّـنـونِ، أُلـهِـيَـةْ
مِـنْ حـيـث لا أعـي ولا تَـدْريـن أيُّ أُحـجِـيَـةْ؟!
وَتَـهـمِـسـيـن لـي كَـمـا يَـنْـدَى اخـضـرارُ الأوديَـةْ
كـمـا تـبـوحُ جَـنَّـةٌ حُـبلى بـأسـخـى الأعـطـيَـةْ
فـيـشـرئـبُّ مَـنـزلـي مـن الـثُّـقـوبِ الـمُـصـغـيَـةْ
عـريـانُ يَـغـزلُ الـصَّـدى أسِـرَّةً وأغْـطـيَـةْ
يـمـدُّ كـلَّـهُ إلـيـ ـلكِ حِـضْـنَـهُ وأيـديَـهْ
أتـشـعُـريـن أنـنـي ألـقـاكِ، كـلَّ أُمـسـيَـةْ؟
عـلـى جـفـونِ خـاطـرِ أوِ احـتـمـالِ أُمْـنـيَـةْ
يَـطـيـرُ بـي إلـيـكِ مِـنْ هـنـا جـنـاحُ أُغْـنِـيَـةْ

❂❂❂

فارس الأطياف

يونية 1966م

كان اسمُهُ (يحيى)، وكان يُوافي
بيتاً من الميعادِ والإخلافِ
وافاه أوّلَ مرّةٍ كمجذِّفٍ
أعطى الضّياع قيادةَ المِجْدَافِ
وغداةَ حَيَّا البابَ قطَّبَ لحظةً
وصفا كوجهِ الوارثِ المتلافِ
وهفا إلى لُقياهُ أنضرَ مَدْخلٍ
تُومي رَوائحُهُ إلى الأضيافِ
وأتاه ثانيةً، فماسَ أمامَهُ
ثوبٌ، كَوَشْيِ الموسمِ الهَفهافِ
فكأنَّ كلَّ خميلةٍ ألقَتْ على
كتفيْه أرْديةً من الأفوافِ
ماذا وراء الثوبِ؟ فجرٌ راسبٌ
يَهوي ويستحيي وفجرٌ طافِ
ورَنا إلى الشُّبَّاكِ يرجو فاختفتْ
وارتدَّ بالوعدِ الجليِّ الخافي
وغدا إليهِ، فرفَّ شيءٌ ظَنَّهُ
حسناءَ، تَرفِلُ في ثيابِ زفافِ

ودعا (حسيناً) مرّةً فأجابَهُ
صوتٌ كساقيةٍ من الأصدافِ

فاشتمَّ أتْرَفَ ربوةٍ أجنَتْ له
ودنا، فغابت عن يدِ القَطَّافِ

فهُنا مَزارٌ من طفولاتِ الضُّحى
ومن الشَّذا وأصايلِ الأصيافِ

يَمضي إليهِ على الحنينِ وينثني
منهُ على فرسٍ من الأطيافِ

هي لَمْ تَعِدْهُ، ويرتجي ميعادَها
وسدىً يُعنقِدُ خُضرةَ الصَّفصافِ

فيرودُ كالسّمسارِ متجرَ عمِّها
ويُشيدُ بالبيَّاع والأصنافِ

ويعودُ قبلَ العصرِ يقصدُ جَدَّها
في البيتِ، يُطْري حُمقَهُ ويُصافي

ومضى يصادقُ عندَ مدخلِ بابِها
مقهىً، وباباً كالخفيرِ الجافي

وبلا محاولةٍ رآها مرَّةً
جَذْلى كحقلِ الزَّنبقِ الرَّفَّافِ

كان المساءُ الغضُّ عندَ رجوعِهِ
حقلاً ربيعيًّا ونهرَ سُلافِ

حقًّا رآها كالضُّحى، والبوحُ في
نظراتِهِ كالطَّائرِ الخوَّافِ

خلفَ الزُّجاجِ تبرَّجَتْ وأظَلَّها
شعرٌ، كأهدابِ الغروبِ الصَّافي

كانت تُغنِّي حينذاكَ وتنتقي
ثوباً، وترمي بالقميصِ الضَّافي

وأمامَ مرآةٍ، تُعرِّي نِصْفَها
وتموجُ تحتَ المِئزرِ الشَّفَّافِ

لِمَ لا يُناديها؟ وكيفَ؟ ويختفي
عنهُ اسمُها، ويضيعُ في الأوصافِ

شفقيَّةُ الشَّفتينِ، كَحْلى ناهدٌ
صيفيَّةٌ، ثلجيَّةُ الأعطافِ

وخلا الطريقُ فلم يُصِخْ إلاَّ إلى
أصدائِها، وعبيرِها الهتَّافِ

ومشى يُحدِّقُ والذهولُ الحُلْوُ في
عينيهِ يبسمُ كالصَّبِيِّ الغافي

ويُعيدُ رؤيتَها ويحضنُ ظِلَّها
ويمدُّ آمالاً بلا أطرافِ

ويَعي فيتَّهمُ المُنى، ويعودُهُ
حُلمٌ سخيُّ الهمسِ والإرجافِ

فيشيدُ مملكةً، ويستولي على
أسمى الرؤوسِ، وأعرض الأكتافِ

ويرنُّ مِذياعٌ فيمسي مُطْرَباً
في زحمةِ التَّصفيقِ والإرهافِ

يَشدو فتحتشدُ المَسامرُ حولهُ
موَّاجةَ الأثداءِ والأرْدافِ

ويمدُّ خطوتَهُ فيركضُ (عَنتَرٌ)
في صَدرِهِ ويكرُّ (عبدُ منافِ)

فيُغيرُ، يطعنُ أو يحوزُ فُلانةً
وفُلانةً بشريعةِ الأسيافِ

فإذا اسمُهُ أخبارُ كُلِّ مدينةٍ
وإذا صداهُ مَسامِرُ الأريافِ

وتلينُ خطوتُهُ فيصبحُ تاجراً
تكسوهُ أُبَّهةٌ من الآلافِ

إنَّ النُّقودَ سلاحُ كُلِّ مُقاتلٍ
ما كانَ أصدقَ حكمةَ الأسلافِ

مَنْ كانَ؟ أوضعَ مِنْ (مُثَنَّى) فاحتوى
مالاً، وأصبحَ أشرفَ الأشرافِ

سأفوقُ مَنْ أَثْرَوا، وتُخبرُ جدَّتي
أنَّ الزَّمانَ يَرِقُّ بعدَ جَفافِ

وتقصُّ أُمِّي كيفَ كانَ دعاؤها
حولي قناديلاً تضيءُ مَطافي

وانجرَّ يهمسُ للطُّيوفِ ويجتلي
وعداً مِنَ الإغداقِ والإسرافِ

ويُحوِّلُ الدُّنيا بلمعةِ خاطرٍ
قيثارةً، موهوبةَ العَزَّافِ

فيُعِدُّ مشروعاً ويُنجزُ ثانياً
كالبرقِ، يحملُهُ إلى الأهدافِ

وغداً، ستُخبرُ كلُّ بنتٍ أُمَّها
عنهُ، وتحسدُ أُختَها وتُجافي

وتنافِسُ الحُلْواتُ بنتَ مزارهِ
فيهِ، وتمنَحُهُ بلا استعطافِ

وإلى مَدى التَّحليقِ يرفَعُهُ هوىً
وهوىً يخوضُ بهِ مَدَى الإسفافِ

ورَنا بلا قصدٍ، فخالَ تحرُّكاً
يدنو كقُطَّاعٍ مِنَ الأجلافِ

مَنْ ذا هُناكَ؟ وكان يسعلُ حارسٌ
ويقصُّ ثانٍ فُرْقَةَ الأُلاَّفِ

وأجابَ هِرٌّ هِرَّةً فأجالَ في
وَجْهِ السُّكونِ توسُّمَ العَرَّافِ

فاعتادهُ شبحٌ عليهِ عباءةٌ
شَعْثا ووجهٌ كالضَريحِ العافي

واحتَجَّ مُنعطفٌ أطارت صَمْتَهُ
ونُعاسَهُ نقَّالةُ الإسعافِ

ماذا دنا مِنهُ؟ توثُّبُ غابةٍ
من أذرعٍ صخريَّةِ الأخفافِ

ومشى كمُتَّهمٍ تُكشِّرُ حَولَهُ
وحشيَّةُ المَنفى ووجهُ النَّافي

وأشـــارَ مــصــبــاحٌ فــأنــكــرَ وجــهَــهُ
ويــديْــه فــي إيــمــائِــهِ الــخــطَّــافِ
ورأى هــواجــسَــهُ عــلــى ظَــلِّ الــدُّجــى
كــدَمِ الــشَّــهــيِــد عــلــى يــدِ الــسَّــيَّــافِ
وأحــسَّ عــمَّــتَــهُ تــقــولُ لأُمِّــهِ:
رجــعَ ابــنُ قــلــبــكِ، فــأَمَــنــي أو خــافــي
وهــنــاكَ أخــبــرَهُ الــتَّــعَــثُّــرُ أنَّــهُ
يــمــضــي ويــرجــعُ وهــو طــاوٍ حــافِ

❁ ❁ ❁

وراء الرياح

يونية سنة 1964م

تقولينَ لي: أينَ بيتي مُزاحْ؟
مِنَ النَّارِ زادَ رمادي جراحْ؟

تقولينَ أينَ؟ وبيتي صدىً
مِنَ القَبرِ، جُدرانُهُ مِنْ نُواحْ

وتِيهٌ وراءَ ضياعِ الضَّياعِ
وخلفَ الدُّجى، ووراءَ الرِّياحْ

هُناكَ قراري على اللاّقرارِ
وفي لا غُدُوٌ وفي لا رَواحْ

وراءَ النَّوى، حيثُ لا برعمٌ
جنينٌ، ولا موعدٌ من جَناحْ

أموتُ، وأستولدُ الأغنياتِ
وأبذُلُها للبِلى في سماحْ

وأَحْلُمُ، حيثُ الرُّؤى ترتمي
على غابةٍ من لُهاثِ النُّباحْ

وحيثُ الأفاعي تبيعُ الفحيحَ
وتمتصُّ جوعَ الحَصَى في ارتياحْ

لماذا أُجيبُ؟ وتَستَنْبِتينَ
سؤالاً يُبرعمُ حُلْمَ الصَّباحْ

فأُصغي، وأسمعُ من لا مكان
صدىً واعداً، زنبقيَّ الصُّداحْ

وأَشْتَمُّ صيفاً خجولَ القِطافِ
تلعثمَ في وجنتيْكِ وفاحْ

وناغى على شاطِئيْ مُقلتيْكِ
مُنىً رُضَّعاً ووعوداً شِحاحْ

أحَلْنَ رمادي حريقاً صموتاً
وأورقْنَ في شفتيْهِ فَباحْ

لأنَّا التقيْنا، وَلَذْنا الشُّروقَ
وأَهْدى لنا كلُّ نجمٍ وِشاحْ

فماجَ بِنا منزلٌ من شذاً
ومِنْ أُغنياتِ الصِّبا والمَراحْ

❁ ❁ ❁

يا نجوم

مارس 1967م

لـفـتـةً يـا نـجـومُ إنِّـي أُنـادى
مَـنْ رآنـي؟ أو مـن تـجـلَّـى الـمُـنـادى؟
إنَّـنـي يـا نـجـومُ كُـلَّ مـسـاءٍ
هـاهُـنـا، أبـلـعُ الـشِّـفـارَ الـحِـدادا
وبـلا مـوعـدٍ أمُـدُّ بـنـانـاً
مـن حـنـيـنٍ، لـكُـلِّ طـيـفٍ تـهـادى
لـكـنـوزٍ مـن شـعـوذاتِ الـتَّـمـنـي
تـتـبـدَّى ثُـنـىً، وتَـخـفـى فُـرادى
أزرعُ الـسَّـقـفَ والـزوايـا فُـتـوحـاً
فـتـسـوقُ الـكُـوى إلـيـهـا الـجـرادا
وأُنـادي والـريـحُ تـمـضـي وتـأتـي
كـالـمـنـاشـيـرِ جَـيـئـةً وارتـدادا
وتـقـصُّ الـذي حـكـتـهُ مِـراراً
لـلـرَّوابـي، ولـقَّـنـتـهُ الـوِهـادا
وتـعـيـدُ الـذي أعـادت وَتـزوي
مِـن سُـعـالِ الـبـيـوتِ فَـصـلاً مُـعـادا
مَـنْ أُنـادي يـا ريـحُ . . مَـنْ؟ لـسـتُ أدري
هـل سـيـدنـو، أم يـسـتـزيـدُ ابـتـعـادا؟

مَــنْ يــرانــي؟ إنِّــي هُــنــا يــا عَــشــايــا
أنــفــخُ الــسَّــقْــفَ، أو أُداري الــرُّقــادا

ورؤىً، تــســتــفــزُّنــي وتُــولِّــي
ورؤىً تــزرعُ الــمــســاءَ سُــهــادا

وهَــوَىً يَــعــزفُ احــتــراقــي ويــشــدو
فــأُعــيــدُ الــصَّــدى وأحــســو الــرَّمــادا

⊛ ⊛ ⊛

أُمُّ يعرُب

أغسطس 1964م

حَيْثُ الغُبارُ الأهوجُ ... على الرِّياحِ ينشجُ
وحيث تشمخُ الدُّمى ... ويستطيلُ العَوْسَجُ
هناكَ حيث يدَّعي ... على القشورِ البَهْرجُ
جزيرةٌ، تطفو على ... صحوِ الرُّبا وتدلجُ
مُطِلَّةٌ، كأنَّها ... نعشٌ أشمُّ أبلجُ
تمضي به حَنيَّةٌ ... جَزْحَى وتلٌّ أعرجُ
سمراءُ حُلْمُها على ... أيدي الرياحِ هودجُ
ومِزْوَدٌ من الهوى ... ومرتعٌ مُضرَّجُ
تجثو كذاهلٍ إلى ... ما لا يرى يُحدِّجُ
كجائعٍ يشتمُّ مِنْ ... حوليهِ لحماً ينضجُ
تَهْوَى وظلُّ نفسِها ... يُخيفُها ويزعجُ
فتحبلُ الرُّؤى على ... أهدابِهَا وتُخدِجُ
على الفراغِ تنطفي ... وللفراغِ تُسرجُ
على اصفرارِ وجْهِها ... تَعَمْلَقَ التَّشَنُّجُ
فبعضُها لبعضِها ... تَوَحُّشٌ مُهَيِّجُ
يُومي إلى رُكامِها ... ركامُها المدجَّجُ
فترجع (البَسُوسُ) في ... أحشائِها تُهَمْلِجُ

ويَعصرُ التحامُها دماءَ ها، ويَمزجُ
وتنثني يَهُزُّها تبجُّحٌ مُحشْرَجُ
تَقُصُّ عن جدودِها كَمْ أخمدوا وأجَّجوا
وأبدعوا مَقابراً وأسقطوا وتوَّجوا
وأتخموا سوقَ الرَّدى وأكسدوا وروَّجوا
وأينَ صالَ (جُرْهُمٌ) وأينَ جالَ (خَزْرَجُ)
فيشرئبُ (هاشمٌ) من رملِهَا و(مذحجُ)
فتغزلُ الحياةُ مِنْ ثلجِ البِلَى، وتَنْسُجُ
سَلِ الرِّياحَ: هَلْ لَها خلفَ الرُّؤى توهُّجُ
هل يستفزُّ وجْهَها إلى الضُّحى التَّبَرُّجُ
هناكَ ذرَّ بُرعمٌ فأومأ التَّأَرُّجُ
إلى نهودِ هَضْبَةٍ يُحيلُها التَّرَجْرُجُ
تُثير موعداً، على عينيْهِ طَيْفٌ أدعجُ
هناكَ نبضُ مولدٍ يُريبُهُ التَّحَرُّجُ
تَلَجْلَجَتْ بنانُهُ فأفصحَ التَّلَجْلُجُ
وكَرْمةٌ عيونُها أحلامُ أنثى تُزوِجُ[1]
ومُنحنىً يَخضرُّ في حروفِهِ التَّهَدُّجُ
وواحةٌ حبلى تَعي متى؟ وكيفَ تُنتِجُ؟
فتَبتَدي جزيرةٌ أُخرى أجدُّ أبهجُ
لها طفولةٌ، على رَكْضِ البزوغِ تَدْرُجُ

(1) تزوج: تدخل طور الزواج.

عـلـى امـتـدادِ حِـضْـنِـهـا تَـنْـدَى الـحَـصـى، وتَـهْـزُجُ
ويَـنْـتـشـي (عَـرارُهـا) ويـفـرحُ الـبـنَـفْـسَـجُ
فـلـلـكُـوى، تَـلَـفُّـتٌ ولـلـرُّبـا تَـمَـوُّجُ

❁❁❁

آخر جديد

أبريل 1965 م

مـــولاتـــي، يـــا أحـــلـــى الأحـــلـــى
عـــنـــدي لـــكِ، أخـــبـــارٌ عـــجـــلـــى

قـــالـــوا عـــن (حُـــوريَـــةٍ) امـــتـــلأتْ
فـــتـــنـــاً، أغـــلـــى مـــا فـــي الأغـــلـــى

نَـــهـــداهـــا كِـــبْـــرُ شُـــمـــوخِـــهـــمـــا
خـــدَّاهـــا نـــظـــرتُـــهـــا الـــنَّـــجْـــلا

أنَّـــى خَـــطَـــرَتْ لَـــبِـــسَـــتْ حـــقـــلاً
مـــن غَـــزْلٍ، وانـــتـــعـــلـــتْ حـــقـــلا

فـــهُـــنـــا وهـــنـــاكَ، لِـــمِـــشْـــيَـــتِـــهـــا
تـــاريـــخٌ يـــســـتـــهـــوي الـــنَّـــخـــلا

أمـــلاهُ يـــومـــاً مـــنـــعـــطـــفٌ
والـــرِّيـــحُ، أعـــادَتْ مـــا أمـــلـــى

و(ثُـــريَّـــا) أجْـــنَـــتْ، وحَـــواهـــا
عُـــشٌّ؛ فـــاخْـــضَـــوْضَـــرَ واخْـــضَـــلاَّ

وحـــكـــى عـــن (مـــرَيَـــمَ) جِـــيْـــرَتُـــهـــا
مـــيـــعـــاداً، ولـــقـــاءً نَـــذْلا

حـــتـــى عـــرَّاهـــا إخـــوتُـــهـــا
مـــن أكـــفـــانِ الـــحـــسـَــبِ الأعـــلـــى

وانحلَّتْ عن (يحيى) قمرٌ
واستهوت مِطلاقاً كَهْلا

* * *

لكن، أأقُصُّ لغاليتي
من آخرِ أخباري فَضْلا؟
إنّي وحدي، والبردُ على
أنقاضي يسقطُ كالقتلى
أجْتَرُّ الطينَ، وأعزفُهُ
وأُغنّي للرّيحِ الثَّكْلَى
بالأمسِ، شذا المذياعُ هُنَا
فشَمَمْتكِ، أُغنيَةً جَذْلى
وكزهرِ الرُّمَّانِ اختلَجَتْ
شفتاكِ، وخِفَّتُكِ الخَجْلى
وتناغى الطِّيبُ كعزَّافِ
ولَدَتْ قيثارتُهُ الحُبْلى
وكأنَّ لقاءَ يحضُنُنا
أرجو، فتُجيدين البَذْلا
واليومَ، تقمَّصني قَلَقٌ
مجنونٌ، لم يعرف مَهْلا
فتقاذفني التَّجوالُ كما
تستاقُ العاصفةُ الرَّمْلا

فَـــعَـــبَـــرْتُ زُقــاقــاً مــا أهــولاً
وزُقــاقــاً هَــرِمــاً مُــتــنَــحَــلاً
وتُــرابــاً يَــنــسُــجُ أقــنــعــةً
لــوجــوهٍ لَــمْ تَــحــمــلْ شَــكْــلا
وطــريــقــاً سَــمْــحــاً أسْــلَــمَــنــي
لــمــضــيــقٍ يَــلْــتَــحِــفُ الــوَحْــلا
وإلــــى ســــوقٍ فــــي آخــــرِهِ
مُــنــعــطــفٌ يَــنْــشُــدُنــي أهْــلا
وســألــتُ هــنــالــك (فــلــفــلــةً)
عــن دارِكِ فــادَّعَــتِ الــجــهــلا
أوَلا تَــدريــنَ، تَــلَــقَّــانــي
عَــبَــقٌ مِــنْ شــرفــتــكِ انْــهَــلاً
وهُــنــاكَ جَــثَــوتُ، أعُــبُّ صَــدىً
حــيّــاً، وأعــيــدُ صَــدىً ولَّــى
وإخــالُ الــمــمــشــى يَــسْــتَــرْخــي
ويُــلَــحِّــنُ خَــطْــرَتَــكِ الــكَــسْــلى
فــأُصــيــخُ إلــى مــا لا أدري
وأضــمُّ الــبِــهــرَّةَ والــطِّــفْــلا
ورآنــي الــبــابُ فــمَــدَّ عــلــى
كــتِــفَــيَّ، الــخُــضْــرةَ والــظِّــلاً
وحــكــى لــي كــيــفَ تــلاقَــيْــنــا
فــي تِــلــكَ الأمــسِــيَــةِ الــكَــحْــلَى

ومـــتـــى تـــأتـــيـــنَ؟ أيـــخـــبـــرُنـــي؟
وتــلــعــثــمَ بــالــخــبــرِ الأجْــلَــى

* * *

والآنَ، رجــعــتُ، كــمــا تــســري
فــي الــغــابِ، الــقــافــلــةُ الــعَــزْلا
هـــذا مـــا جـــدَّ، ولا أدري
مـــاذا ســيــجــدُّ، ومــا يَــبْــلَــى؟

❁ ❁ ❁

خدعة

مايو سنة 1965م

مَنْ تمنحينَ الضِّحكةَ الواعِدَةْ
والهزَّةَ المعطاءَةَ، النَّاشِدَةْ

سُدىً، تَمُدِّينَ إليهِ اللَّظى
لن تستحرَّ الكومةُ الخامِدَةْ

قد أصبحَ الجوعانُ، يا روحَهُ
شبعانَ، تزدانُ لَهُ المائِدةْ

الجمراتُ الخُضْرُ في لَمْسِهِ
تثلَّجتْ واحِدَةً واحِدَةْ

تَساءَلي: أينَ اختفى وجهُهُ؟
كيفَ انطفَتْ أعراقُهُ الواقِدَةْ؟

وفتِّشي عينيهِ، هَلْ فيهِما
حتى رمادُ الجُذوةِ البائِدَةْ

مَنْ ذا تُثيرين، كما تقتفي
صَبِيَّةٌ، عصفورةً شارِدَةْ

يَداهُ في مَجْناكِ، لَكِنَّهُ
ريَّانُ، يحسو قهوةً بارِدَةْ

وكانَ لا يصحو ولا يرتوي
مِنْ دفءِ هٰذي الثَّروةِ الحاشِدَةْ

عُودي إلى الأمسِ تَريهِ، كما
كانَ اجتداءً أو مُنىً ساهِدَةْ

أو حاولي أن تُصبحي لُعبةً
أُخرى، ومُدِّي نظرةً كائِدَةْ

فالحلوةُ الأولى، على نُضجِها
وخِضبِها كالسِّلعةِ الكاسِدَةْ

فكيفَ والأُخرى غداً عِندَهُ
أولى، فيا لَلْخُدعةِ الخالِدَةْ!

ماذا تقولينَ؟ أكلُّ الذي
يبني وتبنينَ بلا قاعِدَةْ

●●●

صَدَى

مـن ذا يُـنـاديـنـي؟ أُحِـسُّ نـداءَ
يـعـتـادُنـي، فـيُـحـيـلُـنـي أصـداءَ

خـلـفـي وقُـدَّامـي، يُـزنـبـقُ دِفْـئُـهُ
ويـنـرجـسُ الـلَّـفـتـاتِ والإغـراءَ

فـأشـدُّ أنـفـاسـي وأعـراقـي إلـى
فـمـه، وأغـزِلُ مِـنْ شـذاه رداءَ

مَـنْ ذا؟ ويـلـثُـمـهُ الـتـساؤلُ والـمُـنى
يـحـفـرن عـنـهُ الـحـيـرةَ الـشـقـراءَ

والـبـابُ يـلـثـغُ بـالـلِّـقـاءِ ويـنـطـوي
فـي صـمـتـهِ، يـتـحـرَّقُ اسـتـجـداءَ

والـسُّـهـدُ يـلـهـثُ فـي الـرُّفـوفِ ويـحـتـسي
أنـفـاسَـهُ، ويُـجَـرجِـرُ الإعـيـاءَ

فـأقـولُ لـلـجـدرانِ: مَـنْ؟ وتـقـولُ لـي:
مَـنْ؟ والـكُـوَى تـتـسـاجـلُ الإيـمـاءَ

وتَـمـدُّ أَذْرُعَـهـا إلـيـهِ وتـنـحـنـي
تُـصـغـي، وتـجـمـعُ ظـلَّـهـا، أشـلاءَ

والـلـيـلـةُ الـكَـحْـلَـى، تُـصـيـخُ إلى الـصَّدى
فـتُـحـيـلُـهـا مـعـزوفـةً سـمـراءَ

وَتميسُ مِنْ خِلفِ الثُّقوبِ، كناهدٍ
خَجْلى، تريدُ وتَحْذَرُ الإفشاءَ

مَنْ ذا يُناديني؟ ويدنو مِنْ يدي
حتى أهِمَّ بلمسِهِ، يتناءى

كيفَ اسْتَسَرَّ؟ وأستحيلُ ترقُّباً
شَرِهاً يُداري السُّهْدَ والإغفاءَ

حتى يعودَ.. أكادُ أهتفُ باسمِهِ
ويُريبني، فأضيِّعُ الأسماءَ

مِنْ أينَ يدعوني؟ وأنبشُ لهفَتي
عن نَبْعِهِ؟ وأفتِّشُ الإصغاءَ

وأمدُّ أسئلةً، يُمنِّي بعضُها
بعضاً ويضحكُ بَعْضُها استهزاءَ

من أينَ باحَ؟ أمِنْ هُنالكَ، ربَّما
أَمْ إنَّهُ مِنْ هاهُنَا، يتراءى

مِنْ حيثُ لا أدري، وأدري أنَّهُ
يعتادُني فيحيلُني أصداءَ

❁❁❁

أصيلُ القرية

مارس 1967م

تدلَّى كمزرعةٍ مِنْ شَرَرْ
مُعلَّقةٍ بذيولِ القَمَرْ

وحامَ كغابٍ مِنَ الياسمين
تندَّى على ظِلِّه واستَعَرْ

فمالَتْ تُودِّعُهُ رَبْوةٌ
وتهتزُّ كاللَّهبِ المُحتضِرْ

كحسناءَ عرَّى العتابُ الخجولُ
هواها وبالبسماتِ استَتَرْ

تُعابِثُهُ وتُباكي الطيورَ
وتستعبرُ الرابياتِ الأُخَرْ

ومدَّت لَهُ القريةُ الهَيْنَماتِ
كلغوِ الرؤى كاصطخابِ (التَّتَرْ)

وأَغْلَتْ لَهُ جوقةً مِنْ دُخانِ
ومعزوفةً مِنْ خوارِ البَقَرْ

فرَفَّ، كأجنحةٍ مِنْ نُضارِ
كأرديةٍ من دموعِ الزَّهَرْ

وعرَّاهُ صحو المَدى فارتدى
لهيبَ ذوائبه، واتَّزَرْ

* * *

تهادى يُجمِّعُ من كُلِّ أُفْقٍ
صدى عُمْرِهِ ولهاثَ البَشَرْ

ويحبو كموجٍ يمدُّ يديه
إلى شاطئٍ مِنْ مُزاحِ القَدَرْ

وأرسى على كَتِفَيْ شاهق
كأرجوحةٍ مِنْ ذهول الفِكَرْ

يُلَمْلِمُ مِنْ جَمْرَتي مُقْلَتَيْهِ
حِبالاً، يخيطُ شِراعَ السَّفَرْ

ويجبلُ.. آثارُ أقدامِهِ
أباريقُ حُبٍّ ونجوى سَهَرْ

وأغفى فنادى الرَّواحُ الرُّعاةَ،
فعادوا ثُنىً، وتوالَوْا زُمَرْ

وناشَتْ خُطاهُمْ هدوءَ التُّرابِ
ورعشَ الكَلا وسكونَ الحَجَرْ

ونقَّرَ خطوُ القطيع الحصى
كما ينقرُ السَّقْفَ وقعُ المَطَرْ

وشدَّ الرُّعاةُ إلى الراعياتِ
شبابَ المُنى وملاهي الصِّغَرْ

وكانت (غزالٌ) غناءَ الرُّعاةِ
وصيفَ الرُّبا وشذا المُنحَدَرْ

مآزرُها، مِنْ رُنُوٍّ الحقولِ
إليها، ومن قُبُلاتِ النَّهَرْ

وقامتُها مِنْ عمودِ الصَّباح
ذوائبُها، مِنْ خيوطِ السَّحَرْ

* * *

وكانت تُماشي (مُثنَّى صَلاح)
وتقرأُ في وجهِ (تقوى) الأثرْ

ولمَّا دنا الحيُّ ضَجَّت (سُعادُ):
أضاعَ (حسينُ) الخروفَ الأغرّ

فَمَنْ. . مَنْ رآهُ؟ تعالوْا نعدُّ
مواشيَنا قبلَ تيهِ النَّظَرْ

ولما أتمُّوا، حَكَتْ (وردةٌ)
و(فرحانُ) عن كُلِّ وادٍ خَبَرْ

فأخبرَ أين ذَوَى مرتَعٌ؟
وأين زَكا مرتَعٌ وازدهرْ؟

وفي أيِّ شِعْبٍ؟ تمدُّ الذئابُ
حَلاقِمَها مِنْ وراءِ الحذرْ

* * *

ومرُّوا كحقلٍ تَلُمُّ الرِّياحُ
وُرَيقاتِهِ، وَتَميلُ الثَّمَرْ

كقيثارِ هاوٍ دؤوبٍ يُلحُّ
على وترٍ، ويُدَمِّي وَتَرْ

وأَدمى الوداعُ نداءَ العيونِ
ولوَّن ظلُّ الغروبِ الخَفَرْ

* * *

وحـيًّـا فـمُ الـقـريـةِ الـعـائـديـن
ونـادى مَـمَـرٌ ولَـبَّـى مَـمَـرّ
وأخـفـى (عـليّـاً) مـضـيـقٌ طـويـل
ووارى (تُـقـى) شـارعٌ مُـخْـتَـصَـرْ
ودارت ثـوانٍ، فـرانَ الـسُّـكـونُ
يـنَـوِّع بـالـذكـريـاتِ الـسَّـمَـرْ
فـفـي مَـسْـمَـرٍ ذكـرت (مَـريـمٌ)
أبـاهـا، ونـاحـت كـيـومِ انـتـحَـرْ
وفـي مَـسْـمَـرٍ بَـثَّ (سَـعـدٌ) أبـاه
شـجـونَ الـزَّواجِ وأغـضـى الـبَـصَـرْ
وثَـرْثَـرَ فـي كُـلِّ بـيـتٍ حـديـثٌ
وأحـزنَ كـلُّ حـديـثٍ وسَـرّ
فـأُمُّ (ثُـريَّـا) تـفـوقُ الـرِّجـالَ
وتُـوحـي أمـرَّ وأحـلـى الـذِّكَـرْ
فـكـيـفَ تـجـلَّـتْ مـسـاءَ الـزِّفـافِ
وفـي الـصُّـبـحِ مـات أبـوهـا الأبَـرّ
وأُمُّ (عـلـيٍّ) تُـربِّـي الـدَّجـاجَ
وتـكـدحُ خـلـفَ ارتـعـاشِ الـكِـبَـرْ
تُـرقِّـعُ أسـمـالَ أطـفـالِـهـا
وتـحـسـو عـروقَ يـديـهـا الإبَـرْ
و(حـسَّـانُ) خـانَ غـرورَ الـبـنـاتِ
بـهِ، وانـتـقـى أمَّ إحـدى عـشَـرْ

وبــاعَ (رَجــا) أُخــتَــهُ فــي (الــريــاضِ)
بــألــفــيــن لــلــتَّــاجِــر الــمُــعــتــبَــرْ

ومــاتَ (ابــنُ ســرحــانَ) يــومــاً وعــادَ
يُــخــبِّــر جــيــرانَــهُ عــن سَــقَــرْ

وأصــغــى الــسُّــكــونُ إلــى كُــلِّ بــيــتٍ
كــحَــيْــرانَ، يــنــوي ويــنــســى الــوَطَــرْ

وأغــفــى رفــاقُ الــهــوى والــقــطــيــعُ
عــلــى مــوعــدِ الــمُــلــتــقــى الــمُــنــتــظَــرْ

ولــيــلــتُــهُــمْ ذكــريــاتٌ وحُــلْــمٌ
كــلــمــعِ الــنــدى فــي اخــضــرارِ الــشَّــجَــرْ

طــيــوفٌ، كــمــا حــثَّ ســربُ الــحــمــامِ
قــوادِمَــهُ خــلــفَ ســربٍ عَــبَــرْ

وكــلَّــت ريــاحٌ، وجُــنَّــت ريــاحٌ
ونــجــمٌ تــأنَّــى ونــجــمٌ طَــفَــرْ

وَفــتَّــشَ عــن قــدمــيْــهِ الــدُّجــى
ودبَّ، كــأعــمــى يــجــوسُ الــحُــفَــرْ

فــأذكــى هُــنــا جــمــراتِ الــسُّــهــادِ
وأعــطــى هُــنــاكَ الــرؤى والــخــدَرْ

وأفــنــى هــزيــعــاً وأدمــى هــزيــعــاً
فــعــادَ الأصَــيــلُ الــمُــوَلّــي سَــحَــرْ

❂❂❂

لصٌّ في منزل شاعر

نوفمبر 1966م

شـكـراً، دخـلـتَ بـلا إثـارَةْ وبـلا طـفـورٍ، أو غَـرارةْ
لـمّـا أَغَـرْتَ خـنـقـتَ فـي رجـلـيـكَ ضـوضـاءَ الإغـارةْ
لَـمْ تـسـلُـبِ الـطِّـيـنَ الـسُّـكـو نَ، ولـم تُـرُعْ نـومَ الـحـجـارةْ
كـالـطَّـيـفِ جـئـتَ بـلا خُـطـىً وبـلا صـدىً، وبـلا إشـارةْ
أرأيـتَ هـذا الـبـيـتَ قِـز ماً، لا يُـكـلِّـفُـكَ الـمـهـارةْ؟
فـأتـيـتَـهُ تـرجـو الـغَـنـا ئِـمَ، وهْـوَ أَغْـرَى مِـنْ مَـغـارَةْ

* * *

مـاذا وجـدتَ سِـوى الـفـرا غِ وهِـرَّةٍ تَـشْـتَـمُّ فـارَةْ
ولـهـاثَ صُـعـلـوكِ الـحُـرو فِ يَـصـوغُ مِـنْ دمِـهِ الـعِـبـارةْ
يُـطـفـي الـتـوقُّـدَ بـالـلَّـظـى يَـنـسـى الـمَـرارةَ بـالـمـرارةْ
لَـمْ يُـبـقِ فـي كـوبِ الأسـى شيـئـاً.. حـسـاهُ إلـى الـقـرارةْ

* * *

مـاذا؟ أتـلـقـى عـنـدَ صُـعْـ ـلُـوكِ الـبـيـوتِ غِـنـى الإمـارةْ؟
يـا لـصُّ، عـفـواً إن رجِـعْـتَ بـدون رِبـحٍ أو خـسـارَةْ
لَـمْ تَـلْـقَ إلاَّ خـيـبـةً ونـسـيـتَ صـنـدوقَ الـسِّـجـارةْ
شـكـراً، أتـنـوي أَنْ تُـشـرِّ فَـنـا بـتـكـرارِ الـزِّيـارةْ؟!

❂ ❂ ❂

ذهول الذهول

فبراير سنة 1964 م

لـديـهِ أحـلـى الـحـكـايـا شُـكـولْ
تُـثـيـرُ فـيـهـا عـنـفـوانَ الـفُـضَـولْ

يُـخـبِّـرُهـا . . يـسـألُـهـا . . يـنـتـقـي
مِـنْ قِـصَّـةِ الأشـواقِ أشـهـى الـفُـصـولْ

وكـيـفَ يـنـسـلُّ إلـيـهـا إذا
تَـثـاءَب الـبـابُ، وأومـا الـدُّخـولْ؟

وغـابَ فـي الـتَّـفـكـيـر، واعـتـادَهُ
ظِـلٌّ دُخـانِـيٌّ، كـوجـهِ الـعَـذولْ

مـاذا؟ إذا لاحـت لَـهُ فـجـأةً
وأنـكـرتْـهُ، واحـتَـمَـتْ بـالأُفـولْ

لا، لَـمْ يَـغِـبْ عـن بـالِـهـا، إنَّـهُ
كـانَ لَـهـا جـاراً عـطـوفـاً وَصُـولْ

لـكـنْ أتـدري أنَّ أشـواقَـهُ
كـمـا تَـكُـبُ الـعـاصـفـاتُ الـسـيـولْ؟

أَلاَ تَـرى، أنَّ اخـتـلاجـاتِـهِ
أمـامَـهـا شَـهْـقُ الـحـريـقِ الأَكـولْ؟

وكـانَ يـخـشـى بـيـنَ جـيـرانِـهـا
جـاراً تُـرابـيَّ الأمـانـي خَـتُـولْ

يُحَمْحِمُ الشَّيطانُ في صدرِهِ
وبينَ فكَّيهِ يُصَلِّي بَتُولْ
واستنطقَ البابَ ومدَّ المُنى
وهو احتراقٌ وانتظارٌ سَؤولْ
واسْتَنْزَلَتْها قَبْضَتا وهمِهِ
فضمَّها قبلَ احتمالِ النُّزولْ

* * *

مَنْ ذا؟ وإذْ لاحتْ رماهُ إلى
شموخِ نَهْديها، الخيالُ العَجولْ
وأقبلَتْ في موكبٍ مِنْ شذا
مُلَحَّنِ الخَطْوِ طروبِ الذبولْ
مفاصلُ المَمْشى على خطوِها
عادت صنوجاً، واستحالَتْ طُبُولْ
ومُقلتاها تَغْزِلان الرُّؤى
حمائماً زُرْقاً وصحواً كَسولْ
كيفَ يُناجِيها؟ ألا تنطوي
أحرفُهُ تحت اصفرارِ الذُّبولْ
فيَنحني خجلانَ، لكنَّها
حسناءُ يُرضيها اللهيفُ الخَجولْ
ماذا يُلاقي؟ شعلةً بضَّةً
من الصِّبا، والكبرياءِ المَلُولْ!
دِفْئاً، وإشراقاً كما يرتمي
فجرُ الرُّبا فوقَ اخضرارِ السُّهُولْ

يــحــبــو عــلــى أهــدابِــهــا مــوعــدٌ
طِــفــلٌ، ويــســتــرخــي عــلــيــه الــخُــمــولْ

فــــي أيِّ زاهٍ مــــن تــــهــــاويــــلِــــهــــا
يــرســو؟ وفــي أيِّ اخــضــرارٍ يَــجــولْ؟

يــذهــلُــهُ عــن بَــعْــضِــهــا بَــعْــضُــهــا
فــمــا الــذي يُــغــوي؟ ومــاذا يَــهُــولْ؟

* * *

وعــادَ يــحــكــيــهــا لِــنــاي الــهــوى
ويــســألُ الأشــبــاحَ مــاذا يَــقُــولْ

هــل يُــخــبــرُ الأشــواقَ عــنــهــا كــمــا
يــخــبــرُ عــن (جــنَّــاتِ) عــدْنٍ رَســولْ

ووجــــهــــهُ أســــئــــلــــةٌ حُــــوَّمٌ
ظــوامــئٌ، يَــمْــتَــصُّــهُــنَّ الــنُّــحُــولْ

يَــخْــفِــقْــنَ كــالأوراقِ، يــســألــنَ عــن
روائــحِ الأُنــثــى ريــاحَ الــقُــبــولْ

وكــانَ يَــطــوي شــارعــاً جــوُّهُ
غــابٌ كــثــيــفٌ، مِــنْ زُنــودِ (الــمَــغــولْ)

كــالــنَّــعْــشِ يــســتــلــقــي عــلــيــهِ الــدُّجــى
وتَــعــجــنُ الــسُّــحْــبُ عــلــيــهِ الــوُحــولْ

وســاءَلَ الــدَّربُ الــتــفــاتَ الــحَــصــى
مَــنْ ذلــكَ الآتــي كــطَــيــفِ الــطُّــلــولْ؟

يَـــمـــدُّ رؤيـــاهُ إلـــى لا مـــدىً
ويـــذرعُ الأوهـــام عَـــرْضـــاً وطُـــولْ

عـــهـــدتُـــهُ مـــرَّ عِـــشـــاءَ وفـــي
عـيـنـيـه مِـنْ أطـيـافِ (قـيـسٍ) فُـلـولْ

وزارَ داراً، بـــيـــنَ جُـــدرانِـــهـــا
صـيـفٌ نـبـيـذيُّ الـجَـنـى والـحُـقـولْ

مـــضـــى إلـــيـــهـــا ذاهـــلاً وانـــثـــنـــى
عـــن بـــابِـــهـــا، وَهْـــوَ ذهـــولُ الـــذُّهـــولْ

* * *

ذكريات شيخين

أبريل سنة 1967م

كـان يـا (عـمـرُو) هـنـا بـيـتُ الـمَـرَخْ
زنـبـقـيَّ الـوعـدِ، صـيـفـيَّ الـمِـنَـخ

الـطـيـوفُ الـحُـمْـرُ والـخُـضْـرُ عـلـى
مـقـلـتـيْـهِ كـعـنـاقـيـدِ الـبَـلَـخ

أشـمـسـتْ فـيـهِ الـلَّـيـالـي، والـمدى
بِـثُـرَيَّـاتِ دوالـيـهِ اتَّـشَـخ

كـان مـضـيـافـاً، إذا مـا جـئـتـهُ
شـعَّ كـالـفـجـرِ، وكـالـوردِ نَـفَـخ

فـانْـمَـحَـى.. يـا لَـلـتَّـلاقـي بـعـدمـا
نَـزَحَ الـرُّوَّادُ عـنـهُ ونَـزَخْ!

* * *

يـا تُـرى، مـن أيـنَ نـمـشـي؟ هـاهُـنَـا
قـام حـيٌّ، وهُـنـا أرسـى مَـصَـحّ

وعَـهِـدْنـا مَـنـزلاً قَـزْمـاً هُـنـا
مـن تُـرى عـمـلَـقَـهُ حـتـى طَـمَـخ؟

واسـتـراحَـتْ هـاهُـنَـا مـقـبَـرَةٌ
قَـرُبَ الـعُـمـرانُ مِـنْـهـا فـاكـتَـسَـخ

ووراءَ الـــسُّـــورِ أرســـى مـــصـــنـــعٌ
وهـــنـــاكَ امْـــتَـــدَّ ســـوقٌ وانْـــفَـــسَـــخ

أيـــنَ نَـــحـــنُ الآنَ؟ واري عَـــهْـــدُنـــا
وجـــهَـــهُ، وانـــطـــفـــأتْ فـــيـــهِ الـــلُّـــمَـــخ

أنـــكـــر (الـــنَّـــهْـــرَيْـــنِ) وَجْـــهَـــيْـــنـــا ومِـــنْ
قـــبـــلـــهِ، أنـــكـــرنـــا (بـــابُ الـــسَّـــبَـــخ)[1]

مَـــنْ يُـــقـــوِّيـــنـــا، وكُـــنَّـــا زمـــنـــاً
كـــ(بـــغـــالِ الـــرُّومِ)[2] أو خـــيـــلِ (جَـــمَـــخ)

* * *

هـــاهُـــنَـــا نَـــجْـــلِـــسُ يـــا (عـــمـــرُو) نـــرى
مـــا اقـــتـــنـــى الـــتـــاريـــخُ مِـــنَّـــا واطَّـــرَحْ

خـــطَّ آثـــارَ خُـــطـــانـــا زمـــنٌ
بـــيـــديـــهِ وَبِـــرِجْـــلَـــيْـــهِ مَـــسَـــخ

فـــانـــحـــنـــى (عـــمـــرُو) وقـــالَ: اذكُـــرْ لـــنـــا
يـــا (عـــلـــيُّ) الأمـــسَ واتـــركْ مـــا اجـــتَـــرَحْ

أمـــسُـــنـــا كـــانَ كـــريـــمـــاً مُـــغْـــدَمـــاً
وزمـــانُ الـــيـــومِ أغـــنـــى وأَشَـــحّ

كـــيـــفَ كُـــنَّـــا نَـــنْـــطَـــوي خـــلـــفَ الـــلُّـــحـــى
ونـــواري مِـــنْ هَـــوانـــا مـــا افـــتَـــضَـــحْ

(1) النهرين وباب السَّبح: حيّان شهيران في قلب صنعاء.
(2) هذه حكاية الشيوخ حين يصفون ما ذهب مِنْ قوى الشباب.

يومَ أعلَتْ (روضةٌ) برقُعَها
واستجدنا ما اختفى مِمَّا اتَّضَحْ

أطعَمَتْنا وألحَّتْ في النَّوى
عن يدينا، وتشهَّينا أَلَحّ

فترَدَّدنا على جارٍ لَها
نشتري التَّبغَ، ونُطري ما امتَدَحْ

وأطلَّتْ ذاتَ صُبحٍ مِثلما
يرتدي صحوُ الرُّبا (قوسَ قُزَحْ)

فارتَعَشنا وانجَلَتْ دهشَتُنا
ثم أومأنَا إليها بالسُّبَحْ

فاقتفتْنا، وَتَركْنا لِلهوى
كُلَّ أمرٍ، وأَطَعْنا ما اقتَرَحْ

ومضى عامان لا ندري متى
جدَّ حادي العُمرِ، أو أينَ مَزَحْ

كيفَ كُنَّا قبلَ عشرين نعي
هَمْسَةَ الطَّيفِ، وإيماءَ الشَّبَحْ

ونُغنِّي كالسُّكارى قبلَ أَنْ
يعدَ العنقودُ أشواقَ القَدَحْ

ثُمَّ أصبحنا نشازاً.. صوتُنا
في ضجيجِ اليومِ كالهمسِ الأبحّ

كلُّ شيءٍ صارَ ذا وجهين، لا
شيءَ يدري أيُّ وجهيهِ أَصَحّ

يــا (عــلــيُّ) انْــظُــرْ، ألاح الــمُــنْــتَــهــى؟
لا انــتــهــى الــمــســعــى ولا الــسَّــاعــي نَــجَــحْ!

لـــم نَــعُـــدْ نـــهـــنـــا ولا نـــأســـى، ذَوَتْ
خــضــرةُ الأُنـــسِ، خَــبَــتْ نـــارُ الــتَّــرَحْ

أو خَـــبـــا الـــحِـــسُّ الـــذي كُـــنَّـــا بـــهِ
نَــطْــعَــمُ الــحُــزْنَ، ونَــشْــتَــمُّ الــمَــرَحْ

لَـــمْ يَـــعُـــدْ شـــيءٌ كـــمـــا نـــألَـــفُـــهُ
فــعَــلامَ الـــحُـــزْنُ، أو فِـــيـــمَ الـــفَـــرَحْ؟

* * *

دَخَـــلَـــتْ (صـــنـــعـــاءُ) بـــابـــاً ثـــانـــيـــاً
لـــيـــتَـــهـــا تَـــدري، إلـــى أيـــنَ افـــتَـــتَـــحْ

❂ ❂ ❂

سَبَّاحُ الرَّماد

أكتوبر سنة 1963م

يريدُ، ويَمضي إلى لا مرادْ
يخوضُ إلى الوعدِ موجَ الرَّمادْ

ويَرمي سفينتَهُ للحريقِ
وتُنشِدُ أهدابُهُ: لا ارتدادْ

فيقذفُهُ سَفَرٌ حالِمٌ
إلى سفرٍ، مِنْ رؤى (شهرزادْ)

وتجترُّهُ مِنْ غيومِ الصَّديدِ
بلادٌ من الطِّيبِ في لا بلادْ

يَنِمُّ عليها اختلاجُ البروقِ
فتمتدُّ عيناهُ في لا امتِدادْ

فتبصُقُهُ الرِّيحُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ
وتمضغُ في مُقلتيهِ العِنادْ

وتسألُهُ: هل يعودُ إلى
مصيفِ رُباهُ، ودِفءِ الوِهادْ؟

فيسألُها: هَلْ لَهُ مَنزِلٌ
على شُرفتيْهِ انتظارُ المَعادْ؟

فتُخبِرُهُ أنَّ دُنياهُ ريحٌ
ودوَّامةٌ، مِنْ طُيوفِ السُّهادْ

ضـجـيـجُ فـراغٍ، يـلـوكُ صَـداهُ
وَيُـوهـمُ شِـدقـيْـهِ بـالازدراذْ

ووديـانُـهُ فـي ضـيـاعِ الـضَّـيـاعِ
ومَـوعِـدُهُ رحـلـةُ (الـسِّـنـدبـاذ)

يـغـازلُ خـلـفَ امـتـدادِ الـخَـيـالِ
مـدىً لـلـفُـتـونِ عـلـيـهِ احـتـشـاذْ

سـواعِـدُهُ سُـلَّـمٌ لـلـشُّـمـوسِ
وأهـدابُـهُ لـلـثُّـريَّـا وِسـاذْ

ذوائِـبُـهُ لُـجَـجٌ مـن رحـيـقٍ
وأحـضـانُـهُ الـخُـضْـرُ صَـيْـفٌ جَـواذْ

لـوافِـتُـهُ مِـنْ أغـانـي الـطُّـيـوبِ
وأبـوابُـهُ أذرعٌ مِـنْ وِداذْ

حـنـونُ الـمَـمَـرَّاتِ، جـدرانُـهُ
نـجـومٌ كَـسَـالـى تُـديـرُ الـرُّقـاذْ

❁❁❁

كلمةُ كلِّ نَهار

سبتمبر 1967م

كـيـف اشـرأبَّ (ظـفـارٌ)[1] وانـتـخـى[2] (صَـبِـرُ)
يـوم الـتـقـى الـشَّـعـبُ والآمـالُ والـقَـدَرُ

وكـيـفَ عـادَ لـ(صـنـعـاءَ) الـعـجـوزِ صِـبـاً
أطـرى، وأشـمـسَ فـي أرجـائِـهـا الـسَّـمَـرُ

وكـيـف يـا (نِـقـمُ) الـمـولـودُ. . كـيـف هَـمَـتْ
أصـداؤهُ الـخُـضْـرُ، حـتـى أورقَ الـحَـجَـرُ؟

وكـيـف أنْـكَـرْتَ يـا (صُـراوحُ)[3] كُـلَّ صـدىً
حـتـى تـورَّدَ فـي أهـدابِـكِ الـخَـبَـرُ؟

وكـان يـومُ نُـشـورِ الـشَّـعـبِ مُـنـتـظـراً
وافـى كـمـا انْـهَـلَّ فـي مـيـعـادِهِ الـمَـطَـرُ

أطـلَّ فـاحـتـضـنـتْـهُ كُـلُّ رابـيـةٍ
وبَـشَّـرَ الـواديَ الـمـمـتـدَّ مُـنْـحَـدَرُ

وسـارَ والـفـجـرُ فـي كَـفَّـيْـهِ ألـويـةٌ
ومِـنْ جـراحِ الـضَّـحـايـا خـلـفَـهُ سَـحَـرُ

---

(1) ظفار: جبل حنوب غرب صنعاء، وصبر جبل مطل على تعز من الجنوب.
(2) انتخى: ساورته النخوة.
(3) صرواح: جبل في الشرق من صنعاء حدثت فيه أول معركة بعد قيام الثورة.

فـــهـــنَّـــأتْ جـــارةٌ أُخـــرى وهـــنَّـــأهـــا
جـــارٌ، وزغـــردتِ الـــشُّـــرْفـــاتُ والـــجُـــدُرُ

وهـــاهُـــنـــا غَـــمْـــغَـــمَ الـــتـــاريـــخُ: أيـــنَ أنـــا؟
مَـــنْ قـــائـــدُ الـــزَّحـــفِ.. ســـيـــفُ الـــلـــهِ أو عُـــمَـــرُ؟

مـــاذا هُـــنـــا الـــيـــومَ، يـــا دُنـــيـــا؟ هُـــنـــا يـــمـــنٌ
طِـــفـــلٌ، عـــلـــى شـــفـــتـــيْـــهِ يـــبـــســـمُ الـــظَّـــفَـــرُ

هـــذا الـــنُّـــشـــورُ أو الـــمـــيـــلادُ، مَـــدَّ فـــمـــاً
إلـــى الأعـــالـــي، فـــدلَّـــى نـــهـــدَهُ الـــقَـــمَـــرُ

مـــضـــى، وكـــلُّ طـــريـــقٍ تـــحـــت مـــوكـــبِـــهِ
شَـــدوٌ، وكُـــلُّ حـــصـــاةٍ حـــولَـــهُ وَتَـــرُ

* * *

وذاتَ يـــومٍ ربـــيـــعـــيِّ الـــضُّـــحـــى، نَـــبَـــحَـــتْ
(صِـــنْـــوانَ)[1] عـــاصـــفـــةٌ تَـــعـــوي وتَـــنْـــفَـــجِـــرُ

مـــن ذا أهـــاجَ رمـــادَ الأمـــسِ، فـــاشـــتَـــعَـــلَـــتْ
فـــي أعْـــيُـــنِ الـــرِّيـــحِ، مِـــنْ ذرَّاتِـــهِ شَـــرَرُ؟

أهـــذهِ الـــحَـــرْبُ يـــا تـــاريـــخُ؟ كـــيـــف تَـــرى؟
مِـــن خـــلـــف (جـــنَّـــاتِ عـــدنٍ) أومَـــأتْ (سَـــقَـــرُ)

ومـــرَّ عـــامٌ جـــحـــيـــمـــيٌّ، روائـــحُـــهُ
دمٌ، بِـــحَـــشْـــرجـــةِ الـــبـــتـــرولِ مُـــتَّـــزِرُ

(1) صنوان: منطقة شمال صنعاء.

ودبَّ ثــانٍ خــريــفــيُّ الــمَــدى، قَــلِــقٌ
يُـفـنـي ويَـفْـنَـى ويـحـيـا وَهْـوَ يـنـتـحـرُ

وطـالَ كـالـسُّـهـدِ حـتـى انـهـدَّ فـي دمِـهِ
تـثـاءبَـتْ، مِـنْ بـقـايـا وجـهِـهِ الـحُـفَـرُ

وغـابَ خـلـفَ الـشَّـظـايـا، فـابـتَـدَتْ سَـنَـةٌ
تُـعَـبِّـئُ الـنَّـارُ ثـديـيْـهـا وتـعـتَـصِـرُ

فـأجـهـدَ الـمـوتُ شِـدْقـيْـهِ وقـبـضَـتَـهُ
حـتـى تـجـلـمـدَ فـي أنـيـابِـهِ الـضَّـجَـرُ

وقـالَ كـلُّ نـهـارٍ: لـن تـنـالَ يـدٌ
مِـنْ ثـورةٍ، مـاتَ فـي مـيـلادِهَـا الـخَـطَـرُ

⊛⊛⊛

ليلة خائف

نوفمبر 1967م

كـانـت قـناديـلُ الـمـديــ ـنـةِ كـالـشـرايـيـن الـنَّـوازِفْ
والـجـوُّ يَـلـهـثُ، كـالـمـدا خـنِ فـوقَ أكـتـافِ الـعـواصِـفْ
وهـنــاك مــذعــورٌ بِــلا حـانٍ، عـلـى الأشـواكِ عـاكِـفْ
كـالـطَّـائِـر الـمـجـروحِ، فـي عـشٍّ بـأيـدي الـرِّيـح واجِـفْ
الـسـقْـفُ يُـنـذِرُهُ، ويـصـ ـمتُ أو يـوسـوِسُ كـالـزَّواحِـفْ
والـظِـلُّ يـلـمـحُـهُ، وفـي عـيـنـيـه تـحـتـرقُ الـهـواتِـفْ
والـبـاب يـلـغـطُ بـالـوعـيـ ـدِ، ويـنـتـقـي أعـتـى الـرَّواجِـفْ
مــاذا هُــنــاكَ؟ وراعَــهُ شـيءٌ، كـلـغْـلَـغَـةِ الـقـذائـفْ
فــأحــسَّ أفــواجَ (الـتَّـتَـا رِ)، طـوائـفـاً تـتـلـو طـوائِـفْ
ورأى الــنــوافــذَ أعْـيُـنـاً كـالـجـمـرِ مُـطـفـأةَ الـعـواطِـفْ
أيـنَ الـمـفـرُّ؟ وهَـمَّ واسْـ ـتـأنـى وأحـجـمَ، نـصـفَ تـالِـفْ
فــيــفــرُّ، وَهْــوَ مُــسـمَّــرٌ والـبـيـتُ يَـهـربُ وَهْـوَ واقِـفْ
ومَـضَـتْ نـجـومٌ مُـطـفـآ تٌ وانـثـنَـتْ أُخْـرَى كـواسِـفْ
فـرَوَتْ إلـيـهِ الـرِّيـحُ خَـفْـ قَـةَ مِـعـزَفٍ ونـحـيـبَ عـازِفْ
وعــلــى اخـتـنـاقِ لُـهَـاثِـهِ ضَـحَّـى بـصـوتٍ غـيـرَ آسِـفْ
وهُـنَـا تـحـدَّى الـرُّعـبَ، أو داراهُ، أو أَلِـفَ الـمـخـاوِفْ
فَـهَـمَـى عـلـى عـيـنـيـه إغْـ ـفـاءٌ، كـأسـحـارِ الـمَـصَـائِـفْ
وتـبـنَّـتِ الأحـلامُ هَـجْـ ـعَـتَـهُ، وبُـدِّلـتِ الـمـواقِـفْ
فـانـهـارَ قُـطَّـاعُ الـطَّـريـ ـقِ وأسـكـتَ الـجـوُّ الـعـواصِـفْ

ورأى فَــــراديـــســـاً تُـــدَلِّـــ ـلــهُ، تَـمُـدُّ لَـهُ الـمـقـاطِـفْ
ويـرغـمِـهِ عَـصَـفَ الـتَّـيَـقُّـ ـظُ بـالـعُـلالاتِ الـخـواطِـفْ
فـــأفـــاقَ رُبـــعَ مُـــخـــدَّرٍ ثُلُثَيْ صريعٍ، نِصفَ خائِفْ

●●●

أُمٌّ في رِحلة

سبتمبر 1967م

هـل هـذا طِـفـلُـكَ؟ واقـتـربـت
كـالـطِّـفـلِ تُـنـاغـي وتُـنـادي:

طِـفْـلـي، هـل أعـجـبَ سـيِّـدتـي؟
حـلـوٌ، كـهـدايـا الأعـيـادِ

وكـأوَّلِ إحـسـاسِ الأُنـثـى
بـرنـوٌ الـمُـعـجَـبِ والـصَّـادي

مـا اسْـمُ الـمـحـروسِ؟ أجِبْ يـا ابْـنـي
(نـعـمـانُ) كـجَـدِّ الأجـدادِ

أهـلاً (نُـعـمـانُ) فـيـسـتـحـيـي
ويُـرَفـرِفُ كـالـوَردِ الـنَّـادي

فـتُـحـاكـي لـثـغَـتَـهُ الـخَـجْـلـى
وتُـغـمـغـمُ كـالـنَّـبـعِ الـشَّـادي

مـا أروَعَـهُ، يـا عـمٌّ ومـا
أسـخـى عـيـنـيـهِ بـإسـعـادي

أولادي الأربـعـةُ اخـتـلـطـوا
فـيـهِ.. مـا أحـلـى أولادي

عـيـنـاهُ كـعـيـنَـيْ (عـائـشـةٍ)
خـدَّاهُ كـخَـدَّيْ (عـبَّـادِ)

فـمُـهُ، يـفـتـرُّ، كـشـغـرِ (لـمَـى)
زنـداهُ كـزَنْـدَيْ (حـمَّـادِ)

* * *

شـكـلٌ حـلـوٌ، مـا أجـمـلَـهُ
كـالـطَّـيـفِ، كـأطْـيـارِ الـوادي

كـالـحـبِّ، كـدغـدغـةِ الـذِّكـرى
كـالـحُـلْـمِ، كـهـمـسِ الـمـيـعـادِ

أشـتَـمُّ حـلـيـبـي فـي فـمِـهِ
قُـبـلاتـي، أنـفـاسَ بـلادي

وتـمـدُّ إلـيَّ مـلامِـحُـهُ
فَـرحـي وعـذابَ الـمـيـلادِ

زَهْـوي بـالـحـمـلِ كـجـاراتـي
صـرخـاتِ الـمَـهـدِ وإجـهـادي

وتُـعـيـدُ إلـيَّ طـفـولـتُـهُ
صِـغـري وطـفـولـةَ أنـدادي

فـكـأنِّـي ولِـدَاتـي نَـشْـدُو
أو نـركـضُ، كـالـسَّـيـلِ الـعـادي

* * *

(نـعـمـانُ) أعـادَ صِـبَـا عُـمـري
يـا عـمُّ، وأيـقـظَ إيـقـادي

كـهـوَىً كـلَّـتْ أنـشـودتُـهُ
وتَـلَـظَّـى رجـعُ الإنـشـادِ

خلفي، يا عمُّ نداءاتٌ
وأمامي سِحْرُ الأبعادِ

أمضي وأعودُ وأطفالي
أسفاري، أشواقُ مَعَادي

لا تأسَيْ، يا بنتي إني
سافرتُ العُمْرَ بلا زادِ

خُضْتُ الخمسينَ بلا ولَدٍ
يرجى، وبلا أملَ حادي

وأتى الأولاد بلا رزقٍ
وبلا طُرُقٍ وبلا هادي

فصَبَرْنَا صبرَ الدَّربِ على
أقدامِ الرَّائحِ والغادي

واستنجدنا المولى حتى
لبَّانا، أسخى إنجادِ

* * *

أتُحبِّينَ ابْني، كلَّ ابْنٍ
في الأرضِ وكلَّ الأحفادِ؟

* * *

عفواً، يا عمُّ أنا أمٌّ
أولادُ الغيرِ كأولادي

❁ ❁ ❁

سفَّاحُ العمران

مارس 1967م

يــا قــاتــلَ الــعُــمــرانِ أَخْــ ـجَلتَ المعاوِلَ والمكينةْ

أَلِآنَ فــي فــمِــكَ الــنــفــو ذَ وفي يديكَ دَمَ الخزينَةْ؟

جَــرَّحْــتَ مُــجْــتَــمــعَ الأسى وخنقتَ في فمِهِ أنينَهْ

وأحــلــتَ مُــزدحــمَ الــحــيــا ة خرائباً ثكلى، طَعينةْ

ومــضــيــتَ مــن هــدمٍ إلى هدم، كعاصفةٍ هجينَةْ[1]

وتَــنــهُّــدُ الأنــقــاضِ فــي كـفَّيْكَ أوراقٌ ثمينَةْ

وبــشــاعَــةُ الــتَّــجــمــيــلِ فــي شفتيْكَ كأسٌ أو دَخِينَةْ[2]

سَــلْ ألــفَ بــيــتٍ عــطَّــلَــتْ كفَّاكَ مِهنَتَها الضَّنِينةْ

كـــانـــتْ لأهــلــيــهــا مــتــا جرُ مِثلَهُمْ، صُغرى أمينةْ

كـــانـــوا أحـــقَّ بــهــا، كــمــا كانت لِمِثْلِهِمُ قَمينَةْ

فــطَــحَــنْــتَــهــا ونَــفَــيْــتَــهُــمْ مَنْ للضَّحايا المُستَكِينةْ؟

أخــرَجــتَــهُــمْ كـــالـــلاجــئــيــ ـنَ بلا مُعينٍ أو مُعينةْ

وكَــنَــسْــتَــهــم تــحــتَ الــنَّــهــا رِ كطينةٍ تَجترُّ طِينةْ

فــمَــشــوا بــلا هــدفٍ، بــلا زادٍ سِوى الذِّكرى المُهينةْ

يــســتــصــرخــونَ الــلــهَ والْــ إنسانَ والشَّمسَ الحزينةْ

وعــيــونُ أُمِّ الــنُّــورِ خَــجْــ ـلى والضُّحى يُدمي جَبِينَهْ

---

(1) هجينة: لئيمة مدخولة النسب.

(2) دخينة: سيجارة.

والـرِّيـحُ تـنـسـجُ مـن عـصـيـ ـرِ الـوَحْـلِ قِـصَّـتَـكَ الـمُـشـيـنـةْ

* * *

مـن أنـتَ؟ شـيءٌ، عـن بـنـي الْـ إنـسـانِ مـقـطـوعُ الـقـريـنـةْ!
ذئـبٌ عـلـى الـحَـمَـلِ الـهـزيـ ـلِ تـروعُـكَ الـشَّـاةُ الـسَّـمـيـنـةْ
عـيـنـاك مـذبـحـةٌ مـصـوَّ بـةٌ، ومـقـبـرةٌ كـمـيـنـةْ
ويـداكَ زوبـعـتـانِ، تـنـ ـبحُ في لُـهـاثـهـمـا الـضَّـغـيـنـةْ
يـا وارثـاً عـن (فـأرِ مـأ ربَ) خُـطَّـةَ الـهَـدمِ الـلَّـعـيـنَـةْ
حـتـى الـمـسـاجـدُ رُعْـتَ فـيـ ـهـا الطُّـهـرَ، أقـلـقـتَ الـسَّـكـيـنـةْ
يـا سـارقَ الـلُّـقـمـاتِ مِـن أفـواهِ أطـفـالِ الـمـديـنـةْ
يـا نـاهـبَ الـغـفـواتِ مـن أجـفـانِ (صـنـعـاء) الـسَّـجـيـنـةْ
مـن ذا يـكـفُّ يَـديْـكَ عـن عـصـ ـرِ الـجـراحـاتِ الـثـخـيـنـةْ؟
مـن ذا يُـلـبِّـي لـو دَعَـتْ هـذي الـمـنـاحـاتُ الـدَّفـيـنـةْ؟
مـن ذا يُـلـقِّـنُ طَـفـرةَ الْـ إعـصـارِ، أخـلاقـاً رزيـنـةْ؟
نـأتِ الـشـواطـئُ، يـا ريـا حُ فـأيـنَ مـن يُـنـجـي الـسَّـفـيـنـةْ؟!

ذات يوم

سبتمبر 1962م

أَفَقنا على فجرِ يومٍ صَبي
فيا ضحواتِ المُنى أطْرِبي

* * *

أتدرينَ، يا شمسُ ماذا جرى؟
سَلَبنا الدُّجى فَجْرَنا المُختبي

وكانَ النُّعاسُ على مُقلتيكِ
يُوشوِسُ كالطَّائرِ الأزْغَبِ

أتدرينَ أنَّا سبقْنَا الربيعَ
نُبشِّرُ بالموسمِ الطَّيِّبِ

وماذا؟ سؤالٌ على حاجبيْكِ
تَزَنْبَقَ في هَمسِكِ المُذْهَبِ!

وسِرْنا حشوداً تطيرُ الدروبُ
بأفواجِ ميلادِنا الأنجبِ

وشَعباً يدوِّي: هي المعجزاتُ
مُهودي، وسيفُ (المثنَّى) أبي

* * *

غربتُ زماناً غروبَ النهارِ
وعُدتُ يقودُ الضُّحى مَوْكِبي

أضـأنـا الـمَـدى قـبـلَ أَنْ تـسـتـشـفّ
رؤى الـفـجـرِ أخـيـلـةَ الـكَـوكَـبِ

فـولّـى زمـانٌ كـعـرضِ الـبَـغـيّ
وأشـرقَ عـهـدٌ كـقـلـبِ الـنَّـبـي

طـلـغـنـا نُـدَلّـي الـضُّـحـى ذاتَ يـومٍ
ونـهـتـفُ: يـا شـمـسُ لا تَـغْـرُبـي

٭٭٭

سيرةٌ للأيام

مارس 1968م

ربما لا تطيقُ مثلي قرارا
فلْنُسافِرْ تساؤلاً وادِّكارا

يا صديقي الحنينُ من أين؟ تدري
كيف عاد الضُّحى وأين توارى

أتُراهُ نهارُ أمْسي المُوَلِّي
عاد أشهى صباً وأسخى انهمارا

هل رمادُ الضُّحى يَحُولُ رداءً
للعشايا، لكي يعودَ نهارا؟

العشايا صبحٌ كفيفٍ يُدلِّي
شوقَه من رمادِ عينيْهِ نارا

يسحبُ الظلَّ والطيوفَ الحزانى
ويُعاني شوقَ الطُّيورِ الأسارى

ثم يأتي، كما مضى في ذهولٍ
شفقيٌّ، يَدْمى ويندى افترارا

يا صديقي وهل يَعي كيفَ أغفى
جمرُ أجفانِهِ؟ وكيفَ أنارا؟

وهلِ الشَّمسُ طفلةٌ أو عجوزٌ
تستعيرُ الصِّبا وتُغوي المَدارا؟

أتـــراهـــا عـــصـــرِيَّـــةً أم تَـــراهـــا
مـــتـــحـــفـــاً دايـــراً، يُـــوشّـــي الـــجِـــدارا؟

مـــا الـــذي تـــدَّعـــي؟ لـــهـــا كـــلَّ يـــوم
مـــولـــدٌ، كـــيـــفَ يـــا (فـــقـــيـــهَ بُـــخـــارى)؟

أوَمَـــا أزوجَـــتْ[1] (وروـمـــا) جـــنـــيـــنٌ
و(أبـــو الـــهـــولِ) فـــي حـــنـــايـــا الـــصَّـــحـــارى؟

أوَمَـــا أدفَـــأَتْ (ثُـــبـــيـــراً)[2] ولـــمَّـــا
يَـــلِـــدِ الـــغـــيـــبُ (يَـــعْـــرُبـــاً) أو (نِـــزارا)؟

فـــلـــيَـــكُـــنْ، إنَّـــمـــا الأصـــالاتُ أبـــقـــى
جِـــدَّةً والـــنُّـــضـــارُ يـــبـــقـــى نُـــضـــارا

يـــا صـــديـــقـــي فـــكـــيـــفَ يَـــدْعُـــونَ هـــذا
مُـــســـتـــعـــاداً وذاكَ يُـــدعـــى ابـــتـــكـــارا؟

رُبَّـــمـــا لـــم يَـــجِـــدَّ شـــيءٌ، ولـــكـــن
نـــحـــنُ نَـــرنـــو بـــنـــاظـــراتِ الـــسُّـــكـــارى!

والـــرَّبـــيـــعُ الـــذي نـــرى الـــيـــوم، هـــل كـــا
ن الـــرَّبـــيـــعَ الـــذي رأيـــنـــا مـــرارا

وســـنـــلـــقـــاهُ، بـــعـــدَ (كـــانـــون) أمـــلـــى
بـــالـــرؤى مـــن عـــيـــونِ أحـــلـــى الـــعَـــذارى؟

والـــمـــصـــيـــفُ الـــذي نَـــراهُ كِـــبـــاراً
كـــان ذاكَ الـــذي شَـــهِـــدنـــا صِـــغـــارا؟

---

(1) أزوجت: دخلت سن الزواج.

(2) ثبير: جبل في الحزيرة العربية.

ولــمــاذا صــمــتٌ، تــرنــو يــمــيــنــاً
فــي شــرودٍ وتــســتــديــرُ يــســارا

كــيــفَ نُــغــضــي، ولــلــسؤالاتِ ركــضٌ
تــحــتَ أهــدابِــنَــا يــخــوضُ الــغِــمــارا؟

هــل تُــحِــسُّ الــحــقــولُ مــا سِــرُّ (نــيــســا
نَ)؟ ومِــنْ أيــنَ عــادَ يَــهــمــي اخــضــرارا؟

كــيــفَ أَضْــغَــثْ إلــيــهِ؟ هــل ضَــجَّ، يــا أشــ
ــواكُ مَــوتــي وبــاركَ (الــجُــلَّــنــارا)؟

أيُّ فــصــلٍ مــن الــفــصــولِ الــتــوالــي
أســكــتَ (الــبــومَ) واســتــعــادَ (الــهَــزارا)؟

أيــنَ يَــمــضــي الــزَّمــانُ؟ هــل ســوف يَــطْــوي
سِــفْــرَهُ، أو يَــعــي فــيــشــكــو الــعــثــارا؟

ربَّــمــا، إنــمــا.. لــمــاذا نُــنــادي؟
ويــضــيــعُ الــصَّــدى، فــنــرجــو الــقِــفــارا

أتــظُــنُّ الــريــاحَ تــدري إلــى أيـــ
ــنَ؟ ومِــن أيــنَ تَــسْــتَــهِــلُّ الــمَــســارا؟

أتُــراهــا تُــعــطــي الــرُّبــا جــانــحــيْــهــا
ذاتَ يــومٍ وتــســتَــعــيــرُ الــوقــارا؟

يــا صــديــقــي أنــا وأنــت اشــتــهــاءٌ
نــحــتــســي الــمــلــحَ أو نــلــوكُ الــشُّــفــارا

طــالَ فــيــنــا جــوعُ الــسُّــؤالِ، فــأطــعــمــ
ــنــاهُ (كــانــونَ) واعــتــصــرنــا الــغُــبــارا

واجـــتـــدانـــا ولائـــمـــاً عـــاجـــلاتِ
فـطـبـخـنـا عـلـى الـنُّـجـومِ الـحـيـارى

كـــلُّ مـــا عـــنـــدنـــا نـــداءٌ بـــلا ردٍّ،
ســـؤالٌ يـــتـــلـــو ســـؤالاً مُـــثـــارا

مَـــنْ دَعَـــانـــا؟ ومَـــنْ نُـــنـــادي؟ أصَـــخْـــنَـــا
وانـــتـــظـــرنـــا، حـــتـــى حُـــرِقْـــنَـــا انـــتـــظـــارا!

فـــلْـــنَـــنَـــمْ، والـــنـــعـــاسُ يَـــروي حـــكـــايـــا
نـــا، ويُـــرخـــي قـــبـــلَ الـــشُّـــروع الـــسِّـــتـــارا

❁ ❁ ❁

عند مجهولة

29/ 10/ 1969م

هـذه الأمـسـيَّـةُ الـكَـسْـلـى الـغـريـبـةْ
مـرحٌ خـابٍ ولـذَّاتٌ كـئـيـبَـةْ
الـسُّـقُـوفُ الـخُـرْسُ أيـدٍ لا تـرى
ووراءَ الـبـابِ أنـفـاسٌ مُـريـبـةْ
والـزَّوايـا أذرعٌ مـجـهـولـةٌ
والـكُـوى عـيـنـا رقـيـبٍ أو رقـيـبَـةْ
رُبَّـمـا أخـطـأتُ، لـكـنْ قـلـقٌ
يـعـتـريـنـي واحـتـمـالاتٌ قـريـبَـةْ

* * *

الـلـقـاءُ الـحُـلْـوُ مُـرٌّ هـاهُـنـا
وتـنـاجـي الـحُـبَّ دقَّـاتٌ رتـيـبَـةْ
هـذه الـسـاعـاتُ أنـسٌ خـائـفٌ
ومُـنـىً خـمـريَّـةٌ جَـذْلـى رَهـيـبَـةْ
أيـنَ طـعـمُ الـخـمـرِ والـحُـبُّ هـنـا
ولـديَّ الـكـأسُ مـلأى، والـحـبـيـبَـةْ؟
يـا حـنـانَ الـحـلـوةِ الـغَـنْـجَـا إلـى
أيـنَ تَـمـضـي بـي لـيـالـيـكَ الـعـجـيـبَـةْ؟

هــاهُــنَــا يــا شــهــرزادُ انــطــفــأتْ
نــارُ جَــذْبــي وابــتــدتْ نــارٌ خَــصِــيــبَــةْ

* * *

إنــمــا مــن أنــتِ؟ قُــولــي لــي، أَمَــا
خــلْــفَ بــرقِ الأُنْــسِ أمــطــارُ الــمُــصِــيــبَــةْ
بــالــهــوى مَــنْ أنــتِ يــا مــجــهــولــةٌ
دونَ أَنْ أدعــوَهــا كــانــت مُــجــيــبَــةْ
فــلــتــكــونــي مَــنْ تُــريــديــن، لــقــد
كــنــتُ مَــصــدوراً فــأصــبــحــتِ الــطَّــبــيــبَــةْ

۞ ۞ ۞

ضائع في المدينة

25/ 4/ 1969م

سـوفَ أبـكـي ولَـنْ يُـغـيِّـرَ دَمـعـي
أيَّ شـيءٍ مـن وضـعِ غـيـري وَوَضْـعـي

هَـلْ هُـنَـا أو هُـنَـاكَ غـيـرُ جـذوعٍ
غـيـرُ طـيـنٍ يَـضِـجُّ، يـعـدو ويُـقْـعـي

لـو عـبـرتُ الـطَّـريـقَ عـريـانَ أبـكـي
وأُنـادي، مـن ذا يـعـي أو يُـوَعّـي؟

يـا فـتـى يـا رجـال! يـا. . . يـا. . . وأنـسـى
فـي دويِّ الـفـراغِ صَـوْتـي وسَـمْـعـي

* * *

رُبَّـمـا قـالَ كـاهـنٌ، مـا دهـانـي
ومَـضَـى يـسـتـعـيـذُ مِـنْ شَـرِّ صُـنـعـي

رُبَّـمـا اسـتـفـسـرَتْ عـجـوزٌ صـبـيّـاً
مـا شـجـانـي، وأيـن أُمِّـي ورَبـعـي

أو رمـى عـابـرٌ إلـيَّ الـتـفـاتـاً
واخـتـفـى فـي لـحـاقِ جـمـعٍ بـجـمـعِ

إنَّـمـا لـو لَـمَـسْـتُ جـيـبَ غَـنِـيٍّ
فـي قـوى قـبـضـتَـيْـهِ قـوتـي ومَـنْـعـي

لـتـلاقـى الـزِّحـامُ حـولـي يُـدوِّي: مـجـرمٌ، واحـتـفـى بِـرَكْـلـي وصَـفْـعـي
ولـصـاحَ الـقُـضـاةُ: مـا اسْـمـي وعُـمْـري؟ مَـنْ ورائـي؟ مـا أصـلُ أصـلـي وفَـرْعـي؟
مـا الـذي يـا فـلانُ يـا ابْـنَ فُـلانٍ؟ ولَـهَـوْا سـاعـةً بـخـفـضـي ورفـعـي
وهَـذَى الـمُـدَّعـي بـقـتـلـي لأنّـي خُـنـتُ، حـاولـتُ مـكـسـباً غـيـرَ شـرعـي
وزرعـتُ الـلُّـصـوصَ فـي كُـلِّ دربٍ وعـلـيَّ ابـتـلاعُ أشـواكِ زَرْعـي
فـيـقـصُّ الـقُـضَـاةُ أخـطـارَ أمـسـي وغَـدي وانـحـرافَ وَجْـهـي وطَـبْـعـي
عـنـدهـم مِـنْ سَـوابـقـي نـصـفُ سِـفْـرٍ وفـصـولٌ أشـدُّ عـن خُـبْـثِ نَـبْـعـي
وسـأُدعـى تـقـدُّمـيّـاً خَـطـيـراً أو أُسـمَّـى تـآمُـرِيّـاً، ورَجْـعـي
وهُـنـا سـوفَ يـحـكـمـونَ بـسـجـنـي ألـفَ شـهـرٍ، أو يَـسْـتَـجـيـدون قَـطْـعـي
وسـأبـكـي ولـن يُـغـيِّـرَ دَمـعـي أيَّ شـيءٍ مِـنْ وضـعِ غَـيـري وَوَضْـعـي

◎◎◎

بينَ أُختين

1/ 7/ 1968م

أيـقـولُ: إنِّـي... رُبَّـمـا سَلَخَتْهُ مِنْ دعوى الشَّهامَةْ
لـو يـجـتـديـهـا هـل تـجـو دُ؟، ولـو أبَـتْ يـا لـلـنَّـدامـةْ
كـانـت مُـطَـلَّـقـةً فـهـل تـأبـى الـذَّلـولُ الـمُـسـتـهَـامَـةْ
لـكـن لـمـاذا يـشـتـهـيـ ـهـا كَـمْ يُـلِـحُّ بـلا سـآمَـةْ
أومَـا تَـلـوحُ كـأُخـتِـهـا أو أنَّـهـا أجـلـى قَـسـامَـةْ
وأبـضُّ أفـنـانـاً وأَعْـ ـرض مِـئـزراً وأمـدُّ قـامَـةْ
فـي عـنـفـوانِ الـسَّـبْـعِ والْـ ـعشـريـن أمْـرَحُ مِـنْ غُـلامَـةْ
لـو لَـمْ تَـكُـنْ أخـتَ الـتـي فـي دارِهِ لـرمـى احـتـشـامَـهْ

* * *

أيُـطـيـقُ لـو سَـخِـرت بـهِ حَـمْـلَ الـقـطـيـعـةِ والـمَـلامَـةْ؟
أوْ لَـوْ حَـكَـتْـهُ لأُخـتِـهـا لاسـتـعـجـلـت يـومَ الـقـيـامَـةْ
لـكـنْ رفـيـفُ ثـمـارِهـا يـدعـوه يـنـتـظـرُ اقـتـحـامَـهْ

* * *

أتـرُدُّهُ؟ لـن تـسـتـحـيـ ـلَ لَـبُـوءةً هـذي الـحَـمـامَـةْ
أوَلَـمْ تَـعِـدْهُ دلائـلٌ مِـنْـهـا مـلـوَّنَـةُ الـوَسَـامَـةْ
ضَـحِـكـتْ لَـهُ يـومَ الـخـمـيـ ـس وضِـحْـكَـةُ الأُنـثـى عـلامَـةْ
وأحَـسَّـهـا لـمـحـتْ هـوا هُ بـعـيـنِ زَرْقَـاءِ الـيـمـامَـةْ
أيـامَ وعـكـةِ أُخْـتِـهـا جـاءَتْ وطَـوَّلَـتِ الإقـامَـةْ
وبَـدَتْ أرقَّ مِـنَ الـنَّـدَى وتـكـلَّـفَـتْ كَـذِبَ الـصَّـرامَـةْ

وغـــداةَ زارَ شـــقـــيـــقَـــهـــا كـــانَـــتْ أرقَّ مِـــنَ الـــمُـــدامَـــةْ
حـــيَّـــتْـــهُ حـــيـــنَ أتـــى وقـــا لَـــتْ حـــيـــنَ عـــادَ مَـــعَ الـــسَّـــلامَـــةْ
ســـلِّـــمْ عـــلـــى (تَـــقْـــوَى) وزا دت دِفءَ نَـــبْـــرَتِـــهـــا رخـــامَـــةْ

* * *

فـــنـــوى تـــصـــيُّـــدَهَـــا غـــداً أو بـــعـــدُ، وَلْـــتَـــقُـــمِ الـــقِـــيـــامَـــةْ
واخـــتـــار حُـــلَّـــتـــه ونـــمَّــــ ـــقَ فـــوقَ جـــبـــهـــتِـــهِ الـــعَـــمَـــامَـــةْ
وأتى يُغَنِّي: (يا عروسَ الرَّوْضِ) أو «يـــا ريـــمَ رامَـــةْ»
أو يـــشـــرئـــبُّ كـــظـــامـــئٍ بـــيـــديـــهِ يـــعـــتـــصـــرُ الـــغَـــمَـــامَـــةْ
حـــتـــى دَنـــا مِـــنْ دارِهـــا حـــيَّـــتـــهُ آيـــاتُ الـــفَـــخَـــامَـــةْ
مـــنْ ذا هُـــنَـــا؟ خـــرجـــوا أتَـــدْ ري عـــاد خـــالـــي مِـــنْ تِـــهـــامَـــةْ
كـــيـــفَ الـــعِـــيـــالُ؟ وأيـــنَ أخْـــ ـــتِـــي؟ عِـــنـــد عَـــمَّـــتِـــهـــا كَـــرَامَـــةْ
ودَعَـــتْـــهُ ضِـــحـــكَـــتُـــهَـــا فـــهَـــمَّ وعـــادَهُ خَـــوَرُ (الـــنَّـــعـــامَـــةْ)
ودَنَـــتْ كـــأجـــنـــى كَـــرْمَـــةٍ تـــلـــهـــو بـــنـــهـــديْـــهَـــا أمَـــامَـــهْ
وأرادَ فـــاســـتـــحـــيـــا عـــلـــى شـــفـــتـــيْـــهِ مـــشـــروعُ ابـــتـــســـامَـــةْ

* * *

سوفَ تَذْكُرين

2/ 2/ 1969م

ذاتَ يومٍ سَتَذكُرينَ ارتجافي
بينَ كفَّيْكِ وانهيالَ اعترافي

وسؤالي: مَنْ ذا هُنَا؟ وارتياعي
من سُؤالي وخَشْيتي أَنْ تخافي

واقترابي حتى شَمَمْتُ، وَعَوْدي
بأسى جيئتي وهزء انصرافي

وورائي ذِكرى تَعَضُّ يَدَيْها
وأمامي طيفٌ كوحشٍ خُرافي

* * *

مَنْ رآني مِنْ أينَ جِئْتُ؟ وأمضي
كالصَّدى، كاغترابِ ريحِ الفيافي

أيُّ جَذْلى رَجَعْتُ عنها، ومِنها
وإليها جَنازتي وزِفَافي

والذي كانَ مَنزلي قبلَ حينٍ
جئتُهُ فاستحالَ مَنفى المنافي

إنَّما سوفَ تَذْكُرينَ وقوفي
بين كفَّيْكِ أجتدي أو أُصافي

ذاتَ يومٍ سترحمين احتراقي
بعدما ذُبْتُ واعتصرتُ جَفافي
وتقولينَ: كانَ عصفورَ حُبٍّ
ظامِئاً.. كيفَ عزَّ عنهُ ارتشافي
كانَ يأتي والجوعُ يشوي يديهِ
وعلى وجهِهِ اصفرارُ القوافي
واختلاجاتُهُ تُسَلِّي غُرُوري
وانكساراتُهُ تَحُثُّ انعطافي
كانَ يقتادُهُ عَبيري فيدنو
ثُمَّ يُثنيهِ ضَعْفُهُ عن قِطافي

* * *

وتَعودينَ تَذْكُرينَ التماسي
ورُجوعي وكيفَ كنتُ أُوافي
وتوَدِّينَ لَوْ بَذَلْتِ ولكن
عندَ أَنْ تُجْدبي وأرضى عَفافي

⊛⊛⊛

نحنُ أعداؤنا

أبريل 1969م

لأنّـا رضَـعْـنَـا حـلـيـبَ الـخُـنُـوعْ
تـقـمَّـصَـنَا مِنْ صِـبانـا الـخُـضُـوعْ

فـجُـعْـنَـا لـيـكـتَـظَّ جـلاّدُنَـا
ويَـطْـغـى، ونـنـسـى بـأنّـا نَـجُـوعْ!

وحـيـنَ شَـعَـرنـا بـنـهـشِ الـذِّئـاب
شَـدَدْنـا عـلـى الـجُـرحِ نـارَ الـدُّمُـوعْ

ورُحـنـا نُـجـيـدُ سِـبـابَ الـدُّجـى
ولَـمْ نـدرِ كـيـفَ نـضـيءُ الـشُّـمـوعْ

نَـفُـورُ وتُـطْـفِـئُـنَـا تـفـلـةٌ
فـنَـمْـتَـصُّ إطـفـاءَنـا فـي خُـشُـوعْ

ولـمَّـا سَـمِـعـنـا انـفـجـارَ الـشُّـعـوب
أفـقـنـا نـرى الـفـجـرَ قـبـلَ طُـلُـوعْ

ويـومـاً ذكـرنـا بـأنّـا أُنـاس
فـثُـرنـا ومُـتـنـا لـتـحـيـا الـجُـمُـوعْ

ولَـكِـنْ لـبِـسْـنَـا رداءَ الأُبـاة
وفـي دَمِـنـا الـمُـسـتـضـامِ الـهُـلُـوعْ

فـحـيـنَ انـتـويـنـا شـروعَ الـمَـسِـيـر
حَـذِرْنـا الـمـغـيَّـبـاتِ قـبـلَ الـشُّـروعْ

وقُلنا أتى من وراءِ الحُدود
جرادٌ غريبٌ فأشقى الرُّبُوعْ

وليسَ عِدانا وراءَ الحُدود
ولَكِنْ عِدانا وراءَ الضُّلُوعْ

فقد جَلَتِ الرِّيحُ ذاكَ الجَرادَ
فكُنَّا جراداً وكُنَّا الزُّروعْ

* * *

ومَنْ ذا أتى بعدُ؟ غازٍ تَصولُ
يداهُ ويرنو بعينَيْ (يَسُوعْ)

عرفناكَ يا أروعَ الفاتحين
إلى أينَ؟ ليسَ هُنَا من تَرُوعْ

أنلقاكَ يا (عنترَ) ابنُ السُّيوف
بغيرِ المَواضي وأَقْوى الدُّروعْ

وكانَتْ بروقُ الدِّمِ المُفتدي
وعوداً تَعي وغيوباً تَضُوعْ

هُناكَ انتصرنا، بَذَرْنَا الرَّبيع
ولَكِنْ جَنَيْنَا شِتاءَ القنوعْ

وَقَفْنا نحوكُ لأبلى القبور
وُجُوهاً، نُعَضري طلاء الصُّدوعْ

وليسَ عِدانا وراءَ الحُدود
ولَكِنْ عِدانا وراءَ الضُّلوعْ

* * *

تُـرى كـيـفَ نَـمـضـي؟ وهَـلْ خـلـفَـنَـا
مَـــنُـــوعٌ وبـــيـــنَ يـــديـــنــا مَـــنُــوعْ؟

وأيـــنَ وَصَـــلـــنَـــا؟ هُـــنَـــا لَـــمْ نَـــزَلْ
نـبـيـعُ الـمُـحـيًّـا ونَـشـري الـهُـجـوعْ

* * *

فــهَــلْ خــلْــفَــنــا شــاطــئٌ يــا ريــاحُ؟
أقـــدّامَـــنـــا مــرفــأٌ يـــا قُـــلُـــوعْ؟

وصَـــلـــنـــا هُـــنـــا لا نُـــطـــيـــقُ الـــمُـــضِـــيَّ
أمَـــامـــاً ولا نـــســـتـــطـــيـــعُ الـــرُّجـــوعْ!

فــلَــمْ يــبــقَ فــيــنــا لــمــاضٍ هــوىً
ولَـــمْ يـــبـــقَ فـــيـــنـــا لآتٍ نُـــزُوعْ

❂ ❂ ❂

حماقةٌ وسَلام

11/ 10/ 1968م

مــاذا تــرى؟ وَهْــنــاً يــريــ ـــدُ، وطــاقــةً تــمــتَــصُّ طــاقَــةْ
وإفـــاقـــةً كـــالــــسُّـــكْـــرِ أو سُـــكْـــراً أَمَـــرَّ مِـــنَ الإفـــاقَـــةْ
جـيــلاً يــوثِّــقُ، بــيــنَ مَــضْـــ ـرَعِــهِ ومــحــيــاهُ الــعَــلاقَــةْ
ويــــريــــقُ آلافَ الـــكـــؤو سِ أسىً عــلــى الكـأسِ المُـراقَـةْ
تـشـتـدُّ فــيــه قــوى الــفــتــى وتَــمــيــعُ فــي دمِــهِ الــرَّشــاقَــةْ

* * *

جــيــلُ الــتَّــحــرُّرِ والــهَــوى عــبــدُ الــتــفــاهــةِ والأنــاقَــةْ
جــيــلُ الــتَّــفَــتُّــحِ والــتَّــمــزُّقِ والـــحـــداثـــةِ والـــعِـــتـــاقَــةْ
حــيْــرانُ يَــغــمــرهُ الــشُّــرو قُ، ولا يَــرى أيَّ ائــتــلاقَـــةْ
ومُــرفَّــهٌ، لــلــجــوعِ فــي ذرَّاتِ طــيــنــتِــهِ عــراقَــةْ
غــضــبــانُ يــبــلــعُ بــعــضُــهُ بــعــضــاً ويــفــخــرُ بــالــصَّــفَــاقَــةْ
وســيــنــتــهــي.. وجــدُ الــسِّــلا حِ، ولــيــسَ تَــنْــقُــصُــهُ الــحــمــاقَــةْ
لــيــتَ الــذي دفَــعَ الــسِّــلا حَ إلــيــهِ، عــلَّــمَــهُ الــلَّــبــاقَــةْ
حــتــى يَــعــي مَــنْ يــســتــفــزُّ ومــن يُــلاقــي فــي طــلاقَــةْ
حــتــى يُــوالــي عــن هُــدىً يــقــظٍ، ويَــكْــرَهُ عــن لــيــاقَــةْ
مَــنْ لا تُــعــلِّــمُــهُ الــعــدو اةُ، فــهــو أجــهــلُ بــالــصَّــداقَــةْ

◎◎◎

ثكلى بلا زائر

مارس سنة 1969م

بناتُ (عيسى) وابنةُ (المَغربي)
لَبِسنَ ألوانَ الرَّبيعِ الصَّبي

رَجَعنَ بعدَ (النَّقشِ) مِنْ بابِنا
يَرْكُضنَ، يَضْحَكنَ بلا مُوجِبِ

ومَوْكَبَتْ (بِلقيس) مِنْ صِنْفِها
عَشراً، وقادت رحلةَ المَوْكِبِ

ورُحنَ من سوقٍ إلى شارعٍ
على شظايا أعيُنِ العُزَّبِ

يَسخَرنَ حيناً مِنْ هوى مُعجبٍ
وتارةً يَبْحَثْنَ عن مُعجبِ

يُبدينَ أطرافَ الحُلى عَنْوَةً
وغفلةً يُسْفِرنَ للأجنبي

و(أمُّ نشوان) اختَلَت فانثنت
حسناءَ، بينَ البِكْرِ والثَّيِّبِ

* * *

فكيفَ ألقى العيدَ يا والدي؟
أقوى مِنَ النِّسيانِ ذِكْرى أبي

جــاءَتْ قُــبــيــلَ الأمــسِ أُمِّــي (تُــقَــى)
فــي لــهــفــةِ الأُمِّ وعُــنْــفِ الــغَــبــي

فــاحــمــرَّ مِــنْ تــقــبــيــلِــهَــا مَــدْمَــعــي
وانــهــدَّ مــن تــربِــيْــتِــهَــا مَــنْــكِــبــي

وهَــــدَّأتْــــنــــي أمــــسِ (وهَّــــاســــةٌ)
يــا بــنــتــيَ ارتــاحــي غــداً واطــربــي

لا تَــحــرمــي طــفــلــيْــكِ عــيــديــهِــمَــا
لاقــيــهِــمَــا فَــرْحَــى ولــو، جَــرِّبــي

مــا أنــتِ أولــى امــرأةٍ فــارقَــتْ
أبــاً، جــرى هــذا لــبــنــتِ الــنَّــبــي

* * *

ولــفَّــنــي لــيــلٌ كــســولٌ، بــلا
قــلــبٍ، بــلا حُــلْــمٍ، بــلا كــوكــبِ

وأصــبــحَ الــعــيــدُ فــمــاجَ الــصِّــبَــا
مِــنْ مــلــعــبٍ داوٍ إلــى مــلــعــبِ

وثَــرْثَــرَ الــمِــذيــاعُ مِــلءَ الــمَــدى:
يــا عــيــدُ. يــا عــيــدُ. ولَــمْ يَــتْــعَــبِ

واســتــنــطــقَ (الــحــيــمــي) فُــنُــغْــرَافَــهُ
وصــاحَ وابْــنــاهُ مــع (الــقــعــطــبــي)

زُمَــرٌ وحــشــدٌ هــاهُــنــا أو هُــنــا
مــدافــعٌ كــالأحــمــقِ الــمُــغْــضَــبِ

لا، لَـــنْ أُطـــيـــقَ الـــيـــومَ أمـــواجَـــهُ
مِـــنْ صَـــخَـــبٍ عـــالٍ إلـــى أصـــخـــبِ

أغـــلـــقـــتُ بـــابَ الـــبـــيـــتِ فـــي وجـــهِـــهِ
فـــانـــســـلَّ مِـــنْ شُـــبَّـــاكِـــهِ الأشـــيَـــبِ

هـــربـــتُ مِـــنْ تـــلـــويـــحِ كـــفَّـــيْـــهِ، مِـــنْ
عـــيـــنـــيْـــهِ؛ فـــانـــثـــالَ عـــلـــى مَـــهْـــرَبـــي

كـــيـــفَ يَـــرى (ثـــكـــلـــى بـــلا زائـــرٍ)؟
وأيـــنَ مِـــنْ أضـــوائِـــهِ أخـــتـــبـــي؟

الـــيـــومَ عـــيـــدُ الـــلَّـــهِ يـــا والـــدي
فـــأيـــنَ أنـــتَ الـــيـــومَ، تَـــهـــتَـــمُّ بـــي؟

تـــجـــيـــئُـــنـــي قَـــبـــلَ الـــضُّـــحـــى كـــي أرى
أثـــمـــارَ حُـــلْـــمـــي فـــي الـــسَّـــنـــا الـــمُـــذهـــبِ

تـــلـــتـــذُّ بـــاسْـــمـــي، تـــســـتـــجـــيـــدُ ابـــنـــتـــي
يُـــتَـــمـــتِـــمُ ابْـــنـــي بـــاسْـــمِـــكَ الأعـــذبِ

تـــقـــولُ (كَـــعْـــكِـــي) لـــم تَـــذُقْ مَـــثْـــلَـــهُ
كـــ(قـــهـــوتـــي) فـــي الـــعُـــمْـــرِ لَـــمْ تـــشـــرَبِ

يُـــعـــيـــدُنـــي تـــدلـــيـــلُـــكَ الـــمُـــشْـــتَـــهـــى
صـــبـــيَّـــةً كـــالـــطـــائـــرِ الأَزْغـــبِ

زوَّارُ جـــاراتـــي أَتَـــوْا وانـــثـــنـــوا
وأنـــتَ لَـــمْ تُـــقـــبِـــلْ ولَـــمْ تَـــذْهَـــبِ

فـــرُحـــتُ أُضـــنـــي الـــبَـــحْـــثَ فـــي مـــن مـــضـــى
أو مَـــنْ أتـــى عـــن وجـــهِـــكَ الـــطَّـــيِّـــبِ

لِكُلِّ بنتٍ والدٌ أو أخٌ
إلا أنا، يا ليتَ يَدري أبي
حتى أبو (سُغدى) أتى بعدَمَا
غابَ ثلاثينَ، ولَمْ يَكْتُبِ
وعادَ مِنْ (غانا) أخو (زهرةٍ)
وعمُّ (أروى) عاد من (يَثْرِبِ)
أبي، أتدري مَنْ يُنادي؟ أَمَا
تَشْتَمُّ ريحَ الدَّارِ كالغُيَّبِ
عَمِّي الذي أوصيتَهُ، لا تَسَلْ
عن فرخةٍ في ذمَّةِ الثَّعلبِ
لو شَمَّ كفِّي لاحتسى خاتمي
لو مسَّ رِجْلي لاحتوى جوربي
في آخرِ السَّبعينَ، لَكِنَّهُ
أصبى إلى اللَّذغِ مِنَ العقربِ
ومُتَّ أنتَ الغضُّ، وابنُ البِلى
كالبغلِ.. يا للمَوقفِ الأغرَبِ!
كيفَ نَجا اللِّصُّ وماتَ الَّذي
يستغفرُ اللهَ ولم يُذْنِبِ
عفواً، فلا تدري ولا عِلْمَ لي
كيفَ يُعادي الموتُ أو يجتبي

❁ ❁ ❁

حلوةُ الأمس

5/ 7/ 1968م

أيُّ شــــوقٍ إلــــيــــكِ أيُّ انــــدفــــاعَــــة
فــلــمــاذا اســتــحــالَ جُــوعــي قَــنــاعَــةْ؟

لــم تــكــونــي شــهــيَّــةَ الــدِّفءِ لــو لَــمْ
تــرتَــعِــشْ فــي دَمــي إلــيــكِ الــمَــجــاعَــةْ

كُــنــتِ يــا حُــلــوتــي أَضَــنَّ اشــتــهــائــي
بــعــد أنْ تَــبــذُلــي يــزيــدُ فــظــاعَــةْ

غــيــرَ أنِّــي طــيــنٌ يــئــجُّ وتُــطــفــي
نــارَهُ تــفــلــةٌ تُــســمَّــى اضــطــجــاعــةْ

* * *

قــد تــقــولــيــنَ: ســوفَ أنــأى ويَــظــمــا
ثــم يــأتــي ويــجــتــدي فــي ضــراعَــةْ

رُبَّــمــا أشــتــهــيــكِ عــامــاً وأُنــهــي
شــوقَ عــامــيــن فــي مــدى رُبْــعِ ســاعَــةْ

(حُــلــوةَ الأمــسِ) مــا تــزالــيــن أحــلــى
إنَّــمــا فــي تــصــوُّراتــي الــشَّــنــاعَــةْ

مــا اخــتــتــمــنــا تــمــثــيــلَ دورٍ بــدأنــا
مِــنــهُ فَــصــلاً لَــكِــنْ فَــقَــدْنَــا الــبَــرَاعَــةْ

* * *

هــل تُــخــيــفــيــنَــنــي بــإسـعــادِ غــيــري
صَــدِّقــيــنــي إذا ادَّعــيــتُ الــمــنــاعَــةْ

فــلــتــخُــصّــي بــمــا لــديــكِ فُــلانــاً
أو فــلانــاً، أو فــلــتــكــونــي مُــشــاعَــةْ

***

من رحلة
الطَّاحونة إلى الميلاد الثاني

2/ 8/ 1969م

مِنَ الفَجْرِ حتى الفَجْرِ ننجرُ كالرَّحى
إلى أينَ يا مَسْرى؟ ومن أينَ يا ضُحى؟

أَضَعْنا بلا قصدٍ طريقاً أضاعَنا
ولاحَ لَنَا دربٌ بدأناهُ فانْمَحى

وشَوَّشَنا تلويحُ برقٍ أهاجَنا
وولَّى ولا ندري إلى أينَ لوَّحا

وقُلنا، كما قالَ المُجِدُّون مَنْ غفا
عن الفوزِ لم يظفرْ ومن جدَّ أفْلَحا

إذا لم نَجِدْ في أوَّلِ الشَّوطِ راحةً
فسوف نُلاقي آخرَ الشَّوطِ أرْوحا

ورُحنا نُسَقّي الرَّملَ أمواهَ عُمْرِنا
فيظما، ويرويهِ إلى أن ترَنَّحا

* * *

سَرينا وسِرنا نَطحنُ الشَّوكَ والحَصى
ونحسو ونقتاتُ الغُبارَ المُجرَّحا

ومِنْ حولِنا الأطلالُ تستنفرُ الدُّجى
وتُرخي على الأشباحِ غاباً مِنَ اللِّحى

هُنا أو هُنا، يا زحفُ نرتاحُ ساعةً
تَعِبْنا وأتعبنا المَدارَ المُسَلَّحا

كطاحونةٍ نمضي ونأتي كمُنحنى
يَشدُّ إلى رجليهِ تلاً مُجنَّحا

فيا ذكرياتِ التِّيهِ مَنْ جرَّ قَبْلَنا
خُطاهُ وأمسى مثلنَا حيثُ أَصْبَحا؟

ركضنا إلى الميلادِ قَرناً وليلةً
وُلِدْنا فكانَ المَهْدُ قبراً تفتَّحا

ومِتْنَا كما يبدو، رَجَعْنا أجِنَّةً
لنختارَ ميلاداً أشقَّ وأنْجَحَا

❁❁❁

كاهنُ الحرف

سبتمبر 1969م

مَنْ تُغنِّي هُنا؟ وتَبكي علاما؟
كلُّ شيءٍ لا يستحقُّ اهتماما

القضايا التي أهاجَتْكَ أقوى
مِنْ أغانيكَ، مِنْ نُواحِ الأيامى

خلفَ هذا الجدارِ تشدو وتبكي
والزَّوايا تندى أسىً وجُثَاما

هذه ساعةُ الجدار كسولٌ
تَرجِعُ القَهقَرى وتَنْوي الأمَامَا

والثَّواني تَهْمي صديداً وشوكاً
وسَتهمي وليسَ تدري إلى ما؟

والحكايا رؤى سجينٍ أقَرُّوا
شنقَهُ بعدَ سجنِ عشرينَ عَاما

والمحبَّاتُ والتَّلاقي رمادٌ
والأغاني بردُ القبورِ القُدامى

والصَّبيحاتُ كاليَتَامى الحَزَانى
واللَّيالي كأُمَّهاتِ اليَتَامى

عبثاً تنشدُ الكؤوسَ لتَسْلى
ماتَ سِحْرُ الكؤوسِ، ملَّ النَّدامى

كــلُّ حــيــنٍ وكــلُّ شــبــرٍ زِحــامٌ
مِــنْ رُكــامِ الــوحــولِ يــتــلــو زِحــامــا

مَــنْ تُــغــنّــي يــا (كــاهــنَ الــحــرفِ)؟ مــاذا؟
هَــلْ سُــعــالُ الــحــروفِ يُــشــجــي الــرُّكــامــا

❁ ❁ ❁

حكايةُ سنين

أبريل 1965م

مِنْ أينَ أبتدئُ الحكايةْ؟ وأضيعُ في مَدِّ النِّهايَةْ
وأَعي نهايةَ دَورِهَا فتعودُ من بدءِ البدايَةْ
تَصِلُ الخطيئةَ بالخطيـ ـئةِ والجنايةَ بالجنايَةْ
مِنْ عهدِ مَنْ وُلِدوا بلا سببٍ وماتوا دونَ غايَةْ
المُسبلينَ على الذِّئا بِ البيضِ أجنحةَ الرِّعايَةْ
الناسجينَ عُروقَهُمْ لمواكبِ الطَّاعونِ رايةْ
مَنْ حوَّلوا المُستنقعا تِ الجائعاتِ إلى النِّفايَةْ
أنصافُ آلهةٍ مُطَوَّ قةٌ بأسلحةِ العِنايةْ
ووجوهُهُمْ كاللافتا تِ على مواخيرِ الغِوايةْ
كانوا ملوكاً ظِلُّهُمْ حَرَمٌ ورُقيتُهم حِمايَةْ
فلحومُنا لخيولِهم مرعىً وأعظُمُنا سِقايَةْ
وبيادرٌ تُعطيهِمُ حبَّاتِ أعْيُنِنَا جِبايَةْ
واللهُ والإسلامُ في أبواقِهِمْ بعضُ الدِّعايَةْ
أيامَ كانت للذُّبا بِ على الجراحاتِ الوِصايَةْ
أيامَ كان السُّلُّ يأ كُلُنَا وليسَ لنا دِرايَةْ
وأبي يُعلِّمُنا الضَّلا لَ ويسألُ اللهَ الهِدايَةْ
ويعيذُنا بـ(المُصطَفى) والصَّالحين وكُلِّ آيةْ
ويقولُ: اعتادوا الطَّوى كَمْ عادةٍ بدأتْ هِوايَةْ

ويـعـودُ يَـشـكـو والـسُّـعـا ... لُ يـرضُ فـي فـمِـهِ الـشُّـكـايَـةْ
مِـنْ هـاهُـنَـا ابـتـدت الـرِّوا ... يـةُ، أيـنَ أيـنَ مَـدى الـرِّوايَـةْ؟

* * *

أَأَقُـصُّـهـا؟ بـعـضـي يُـهـيِّـئـ ... ـنـي وبـعـضـي يـزدريـنـي
وبـرغـمِ إرهـاقـي أخـو ... ضُ مَـجَـاهـلَ الـسِّـرِّ الـكـمِـيـنِ
وظـلالُـهـا خـلـفـي وقُـ ... ـدَّامـي كـأمـسـيـةِ الـطَّـعـيـنِ
فـأتـيـهُ فـيـهـا كـالـتـفـا ... تِ الـطَّـيـفِ لـلـطَّـيـفِ الـحَـزيـنِ
وأعـافُـهـا فـيـشُـدُّنـي ... أرَقـي ويـعـزفُـنـي حَـنـيـنـي
وتُـزَقْـزِقُ الـخَـلَـجَـاتُ فـي ... رأسـي كـعـصـفـورٍ سـجـيـنِ
مـاذا يُـعـاودُنـي كـشـعـ ... وذِةِ الـرُّؤى، كـصـدى الـيـقـيـنِ؟!
ويـديـرُ كـأسـاً مـن دمِ الـذِّ ... كْـرَى وحـشـرجـةِ الأنـيـنِ
فَـتُـهـيـجُـنـي، ومُـنـايَ تـحـ ... ـفـرُ فـي حـريـقـي عـن مَـعـيـنـي
والـحـرفُ يـمـرحُ فـي فَـمـي ... والـسُّـهـدُ يـلـهـثُ فـي جَـبـيـنـي
ومَـدى الـسُّـرى يـطـفـو ويـر ... سبُ فـي فـمِ الـوهـمِ الـضَّـنـيـنِ
ويـمـدُّ أغـنـيـةً تَـحِـنُّ ... إلـى الـصَّـدى وإلـى الـرَّنـيـنِ
ولِـمَـنْ أُلَـحِّـنُ هَـجْـعَـةَ الـ ... أشـبـاحِ والـرُّغـبِ الـدَّفـيـنِ؟
لـمـواكـبِ الـتَّـاريـخِ يَـرْ ... ويـهـا الأمـيـنُ عـن الأمـيـنِ
ولِأُمِّـيَ الـيـمـنِ الـعـجـو ... زِ ولابْـنـيَ الـيـمـنِ الـجَـنـيـنِ
كـانـت مـواقـعُ خَـطْـوِهِ ... طـيـنـاً تـوحَّـلَ فـوقَ طِـيـنِ

* * *

أتـقـولُ لـي: ومـتـى ابـتـدَتْ ... سـخـريَّـةُ الـقَـدَرِ الـبَـلـيـدِ؟
وإلـى بـدايـتِـهَـا أعـو ... دُ عـلـى هُـدى الـحـلـمِ الـشَّـريـدِ

مُنْذُ انحنى مغنى (عُلَيَّـ ـةَ)[1] واستكانَ حِمى (الوليدِ)

واستولَدَ السُّحبَ الحَبَا لى ألفُ (هارونِ الرَّشيدِ)

حتى امتطى (جنكيزُ) عا صفةَ الصَّواهِلِ والحديدِ

وهنالكَ انتعلَ (التَّتا رُ) معاطِسَ الشَّمَمِ العنيدِ

وتموكَبَتْ زُمَرُ الذِّئا بِ على دَمِ الغَنَمِ البَديدِ

فاستَعْجَمَ (الضَّادُ) المبيـ ـنُ ورايةُ الفتحِ المَجِيدِ

أين العروبةُ؟ هَلْ هُنا أنفاسُ (قيسٍ) أو (لبيدِ)

أين التماعاتُ السُّيو فِ ودفءُ رنَّاتِ القَصِيدِ؟

لا هاهُنَا نارُ القِرَى تهدي ولا عبقُ الثَّريدِ

لا مستعيدَ، ولا اختيا لُ الشَّدوِ في شفتَيْ (وَحِيدِ)[2]

فتلامَعَتْ أيدي علو ج (التُّركِ) تومِئُ من بعيدِ

وتقولُ: يا ريحُ ابدأي صَخَبي، ويا دُنيا أعيدي

وتَمدُّ تَلمسُ مِنْ هُنَا كَ ذوائبَ اليمنِ السعيدِ

حيثُ اختلاجاتُ الغرو بِ على الرُّبا لفتاتُ غيدِ

حيثُ المزارعُ وانتظا رُ الجوعِ حبَّاتِ الحَصِيدِ

حيثُ الصراعُ على السَّفا سِف، والزِّحامُ على الزَّهيدِ

* * *

ومضى العُلوجُ إليه كا لإعصارِ، كالسَّيلِ الشَّديدِ

وبرغمِهِ أَدْمَوْا إلى (صنعاء) بيداً بعدَ بيدِ

---

(1) عليّة: هي بنت المهدي رمزاً لانهيار الحضارة العربية والوليد بن عبد الملك رمزاً للفتح العربي.

(2) وحيد: المغنية التي أجاد ابن الرومي وصفها في داليته الفذة.

فــتــثــاءَبَــتْ أبــوابُــهــا لـزحـوفِ (أبـرهـة) الـجَـديـدِ
وهـنـا انـحـنـى (نـقـمُ) الـصَّـبُـو رُ وأذعـنـت كـثـبـانُ (مِـيْـدي)
وتـهـافَـتَ الأجـدادُ، فـاتَّـ ـكلَ الـمُـطـيـقُ عـلـى الـقـعـيـدِ
وتـخـدَّروا بـروائـح الـ ـمَـوتـى وعـهـدِهِـمُ الـرَّغـيـدِ
وكـمـا تُـقـلِّـدُ أمَّ أُمِّـ ـي لـثـغـةَ الـطِّـفـلِ الـولـيـدِ
راحـوا يُـعـيـدون الـمُـعـا د عـن (الـحـسـيـنِ) وعـن (يـزيـدِ)
عـن مُـهـرِ (عـنـتـرةٍ) وعـن صـمْـصَـامَـةِ الـشَّـيـخ الـزُّبـيـدي
عـن (شـهـريـارَ) و(بـابِ خـيـ ـبرَ) و(ابـنِ عـلـوان)[1] الـنَّـجـيـدِ
وغـذاؤهـم زجـلُ (الـخـفـنـ ـجي)[2] والـلـحـومُ بِـكـلِّ عـيـدِ
ومـصـيـرُهُـمْ حُـلْـمٌ عـلـى أهـدابِ شـيـطـانٍ مَـريـدِ
وتَـمَـلْـمَـلـوا يـومـاً وفـي نـظـراتِـهـم كـسـلُ الـوعـيـدِ
فـمَـحَـوْا دُخـانَ (الـتُّـركِ) وار تـدّوا إلـى الـغـسـقِ (الـحـمـيـدي)
فـتَـخَـيَّـروا لـلـحُـكْـم أو ثـانـاً مِـنَ الـدَّمِ والـجـلـيـدِ
أهـواؤهُـم كـمـسـاربِ الْـ ـحـيَّـاتِ فـي الـغـارِ الـمـدِيـدِ
أو كـالـمـقـابـرِ يـبـتـلِـعْـ ـنَ ويَـسْـتَـزِدنَ إلـى الـمَـزِيـدِ
كـانـوا عـبـيـدَ خُـمـولِـهِـمْ والـشَّـعْـبُ عُـبـدانُ الـعَـبـيـدِ
كـانـوا يُـعـيـرونَ الـمُـدى شـرعـيَّـةَ الـذَّبـحِ الـمُـبـيـدِ
أو يـقـتـلـونَ ويَـخـرُجـو نَ يُـرحِّـمـون عـلـى الـفـقـيـدِ
خـلـفَ الـدُّخـانِ يُـمَـثِّـلـو نَ روايـةَ (الـيـمـنِ) الـشَّـهـيـدِ

* * *

(1) يعرف ابن علوان في اليمن بأنه المنقذ من الجان كما هو في الأساطير الشعبية.
(2) الخفنجي: شاعر شعبي ساخر.

أتــقــولُ لــي: وهــل انــطَـفَـتْ في ذلـكَ الـعـهـدِ الـنُّـجـومُ؟
دفَـــنَ الـــغـــبـــارُ هـــواءَهُ فـتَـجَـلْـمَـدَتْ فـيـهِ الـغُـيـومُ
وتـــهـــدَّج الـــرَّاوي كـــمـــا يـسـتـعـطـفُ الأمَّ الـفـطـيـمُ
واجـــتـــرَّ نَـــبـــرَتَـــهُ، وقـــا لَ وكـفَّـنَ الـزَّمـنَ الـسُّـهـومُ
تـمـشـي الـفـصـولُ كَـمَـا يُـخـشْـ ـخِشُ في يدِ الرِّيحِ الهشيمُ
أنَّـى أَصَـخْـتَ فـلا صـدىً يُـنـبـي، ولا يـوحـي نـسـيـمُ
إلاَّ رفـــاتُ الـــبـــائـــديـــ ـن تـقـيَّـأتـهُـنَّ الـجـحـيـمُ
وعـلـى امـتـدادِ الـتُّـيـهِ يـز عـقُ (هـدهـدٌ) ويـصـيـحُ (بُـومُ)
وهـنـاكَ كـانَـتْ قـريـةٌ تـجـثـو كـمـا ارتَـكَـمَ الـرَّمـيـمُ
جَـوْعـى ويـطـبُـخُـهـا الـهـجـيـ ـرُ وتـحـتـسـي دَمَـهـا الـسَّـمُـومُ
نَـسِـيَـتْ مـواسِـمَـهـا فـأشْـ ـتَـتْ قـبـلَ أَنْ تَـلِـدَ الـكُـرومُ
تـروي حـكـايـاهـا الـشـقـو بُ فـيـسـعُـلُ الـجـوُّ الـكـلـيـمُ
ووراءَ تـلـويـحِ الـطِّـلا ءِ مـديـنـةٌ جَـرحـى تَـؤومُ
تَـبْـيَـضُّ مـن بـعـدٍ كـمـا يـتـكـلَّـفُ الـضِّـحـكَ الـلـئـيـمُ
وعـلـى الـشـوراعِ تـنـعـسُ الـذِّ كْـرَى، ويـصـفـرُّ الـوجـومُ
وعـلـى تـجـاعـيـدِ الـرِّمـا دِ يُـهَـيْـنِـمُ الـثَّـلـجُ الـبـهـيـمُ
وتُـغـوِّرُ الـسَّـنـةُ الـعـجـو زُ وتـبـدأُ الـسَّـنـةُ الـعـقـيـمُ
حـتـى تـفـجَّـرَ لـيـلـةً حَـدَثٌ، كـمـا قـالـوا عـظـيـمُ
فـهـوى كـمـا زَعَـمـوا (الـحـرا مُ) ونـاحَ (زمـزمُ) و(الـحَـطـيـمُ)

***

مـاذا جـرى؟ مَـنْ يـخـلـفُ الـ ـمَرحومَ؟ من أتـقـى وأخـشـى؟
أو تـحـسـبُ الـجـوَّ الـكـفـيـ ـفَ محا الدُّجى أو صارَ أعشى؟

ألــقــتْــهُ غــاشــيــةٌ إلــى أُخْرَى إلى أدجى وأغْشى

فجنازةُ (المنصورِ) أمْــسِ غَدَتْ لـ(يحيى) اليومَ عَرْشا

فــأجــالَ سُــبْــحَــتَــهُ وزا دَ على امتدادِ الغشِّ غِشّا

واذا بــعــجــلِ (الــتُّــركِ) عــا دَ على الضَّحايا العُزْلِ وَحْشا

يُردي ويجهرُ أو يحو كُ مكايداً حُمْراً ورُقْشا

وعلاهُ (جوخٌ) فاختفت أظفارُهُ وأجادَ بَطْشا

وعمامةٌ كُبْرى تُتَوِّ جُ رأسَ طاعونٍ مُوَشَّى

وتزينُهُ للعاثريـ ـنَ كما يَزينُ الدَّفْنُ نَعشا

فيشقُّ للشَّعبِ القُبو رَ ويستحيلُ الشَّعبُ رَفْشَا

وضحيَّةً تَروي هوى جلاَّدِها وتموتُ عَطْشى

ويجودُ للكفِّ الذي يُعطيهِ تمزيقاً ونَهْشا

ويعودُ يَستجدي الرَّغيـ ـفَ ويُرهِقُ التَّفتيشَ نَبشا

ماذا يقولُ؟ أيرتجي مولاهُ؟ هل يُعطيهِ قِرشا؟

لا الجوعُ أنطقَهُ وإنْ نمَّ الذُّبولُ بهِ وأفشى

أتراهُ لَمْ يحملْ فَماً فيبوحُ، إطراقاً ورَعْشا

ويُحِسُّ أذرُعَهُ وأرْ جلَهُ أمامَ الرِّيحِ قَشَّا

يهوي وتبلعُ ما يريـ ـدُ ضراعةٌ مسختْهُ كَبْشا

وجهٌ كأقدمِ دِرْهَمٍ لم يُبقِ فيهِ المَسْحُ نَقْشا

سنواتُ (يحيى) تستقي دَمَهُ، ويرجوهُ ويَخشى

* * *

ويديرُ أسئلةً، ويحـ ـذرُ همسَهُ ويعي انكسارَهْ

ويهمُّ حقدُ هوانِهِ فتفرُّ مِنْ دمِهِ الجسارةْ

ويــمــدُّ عــيــنــيْــهِ كَــمَــا ... تــرنــو إلــى الــسِّــنَّــوْرِ (فــارَةْ)
فــتــشــدُّ نَــقْــنَــقَــةُ الــطُّــبــو ... لِ إلــيــه أُبَّــهــةَ الــحَــقــارَةْ
وغــــداةَ يـــومٍ أَوْمَــــضَــــتْ ... مــن حــيــثُ لا يَــدري إشــارَةْ
فـــأطـــلَّ نــجــمٌ مِـــنْ هُــنَــا ... كَ ومِـنْ هُـنَـا لَـمَـعَـتْ شَـرارَةْ
حــتــى تــنــهَّــدَ (جِــزْيَــزٌ)[1] ... وتــنــاشــدَ الــصَّــمــتُ انــفــجــارَةْ
نــبــضَ الــهــدوءُ الــمــيْــتُ واحْــ ... ـمَرَّتْ عــلــى الــثَّــلــجِ الــحَــرارَةْ
مــــاذا؟ وأقـــمـــرتِ الـــنَّـــوا ... فــذُ والــسُّــطــوحُ بــكُــلِّ حــارَةْ
وتــنــاغــمــتْ (صــنــعــاء)، تَــسْــ ... ـألُ جــارةٌ وتُــجــيــبُ جــارَةْ
حُــريَّــةٌ . . (دســتــورُ) صُــغْــ ... ـنــاهُ وأعــلــيْــنــا شِــعــارَةْ
«سَجِّلْ مكانكَ»[2] وانبرى الْــ ... ـتــاريــخُ يــحــتــضــنُ الــعِــبــارَةْ
وأطــــلَّ جـــوٌّ لـــم تــــلــــدْ ... أُمُّ الـــخـــيـــالاتِ انـــتـــظـــارَهْ
وهُــــنــــاكَ أدركَ ثــــي(شــــهــــرزا ... دَ) الــصُّــبــحُ، فــارتــقــبــتْ نــهــارَهْ
وانــــثــــالَ أســــبــــوعٌ، تَــــزُفُّ ... عــرائــسُ الــفــجــرِ اخــضــرارَهْ
وتـــلاهُ ثـــانٍ لـــحَّـــنَـــتْ ... بُــشْــراهُ أعــراقَ الــحــجــارَةْ
حــــتــــى تــــبــــدَّى ثــــالــــثٌ ... لــمَــحَــتْ ولادتُــهُ انــتــحــارَهْ
حَــشَــدَ الـــخـــريـــفُ إزاءَهُ ... هــمــجــيَّــةَ الــرِّيــحِ الــمُــثــارَةْ
وتــلاقَــتِ الــفــلــواتُ حَــوْ ... لــيــهِ، وأشــعــلــتِ الإغــارَةْ
مــــاذا جــرى يـــا (شـــهـــرزا ... دُ)؟ تَـضَـاحَـكـي. . يـا لَـلْـمَـرارَةْ!
عــشــرون يــومــاً، وانــثــنــى ... الــمــاضــي فــردَّيــنــا الإعــارَةْ

* * *

(1) جِزْيز: المكان الذي صُرع فيه الإمام يحيى عام 1948م.

(2) سجِّلْ مكانك: مُستهلُّ قصيدة ألقاها الزبيري في ذلك الحدث.

مـــن ذا أطـــلَّ، وأجـــهـــشَ الْـــ ـميدانُ: أحـمـدُ و(الـوِشـاحُ)[1]
أســطـــورةُ الأشـــبـــاح دقَّ طـــبـــولَـــهُ ســـاحٌ وســـاحُ
يـــسـطـــو فـتـعـتـصـرُ الـرُّبـا يَـــدَهُ ويـــسـبـقُـــهُ الـصِّـيَـاحُ
ويَـــزُفُّ أعـــراسَ الـــفُـــتـــو حِ إلـى مـقـاصِـرِهِ الـسِّـفـاحُ
(عُـــوْجُ بْـــنُ عُـــنْـــقٍ) شـــقَّ أنـــ ـفَ الـشَّـمـسِ مـنـكـبُـهُ الـوَقـاحُ
الـــجـــنُّ بـــعـــضُ جـــنـــودِهِ والـــدَّهـــرُ فـــي يـــدِهِ سِـــلاحُ
أو هـــكـــذا نَـــبَـــحَ الـــدُّعـــا ةُ وعَـــمَّـــمَ الـــفـــزَعَ الـــنُّـــبـــاحُ
فـــاحْـــمَـــرَّ مـــن وهـــجِ الـــمـــذا بـــحِ فـــي مـــلامـــحِـــهِ ارتـــيـــاحُ
واغْـــبَـــرَّ بـــالـــذَّبـــحِ الـــمَـــسـيـــ ـرُ ومـــادَ بـــالـــجُـــثَـــثِ الـــرَّواحُ
وســـرى وعـــادَ (الـــسِّـــنـــدبـــا دُ) ودربُـــهُ الـــدَّمُ والـــنُّـــواحُ
خـــمـــسٌ مـــن الـــسَّـــنـــوات لا لـــيـــلٌ لـــهُـــنَّ ولا صـــبـــاحُ
يَـــبِـــسَـــتْ عـــلـــى الـــسُّـــهْـــدِ الـــعـــيـــو نُ وأقـــعـــدَ الـــزَّمـــنَ الـــكُـــسَـــاحُ
«نـــاشَـــدْتُـــكِ الإحـــســـاسَ يـــا أقـــلامُ»[2] واخـــتـــنـــق الـــصُّـــداحُ
لـــم يـــنـــبـــضِ الـــوادي ولَـــمْ يـــنـــبُـــتْ لـــعـــصـــفـــورٍ جَـــنـــاحُ
فـــتـــنـــاوَمَ الـــتـــاريـــخُ والْـــ ـتـأمـتْ عـلـى الـجـمْـرِ الـجِـراحُ
لـــكِـــنْ وراء الـــسَّـــطـــحِ أسْـــ ـئـلـةٌ، يَـجِـدُّ بـهـا الـمُـزاحُ
أو يَـــنـــطـــوي صـــوتُ الـــنَّـــبـــيِّ وَتـــدَّعـــي فـــمَـــهُ (سِـــجـــاحُ)
فـــدوى (الـــزُّبـــيـــريُّ) الـــشَّـــريـــ ـدُ وأفـشـتِ الـوعـدَ الـريـاحُ
وتـــنـــاقـــلَ الـــجـــوُّ الـــصَّـــدى فَـــزَقَـــا الـــتَّـــهـــامـــسُ والـــطِّـــمـــاحُ
مـــاذا تـــقـــولُ الـــرِّيـــحُ؟ فـــا لـــغـــابـــاتُ تـــومـــئ والـــبِـــطـــاحُ

(1) الوشاح: سيّاف الإمام الظالم.

(2) مطلع قصيدة للزبيري صوّرت الأوضاع المؤلمة.

ويُـحـدِّقُ الـرَّاعـي فَـتُـخْـ ـبِـرُهُ مـراتِـعُـهُ الـفِـسـاحُ
سَـتَـكِـلُّ يـومـاً (شـهـرزا دُ) ويـسـكـتُ السَّـمَـرُ المُـبـاحُ

* * *

فـإذا (الـثُّـلايـا)[1] والـبُـطـو لـة يـركُـلانِ شـمـوخَ (صـالـةْ)[2]
فـتـضـاءلَ (الـفـيـلُ) الـمُـخَـدَّ رُ وارتـدى جِـلْـدَ (الـثُّـعـالَـةْ)
وكـمـوعـدِ الـرُّؤيـا أرا حَ الـجـنَّ، واطَّـرحَ الـجـلالَـةْ
وانْـحَـطَّ تـاجٌ وارتـقـى تـاجٌ عـمـوداً مـن عَـمـالَـةْ
مـاذا يـرى (صَـبِـرٌ)؟ وغـا صَـتْ خـلـف جـفـنـيْـهِ الـدلالـةْ
وكـمـا تـمـيـدُ عـلـى شـحـو بِ الـسِّـجـنِ أروِقَـةُ الـمَـلالَـةْ
مَـضَـتِ الـلَّـيـالـي الـخـمـسُ أَجْـ ـهـلَ بـالـمـصـيـرِ مـن الـجـهـالَـةْ
فـتـحـسَّـسَ (الـفـيـلُ) الـمَـهِـيْـ ـضُ قـواهُ، وابـتـدرَ الـعُـجـالَـةْ
وعَـلاَ الـجـوادَ، ومـوَّجَ الـصَّـ ـمـصـامَ، واكـتـسـحَ الـضَّـحـالَـةْ
والـشَّـارعُ الـمَـشْـلـولُ يـزْ مُـرُ، لـلـبـطـولـةِ والـسَّـفـالَـةْ
وكـمـا انـتـهـى الـشَّـوطُ ابـتـدا يُـذكـي الـدَّمُ الـغـالـي مـجـالَـهْ
فـيـمـدُّ عـفـريـتُ الـدُّخـانِ عـلـى أشِـعَّـتِـهِ ظِـلالَـهْ
ويـخـافُ أنْ يَـلِـدَ (الـثُّـلايـا) قـبـرُهُ، ويـرى احـتـمـالَـهْ
فـتُـعَـسْـكِـرُ الأشـبـاحُ فـي أهـدابِ عـيـنـيـه خـيـالَـهْ
مَـنْ ذا؟ وَيـتَّـهِـمُ الـصَّـدى وتـديـنُ يـمـنـاهُ شِـمـالَـهْ
فـانـهـارَ (شـمـشـونٌ) ونـا ءَ بـرأسِـهِ ووعـى انـحـلالَـهْ
واسـتـنـزفَ الـفـلـكُ الـمُـعـطَّـ ـلُ عـن جـنـاحـيـهِ الـبَـطـالَـةْ

---

(1) الثُّلايا: أحد المناضلين الشهداء حيث قتله الإمام إعداماً في تعز.
(2) صالة: قصر الإمام في تعز.

وانساقَ يَغْزِلُ كُلَّ حِيْـ ـنِ كوكباً، ويديرُ هالَةْ
ويَشِبُّ نجماً، لم يَعُدْ مِن نبضِهِ إلاَّ ثُمالَةْ
وهنا تلفَّتَ موعدٌ في أعينِ القِمَمِ المُشالَةْ
وتدافعَ الزَّمنُ الكسيْـ ـحُ على جناحٍ من عُلالَةْ
وانثالَ كالرِّيحِ العجو لِ يلوِّنُ الفَلَكُ اشتعالَهْ
وتساءلتْ عيناهُ: مَنْ ذا هاهُنا؟ فرأى حِيالَهْ
إشراقةَ (العُلُفيِّ) إطْـ ـراقَ (اللُّقَيَّةِ) وانفعالَهْ
فرمى على زَنْدَيْهما الْـ ـجُلَّى وأعباءَ الرِّسالَةْ

* * *

وإلى العشيِّ تعاقَدا واستبطآ سيرَ الثَّواني
الساعةُ المكسالُ مثلُ الشَّـ ـغْبِ، تجهلُ ما تُعاني
أيكونُ مُستشفى (الحُدَيْـ ـدةِ) مولدَ الفَجْرِ اليماني
وعلى امتدادِ اليوم ضمَّـ ـهُمَا التَّفَرُّقُ والتَّداني
يتفرَّقانِ مِنَ الشُّكو كِ، وللمُنى يتلاقيانِ
يتخوَّفانِ فيُخْجِما نِ ويذكُرانِ فيهزآنِ
هل بُحتَ بالسِّرِّ المُخيْـ ـفِ إلى فُلانٍ أو فُلانِ؟
إنِّي أحاذرُ مَنْ رأيْـ ـتُ على الطريقِ ومَنْ يراني
كَمْ طال عُمْرُ اليومِ؟ لِمْ لا يختفي قبلَ الأوانِ؟
حتى ارتمى الشَّفقُ الغريْـ ـبُ على سريرٍ مِنْ دُخانِ
وكأنَّ هُدْبَيْ مقلتيْـ ـهِ شاطِئانِ مُعلَّقانِ
نظرا إليهِ يُفتِّشا نِ عنِ الصَّباحِ ويسألانِ
وكما أشارَ (الهندوا نةُ) أبدَيا بعضَ التَّواني

ومـشـى الـثـلاثـةُ شـارعَـيْـ ـنِ مِـنَ الـمـشـانـقِ والأمـانـي
ودعـا الـنَّـفـيـرُ، فـسـارَ (أحْـ ـمـدُ) سـيـرَ مُـتَّـهـمٍ مُـدانِ
يـرنـو، أيـلـمـحُ حُـمْـرَةً؟ كـلاَّ، وتَـلـمـعُ نـجـمـتـانِ
فـيـمـورُ داخـلَ شَـخـصِـهِ شـخـصٌ غـريـبُ الـوجـهِ ثـانـي
ويَـعـي ضـمـانَ مُـنَـجِّـمـيْـ ـهِ فـيـسـتـريـحُ إلـى الـضَّـمـانِ
ودنـا فـمـاجَ الـبـابُ وانْـ ـهـالَ لـسُّـكـونُ عـلـى الـمـكـانِ
مِـنْ أيـنَ نَـبْـغَـتُـهُ؟ ويـمَّـ ـمَ فـجـاْةً قِـسْـمَ الـغـوانـي
فـتـنـادتِ الـطَّـلَـقـاتُ فـيْـ ـهِ كـالـزَّغـاريـدِ الـقَـوانـي
وانْـهَـدَّ قـهَّـارُ الـبـنـا دقِ كـالـجـدارِ الأرجـوانـي
أتُـرى حـصـادُ الـقـبـرِ يَـرْ جـعُ كـالـرَّضـيـعِ بـلا لِـبـانِ
وعـلـى يـقـيـنِ الـدَّفـنِ ردَّ بـنـبـضـتـيْـنِ مِـنَ الـبَـنـانِ
فـتـطـلَّـعـتْ مِـنْ كُـلِّ أُفْـ ـقٍ تـسـألُ الـشُّـهـبَ الـرَّوانـي
كـيـفَ انـطـفـا الـشـهـبُ (الـثـلا ثـةُ) فـي ربـيـعِ الـعُـنـفـوانِ
وتـراجـعَ (الـبـاهـوتُ) يَـخْـ ـرقُ بـالـمـواجـعِ وهـو فـانـي
يـحـيـا ولا يـحـيـا، يـمـو تُ ولا يـمـوتُ بِـكُـلِّ آنِ
فـتـبـرَّجَـتْ (مـأسـاةُ وا ق الـواقِ)[1] تُـغـدِقُ كـالـجِـنـانِ
وتـجـولُ تـظـفـرُ مِـنْ ذوا ئِـبـهـا غـروبـاً مِـنْ أغـانـي
وتـهـزُّ نَـهـديْـهَـا اعـتـلا جـاتُ الـمَـحَـبَّـةِ والـحـنـانِ
فـاخْـضَـرَّ عـامٌ بـالـمـوا عـدِ واحـتـمـالاتِ الـعَـيـانِ
وأهَـلَّ عـامٌ عَـسْـجَـدِيُّ الـلَّـمْـحِ صـخـريُّ الـلِّـسـانِ

---

(1) مأساة واق الواق: رواية ثورية للأستاذ الشاعر الزُبيري دعا فيها إلى الثورة والجمهورية.

فرمى إلى حَلْقِ التُّرا ... بِ بقيَّةَ البَطلِ الجَبَانِ
وهنا ابتدا فصلٌ تروَّ ... ى فيهِ إبداعُ الزَّمانِ

* * *

ماذا هُنا؟ (سبتمبرٌ) ... أشواقُ آلافِ اللَّيالي
حُرَقُ العصافيرِ الجِيا ... عِ إلى البيادرِ والغِلالِ
بثَّ المَسامِرَ والرؤى الـ ... ـعَطْشَى وأخيلةَ الخيالِ
خَفْقُ النوافذِ وارتِجا ... فاتُ الرِّياحِ على التِّلالِ
وتطلُّعُ الوادي وأسْـ ... ـئلةُ النُّجومِ إلى الجبالِ
وتلهُّفُ الكأس الطَّرِيـ ... ـحِ إلى انْهدالاتِ الدَّوالي
كان احتراقاتِ الإجا ... بةِ وابتهالاتِ السُّؤالِ
وتلفُّتَ الآتي إلى ... آثارِ أقدامِ الأوَالي
عشرينَ عاماً قُلَّباً ... حَبِلَتْ بِهَا أُمُّ النِّضالِ
نسجَتْهُ مِنْ شَفَقِ المَقا ... صِلِ والجراحاتِ الغَوالي
حتى أطلَّ على عُقا ... بٍ مِنْ أساطيرِ المُحالِ
في كُلِّ ريشةِ جانحٍ ... مِنْهُ (أبو زيدِ الهِلالي)
في النَّفخةِ الأولى رمى ... بالعرشِ أغوارَ الزَّوالِ
وأمالَ زوبعةَ الرِّما ... لِ إلى سراديبِ الرِّمالِ
يُعطي المواسمَ والمَحَبَّـ ... ـةَ باليمينِ وبالشُّمالِ
أنَّى مشى أَجْنَى (الوليـ ... ـدَ) من المُنى وأجَدَّ بالي
موجٌ سماويُّ النِّضا ... رةِ، شاطئاهُ من اللآلي
ماذا هُنا؟ (سبتمبرٌ) ... أتقولُ لي: أَجْلَى المَجالي
شيءٌ وراءَ تَصَوُّرِ الدُّ ... نْيا وأبعادِ الجَمالِ

فـوقَ احـتـمـالاتِ الـرَّجـا ... ءِ وفـوقَ إخـصـابِ الـنَّـوالِ

* * *

أتـقـولُ لـي: وهـل انـتـهـى ... فـي جُـثَّـةِ الأمـسِ الـنُّـزوعُ؟

شـاءَ الـرُّجـوعَ وسـلَّـحَـتـ ... ـهُ الـبِـيْـدُ، فـانـتـحـرَ الـرُّجـوعُ

وزَوَتْـهُ حُـفْـرتُـهُ وأطْـ ... ـبقَ فـوقَ مـرقـدِهِ الـهُـجـوعُ

وعَـلا الـدُّخـانُ أزقَّـةَ الـ ... ـبترولِ، فـانـتـبـهَ الـصَّـريـعُ

واهْـتـاجَ ثـانـيـةً فـمَـدَّ ... زنـودَهُ (الـنَّـيْـلُ) الـضَّـلـيـعُ

وأحـاطـتِ الـخـضـراءَ مِـنْ ... أقـوى سـواعـدِهِ دُروعُ

وارتـدَّ ظِـلُّ الأمـسِ والْـ ... ـتـحـمَ الـتَّـوقُّـعُ والـوقـوعُ

فـتـنـادتِ الـنِّـيـرانُ والـتـ ... ـقـتِ الـمَـصَـارعُ والـجُـمـوعُ

وانْـجَـرَّ عـامـانِ نـجـومُـهُـ ... ـمَـا وشـمـسُـهُـمَـا الـنَّـجـيـعُ

فـبِـكُـلِّ رابـيـةٍ إلـى ... لـحـمِ ابْـنِـهـا ظـمـأٌ وجـوعُ

وبِـكُـلِّ مُـنـعـرجٍ إلـى ... تـمـزيـقِ إخـوتِـهِ وُلـوعُ

فـهُـنـالـكَ انـقـصـفـتْ يـدا ... نِ وثَـمَّـةَ انـتـثـرتْ ضُـلـوعُ

وهـنـاكَ خـرَّتْ قِـمَّـةٌ ... وهُـنـا هـوى تـلٌّ مَـنـيـعُ

فـلـكُـلِّ شـبـرٍ مِـنْ دمِ الـشُّـ ... ـهَـداءِ تـاريـخٌ يَـضـوعُ

أرأيـتَ حـيـثُ تـسـاقـطـوا ... كـيـفَ ازدهـى الـنَّـضْـرُ الـمُـريـعُ

حـيـثُ اغـتـلـى الـوادي ولـفَّ ... (عَـلِـيّـاً)[1] الـصَّـمـتُ الـجَـزُوعُ

رَضَـعَ الـدُّجـى دمَـهُ فـأشْـمَـسَ ... قـبـلَ أن يَـعِـدَ الـطُّـلـوعُ

حـيـثُ الـتـقـى (الـحَـمْـزِيَّ) ذا ... بَ الـغـيـمُ واحـتـرقَ الـصَّـقـيـعُ

حـيـث انـطـفـا (سـنـدٌ) تـدلَّـ ... ـتْ أنـجـمٌ وعَـلَـتْ شُـمـوعُ

---

(1) علي عبد المغني: أول شهيد في معارك الثورة على الحدود.

حيث ارتمى (الكِبْسِيُّ) أوْ رَقَ منجمٌ وشدا ربيعُ
وأعادتِ الأحداثُ سِيْـ ـرَتَها فأرْعدَتِ الرُّبُوعُ
وتعطَّشَ الميدانُ فانْـ ـفَجَرَ الضُّحى ودوى الهَزِيعُ
ومشَتْ على دَمِهَا الذِّئا بُ وغاصَ في دمِهِ القطيعُ
حتى توارى الأمسُ، زَغْـ ـرَدَتِ المآتمُ والدُّموعُ
وهَفَتْ أغانيها، تَضِجُّ: (ليسلَمَ الشَّرَفُ الرَّفيعُ)
وتبوحُ للنَّضِرِ: انطلِقْ فمجالُكَ الأبدُ اللَّموعُ
ولِمُرْضِعي (سبتمبرٍ) دَمَهم: لقد شبَّ الرَّضيعُ

* * *

أتظُنُّ رابيةٌ تتو قُ إلى دمٍ أغلى يسيلُ؟
أوَمَا ارتوى عَطَشُ الرِّما لِ وأُتْخِمَ العَدَمُ الأكولُ؟
يا لَلأسى، كيفَ اسْتَطَبَّ مماتَهُ (اليمنُ) العليلُ؟
ورنا السُّؤالُ إلى السُّؤا لِ وبغتةً وَجَمَ السَّؤولُ
ماذا اسْتَجدَّ فباحتِ الْـ أصداءُ، وارتجفَ الذُّهولُ
لبَّى الدَّمَ الغالي دمٌ أغلى إلى الدَّاعي عَجُولُ
مَنْ ماتَ؟ واسْتَحيا السُّؤا لُ وأطرقَ الرَّدُّ الخجولُ
أهُنَا (الزُّبيريُّ) المُضرَّ جُ؟ بَلْ هُنَا شعبٌ قتيلُ
وأعادتِ القِمَمُ الحكا يةَ واستعادتْها السُّهولُ
من ذا انطوى؟ علَمٌ خيو طُ نسيجِهِ الألمُ البَتولُ
في كُلِّ خَفْقٍ منهُ (جِبْـ رِيلٌ) وفي فَمِهِ رَسُولُ
بدأ الرَّعيلُ بهِ السُّرى فكبا وسارَ بهِ رَعيلُ
وخبا وراءَ حنينِهِ جيلٌ، وأشرقَ فيهِ جِيلُ

وعلى الحرابِ أتمَّ أشْـ ـواطاً، مَداها المُستحيلُ
وعلى سنا ميلادِهِ الثَّـ ـاني تكاتفتِ الفُلولُ
لفَظَ البِلى غِربانَ (وا قِ الواقِ) وانثنتِ (المَغولُ)
فاحْتَزَّ رحلتَهُ الرَّصا صُ النَّذْلُ والطِّينُ العَميلُ
فغفا وصِدْقُ الفَجْرِ في نظراتِهِ سَحَرٌ بليلُ
أتقولُ: عاجلَهُ الأفو لُ، فكيفَ أشعَلَهُ الأفولُ؟
فعلى الجبالِ مِنَ اسْمِهِ شُعَلٌ مُجنَّحةٌ تَجولُ
وصدَىً تُعَنْقِدُهُ الرُّبا وهوىً تُسَنْبِلُهُ الحقولُ
وبِكُلِّ مَرْمَى ناظرٍ مِنْ لَمْحِهِ صَحْوٌ غَسيلُ
كيف انتهى ولخطوِهِ في كُلِّ ثانيةٍ هَدِيلُ
هو في النَّهارِ الذِّكْريا تُ وفي الدُّجى الحُلُمُ الكحيلُ
وهُنا ضُحىً مِنْ جُرْحِهِ وهُناكَ من دمِهِ أصيلُ
غَرَبَ الشَّهيدُ وبينَهُ والمُنتهى الموعودِ مِيلُ
مَنْ ذا يَكِرُّ إلى مَدَا هُ؟ وقد خَلا مِنْهُ السَّبيلُ
فلْيبتهِجْ دَمُهُ إلى أبعادِ غايتهِ وصولُ
أوَمَا رأى الشُّهداءُ كَيْـ ـفَ؟ اخضوضرتْ بِهِمُ الفصولُ؟
فرشوا (السَّعيدةَ) بالرَّبيـ ـعِ ليهنَأَ الصَّيفُ البَذولُ
ومَضَوْا لِوُجْهَتِهِمْ ويبـ ـقى الخِصْبُ إن مَضَتِ السُّيولُ

۞ ۞ ۞


لِعَيْنَيْ
أمّ بلقيس

أنسى أن أموت

القاهرة 1971م

تـمـتـصُّـنـي أمـواجُ هـذا الـلَّـيـلِ فـي شَـرَهٍ صَـمـوتْ
وتُـعـيـدُ مـا بـدأتْ وتَـنْـوي أن تـفـوتَ ولا تـفـوتْ
فـتُـثـيـرُ أوجـاعـي وتُـرْغـمـنـي عـلـى وجَـعِ الـسُّـكـوتْ
وتـقـولُ لـي: مُـتْ أيـهـا الـذّاوي فـأنـسـى أن أمـوتْ

* * *

لـكـنَّ فـي صَـدري دُجَـى الـمـوتـى وأحـزانُ الـبـيـوتْ
ونـشـيـجُ أيـتـامٍ بـلا مـأوىً، بـلا مـاءٍ وقـوتْ
وكـآبـةُ الـغَـيـمِ الـشِّـتـائـي وارتـجـافُ الـعـنْـكـبـوتْ
وأسـىً بـلا اسْـمٍ واخـتـنـاقـاتٌ بـلا اسْـمٍ أو نـعـوتْ
مَـنْ ذا هـنـا، غـيـرُ ازدحـامِ الـطـيـنِ يـهـمـسُ أو يَـصُـوتْ
غـيـرُ الـفـراغِ الـمُـنـحـنـي يـذوي، يُـصِـرُّ عـلـى الـثُّـبـوتْ
ودمُ الـخُـطـى والأعـيـنُ الـمـلأى بـأشـلاءِ الـكـبـوتْ

* * *

مَنْ ذا هـنـا، غـيرُ الأسـامي الـصُّـفْرِ تـصـرُخُ في خُـفـوتْ
غـيـرُ انـهـيـارِ الآدمـيَّـةِ وارتـفـاعُ (الـبـنـكـنـوتْ)
وَحـدي ألـوكُ صـدى الـريـاحِ وأرتـدي عُـرْيَ الـخـبـوتْ

❁❁❁

صنعاء..
الموت والميلاد

أبريل 1970م

وُلــدَتْ صـنـعـاءُ بـسـبـتـمـبـرْ
كـي تـلـقـى الـموتَ بـنـوفـمـبـرْ
لـكـنْ كـي تـولـدَ ثـانـيـةً
فـي مـايـو أو فـي أكـتـوبـرْ
فـي أوَّلِ كـانـونَ الـثـانـي
أو فـي الـثـانـي مـن ديـسَـمـبـرْ
مـا دامـتْ هَـجـعـتُـهـا حُـبـلـى
فـولادتُـهـا لـنْ تـتـأخَّـرْ
رُغْـمَ الـغـثـيـانِ تَـحِـنُّ إلـى
أوجـاعِ الـطَّـلْـقِ ولا تَـضـجـرْ

* * *

يُـنْـبـي عَـنْ مـولِـدِهـا الآتـي
شـفـقٌ دامٍ . . فَـجْـرٌ أشـقـرْ
مـيـعـادٌ كـالـثَّـلـجِ الـغـافـي
وطـيـوفٌ كـالـمـطـرِ الأحـمـرْ
أشـلاءٌ تـخـفـقُ كـالـذِّكـرى
وتـنـامُ لـتـحـلُـمَ بـالـمـحـشَـرْ

ورمـــادُ نـــهـــارٍ صـــيـــفـــيٍّ
ودخـــانٌ كـــالـــحُـــلُـــمِ الأسْـــمَـــرْ

ونـــــداءٌ خَـــلْـــفَ ونـــداءاتٍ:
لا تـــنـــسَـــى (عـــبـــلـــةَ) يـــا (عـــنـــتـــرْ)

أســـمـــاءٌ لا أخـــطـــارَ لـــهـــا
تُـــنْـــبـــي عـــن أســـمـــاءٍ أخْـــطَـــرْ

* * *

هـــل تَـــدري صـــنـــعـــاءُ الـــصَّـــرْعـــى
كـــيـــف انـــطـــفـــأتْ؟ ومـــتـــى تُـــنـــشـــرْ؟

كـــالـــمِـــشْـــمِـــشِ مـــاتَـــتْ واقـــفـــةً
لـــتُـــعِـــدَّ الـــمـــيـــلادَ الأخـــضـــرْ

تـــنْـــدَى وتَـــجِـــفُّ لـــكـــي تَـــنْـــدى
وتـــرِفُّ تَـــرِفُّ لـــكـــي تَـــضْـــفَـــرَ

وتـــمـــوتُ بـــيـــومٍ مـــشـــهـــورٍ
كـــيْ تُـــولَـــدَ فـــي يـــومٍ أشـــهَـــرْ

تَـــرْمـــي أوراقـــاً مَـــيِّـــتـــةً
وتُـــلـــوِّحُ بـــالـــورقِ الأنْـــضَـــرْ

وتَـــظـــلُّ تـــمـــوتُ لـــكـــي تَـــحـــيـــا
وتـــمـــوتُ لـــكـــي تـــحـــيـــا أكـــثـــرْ

❂ ❂ ❂

من منفى إلى منفى

نوفمبر 1971م

بـــــلادي مـــــن يَـــــدَيْ طـــاغٍ
إلـــى أطْـــغـــى إلـــى أجـــفـــى

ومـــن ســـجـــنٍ إلـــى ســـجـــنٍ
و مـــن مـــنـــفـــى إلـــى مـــنـــفـــى

ومـــن مُـــســـتـــعـــمـــرٍ بـــادٍ
إلـــى مُـــســـتـــعـــمـــرٍ أخْـــفـــى

ومـــن وحـــشٍ إلـــى وحـــشـــيْـــ
ـنِ وهـــي الـــنَّـــاقـــةُ الـــعَـــجْـــفـــا

* * *

بـــلادي فـــي كـــهـــوفِ الـــمـــو
تِ لا تَـــفـــنـــى ولا تَـــشْـــفـــى

تُـــنـــقِّـــرُ فـــي الـــقـــبـــورِ الـــخُـــرْ
سِ عـــن مـــيـــلادِهـــا الأصـــفـــى

وعـــن وعـــدٍ ربـــيـــعـــيٍّ
وراءَ عُـــيـــونِـــهـــا أغْـــفـــى

عـــن الـــحُـــلُـــمِ الـــذي يـــأتـــي
عَـــن الـــطَّـــيـــفِ الـــذي اســـتـــخـــفـــى

فـــتـــمـــضـــي مـــن دُجـــىً ضـــافٍ
إلـــى أدجـــى، إلـــى أضـــفـــى
بـــلادي فـــي ديـــارِ الْـــغَـــيْـــ
ـــرِ أو فـــي دارِهَـــا لَـــهْـــفـــى
وحـــتـــى فـــي أراضـــيـــهـــا
تُـــقـــاســـي غُـــربـــةَ الـــمَـــنْـــفـــى

❁❁❁

إلاّ أنا وبلادي

ديسمبر 1969م

تَسَلِّياتي كمُوْجِعاتي، وزادي
مثلُ جوعي، وهَجْعتي كسُهادي

وكؤوسي مريرةٌ مثلُ صَحْوي
واجتماعي بإخوتي كانفرادي

والصداقاتُ كالعداواتِ تؤذي
فسواءٌ من تَصطفي أو تُعادي

إنَّ داري كغُرْبتي في المنافي
واحتراقي كذكرياتِ رمادي

يا بلادي التي يقولونَ عنها
منكِ ناري ولي دخانُ اتِّقادي

ذاكَ حظِّي لأن أُمِّي (سُعودٌ)[1]
وأبي (مُرشدٌ) وخالي (قَمادي)[2]

أو لأنِّي دفعتُ عن طهرِ أُختي
وبناتي مكرَ الذِّئابِ العَوادي

(1) سعود: اسم نسائي في الريف اليمني.
(2) قمادي: عائلة يمنية كبيرة توارثت الفقر.

أو لأنّـــي زَعَــمْــتُ أنَّ لــديــهــم
لـي حـقـوقـاً مـن قـبـل حـقّ (ابْـنِ هـادي)[1]

* * *

يـا بــلادي هــذي الـرُّبـا والـسَّـواقـي
فـي ضـلـوعـي تـنـهُّـداتٌ شَـوادي
إنَّـمـا مَـنْ أنـا ولـيـسَ بـكَـفِّـي
مـدفـعٌ والـتـرابُ بـعـضُ امـتـدادي!
رُبَّـمـا كـنـتُ فـارِسـاً. لـسـتُ أدري
قـبـلَ بـدءِ الـمَـجـالِ مـاتَ جَـوادي
الـعـصـافـيـرُ فـي عُـروقـي جـيـاعٌ
والـدَّوالـي والـقـمـحُ فـي كُـلِّ وادي
فـي حـقـولـي مـا فـي سِـواهـا ولـكـن
بـاعـتِ الأرضَ فـي شـراءِ الـسَّـمـادِ

* * *

يـا نـدى يـا حـنـانَ أُمِّ الـدَّوالـي
وبِـرُغـمـي يـجـيـبُ مـن لا أنـادي!
هـذه كـلُّـهـا بـلادي، وفـيـهـا
كـلُّ شـيءٍ إلاّ أنـا وبـلادي!

●●●

---

(1) حقّ ابن هادي: مصطلح للرشوة.

صنعاء..
الحلم والزَّمان

يولية 1970م

صـنـعـاءُ يـا أُخـتَ الـقـبـورِ ... ثُـوري فـإنَّـكِ لـمْ تَـثُـوري
حـاولـتِ أن تـتـقـيَّـأي ... فـي لـيـلـةٍ عَـفَـنَ الـعُـصـورِ
وأردتِ قـبـلَ وسـائـلِ الْـ ... بُـنـيـانِ تـشـيـيـدَ الـقُـصـورِ
ونَـويـتِ فـي تـشـريـنَ أنْ ... تَـلـدي أعـاجـيـبَ الـزُّهـورِ
فـدهـاكِ غَـزوٌ مِـثـلـمـا ... يَـحـكُـونَ عـن يـومِ الـنُّـشـورِ
أيـدٍ كـأيـدي الأخـطـبـو ... طِ وأوجـهٌ مـثـلُ الـصُّـخـورِ
فـتـسـاقَـطـتْ شُـرفـاتُـكِ الـنَّـ ... ـغَـسَـى كـأعـشـاشِ الـطُّـيـورِ
وانْـصَـبَّ إرهـابُ الـمَـغـو ... لِ مـن الـبُـكـورِ إلـى الـبُـكـورِ
وامـتـدَّ مـن بـابٍ إلـى ... بـابٍ كـغـابـاتِ الـنُّـمـورِ
حـتـى رَأى (نُـقُـمْ)[1] ذُرا ... كِ تَـخِـرُّ دامـيـةَ الـظُّـهـورِ
ورأى قـلـوبَـكِ فـي الـضُّـحـى الْـ ... أعـمـى تَـفِـرُّ مـن الـصُّـدورِ
ورأى خـمـائـلَـكِ الـظَّـلِـيْـ ... ـلـةَ يـرتـحِـلْـنَ مِـنْ الـجُـذورِ
هَـرَبَ الـجِـدارُ مـن الـجِـدا ... رِ، هَـوَى الـنُّـفـورُ عـلـى الـنُّـفـورِ

* * *

صـنـعـاءُ مِـنْ أيـنَ الـطَّـريْـ ... ـقُ إلـى الـرُّجـوعِ أو الـعُـبـورِ

(1) نقم: جبل مطلٌ على صنعاء من الجهة الشرقية ويدعى (غيمان) كذلك.

مـاذا تَـريْـنَ أتـسْـبَـحـيْـ ـنَ؟ أتَـعـبُـريـنَ بـلا جُـسـورِ؟
هـل تُـسْـفِـريـنَ عـلـى الـشُّـرو قِ؟ أتـخـجَـلـيـنَ مـن الـسُّـفـورِ؟
أتُـزاحِـمـيـنَ الـعـالَـمَ الْـ ـمَـجْـنُـونَ؟ يـا بـنـتَ الـخُـدُورِ
شـهـرٌ، وعُـدْتِ كـمـا أتَـيْـ ـتِ بـلا مـكـانٍ أو شُـهـورِ
تـتـنـهَّـديـنَ بـلا أسَـىً أو تَـضْـحـكـيـنَ بـلا سُـرورِ

* * *

صـنـعـاءُ مـاذا تـشـتـهِـيْـ ـن؟ أتـهـدأيـنَ لـكـي تَـمـوري؟
تـتـوهَّـجـيـنَ ولا تَـعِـيْـ ـنَ، وتـنـطَـفـيـنَ بـلا شُـعـورِ
كَـمْ تـحـمـلـيـنَ ولا تـريْـ ـنَ وتـعـتـبـيـنَ عـلـى الـدُّهـورِ
مـا زالَ يـخـذُلُـكِ الـزَّمـا نُ فـتـبـزُغـيـنَ لـكـي تَـغـوري
يـا شـمـسَ صـنـعـاء الـكـسـو لَ أمـا بَـدا لـكِ أن تَـدوري؟

❂ ❂ ❂

بلادٌ في المَنفى

لأنَّ بلادي الحبيبةْ   في مُرْتَبَاها غريبةْ
لأنها وهي مَلأى   بالخصبِ غيرُ خصيبةْ
لأنَّها وهي حُبلى   بالرِّيِّ عَطْشى جَديبةْ

* * *

جاءَتْ ومَدَّتْ يديْها   إلى الأكُفِّ المُريبةْ
ثُمَّ ارتَمَتْ كعَجوزٍ   مِنْ قبلِ بدءِ الشَّبيبةْ
تنسى المصيرَ ويأتي   مصيرُها في حَقيبةْ
لأنَّ دارَ أبيها   لها مَنافٍ رهيبةْ

عيِّنة جديدة مِن الحُزن

فبراير 1973م

مـثـلـمـا تـعـصـرُ نـهـديْـهـا الـسَّـحـابَـةْ
تُـمـطـرُ الـجُـدرانُ صـمـتـاً وكـآبَـةْ

يـسـقـطُ الـظِّـلُّ عـلـى الـظِّـلِّ، كـمـا
تَـرتـمـي فـوق الـسَّـآمـاتِ الـذُّبـابَـةْ

يـمـضـغُ الـسَّـقْـفُ وأحـداقُ الـكُـوَى
لَـغـطـاً مـيـتـاً وأصـداءَ مُـصـابَـةْ

مِـزَقـاً مـن ذكـريـاتٍ وهـوَىً
وكـؤوسـاً مِـن جِـراحـاتٍ مُـذابـةْ

تـبـحـثُ الأحـزانُ فـي الأحـزانِ عـن
وتـرِ بـاكٍ وعـن حَـلْـقِ ربـابَـةْ

عَـن نُـعـاسٍ يـمـلـكُ الأحـلامَ، عـن
شـجَـنٍ أعـمـقَ مـن تـيـهِ الـضَّـبـابـةْ

تـسـعـلُ الأشـجـارُ، تـحـسـو ظِـلَّـهـا
تـجـمـدُ الـسـاعـاتُ مـن بَـرْدِ الـرتـابَـةْ

* * *

هـاهُـنـا الـحُـزْنُ عـلـى عـادتِـهِ
فـلـمـاذا الـيـومَ لـلـحُـزنِ غـرابَـةْ؟

يــنــزوي كــالــبــومِ، يــهــمــي كــالــدُّبــى
يــرتــخــي، يــمــتــدُّ، يــزدادُ رحــابَــةْ

يــلــبــسُ الأجــفــانَ، يــمــتــصُّ الــرُّؤى
يــمــتــطــي لــلــعــنــفِ أســرابَ الــذُّعــابَــةْ

يــلــتــوي مــثــلَ الأفــاعــي، يــغــتــلــي
كــالــمُــدى الــعــطــشــى ويــســطــو كــالــعِــصــابَــةْ

يــرتــدي زِيَّ الــمُــرائــي، يــنــكــفــي
عــاريــاً كــالــصَّــخْــرِ شــوكــيَّ الــصَّــلابَــةْ

وبــلا حِــسٍّ يُــغــنِّــي وبــلا
ســبــبٍ يــبــكــي ويَــسْــتَــبــكــي الــخَــطــابَــةْ

يــكــتــبُ الأقــدارَ فــي ثــانــيــةٍ
ثُــمَّ فــي ثــانــيــةٍ يــمــحــو الــكــتــابَــةْ

* * *

لــلــثَّــوانــي الــيــومَ أيــدٍ وفــمٌ
مــثــلــمــا تَــعــدو عــلــى الــمــذعــورِ غــابَــةْ

وعــيــونٌ تــغــزلُ الــلَّــمْــحَ كــمــا
تــغــزلُ الأشــبــاحَ أنــقــاضُ الــخــرابَــةْ

مَــنْ يُــنَــسِّــيــنــا مــراراتِ الــعِــدا؟
مَــنْ يــقــوِّيــنــا عــلــى حَــمْــلِ الــصَّــحــابَــةْ؟

مــن يُــعــيــدُ الــشَّــجْــوَ لــلأحــزانِ؟ مَــنْ
يــمــنــحُ الــتَّــســهــيــدَ أوجــاعَ الــصَّــبــابَــةْ؟

مـــن يـــردُ الـــلَّـــونَ لـــلألـــوانِ؟ مَـــنْ
يـــهـــبُ الأكـــفـــانَ شـــيـــئـــاً مـــن خـــلابَـــةْ

* * *

كـــانَ لـــلـــمـــألـــوفِ لـــونٌ وشـــذاً
كـــانَ لـــلـــمـــجـــهـــولِ شـــوقٌ ومَـــهـــابَـــةْ!

مَـــنْ هُـــنـــا؟ أســـئـــلـــةٌ مـــن قـــبـــلِ أَنْ
تَـــبـــتـــدري غـــرابـــاتُ الإجـــابَـــةْ

في بيتها العريق

يولية 1970م

مَنْ؟ قالتْ: أنا يا غَزُّولَةْ
أهلاً بحروفٍ مَشلولةْ

أهلاً! في لهجةِ قاتلةٍ
تخشى أنْ تُمسِيَ مقتولَةْ

ماذا تَخشَينَ؟ أليستْ لي
بالدَّارِ صِلاتٌ مَوصولَةْ؟

أوَلستُ صديقاً تعرفُني
هذي الحُجُراتُ المَمْلولَةْ؟

هذا الدِّهليزُ المُسْتَلقي
هٰذي الجُدرانُ المَصقولَةْ

* * *

اصعدْ، لكنْ هل في فَمِها
أُخرى، أو أُذني مَخلولَةْ؟

وصعدتُ، كمجْهولٍ قلِقٍ
يجتازُ شِعاباً مجهولَةْ

ومعي صَعَدَتْ كانت تبدو
جَذْلَى بالحسرةِ مَكحولَةْ

كـمُـؤَمَّـرةٍ، مـنْ تـحـكُـمُـهُـمْ
مـاتـوا، أو بـاتَـتْ مَـعـزولَـةْ

فـي نـصـفِ الـعُـمْـرِ بـعـيـنـيْـهـا
أجـيـالُ وعـودٍ مَـمْـطـولَـةْ

وشـظـايـا مـعـركـةٍ بـدأتْ
نـصـراً وارتـدَّتْ مَـخـذولَـةْ

❋ ❋ ❋

شـرَّفْـتَ، وزادتْ تـرحـيـبـاً
كـزواقِ عـروسٍ مـعـلـولَـةْ

عـنـدي ضـيـفٌ ومـددتُ يـدي
لِـبَـنـانٍ كَـسْـلَـى مـقـفـولَـةْ

أهـلاً، فـأجـابَ كـمـن يُـلـقـي
أعـذاراً لـيـسَـتْ مـقَـبـولَـةْ

اجـلـسْ، قـالَـتْـهَـا واقـتـربـتْ
تـروي أخـبـاراً مَـعـقـولَـةْ

عـنـدي الـجـاراتُ وزوجُ (هـدى)
وطـبـيـبٌ.. إنّـي مَـنـزولَـةْ

وهـنـا انـتـزَعَـتْـنـي قـهـقـهـةٌ
وصَـدى نـحـنـحـةٍ مَـغـلـولَـةْ

فـسـمـعـتُ مـن الـغُـرفِ الأُخـرى
أنـفـاسَ حـنـايـا مَـتْـبُـولَـةْ

بَـوْحـاً كـالـحـبْـلِ الـمُـسـتـرخـي
تـحـتَ الأثـوابِ الـمـبـلـولَـةْ

نـبـراتُ نـداءٍ وجـوابٍ
كـلُـهـاثِ عـجـوزٍ مَـسـعـولـةْ

ضـحـكـاتُ ذئـابٍ جـائـعـةٍ
هـمـسـاتُ نِـعـاجٍ مـأكـولَـةْ

هـل هـذا الـبـيـتُ بـعـزَّتِـهِ
أمـسـى أحـضـانـاً مـبـذولَـةْ؟

بـيـتٌ خـدَّاعٌ. ربَّـتُـهُ
مـن زيـفِ الـدَّعـوى مـجـبـولَـةْ

* * *

أيـكـونُ الـخَـلُّ سِـوى خَـلٍّ
حـتـى فـي الـكـأسِ الـمَـعـسـولَـةْ

لـكـنْ مـا بـالُ الـضَّـيـفِ يـرى
وَجـهـي بـلـحـاظٍ مَـذهـولَـةْ

مـا جِـئـتُ أُفـتِّـشُ عَـنْ عَـبَـثٍ
أو عَـنْ لـحـظـاتٍ مـسـلـولَـةْ

مـا جـئـتُ لِأنـزِلَ مـنـطـقـةً
بـنـعـوشِ سُـكـارى مـأهـولَـةْ

قـولـي لـي: أنـتَ بـلا ذوقٍ
فـلـتـذهـبْ، إنّـي مَـشـغـولَـةْ

* * *

مــا جــئــتُ إلــيــكِ عــلــى أمــلِ
أســفــاري لــيــســتْ مــأمــولَــةْ

لــكــنّــي جــئــتُ بــلا ســبــبٍ
رُدّيــنــي، لــســتِ الــمــســؤولَــةْ

ورجــعــتُ كــمــا أقــبــلــتُ بــلا
هــدفٍ كــالــرّيــحِ الــمــخــبــولَــةْ

❁ ❁ ❁

لعينَيْ أم بلقيس

15/ نوفمبر/ 1972م

لـهـا أغْـلـى حَـبـيـبـاتـي ... بـدايـاتـي وغـايـاتـي
لـهـا غَـزوي وإرهـاقـي ... لـهـا أزهـى فُـتـوحـاتـي
وأسـفـاري إلـى الـمـاضـي ... وإبـحـاري إلـى الآتـي
لـعـيـنَـيْ (أمْ بـلـقـيـسٍ) ... فُـتـوحـاتـي ورايـاتـي
وأنـقـاضـي وأجـنـحـتـي ... وأقـمـاري وغَـيـمـاتـي
لـهـا تـلـويـحُ تَـوديـعـي ... لـهـا أشـواقُ أوبـاتـي
أُشـرِّقُ وهـي قُـدّامـي ... أُغـرِّبُ وهـي مـرآتـي
إلـيـهـا يـنـتـهـي رُوحـي ... ومـنـهـا تـبـتـدي ذاتـي

* * *

أُغـنّـي وهـي أنـفـاسـي ... وأسـكـتُ وهـي إنـصـاتـي
وأظـمـأ وهـي إحـراقـي ... وأحـسُـو وهـي كـاسـاتـي
أمـوتُ وحُـبُّـهـا مـوتـي ... وأحـيـا وهـي مـأسـاتـي
تُـروِّيـنـي لـظَـىً وهـوَىً ... وأشـدُو ظـامـئـاً: هـاتـي
فـتُـقـصـيـنـي كـعـادتِـهَـا ... وأتـبـعـهـا كـعـاداتـي
وأغـزلُ مِـنْ روايـحـهـا ... مـجـاديـفـي ومَـرسـاتـي
هُـنَـا وهُـنـاكَ مـولاتـي ... وأسـألُ: أيـنَ مـولاتـي؟

* * *

أنـا فـيـهـا وأحـمـلُـهـا ... عـلـى أكـتـافِ آهـاتـي

على أشواقِ أشواقي | على ذرّاتِ ذرّاتي
وأذوي وهي تَحمِلُني | فتنمو في جراحاتي
وأسألُ: أينَ ألقاها؟ | فتَغْلي في صَباباتي
وتَرنُو من أسى همسي | ومِنْ أحزانِ أوقاتي
ومِنْ صَمتي كتمثالِ | أُشَكُلُ وجهَ نحَّاتي
وتبدو مِنْ شذا غَزَلي | ومِنْ ضِحكاتِ حُلْواتي
ومِنْ نظراتِ جيراني | ومن لفتاتِ جاراتي
ومِنْ أسمارِ أجدادي | ومِنْ هذَيانِ جَدَّاتي
ومِنْ أحلامِ أطفالي | ومِنْ أطيافِ أمواتي

* * *

هُنا ميلادُ غاليتي | هنا تاريخُها العاتي
هُنا تمتدُّ عاريةً | وراءَ الغَيْهَبِ الشَّاتي
تَحِنُّ إلى الغَدِ الأهنى | فيمضي قبلَ أن ياتي

❁ ❁ ❁

امرأةٌ وشاعِر

1971م

أتُسائلينَ: مَنِ التي آثرتُ؟ أو أينَ اشتياقي؟
وتردِّدينَ: ألستَ مَنْ أبدعتَ صَحوي وائتلاقي؟
شُطآنَ عينَيَّ، اخضرارُ مواسمي، دِفئي، مذاقي
بستانُ وجهي، أمسياتُ جَدائلي، ضحواتُ ساقي؟

* * *

سَمَّيْتَني وهجَ الضُّحى قمراً يَجِلُّ على المَحاقِ
بَوحَ الزنَابِقِ والورودِ إلى النُّسيماتِ الرِّقاقِ
أَنْسيْتَني بشريَّتي ونسيتَ بالأرضِ التصاقي
وذهبتَ يا أغلى مَرابي الحُسْنِ، أو أحلى نِفاقِ
أتُعودُ لي.. تبكي غُروبي أو تُغنِّي لانبثاقي؟

* * *

لن تَعدمي غيري ولَنْ تلقَيْ كصِدْقي واختلاقي
قَدْ كُنتُ موثوقاً إلَيْـكِ مَنَ التي قَطَعتْ وِثاقي
لمَّا وَجَدْتُ القُربَ مِنْـكِ أمرَّ مِنْ سهَرِ الفِراقِ
آثرتُ حُزنَ البُعدِ عَنْـكِ على مراراتِ التَّلاقي
وبدونِ توديعٍ ذَهَبْـتُ كما أتيتُ بلا اتِّفاقِ
ونسيتُ بيتَكِ والطَّريـقَ نَسيتُ رائحةَ الزُّقاقِ
لَمْ أدرِ مِنْ أينَ انطلَقْـتُ ومَنْ لقِيتُ لدى انطلاقي

انـسَـقْـتُ لا أدري الـطَّـرِيْـ ـقَ ولا الطَّريقُ يعي انسياقي
حتى الـمـصـابـيـحُ الـتـي حـولـي تُـعـانـي كـاختـنـاقـي
كـانَ الـلُّـقَـاءُ بـلا وُجُـوْ هِ والـفِـراقُ بـلا مـآقـي
فـلْـتـتـركـيـنـي لـلـنَّـوى أظـمـا وأمـتـصُّ احـتـراقـي
وبـرغـمِ هـذا الـجـدبِ لـن أأسـى عـلـى الـخَـلِّ الـمُـراقِ

* * *

لـكـنْ، لـمـاذا تـسـأَلِـيْـ ـنَ: بـمـن أهـيـمُ ومَـنْ أُلاقـي؟
فـلْـتـسـتـريـحـي إنَّـنـي وحـدي، وأحـزانـي رِفـاقـي
كـالـسِّـنـدبـادِ بـلا بـحـا رِ كـالـغـديـرِ بـلا سـواقـي
ورجـايَ ألاَّ تَـسـألـي هـل مِـتُّ أو مـا زِلـتَ بـاقـي؟

❁ ❁ ❁

مدينةٌ بلا وجه

يناير 1971م

أتـدريـن يـا صـنـعـاءُ مـاذا الـذي يـجـري؟
تـمـوتـيـن، فـي شـعـبٍ يـمـوت ولا يـدري

تـمـوتـيـنَ، لـكِـنْ كـلَّ يـومٍ وبـعـدمـا
تـمـوتـيـنَ تـسـتـحـيـيـنَ مِـنْ مَـوتِـكِ الـمُـزْري

ويـمـتـصُّـكِ الـطَّـاعـونُ لا تـسـألـيـنَـهُ:
إلـى كَـمْ؟ فـيـسـتـحـلـي الـمـقـامَ ويـسـتـشـري

تـمـوتـيـنَ: لـكـن فـي تَـرَقُّـبِ مَـولـدِ
فـتَـنـسـيـنَ أو يـنـسـاكِ مـيـعـادُهُ الـمُـغْـري

فـهـلْ تـبـحـثـيـنَ الـيـومَ عـن وجـهـكِ الـذي
فَـقَـدْتِـيـهِ أو عـن وَجْـهـكِ الآخـر الـعَـصـري

إلـى أيـنَ؟ هـل تـدريـنَ مِـنْ أيـنَ؟ رُبَّـمـا
طَـلَـعْـتِ بـلا وجـهٍ وغِـبْـتِ بـلا ظَـهْـرِ؟

تـسـيـريـن مِـنْ قـبـرٍ لـقـبـرٍ، لـتـبـحـثـي
وراءَ سُـكـونِ الـدَّفـنِ عـن ضـجَّـةِ الـحَـشْـرِ

أتـسـتـنـشـقـيـنَ الـفـجـرَ فـي ظـلـمـةٍ بـلا
هـدوءٍ، بـلا نـجـمٍ يـدلُّ عـلـى الـفـجـرِ؟

❊ ❊ ❊

خبا كلُّ شيءٍ فيكِ لا تسألينَهُ:
لماذا؟ ألا يعنيكِ شيءٌ مِن الأمرِ

وحتى الرَّوابي فيكِ باعَتْ جِباهَها
وما عرفَتْ ماذا تبيعُ وما تَشري!

وحتى عَشايا الصَّيفِ فيكِ بلا رؤًى
وحتى أزاهيرُ الرَّبيعِ بلا عطرِ

وحتى الدَّوالي فيكِ ضاعَ مَصيفُها
وحتى السَّواقي ضيَّعتْ مَنْبَعَ النَّهرِ

وحتى أغاني الحُبِّ مات حنينُها
وحتى عيونُ الشِّعرِ فيكِ بلا شِعْرِ

أتدرينَ أنَّ الشَّمسَ فوقَكِ لا ترى
وأنَّ لياليكِ المريضاتِ لا تَسْري

سُدًى تَنشُدينَ الفجرَ في أيِّ مَطلعٍ
وفي ناظرَيْكِ الفجرُ أو ليلةُ القدرِ

❁❁❁

صبوة

23/ يناير/ 1970م

دكتورةُ الأطفال إنِّي هُنا
مِنْ يومِ ميلادي بلا مُرضعَةْ

عندي عصافيرُ الهوى تجتدي
حنانَ هذي الكَرْمةِ الطَّيِّعَةْ

وربما استكْذَبْتِني، إنَّما
من أينَ لي أن أَحرِقَ الأقنعَةْ

تَرينني كهلاً، وفي داخلي
من التَّصابي صِبْيةٌ أَربعَةْ

مجاعَةُ الخمسينَ في أَضلُعي
طفولةٌ أعتى مِنَ الزَّوبعَةْ

خَلْفَ اتِّزاني مائجٌ صاخبٌ
سفينةٌ ناريَّةُ الأشرِعَةْ

* * *

دكتورةُ الأطفالِ لا تبعُدي
عنِّي وعن مأساتيَ الموجعَةْ

لــقــد زرعـــتُ الــحُـــبَّ، لــكــنــنــي
مــا ذُقْــتُ إلا حــنــظــلَ الــمــزرعَــةْ

عُــمــري بــلا مــاضٍ، ومُــســتــقــبــلــي
كــأُمــســيــاتِ الــغــابــةِ الــمُــفــزِعَــةْ

❁❁❁

يمنيٌّ
في بلاد الآخرين

أكتوبر 1972م

مَن أينَ أنا؟ مَنْ يدري
أوَليسَتْ لي جِنسيَّةْ؟

نَسَبي راياتٌ حُمْرٌ
وفتوحاتٌ ذَهبيَّةْ

فلماذا تَسْتَغرِبُني
هذي الزُّمَرُ الخَشَبيَّةْ

يا إخواني أصلي مِنْ
صنعا، أُمِّي (دُبَعِيَّةْ)

صنعاويٌّ، حُجَريٌّ!
ما صنعا؟ ما الحُجَرِيَّةْ؟

***

مِنْ أينَ أنا؟ تشويني
بتغابيهَا السُّخْريَّةْ

عربيٌّ لا تعرِفُني
حتى الدُّنيا العربيَّةْ

وأبي؟ قالوا: يمنيٌّ
أمِّي، قالوا: يمنيَّةْ

لكن أنْسَتني لوني
وفمي أيدي الهمجيَّةْ
سنواتٌ جَوعى عَطشى
وقياداتٌ تَبعيَّةْ
وغراباتٌ لا تُروى
وغراباتٌ مَزْويَّةْ

* * *

يا ريحُ، بلادي خَلْفي
ومعي، مثلي منسيَّةْ
حتى أرضي يا أرضي
كأهاليها منفيَّةْ!!
وطني أسفارٌ تمضي
وتعودُ بلا أُمْنِيَّةْ
تشريدٌ لا بدءَ لَهُ
ومسافاتٌ وحشيَّةْ
حُرَّاسُ حدودٍ يقظى
وتقانينٌ وثنيَّةْ
مدنٌ لا أسماءَ لها
وزحاماتٌ عدميَّةْ
أسواقٌ كُبرى، أدنى
ما فيهِنَّ البشريَّةْ
وبدائيّاتٌ غَرْقى
في الأقنِعةِ العَصريَّةْ

وعــلــى رُغْــمــي أســتــجــدي
كــلَّ الايــدي الــحَــجَــرِيَّــةْ

* * *

وبــلادُ بــلادي مــنــفــى
ومــتــاهــاتٌ أبــديَّــةْ

مــن أيــنَ أنــا؟ مــجــهــولٌ
جــوَّالٌ دونَ هُــوِيَّــةْ

وبــلا وطــنٍ لــكِــنِّــي
مــوهــومٌ بــالــوطــنــيَّــةْ

◎◎◎

اعتيادان

مارس 1970م

حـانَ لـي أنْ أُطـيـقَ عـنـكِ ابـتـعـادا
والـتـهـابـي سـيـسـتـحـيـلُ رمـادا

وتـجـيـئـيـنَ تـسـألـيـنَ كـلَـهْـفـى
عـن غـيـابـي، وتـدَّعـيـنَ الـسُّـهـادا

وتـقـولـيـنَ: أيـنَ أنـتَ؟ أتـنـسـى؟
وتُـعـيـديـنَ لـي زمـانـاً مُـبـادا

أَوَمَـا كـنـتُ أغـتـلـي وأُرَجِّـي
قـطـراتٍ، فـتـبـذُلـيـنَ اتِّـقـادا

تـزرعـيـنَ الـوعـودَ فـي جـدبِ عُـمْـري
وتـدُسِّـيْـنَ فـي الـبـذورِ الـجـرادا

* * *

كـان لا بُـدَّ أنْ أقـولَ: وداعـاً
وبـرغـمـي لا أسـتـطـيـعُ ارتـدادا

غـيـرَ أنّـي أودُّ أن لا تَـظُـنّـي
أنـنـي خـنـتُ أو أسـأتُ اعـتـقـادا

ربـمـا تـزعـمـيـنَ أنَّ ابـتـعـادي
عـنـكِ أدنـى (رضـيَّـة) أو (سـعـادا)

أو تـــقــولــيـــنَ: إنَّ جــوعَ احــتـــراقـــي
عـــنـــدَ أُخـــرى لاقـــى جـــنَـــىً وابـــتـــرادا

اطْــمــئِــنِّــي، لــديَّ غــيــرُ الــتــســلِّــي
مـــا أعـــادي مِـــنْ أجـــلِـــهِ وأُعـــادى

* * *

قـــد أُنـــادي نـــداءَ (قـــيـــسٍ) ولـــكـــن
كـــلُّ (قـــيـــسٍ) وكـــلّ (لـــبـــنـــى) الـــمُـــنـــادى

لـــي نـــصـــيـــبـــي مـــن الـــتـــفـــاهـــات، لـــكـــن
لـــن تـــريْـــنـــي أريـــدُ مـــنـــهـــا ازديـــادا

* * *

لـــم أكـــنْ (شـــهـــر يـــارَ) لـــكـــنْ تـــمـــادَتْ
عِـــشـــرةٌ صـــوَّرتْـــكِ لـــي (شـــهـــرزادا)

كـــان حُـــبِّـــي لـــكِ اعـــتـــيـــاداً وأُلْـــفـــاً
وســـأنـــســـاكِ أُلـــفـــةً واعـــتـــيـــادا

❁ ❁ ❁

صنعانيٌّ يبحث عن صنعاء

3/ 5/ 1972م

هذي العماراتُ العوالي ضيّعْنَ تجوالي، مَجالي
حولي كأضرحةٍ مُزوَّرةٍ بألوان اللآلي
يلمحنني بنواظرِ الإسمنت من خلف التَّعالي
هذي العماراتُ الكبارُ الخرسُ ملأى كالخوالي
أدنو ولا يعرفْنني أبكي ولا يسألنَ: ما لي
وأقولُ: من أينَ الطريقُ؟ وهنّ أغبى من سُؤالي

***

كانت لِعمّي هاهُنا دارٌ تحيط بها الدَّوالي
فغدت عمارةَ تاجرٍ (هندي) أبوهُ (برتغالي)
وهناك حصنُ تآمرٍ كان اسمُهُ (دار الشلالي)
وهناك دارُ عمالةٍ كانَ اسمُها (بيت العبالي)
وهنا قصورُ أجانبٍ غُلْفٍ كتجّار المَوالي
هل هذه صنعا؟ مضت صنعا سوى كسَرٍ بَوالي
خمس من السنوات أجلت وجهها الحرَّ (الأزالي)[1]

***

من أين يا إسمنتُ أمشي؟ ضاعت الدُّنيا حِيالي
بيت ابْنِ أختي في (معمّرَ) في (الفليحي) بيت خالي

---

(1) أزال: الاسم التاريخي لمدينة صنعاء.

أيـن الـطـريـق إلـى (مـعـمَـرَ)؟ يـا بـنـاتـي يـا عـيـالـي
وإلـى (الـفـلـيـحـي) يـا زحـام، ولا يـعـي أو لا يـبـالـي
بـالـلـه يـا أمّـاهُ دُلّـيـنـي ورقَّـت لابـتـهـالـي
قـالـت: إلـى (الـنـهـريـن) قـدّامي وأمضـي عـن شـمـالـي
وإلـى (الـقـزالـي) ثـم أسـتـهـدي بـ(صـومـعـة) قـبـالـي
من يعرف (النهرين)؟ من أين الطريق إلى (القزالي)[1]

* * *

مـن ذا هـنـاك؟ مـسـافـر مـثـلـي يـعـانـي مـثـلَ حـالـي
حشدٌ من العجلات يلهثُ في السباق وفي التوالي
وهـنـاك (نـصـرانـيّـة) كـحـصـان (مـسـعـود الـهـلالـي)
وهـنـاك مـرتـزق بـلا وجـه، عـلـى كـتـفـيـه (آلـي)[2]

* * *

الـيـوم (صـنـعـا) وهـي مـتـخـمـةُ الـديـار بـلا أهـالـي
يـحـتـلُـهـا الـسّـمـسـار والـغـازي ونـصـفُ الـرأسـمـالـي
والـسـائـحُ الـمـشـبـوه والـداعـي وأصـنـاف الـجـوالـي
من ذا هُـنـا؟ (صـنـعـا) مضت واحـتـلَّـهـا كـلُّ انـحـلالـي

* * *

أمّـي، أتـلـقـيـن الـغـزاة بـوجـه مـضـيـاف مـثـالـي؟!
لـم لا تُـعـاديـن الـعـدا؟ مـن لا يـعـادي لا يـوالـي
مَـنْ لا يـصـارعُ، لا نـسـائـيَّ الـفـؤاد ولا رجـالـي
إنـي أغـالـي فـي مـحـبـة مـوطـنـي.. لِـمَ لا أغـالـي؟

(1) معمر والفليحي والنهرين القزالي: من أحياء صنعاء القديمة.
(2) آلي: نوع من البنادق.

مـن أيـن أرجـع أو أمـرُّ؟ هـنـا سـأبـحـث عـن مـجـالـي
سـتـجـدُ أيـامٌ بـلا مـنـفـى وتـشـمـس يـا نـضـالـي
وأحـبُّ فـجـرٍ مـا يـهـلُّ عـلـيـك مـن أدجـى الـلـيـالـي

❁ ❁ ❁

اعترافٌ بلا توبة

1947م

غابت هذه القصيدة عن الدواوين السابقة إجابة لرغبة أستاذنا الذي وجهت إليه، ولمَّا أصبح بلا رغبة لدخوله عالم الصمت، رغبت القصيدة أن تخرج من مخبئِها صورة لتحدِّي الصِّبا وصورة لأفكار بعض أساتذة الجيل الماضي:

إنْ يــدَّعِ الــعــلــمَ فــلا فِــرْيــةٌ
فــالــصِّــدقُ كــلُّ الــصِّــدقِ فــيــمــا ادَّعــى

لــكــنَّ سِــرَّ الــعــلــمِ فــي نــفــسِــهِ
كــالــعــسـلِ الــصَّــافــي خــبــيــثُ الــوِعــا

يــقــولُ: شــيــطــانٌ وشــيــطــانــةٌ
دعــتْ فــلــبَّــى أو هَــفَــتْ إذ دعــا

ولــم يَــقُــلْ: إلــفٌ ومــألــوفــةٌ
تــجــمَّــعــا.. ســبــحــانَ مَــنْ جــمَّــعــا

* * *

لأنَّــنــي اســتــحــلــيــتُ أُمــسِــيَّــةً
يَــردُّنــي عــن درسِــهِ مُــوْجَــعَــا

إنْ كــنــتُ ألــقــى نــادراً حــلــوةً
فــهــو يُــلاقــي دائــمــاً أربــعــا

أريــدُ أُنْــســاً مِــثــلَــهُ، أشــتــهــي
كــالــنَّــاسِ أنْ أروى وأنْ أشــبــعــا

* * *

يا سيدي المفضالُ، قالوا: تَرى
تعليمَ مثلي قطُّ لَنْ يَنْفَعَا

أغلقتَ باب البيتِ والدَّرسِ في
وَجْهي، سألقى الدَّرسَ والموضِعَا

يا (لطفُ) مهما لُمْتَني لم أدَعْ
هذا السلوكَ الشائنَ المُمْتِعا

ولتمنعِ التعليمَ عنِّي كما
تهوى، فخيرٌ منك لن يمنَعا

أبصرْتني من بيتِهَا خارجاً
كالكلبِ، أمشي واجفاً مُسرعا؟

نعم، جَرى هذا وإنْ تبتغِ
شهادةً أقوى سَلِ المضجعا

تقولُ: إنِّي مُنكِرٌ بعدما
ألقَتْ لديكَ التُّهمَةُ البُرْقُعَا

فلأعترف، لا ناوياً توبةً:
إنِّي ومَنْ سمَّيْتَ بتنا معا

۞۞۞

تقرير إلى عام 71 حيثُ كُنَّا

يناير 1971م

حـيـثُ كُـنَّـا كـمـا أرادَ الإمـامُ
كـلُّ دعـوى مِـنَّـا عـلـيـنـا اتِّـهـامُ

إنَّـمـا سـوف نَـدَّعـي ولْـتُـصَـدِّقْ
يـا (وِصـابـانِ) ولْـتَـثِـقْ يـا (رجـامُ)[1]

غـيـر أنَّـا وبـعـدَ تـسـعٍ طـوالٍ
حـيـثُ كُـنَّـا كـأنـمـا مـرَّ عـامُ

كـلَّـمَـا جَـدَّ، أنَّـنَـا قـد كَـشَـفْـنـا
أوجُـهـاً دلَّـنـا عـلـيـهـا الـلِّـثـامُ

وعـرفْـنـا مـن الـعـمـالاتِ صِـنـفـاً
كـانَ أطـرى مـا أحـدثَ (الـعـمُّ سـامُ)

يـرتـدي كـلَّ سـاعـةٍ ألـفَ لـونٍ
ولَـهُ كـلَّ سـاعـتـيْـن نـظـامُ

حـيـثُ كُـنَّـا، لـكـن لـمـاذا أضَـعْـنَـا
فـي الـتَّـعـادي سـبـعـاً؛ وفـيـمَ الـخِـصـامُ؟

---

(1) وصابان: منطقة جبلية مطلة على تهامة بالقرب من زبيد، ورجام منطقة بالقرب من صنعاء تزرع القات وأجود أنواع العنب.

جرَّحتنا الحروبُ في غيرِ شيءٍ
وبلا غايةٍ دَهانا السَّلامُ

* * *

الغزاةُ الذينَ يوماً تلاشَوْا
بِقوانا، لَهُمْ علينا اقتحامُ
إنَّهُمْ يُوغِلُونَ فينا ونُغْضي
فلماذا رُغْناهموا حين حاموا

* * *

الرُّكامُ الذي نفضناهُ عنَّا
ذاتَ يومٍ لَهُ علينا ازدحامُ
ونِعالُ الغُزاةِ وهي كثيرٌ
فوقَ أعناقِنَا جِباهٌ وهَامُ
والأُباةُ الذينَ بالأمسِ ثاروا
أيقظوا حوْلَنا الذِّئابَ وناموا
حينَ قُلنا قاموا بثورةِ شَعْبٍ
قعدوا قبلَ أن يَرَوْا كيفَ قاموا
رُبَّما أحسنوا البداياتِ، لكن
هل يُحِسُّون كيفَ ساءَ الخِتامُ؟
ماتَ (سبتمبرُ) البشيرُ ولكن
أُمُّهُ ناهدٌ هَواها غلامُ

❂ ❂ ❂

مواطنٌ بلا وطن

يولية 1970م

مــواطــنٌ بــلا وطــنْ لأنّــهُ مِــنَ الــيــمــنْ
تُــبــاعُ أرضُ شَــعْــبِــهِ وتُــشْــتــرى بــلا ثَــمَــنْ
يــبــكــي إذا ســألــتَــهُ مــن أيــنَ أنــتَ؟ أنــتَ مَــنْ؟
لأنّــهُ مِــنْ لا هُــنــا أو مــن مــزائــدِ الــعَــلَــنْ
مــواطــنٌ كــانَ حِــمَــا هُ مــن (قُــبَــا) إلــى (عَــدَنْ)
والــيــومَ لَــمْ تَــعُــدْ لَــهُ مــزارعٌ ولا سَــكَــنْ
ولا ظــلالُ حــائــطٍ ولا بــقــايــا مِــنْ فَــنَــنْ
بــلادُهُ سَــطْــرٌ عــلــى كــتــابِ (عِــبْــرِة الــزَّمَــنْ)[1]
روايــةٌ عــن (أســعــدٍ) أســطــورةٌ عــن (ذي يــزنْ)
حــكــايــةٌ عــن هُــدهُــدٍ كــانَ عــمــيــلاً مــؤتــمــنْ
وعــن مــلــوكٍ اسْــتَــبَــوا أو ســبــأوا مــلــيــونَ دَنْ[2]
الــمُــلْــكُ كــانَ مُــلْــكَــهُــم سِــواهُ «قَــعْــبٌ مــن لَــبَــنْ»[3]

* * *

والــيــومَ طــفــلُ (حِــمْــيَــرٍ) بِــلا أبٍ بــلا صِــبــا

(1) كتاب في التاريخ اليمني القديم لـ(عَمارة اليمني).
(2) يقال إن ملوك (سبأ) سُمُّوا بهذه التسمية لكثرة ما استبوا من النساء أو سبأوا من الخمر (أي شربوا).
(3) إشارة إلى بيت (أمية بن أبي الصلت) الذي مدح به (سيف بن ذي يزن): «هذا هو المُلْكُ لا قعبانِ من لبن».

بـــلا مـــديـــنـــةٍ، بـــلا مـــخـــابـــئٍ، بـــلا رُبـــا
يَـــغـــزوهُ ألـــفُ هُـــدهُـــدٍ وتـــنـــثـــنـــي بـــلا نـــبـــا
يـــكـــفـــيـــهِ أنَّ أُمَّـــهُ (رَيّـــا)[1] وجـــدُّهُ (سَـــبَـــا)
وأنَّ عـــمَّ خـــالـــهِ كـــانَ يـــزيـــنُ (يَـــحْـــصُـــبَـــا)
وأنَّ خـــالَ عـــمِّـــهِ كـــانَ يـــقـــودُ (أرْحَـــبـــا)
كـــانـــوا يُـــضـــيـــئـــونَ الـــدُّجـــى ويَـــعـــبـــدونَ (الـــكَـــوكَـــبـــا)[2]
يـــدرونَ مـــا شـــادوا ولا يـــدرونَ مـــاذا خـــرَّبَـــا؟
يـــبـــنـــونَ لـــلـــفـــارِ الـــعُـــلا ويـــزرعـــونَ لـــلـــدُّبـــى
يـــا نـــاسـجَ (الإكـــلـــيـــلِ)[3] قُـــلْ: تـــلـــكَ الـــجِـــبـــاهُ مـــن غَـــبـــا
أَوْ سَـــمِّـــهـــا كـــواكـــبـــاً تـــمـــنَّـــعـــتْ أن تـــغـــرُبـــا
فـــهـــل لـــهـــا ذرِّيَّـــةٌ مـــنَ الـــشـــمـــوخِ والإبـــا؟

* * *

الـــيـــومَ أرضُ (مـــأربٍ) كـــأُمِّـــهـــا مـــوجَّـــهَـــةْ
يـــقـــودُهَـــا كـــأُمِّـــهـــا فـــارٌ.. وســـوطُ (أبـــرهَـــةْ)[4]
فـــمـــا أمـــرَّ أمـــســـهـــا ويـــومُـــهَـــا مـــا أشـــبَـــهَـــهْ
تـــبـــيـــعُ لـــونَ وَجْـــهِـــهَـــا لـــلأوجُـــهِ الـــمُـــمَـــوَّهـــةْ
(تـــمُّـــوزُ) فـــي عـــيـــونِـــهَـــا كـــالـــعـــانِـــسِ الـــمُـــوَلَّـــهَـــةْ
والـــشَّـــمـــسُ فـــي جَـــبـــيـــنِـــهـــا كـــالـــلَّـــوحـــةِ الـــمُـــشَـــوَّهَـــةْ

---

(1) ريَّا بنت الحارث: فارسة حميرية شهيرة.

(2) إشارة إلى (معبد القمر) في (مأرب).

(3) الإكليل: كتاب عن ملوك اليمن القدامى لـ(أبي محمد الهمذاني) من مؤرخي القرن العاشر.

(4) أبرهة: القائد الحبشي الذي غزا اليمن.

فيا (سهيلُ)[1] هل ترى أَسئِلةً مُدلَّهَةْ؟
متى يفيقُ هاهُنا شعبٌ يَعي تَنبُّهَهْ؟
وقبلَ أن يرنو إلى شيءٍ يَرى ما أتفهَهْ
فينتقي تحتَ الضُّحى وجوهَهُ المُنزَّهَةْ
يَمضي وينسى خلفَهُ عاداتِهِ المُسفَّهَهْ
يَفنى بكلِّ ذرَّةٍ من أرضِهِ المؤلَّهَهْ

* * *

هُنا يُحِسُّ أنَّهُ مواطنٌ لَهُ وطنْ

❁ ❁ ❁

(1) نجم يماني عند الفلكيين القدامى.

أبو تمّام
وعروبة اليوم

ديسمبر 1971م

مـا أصـدقَ الـسَّـيـفَ إن لـم يُـنـضـهِ الـكَـذِبُ
وأكـذبَ الـسَّـيـفَ إنْ لـم يـصـدُقِ الـغَـضَـبُ

بـيـضُ الـصـفـائـحِ أهـدى حـيـنَ تـحـمِـلُـهـا
أيـدٍ إذا غَـلَـبَـتْ يـعـلُـو بـهـا الـغَـلَـبُ

وأقـبـحُ الـنَّـصـرِ نـصـرُ الأقـويـاءِ بـلا
فَـهْـمٍ، سِـوى فـهـمِ كـم بـاعـوا وكـم كَـسِـبـوا

أدهـى مـن الـجـهـلِ عِـلـمٌ يـطـمـئِـنُّ إلـى
أنـصـافِ نـاسٍ طَـغَـوْا بـالـعـلـمِ واغـتـصـبـوا

قـالـوا: هـمُ الـبـشـرُ الأرقـى، ومـا أكـلـوا
شـيـئـاً كـمـا أكـلـوا الإنـسـانَ أو شَـرِبـوا

* * *

مـاذا جـرى يـا أبـا تـمَّـام؟ تـسـألُـنـي!
عـفـواً سـأروي ولا تـسـألْ: ومـا الـسَّـبـبُ؟

يَـدمـى الـسـؤالُ حـيـاءً حـيـنَ نـسـألُـهُ:
كـيـف احـتـفـت بـالـعِـدا (حـيـفـا) أو(الـنَّـقـبُ)

مَـنْ ذا يُـلَـبِّـي؟ أمَـا إصـرارُ مُـعـتـصـم
كـلَّا وأخـزى مـن (الأفـشـيـنِ)[1] مـا صَـلـبـوا

الـيـومَ عـادتْ عُـلـوجُ (الـرُّومِ) فـاتـحـةً
ومَـوطِـنُ الـعَـرَبِ الـمـسـلـوبُ والـسَّـلَـبُ

مـاذا فـعـلـنـا؟ غَـضِـبـنـا كـالـرِّجـالِ ولـم
نَـصـدُق، وقـد صَـدَقَ الـتَّـنـجـيـمُ والـكُـتُـبُ

فـأطـفـأتْ شُـهُـبُ (الـمـيـراجِ) أنـجُـمَـنـا
وشـمـسَـنـا، وتـحـدَّت نـارَهـا الـخُـطَـبُ

وقـاتـلـت دونـنـا الأبـواقُ صـامـدةً
أمَّـا الـرِّجـالُ فـمـاتـوا ثَـمَّ أو هـربـوا

حُـكَّـامُـنـا إنْ تَـصَـدَّوا لـلـحِـمَـى اقـتـحـموا
وإن تَـصَـدَّى لَـهُ الـمـسـتـعـمـرُ انـسـحـبـوا

هـمْ يـفـرشـونَ لـجـيـشِ الـغـزوِ أعـيُـنَـهُـمْ
وَيـدَّعـونَ وُثُـوبـاً قـبـلَ أنْ يَـثِـبـوا

الـحـاكـمـون و(واشـنـطـن) حـكـومـتُـهُـمْ
والـلاَّمـعـونَ ومـا شَـعُّـوا ولا غـربـوا

الـقـاتِـلـون نـبـوغَ الـشَّـعـبِ تَـرضـيـةً
لـلـمُـعـتـديـنَ ومـا أجْـدَتْـهُـمُ الـقُـرَبُ

---

(1) حيدر الأفشين: قائد جيش المعتصم، فخانه فصلب وأُحرق، وقال أبو تمام في حرقه رائيته الشهيرة: «الحقُّ أبلج والسيوفُ عواري». . . إلخ.

لهم شُموخُ (المُثنَّى) ظاهراً ولَهُمْ
هوَىً إلى (بابِكَ الخَرْميّ)[1] ينتسبُ

* * *

إذاً ترى يا (أبا تمّام) هل كَذَبَتْ
أحسابُنا، أو تَناسى عِرْقَهُ الذَّهبُ؟

عروبةُ اليومِ أُخرى لا يَنِمُّ على
وجودِها اسْمٌ ولا لونٌ ولا لقبُ

تِسعونَ ألفاً لـ(عمُّوريَّةَ) اتَّقدوا
ولِلمُنَجِّمِ قالوا: إنَّنا الشُّهُبُ

قيلَ: انتظارُ قِطافِ الكَرْمِ، ما انتظروا
نُضجَ العناقيدِ، لكن قبلَها التهبوا

واليومَ تِسعونَ مليوناً وما بَلغوا
نُضجاً، وقد عُصِرَ الزيتونُ والعنبُ

تنسى الرؤوسُ العوالي نارَ نخوتِهَا
إذا امتطاها إلى أسيادِهِ الذَّنَبُ

(حبيبُ) وافيتُ من صنعاءَ يحملُني
نسرٌ وخلفَ ضلوعي يلهثُ العربُ

ماذا أُحدِّثُ عن صنعاءَ يا أَبَتي؟
مليحةٌ عاشقاها السِّلُّ والجَرَبُ

(1) المثنى بن حارثة الشيباني: الفارس الشهير، وبابك الخرميُّ: قرمطيٌّ وهو أحد القادة الذين قاوموا الدولة العباسية.

مــاتــت بــصــنــدوقِ (وضّــاحِ)[1] بــلا ثــمــنِ
ولـم يَـمُـتْ فـي حَـشـاهـا الـعِـشْـقُ والـطَّـربُ

كـانـت تُـراقـبُ صُـبـحَ الـبَـعـثِ، فـانـبـعـثـتْ
فـي الـحُـلْـمِ ثـمَّ ارتـمـتْ تـغـفـو وتـرتـقـبُ

لـكـنَّـهـا رُغْـمَ بُـخْـلِ الـغَـيـثِ مـا بَـرِحَـتْ
حُـبـلـى وفـي بـطـنِـهـا (قَـحـطـان) أو (كَـرِبُ)

وفـي أسـى مُـقـلـتـيـهـا يـغـتـلـي (يـمَـنٌ)
ثـانٍ كـحُـلْـمِ الـصِّـبـا، يـنـأى ويـقـتـربُ

* * *

(حـبـيـبُ) تـسـألُ عـن حـالـي وكـيـف أنـا؟
شـبَّـابـةٌ فـي شـفـاهِ الـرِّيـحِ تـنـتـحـبُ

كـانـت بـلادُكَ (رَخـلاً)، ظَـهْـرَ (نـاجـيـةٍ)
أمَّـــا بـــلادي فـــلا ظَـــهْـــرٌ ولا غَـــبَـــبُ

أرْعَـــيـــتَ كُـــلَّ جـــديـــب لـــحْـــمَ راحـــلـــةٍ
كـــانـــت رعـــشْـــهُ ومـــاءُ الـــرَّوضِ يـــنـــسـكـــبُ

ورُحـــتَ مـــن سَـــفَـــرٍ مُـــضْـــنٍ إلـــى سـفـــرِ
أضـــنـــى، لأنَّ طـــريـــقَ الـــرَّاحـــةِ الـــتَّـــعـــبُ

(1) وضّاح: عبد الرحمن بن إسماعيل، شاعر يماني غلب عليه لقب (وضّاح) لإشراق وجهه ووضوحه. أحبَّتْهُ (أمُّ البنين) زوج الخليفة (الوليد بن عبد الملك) وعندما اكتشف أمره ساعة وصل خبّأته في صندوق، وعندما عرف الخليفة أخذ الصندوق ورماه في بئر كانت تحت بساطه.

لـكِـنْ أنـا راحـلٌ فـي غـيـرِ مـا سـفـرِ
رَحْلي دمي وطريقي الجمرُ والحطبُ

إذا امـتـطـيـتَ ركـابـاً لـلـنَّـوى فـأنـا
فـي داخـلـي أمـتـطـي نـاري وأغـتـربُ

قـبـري ومـأسـاةُ مـيـلادي عـلـى كـتـفـي
وحـولـيَ الـعـدَمُ الـمـنـفـوخُ والـصَّـخَـبُ

* * *

(حـبـيـبُ) هـذا صـداكَ الـيـومَ أُنـشِـدُهُ
لـكـن لـمـاذا تَـرى وَجْـهـي وتـكـتـئـبُ؟

مـاذا؟ أتـعـجـبُ مـن شَـيـبـي عـلـى صِـغَـري؟
إنِّـي ولِـدتُ عـجـوزاً، كـيـف تـعـتـجـبُ؟

والـيـومَ أذوي وطـيـشُ الـفَـنِّ يَـعـزفُـنـي
والأربـعـونَ عـلـى خـدَّيَّ تـلـتـهـبُ

كـذا إذا ابْـيَـضَّ إيـنـاعُ الـحـيـاةِ عـلـى
وجـهِ الأديـبِ أضـاءَ الـفـكـرُ والأدبُ

وأنـتَ مـن شِـبـتَ قـبـلَ الأربـعـيـن عـلـى
نـارِ (الـحـمـاسـةِ) تـجـلـوهـا وتـنـتـخـبُ

وتـجـتـدي كـلَّ لـصٍّ مُـتـرفٍ هِـبـةً
وأنـتَ تُـعـطـيـهِ شِـعـراً فـوق مـا يـهَـبُ

شـرَّقْـتَ غـرَّبـتَ مـن (والٍ) إلـى (مـلـكٍ)
يَـحُـثُّـكَ الـفـقـرُ أو يـقـتـادك الـطَّـلـبُ

طوّفتَ حتى وصلتَ (الموصلَ) انطفأتْ
فيكَ الأماني ولم يشبعْ لها أربُ

لكنَّ موتَ المجيدِ الفَذِّ يبدأهُ
ولادةً من صِباها ترضعُ الحِقَبُ

* * *

(حبيبُ) ما زال في عينيكَ أسئِلةٌ
تبدو وتَنسى حكاياها فتنتقبُ

وما تزالُ بحلقي ألفُ مُبكية
من رهبةِ البَوحِ تستحيي وتضطربُ

يكفيكَ أنّ عِدانا أهدروا دَمنا
ونحنُ من دِمنا نحسو ونحتلبُ

سحائبُ الغزوِ تَشوينا وتحجبُنا
يوماً ستحبَلُ من إرعادناالسُّحُبُ

ألا تَرى يا (أبا تمَّامَ) بارِقَنا
(إنَّ السَّماء تُرَجَّى حينَ تحتجِبُ)

۞ ۞ ۞

نصيحة سيِّئة

إنْ تريدي سيارةً وإدارةْ
فلتكوني قوَّادةً عن جَدارَةْ

ولتُعدِّي لكُلِّ سلطانِ مالِ
كلَّ يومٍ زواجةً مُستعارَةْ

ولتكوني عميلةً ذاتَ مكرٍ
تشربينَ القلوبَ حتى القَرارَةْ

ولتبيتي سريرَ كلِّ وزيرِ
ولْتُمَنِّي مَنْ في انتظارِ الوزارَةْ

وبهذا النَّشاط تُمسينَ أعلى
من وزيرِ ورُبَّما مُستشارةْ

فسراويلُ الحاكمينَ تُعاني
رُغمَ تبريدِها وُثوبَ الحرارَةْ

* * *

أنتِ أدرى بهمْ فليس لديهم
غيرُ ما تعرفين أدنى مهارَةْ

إنَّما هل ترينَ هذا امتيازاً؟
مثلُ هذا يُجريهِ فارٌ وفارَةْ

لــيــسَ لــلــحــاكــمــيــنَ أيُّ طــمــوحٍ
غــيــرَ تــحــقــيــقِ أمــســيــاتِ الــعَــهــارَةْ

والــتــمــاسِ الــمُــســاعــداتِ لــتــفــنــى
جــبــهــةُ الــشَّــعــبِ تــحــتَ نــعــلِ الــتِّــجــارَةْ

واجــتــلابِ الــمُــخــطِّــطــيــن صــنــوفــاً
كــي تــضــيــعَ الــبــلادُ فــي كُــلِّ قــارَةْ

❊ ❊ ❊

أنــتِ أدرى بــهــم ولــيــسَ غــريــبــاً
فــالــبــغــايــا عــيــونُ حــكْــمِ الــدّعــارَةْ

أنــتِ تَــشــريــنَــهُــم بــدفءِ الــلَّــيــالــي
فــيــبــيــعــونَ فــي هــواكِ الإمــارَةْ

وتــقــوديــنَ الــمُــنــتــنــاتِ إلــيــهــم
فــتــقــوديــنَــهــم بــأخــفــى إشــارَةْ

لا تــضــيــقــي فــلــم يَــعُــدْ ذاكَ سِــرّاً
إنَّ أقــوى الــرِّيــاحِ ريــحُ الــقــذارَةْ

فــلْــتَــزيــدي مــن الــنَّــشــاطِ لــتــبــنــي
كــالــسَّــلاطــيــنِ كــلَّ شــهــرٍ عــمــارَةْ

تــلــكَ أخــزى نــصــيــحــةٍ فــاقــبــلــيــهــا
كــي تــفــوزي ولا تــكــونــي حِــمــارَةْ

لــســتِ إلاّ عــبــارةً ذاتَ وجــهٍ
لــوجــوهٍ دلَّــتْ عــلــيــهــا الــعــبــارَةْ

❂ ❂ ❂

لافتة على طريق
العيد العاشر لثورة (سبتمبر)

صنعاء 26 سبتمبر 1972م

أيُّــهــا الآتــي بــلا وجــهٍ إلــيــنــا
لــم تَــعُــدْ مِــنَّــا ولا ضــيــفــاً لــدَيْــنــا

غــيــر أنَّــا، يــا لِــتــزيــيــفِ الــهــوى
نــلــتــقــي الــيــومَ بــرغــمَــيْ رغــبــتَــيْــنــا

ســتــرانــا غــيــرَ مَــنْ كُــنَّــا كــمــا
ســوفَ تــبــدو غــيــرَ مَــنْ كُــنَّــا رأيْــنــا

أســفــاً ضــيَّــعْــتــنــا أو ضِــعــتَ مِــنْ
قــبــضــتــيْــنــا يــومَ ضَــيَّــعْــنــا يــديْــنــا

* * *

قــبــلَ عــشــرٍ كُــنــتَ مِــنَّــا ولــنــا
يــا تُــرى كــيــفَ تَــلاقــيْــنــا؟ وأيْــنــا؟

أنــتَ لا تــدري ولا نَــدري مَــتــى
فــرَّقــتــنــا الــرِّيــحُ؟ أو أيــنَ الــتــقــيْــنــا؟

وإلــى أيــنَ مــضــى الــســيــرُ بــنــا
دونَ أن نــدري؟ ومِــنْ أيــنَ انــثــنــيْــنــا؟

يــومَ جِــئــنــا الــمُــلــتــقــى لــم نــدرِ مِــنْ
أيــنَ جِــئــنــا؟ وإلــى أيــنَ أتــيْــنــا؟

رُبَّما جِئنا إليهِ مثلما
يطفرُ الإعصارُ أو سِرْنا الهُوينى

رُبَّما جِئنا بلا وجهينِ أو
ضاعَ وَجْهانا ومَرأى وُجْهَتينا

***

عبثاً نسألُ أطلالَ المُنى
بعدَ بؤسِ المُنتهى: كيفَ ابتدينا؟

كيفَ ذُقنا وجعَ المِيلادِ؟ كم
ضَحِكَ المَهدُ لنا أو كَمْ بكينا؟

كيفَ ناغيْنا الصِّبا؟ ماذا انتوى
مهدُنا المشؤومُ؟ أو ماذا انتوينا؟

لا نَعي كيفَ ابتدينا؟ أو متى؟
كلُّ ما نذكرُهُ أنَّا انتهينا

أنتَ مهما ترتدي أسماءَنا
مِنْ أعادينا ومحسوبٌ علينا

غير أنَّا كُلَّ عام نلتقي
عادَةً والزّيفُ يُخْزي موقفَينا

❁❁❁

الفاتحُ الأعزل

ديسمبر 1972م

ساهٍ، في مقعدِهِ المُهمَلْ
كسؤالٍ ينسى أنْ يسألْ

كحريقٍ يبحثُ عن نارٍ
فيهِ عن وقدتهِ يذهلْ

كجنينٍ في نهدَيْ أُمٍّ
لهفى تتمنّى أن تحبلْ

يطفو ويفرُّ كعصفورٍ
توّاقٍ في قفصٍ مُقفلْ

يستسقي كالحُلُمِ الظَّامي
ويحدِّق كالطَّيفِ الأحولْ

فيشمُّ خُطى الفَجْرِ الآتي
في مُنتصفِ اللَّيلِ الألْيَلْ

ويصوغُ الصَّمتَ ضُحىً غَزِلاً
وأصيلاً ورديّاً أكحلْ

ويُضيعُ جمالاً مَبذولاً
في الكشفِ عن العدمِ الأجملْ

يشدو للزَّاويةِ الكَسْلى
ويُصيخُ إلى الرُّكْنِ الأكسَلْ

ويُفتِّشُ عن فَمِهِ الثَّاني
ويحِنُّ إلى فمِهِ الأوَّلْ

والأربعةُ الجدرانُ إلى
عينيْهِ تُصغي، تتأمَّلْ

ترنُو كفتاةٍ تستجدي
غَزَلاً، وإذا ابتَسَمَتْ تخجلْ

* * *

يغلي ويمورُ كما يعدُو
في كفِّ العاصفةِ المِشْعَلْ

مَزمِيٌّ كالقبرِ المَنْسي
وإلى كُلِّ الدُّنيا يرحلْ

يغزو الأقمارَ ولا يَغيا
ويخوضُ البحرَ ولا يَبْتَلّ

في كُلِّ روايةِ فنَّانٍ
مِنْ قِصَّتِهِ الفَصلُ الأطْوَلْ

في كُلِّ تَثَنِّي أُغنيةٍ
أنثى لهواهُ تتجمَّلْ

في كُلِّ كتابٍ عن بطلٍ
أخبارٌ عنهُ لم تُنقَلْ

حيّاً في التاريخِ الفاني
في الكُثبانِ العَطْشى يخضلّ
يقتادُ الخيلَ (عنترةٍ)
يجترُّ الزِّقَّ مع (الأخطَلْ)
ويُناضلُ (قيصرَ) في (روما)
كـ(سِبِرْتاكوس) ولا يَفْشَلْ
يطوي (الإسكندرَ) في يدِهِ
ويجولُ على كتفَيْ (أخْيَلْ)
ويردُّ اليومَ إلى الماضي
ويعيدُ الماضيَ مُستقبلْ
ويلُمُّ الأزمنةَ الشَّتَّى
لحظاتِ تعرفُ ما تجهلْ
تتشهَّى، تنوي، تتحدَّى
تستأني، تَعدو، تتخيَّلْ
فيُعفِّرُ (أبرهةً)، يُذكي
عينَيْ (سينا) بدمِ المُحتَلّ
يهمي فوقَ (الجولانِ) لظَىً
يرمي بـ(الشُّمْرِ) عن المنهلْ
يمحو (سايجونَ) بأصبعِهِ
ويُمزِّقُ (خيبرَ) بالمِنجلْ

يــرمــي عـــن صَــهْــوتِــهِ (كِـــسْــرى)
ويـــقـــاتـــلُ فـــي (حـــيــفـــا) أعـــزلْ
يُـــدمـــيـــهِ الـــقـــصـــفُ ولا يُـــدْمـــى
يُـــرديـــهِ الـــقـــتـــلُ ولا يُـــقـــتَـــلْ
يَـــهْـــفُـــو مـــن حـــلْـــقِ الـــمـــوتِ إلـــى
أعـــتـــابِ الـــمـــيـــلادِ الأحـــفَـــلْ
يَـــجْـــتَـــثُّ الـــكـــونَ لـــيـــبـــدأهُ
أشْـــخـــى ويـــشـــكِّـــلَـــهُ أفـــضـــلْ
ويـــصـــوغُ الـــعـــالـــمَ ثـــانـــيـــةً
أو يـــأمُـــرُهُ أن يـــتـــحـــوَّلْ
مَـــرْمِـــيٌّ يـــرحـــلُ مـــن بُـــعْـــدٍ
كـــالـــهـــولِ إلـــى الـــبُـــعْـــدِ الأهْـــوَلْ
فـــي كُـــلِّ مـــتـــاهٍ يَـــســـتـــهـــدي
فـــي كُـــلِّ حـــريـــقٍ يـــتـــغـــسَّـــلْ
يـــغـــزو الـــمـــجـــهـــولَ بـــلا وعـــيٍ
ويَـــعـــي لا يـــدري مـــا يـــفـــعـــلْ
فـــيـــعـــودُ يُـــشـــكِّـــلُ مـــا ألـــغـــى
أو يـــمـــضـــي يـــمـــحـــو مـــا شَـــكَّـــلْ

⊛⊛⊛

كانوا رجالاً

مَـنْ نـحـنُ يـا (صـرواحُ) يـا (مَـيْـتَـمُ)[1]؟
مـوتـى ولـكـنْ نـدَّعـي، نَـزْعُـمُ

نـنـجـرُّ لا نـمـضـي ولا نـنـثـنـي
لا نـحـنُ أيـقـاظٌ ولا نُـوَّمُ

نـغـفـو بـلا نـومٍ ونَـضـحـو بـلا
صَـحـوٍ، فـلا نَـرنـو ولا نـحـلـمُ

* * *

كـم تـضـحـكُ الـدُّنـيـا وتـبـكـي أسـىً
ونـحـنُ لا نـبـكـي ولا نـبـسـمُ

فـلـمْ يـعُـدْ يُـضـحـكُـنـا مُـضـحِـكٌ
ولَـمْ تَـعُـدْ آلامُـنـا تُـؤلِـمُ

أضـاعـتِ الأفـراحُ ألـوانَـهـا
وفـي عـروقِ الـحُـزنِ جـفَّ الـدَّمُ

مـاذا؟ أَلِـفْـنـا طـعـمَ أوجـاعِـنـا
أوْ لَـمْ نَـعُـدْ نـشـتَـمُّ أو نَـطـعَـمُ!

---

(1) صرواح: قصرٌ في اليمن يقال إن الجنَّ بنته لـ(بلقيس)، وميتم: وادٍ من (سمارة).

أزِقَّةُ البترولِ تمتصُّنا
تبصُقُنا للرِّيحِ أو تهضمُ

والسيِّدُ المَحكومُ في دارِهِ
في دارنا المُستحكِمُ الأعظمُ!

* * *

بلادُنَا كانت، وأبطالُنا
كانوا رجالاً قبل أن يَحكُموا

يقالُ: كانوا فُهَماء الحِمَى
واليومَ لا ينوونَ أنْ يَفهموا

ثاروا صباحَ القصفِ لكِنَّهم
يومَ انتصارِ الثَّورةِ استسلموا

وبعدَ عامٍ غيَّروا لونَهُمْ
وبعدَ أيَّامٍ نسوا مَنْ هُمُو

يا موطني مَنْ ذا تُنادي هُنا؟
اسْكُتْ.. لماذا؟ أنتَ لا تَعلَمُ

إنَّ الطويلَ العُمْرِ لا يرتضي
حُبّاً يُنادي.. أو صدَىً يُلهِمُ

ترونَ أنْ أنسى يمانيَّتي
كي يطمَئِنَّ الفاتحُ الأغشمُ

الصَّمتُ أنجى.. حسنٌ! إنَّما
في نارِ صَمتي (يمنٌ) مُرغمُ

هــــذي بـــــلادي وهـــنــــا إخـــوتـــــي
اسـكُــتْ، تــأدَّبْ. . طــافـرٌ مُـجـرمُ

لـكـنْ، لـمــاذا؟ إنَّ أهــلــي بَـنَـوْا
هُــنـــا ديــاراً وهُــنـــا خـيَّــمــوا

فــي كُــلِّ شـبـرٍ تـنـجـلـي ضـحـوةٌ
مِــن خَـطْـوِهِـمْ أو يــزدهــي مَـوسـمُ

هــذي الـحَـصـى مـن بـعـضِ أشـلائِـهِـمْ
مـن لـحـمِـهِـمْ هـذي الـرُّبـا الـجُـثَّـمُ

هــذا الـضُّـحـى مـن وهـجِ أبـصـارِهِـمْ
ومِـــنْ رواهـــمْ هـــذهِ الأنـــجُـــمُ

مــا زلـــتُ أدري أنَّ ذا مَــوطـــنـــي
لِـــمْ لا أُنــاديـــهِ وعـــنـــدي فَـــمُ؟

* * *

بعد الحنين

أغسطس 1969م

هـل تـغـفـريـنَ لـوَ آنَّـنـي أبْـدي الـذي حـاولـتُ أُخـفـي؟
سـأقـولُ شـيـئـاً تـافِـهـاً يَكفي الذي قد كانَ. . يكفي
ما عـادَ يـسـبـقُـنـي الـحَـنِـيْـنُ إلـيـكِ أوْ يـنـجَـرُ خَـلْـفي
مـا كـانَ جـبَّـاراً هَـوا كِ وإنَّـمـا قَـوَّاهُ ضَـعْـفـي
والـيـومَ لا أبـكـي نَـوا كِ ولا اقـترابـي مـنـكِ يـشـفـي

۞۞۞

ساعة نقاش
مع طالبة العنوان

12 أبريل 1972م

ما جاء بين قوسين على لسان البطلة

ـ أهــلاً . . أتُــريــديــنَ الــعــنــوانْ؟
مــهــلاً أرجــوكِ، لــمــاذا الآنْ؟

لا أدري الــسَّــاعــةَ أيــنَ أنــا
أوْ مــا اسْــمــي أو مِــنْ أيِّ مــكَــانْ!

فــي صَــدري تــبــكــي أطــيــارٌ
عــطــشــى، فــي جُــمــجــمــتِــي شــيــطــانْ

❊ ❊ ❊

(شــيــطــانٌ أنــثــى أو ذَكــرٌ؟
شــيــطــانُ الأعــشــى أو حــسَّــانْ؟)

ـ خــفْــقٌ نــاريٌّ يــعــزفُــنــي
وصــدَىً كــأزاهــيــرِ الــرُّمَّــانْ

❊ ❊ ❊

(هٰــذي أغــراضُ الــشِّــعــرِ كــمــا
جــرَّبــتَ ولاداتُ الــوِجــدانْ

تَــغــلــي كــربــيــعٍ مــخــبــوءٍ
يــشْــتــاقُ إلــى لُــقْــيــا الــبُــســتــانْ

الـــطَّـــقْـــسُ رديءٌ ثـــلـــجـــيٌّ
أحــيـــانـــاً، جـــمـــرِيٌّ أحـــيـــانْ

(أخـــبـــارُ الـــيـــومِ نـــفـــوا، هـــجـــمـــوا
كَـــسَـــروا إحـــدى كَـــتِـــفَـــيْ لُـــبـــنـــانْ

ألـــديْـــكَ جـــديـــدٌ تُـــنـــشِـــدُنـــا؟)
ـ مـــا زال جـــنـــيـــنـــاً، بَـــلْ غَـــثَـــيـــانْ

(غـــداً الـــمـــولـــودُ ســـنـــرقُـــبُـــهُ)
ـ تـــدريـــنَ مـــواعـــيـــدَ الـــفَـــنَّـــانْ

(مـــا مـــطـــلـــعُـــهـــا؟.. أقِـــفـــا نـــأســـى
مـــن ذِكْـــرى ســـيـــنـــا والـــجـــولانْ

كـــلُّ الـــوطَـــنِ الـــغـــالـــي ســـيـــنـــا
وجـــمـــيـــعُ مـــدائِـــنـــنـــا عـــمَّـــانْ

مـــوشـــي مـــا عـــادَ هُـــنـــاكَ، هُـــنـــا
وهـــنـــا ألـــفـــا مـــوشـــى ديَّـــانْ

مـــن ذا يـــقـــتـــادُ سَـــفـــائِـــنـــنـــا
يـــا ريـــحُ؟ الـــمـــوجُ بـــلا شُـــطـــآنْ!

أتـــعـــيـــدُ الـــرِّيـــحُ دَمَ الـــقـــتـــلـــى
وتَـــشِـــبُّ شـــرايـــيـــنُ الـــمـــيـــدانْ؟)

* * *

أتَـــريـــنَ مـــقـــابِـــرَنـــا يـــومـــاً
تـــهـــتـــاجُ، فـــتـــقـــذفُـــنَـــا شُـــجـــعـــانْ؟

نـــهـــمـــي أمـــطـــاراً أو نَـــهـــوي
أشـــلاءً أو نـــمـــضـــي فُـــرْســـانْ!

(معقولٌ، ما دُمنا نُشْوى
أنْ يُنضِجَنا الألمُ الحَرّانْ
أسخى الثوراتِ جنىً وُلِدَتْ
في المَنفى أو خلفَ القُضبانْ
أنسيتَ القَهوةَ) فلتَبْرُدْ
(بَرَدَتْ جداً، سئمَ الفنجانْ)

* * *

(قل لي أقرأت مقالاتي)
ـ في أنقى ساعاتِ الإمعانْ
وقصائدُكَ الحُلْواتُ ضُحَىً
وغروبٌ صيفيُّ الأجفانْ
ديوانٌ يبدو لا أحلى
مِنهُ إلاَّ أُمُّ الدّيوانْ
(شُكراً يا...) وارتبَكَتْ ورَنَا
مِنْ عينيْها خُبْثٌ فَتَّانْ
وتراءَتْ كامرأةٍ أُخْرى
تلهُو في داخِلِها امرأتانْ
فتناسَتْ لهجتَها الأولى
وتَنَاغتْ كالطِّفلِ الجَذلانْ
وتناعَسَتِ النَّبراتُ على
شفتيْها كالفجرِ النَّعسانْ

* * *

(مــا بــدءُ قــصــيــدتِــكَ الــكُــبْــرى؟)
وأضــاءَتْ ضِــحْــكَــتُــهــا الــفُــســتــانْ

ـ مــا زلــتُ أُفــتِّــشُ عــن صــوتــي
وفــمــي فــي مُــعــتــركِ الألــحــانْ

وأُســائِــلُ عــن وجــهــي، عَــنِّــي
عــن يــومــي فــي تــيــهِ الأزمــانْ

عــن حــرفٍ حُــرٌّ الــوَجــه لَــهُ
نــفَــسٌ غَــضْــبــى وفــمٌ غــضــبــانْ

(الــشِّــعْــرُ الــيــومَ كــمــا تَــدري
ألــوانٌ، لــيــسَ لَــهــا ألــوانْ

كُــلُّ الأنــفــاسِ بــلا عَــبَــقٍ
كــلُّ الأوتــارِ بــلا عِــيــدانْ

«زمــنُ الــصَّــاروخِ قــصــائــدُهُ
عَــجْــلــى كــالــصَّــاروخِ الــعَــجــلانْ

ولِــمَــنْ تَــشْــدو والــقــصــفُ هُــنــا
وهُــنــا والــعــصــرُ بــلا آذانْ)

أيْــديــهِ فــولاذٌ، فــمُــهُ
طــاحــونٌ، أرجُــلُــهُ نــيــرانْ

يــرنُــو مــن خــلــفِ الــتَّــيــهِ كــمــا
تَــرنُــو الــحــيــطــانُ إلــى الــحــيــطــانْ

أقـــراصُ الـــنَّـــوم تـــبـــيـــع لَـــهُ
أهـــدابـــاً وهُـــدوءاً يـــقـــظـــانْ)

* * *

مـــا أضـــيَـــعَـــنـــا يـــا شـــاعـــرتـــي
فـــي عـــصـــرِ الـــوزنِ بـــلا مِـــيـــزانْ
فـــي ظـــلِّ الـــغـــزوِ بـــلا غَـــزوِ
فـــي عـــهـــدِ الـــبـــيـــعِ بـــلا أثـــمـــانْ
أمـــوازنـــةُ الـــقُـــوَّاتِ سِـــوى
تـــجـــمـــيـــلِ مـــنـــاقـــيـــرِ الـــعِـــدوانْ؟

* * *

(فـــلْـــتـــســـلَـــمْ فـــلـــســـفـــةُ الأيـــدي
ولـــتـــســـقـــطْ فـــلـــســـفـــةُ الأذهـــانْ
كـــلُّ الأوراقِ بـــمـــا حَـــمَـــلَـــتْ
تـــشـــتـــاقُ إلـــى ألـــفَـــيْ طـــوفـــانْ)

* * *

ـ مـــا أتـــعـــبـــنـــا يـــا أخـــتُ، ومـــا
أقـــوى وأمـــرَّ عِـــدا الإنـــســـانْ
(أدري أنّـــا لـــم نـــتـــغـــيَّـــرْ
مـــهـــمـــا عَـــصـــرَوْا[1] لـــون الـــطُّـــغـــيـــانْ
أتـــرى الـــقُـــرصـــانَ وإن لَـــبِـــســـوا
أطـــرى الأشـــكـــالِ سِـــوى الـــقُـــرصـــانْ

---

(1) عصروا: جعلوه عصرياً.

تـــدري مـــا زِلـــتَ لـــمـــولاتـــي
نـــعـــلاً) ـ وأنـــا نـــعـــلُ الـــسُّـــلـــطـــانْ!

(قُـــلْ: لـــم نَـــتْـــرُكْ وثـــنـــاً لـــكِـــنْ
فـــي أنـــفُـــسِـــنـــا أصـــلُ الأوثـــانْ

مـــا أضـــعـــفَـــنـــا شـــيءٌ إلاَّ
مـــا فـــيـــنـــا مـــن طـــيـــنِ الإذعـــانْ

❊ ❊ ❊

فـــلأذهـــبْ. . عـــفـــواً طـــوَّلْـــنـــا)
ـ لـــم تَـــذهـــبْ لُـــقْـــيـــانـــا مـــجّـــانْ

(حـــســـنـــاً عـــنـــوانَـــكَ). . وابـــتـــســـمـــتْ
عـــيـــنـــاهـــا، كـــعـــشـــايـــا نـــيـــســـانْ

ـ صـــنـــعـــا يـــا ســـلـــوى عـــنـــوانـــي
بـــيـــتـــي فـــي مُـــزدَحَـــمِ الأحـــزانْ

عـــمـــلـــي عـــزَّافٌ مُـــبـــتـــدِئٌ
يـــبـــكـــي أو يَـــشـــدُو لـــلـــجُـــدرانْ

صـــنـــدوقُ بـــريـــدي مـــعـــروفٌ
بـــرمـــيـــلُ الـــحَـــرقِ أو الـــنِّـــســـيـــانْ

❊ ❊ ❊

وهـــدأتُ بـــرغـــمـــي وانـــصـــرفَـــتْ
ولَـــبِـــسْـــنـــا الـــصَّـــمـــتَ عـــلـــى الأشـــجـــانْ

❂ ❂ ❂


السَّفَر
إلـى الأيـام
الخُضْر

لها..

لتلكَ التي تَفْنى وأخلُقُ وجهَها
وأرفعُ نَهدَيْها وأُبدِعُ فاها

أذوبُ وأقسو كي أذوبَ لعلَّني
أُؤجِّجُ من تحتِ الثُّلوجِ صِباها

وأنسجُ للحرف الذي يستفزُّها
دمي أعيناً جمريَّةً وشِفاها

أذُكِّرُها مرآتَها، عرقَ مأربِ
وأنَّ لها فوق الجيوبِ جِباها

وأنَّ اسْمَها بنتُ المُلوك وأنَّها
تبيعُ بأسواقِ الرَّقيقِ أباها

وأنَّ لها طيشَ الفتاةِ وأنَّها
عجوزٌ لعِنِّينٍ تبيعُ هواها

* * *

أُغنِّي لِمَنْ؟ للحلوةِ المُرَّةِ التي
أُبرعِمُ من حُزنِ الرَّمادِ شذاها

لِصنعَا التي تُردي جميعَ ملوكِها
وتهوى وتَستجدي ملوكَ سِواها

لِصنعَا التي تأتي وتَغربُ فجأةً
لتأتي ويجتازُ الغروبَ ضُحاها

❂ ❂ ❂

طقوس الحرف

نوفمبر 1973م

هُنَا، أُرَقِّمُ الصَّدى وأنمحي كالخَربَشةْ
وكالصَّلاةِ أرتقي وأرتمي كالدَّرْوشةْ
أهمي ندَىً وأرتخي كالتُّربةِ المُرَشَّشَةْ

* * *

سحابةٌ تزرعُني تفاحةً ومِشمشَةْ
نعشاً تجرُّهُ الحَصى إلى الوعودِ المُنْعِشَةْ

* * *

مقبرةٌ تُلْبِسُني عباءةً مُزركشَةْ
عِمامةً زيديَّةً ولِحيَةً مُنتَفِشَةْ

* * *

عشيَّةٌ تَمُدُّني للرِّيحِ بِيْداً مُوحِشَةْ
جنازةً هِنديَّةً حمامةً مُعَشِّشَةْ

* * *

عصفوَرةٌ تَحْملُني صفيحةً مُنَقَّشَةْ
جزيرةً، شواطِئاً سفينةً مُرَقَّشَةْ

* * *

حقيبةٌ تطبُخني قضيَّةً مُشَوَّشَةْ
أمسيةً كهفِيَّةً صبيحةً مغبَّشةْ

بـيـتـاً، كـتـابـاً، شـارعـاً مـقـهًى، حـكـايـا مُـذْهِـشَـةْ

* * *

ألــوهَــةٌ تــعــزِفُــنــي وعــداً غــريــبَ الــوَشْــوَشَــةْ
دقــائــقــاً ورديَّــةً مــواقِــفــاً مُــرتَــعِــشَــةْ

❁ ❁ ❁

لصٌّ تحت الأمطار

سبتمبر 1973م

الـــلَّـــيـــلُ خَـــريـــفـــيٌّ أَزعَـــنْ
يَـــهـــمـــي، يَـــذْوي، يَـــرمـــي، يَـــطـــعَـــنْ
يَـــشْـــتَـــلُّ جِـــرابـــاً مُـــلـــهِـــبَـــةً
يـــســـتـــلـــقـــي كـــالـــجـــبـــلِ الـــمُـــثْـــخَـــنْ
يـــأتـــي ويـــعـــودُ كـــطـــاحـــونِ
أحـــجـــاراً وزُجـــاجـــاً يَـــطـــحَـــنْ
يـــعـــدوُ كـــالأدغـــالِ الـــغَـــضْـــبـــى
يـــســـتـــرخـــي يَـــفْـــغَـــرُ كـــالـــمـــدفَـــنْ
يَـــغـــرَى، يـــتـــزيَّـــا، يـــتـــبـــدَّى
أشـــكـــالاً، يـــبـــســـمُ، يـــتـــغـــضَّـــنْ
فـــي كُـــلِّ جِـــدارٍ يَـــتَـــلَـــوَّى
وبُـــكـــلِّ مَـــمَـــرٍّ يـــتـــأسَّـــنْ
وبـــلا أســـمـــاءٍ يَـــتَـــسَـــمَّـــى
وبـــلا ألـــوانٍ يَـــتَـــلَـــوَّنْ
ويَـــشُـــمُّ بـــأُذنـــيْـــهِ، يَـــرنـــو
قـــلـــقـــاً كـــرقـــيـــبٍ يـــتـــكـــهَّـــنْ

❊ ❊ ❊

مــــن أيــــنَ أمُــــرُّ؟ هــــنــــا وَكْــــرٌ
مــــلــــعــــونٌ، رادتُــــهُ ألــــعَــــنْ

وخــــصــــوصــــيَّــــاتٌ واقــــفــــةٌ
تــــهــــذي كــــالــــمــــذيــــاعِ الألْــــكَــــنْ

وتُــــقِــــلُّ بــــرامــــيــــلاً تَــــشْــــطُــــو
تــــحــــتَ الأضــــواءِ ولا تُــــسْــــجَــــنْ

أخــــشــــابــــاً جــــدَّ مُــــبَــــرْوَزَةً
بــــأســــامــــي نــــاسٍ تــــتــــزيَّــــنْ

وهــــنــــا شُــــبَّــــاكٌ يَــــلْــــحَــــظُــــنــــي
شــــبــــحٌ فــــي وجــــهــــي يَــــتَــــمَــــعَّــــنْ

شــــيءٌ يــــهــــتــــزُّ كــــعــــوسَــــجَــــةٍ
وعــــلــــى قَــــدمَــــيْــــهِ يَــــتَــــوَثَّــــنْ

بــــابٌ يَــــسْــــتَــــجْــــلــــي، زاويَــــةٌ
تُــــضْــــغــــي، مُــــنــــعَــــطــــفٌ كــــالــــمَــــكْــــمَــــنْ

قــــنــــديــــلٌ يَــــسْــــهُــــو كــــالــــغــــافــــي
ويَــــعــــي كــــغــــبــــيٌّ يَــــتــــفــــطَّــــنْ

كــــبــــريءٍ عــــاصٍ يــــتــــلــــقَّــــى
إعــــدامــــاً عــــن حُــــكْــــمٍ مُــــغْــــلَــــنْ

* * *

مــــا هــــذا؟ جَــــمْــــعٌ مُــــضْــــطَــــخِــــبٌ
يَــــعــــوي أو يــــشــــدو، يَــــتــــفــــنَّــــنْ

حُـــفَــــرٌ تَــــزتَـــجُّ روادِفُــــهـــا
حُـــزَمٌ مـــن قـــشٍ تَـــتَـــلَـــحَّـــنْ

طَـــرَبٌ فـــي ذا الـــقـــصـــرِ الـــعـــالـــي
أو عـــرسٌ فـــي هـــذا الـــمَـــسْـــكَـــنْ

ولـــمـــاذا أحـــســـدُ مَـــنْ يَـــبْـــدو
فَـــرِحـــاً مـــن عـــيـــشَـــتِـــهِ مُـــمْـــتَـــنّ؟

لا، لَـــســـتُ لـــئـــيـــمـــاً يـــؤسِـــفُـــنـــي
أن يَـــهـــنـــأ غـــيـــري فـــي مـــأمَـــنْ

لـــكِـــنَّ مـــســـرَّاتِ الـــهـــانـــي
تُـــوحـــي لـــلـــعـــانـــي أن يَـــحـــزَنْ

* * *

حَـــســـنـــاً، كـــفَّ الـــمـــطـــرُ الـــهـــامـــي
وبـــدأتُ كـــدَرْبِـــي أَتَـــعـــفَّـــنْ

وأخـــذتُ كـــأُمـــســـيـــتـــي أهـــمـــي
أتـــرَمَّـــدُ، أدمَـــى، أتـــعـــجَّـــنْ

أيـــســـاراً يـــا (صَـــنـــعـــا) أمـــضـــي
أم أنـــتـــهـــجُ الـــدَّربَ الأيـــمَـــنْ؟

هَـــلْ هـــذا الأحـــســـنُ أم هـــذا؟
يـــبـــدو لا شـــيءَ هُـــنـــا أحـــسَـــنْ

فـــلْـــتُـــقـــدِمْ يـــا (فـــرحـــانُ) بـــلا
خـــوفٍ.. مـــا جـــدوى أنْ تَـــأمَـــنْ

أقــــدَمــــتُ. . أظُـــنُّ بـــلا ظَـــنٍّ
وبـــدونِ يـــقـــيـــنِ أتـــيـــقَّـــنْ

ومَـضـيـتُ، مَـضَـيـتُ. . وَصـلـتُ إلـى
حـــيٍّ كـــدخـــيـــلٍ يـــتـــيـــمَّـــنْ[1]

فـــهـــنـــا إقـــطـــاعـــيٌّ دَسِـــمٌ
وهـــنـــا إقـــطـــاعـــيٌّ أســـمَـــنْ

هـــذا مـــا أعـــتـــى حـــارِسَـــهُ
بَـــلْ هـــذا حـــارسُـــهُ أخـــشَـــنْ

والـــدَّارُ الـــشَّـــامـــخـــةُ الأُخـــرى
تـــبـــدو أغـــنـــى، لِـــكـــنْ أحـــصَـــنْ

وهـــنـــاكَ عـــجـــوزٌ وارثـــةٌ
تُـــعـــطـــي. . لـــو عـــنـــدي مـــا أرهَـــنْ

هَـــلْ أغْـــشـــى مَـــنْـــزِلـــهـــا؟ أغـــشـــى
فـــلـــعـــلَّ فـــوائِـــدَهُ أضـــمَـــنْ

لا، لا. . فـــيـــهِ جُـــبْـــنُ امـــرأةٍ
وأنـــا لـــو أخـــنُـــقُـــهـــا أجـــبَـــنْ

* * *

الـــبـــنـــكُ حـــراسَـــتُـــهُ أقـــوى
ويُـــقـــالُ ودائِـــعُـــهُ أثـــمَـــنْ

---

(1) يتيمَّن: يتزيا بزيّ أهل اليمن.

لـــو كـــانَ الأمـــرُ جِـــراسَـــتَـــهُ
لـــحَـــســبـــتُ صـــعـــوبـــتَـــهُ أمـــكَـــنْ
الـــبَـــنـــكُ مـــغـــالـــقُـــهُ أُخـــرى
تـــحـــتـــاجُ لـــصـــوصـــاً مـــن (لَـــنْـــدَنْ)
كـــلُّ الأمـــوالِ مُـــســـلَّـــحـــةٌ
بـــفـــنـــونِ الإرهـــابِ الـــمُـــتـــقَـــنْ
فـــلأرجِـــعْ، حـــســـنـــاً لا أدري
أرُجـــوعـــي أم تـــيـــهـــي أغـــبَـــنْ؟
ســـيَـــهِـــلُّ غـــدٌ ولَـــهُ طُـــرُقٌ
أنـــقـــى ومـــتـــاعِـــبُـــهُ أهْـــوَنْ
وبـــدأتُ أُحِـــسُّ بُـــزوغَ فـــتَـــىً
غـــيـــري، مـــنِ مِـــزَقـــي يـــتـــكَـــوَّنْ

❁❁❁

يداهـا

دمشق، أكتوبر 1974م

مـثـلـمـا يـبـتـدِئُ الـبـيـتُ الـمُـقـفَّـى
رحـلـةً غـيـمـيَّـةً تـبـدو وتَـخْـفـى

مـثـلـمـا يـلـمـسُ مـنـقـارُ الـسَّـنـا
سَـحَـراً أرعـشَ عـيـنـيْـهِ وأَغْـفـى

هـكـذا أحْـسُـو يـديـكِ.. أصـبـعـاً
أصـبـعـاً، أطـمـعُ لـو جـاوَزْنَ ألـفـا

مـثـلَ عـنـقـوديـنِ أعـيـا الـمُـجـتـنـي
أيُّ حـبَّـاتِـهـمـا أحـلـى وأصـفـى؟

هـذه أمـلـى وأطـرى، أخـتُـهـا
تـلـكَ أشـهـى، هـذه لـلـقـلـبِ أشـفـى

هـذه أخـصـبُ نُـضْـجـاً إنَّـنـي
ضِـعـتُ بـيـنَ الـعـشـرِ لا أمـلـكُ وَصْـفـا

حُـلْـوةٌ تُـغـري بـأحـلـى، كـلُّـهـا
هـتـفـت: كُـلْـنـي وصَـدَّتْ وهـي لَـهْـفـى

تـلـكَ أصـبـى، تـلـكَ أنـقـى إنَّـمـا
لـم أُفَـكِّـرْ أنَّ فـي الـبُـسـتـانِ أجـفـى

* * *

أنــتَ مــن أيــنَ؟ ـ كــنــبْــضــيْ وَتَــرِ
ودَنَــتْ شــيــئــاً ـ أنــا مــن كُــلِّ مَــنــفــى

صــمــتَــتْ بــعــدَ ســؤالٍ قَــرأتْ
مــن صَــداهُ قِــصَّــتــي حــرفــاً فــحــرفــا

***

أُغنيةٌ من خَشَب

فبراير 1974م

لـمـاذا الـعـدوُّ الـقـصـيُّ اقـتـربْ؟
لأنَّ الـقـريـبَ الـحـبـيـبَ اغـتـربْ

لأنَّ الـفـراغَ اشـتـهـى الامـتـلاَ
بـشـيءٍ فـجـاء سِـوى الـمُـرتَـقَـبْ

لأنَّ الـمـلـقِّـنَ والـلاَّعـبـيـن
ونُـظَّـارةَ الـعـرضِ هُـمْ مَـنْ كَـتَـبْ

لـمـاذا اسـتـشـاطَ زحـامُ الـرَّمـادِ؟
تـذكَّـرَ أعـراقَـهُ فـاضـطـربْ

لأنَّ (أبـا لـهـبٍ) لـم يَـمُـتْ
وكـلُّ الـذي مـاتَ ضـوءُ الـلَّـهَـبْ

فـقـامَ الـدُّخـانُ مـكـانَ الـضـيـاءِ
لـهُ ألـفُ رأسٍ وألـفـا ذَنَـبْ

لأنَّ الـرِّيـاحَ اشـتـرت أوجُـهـاً
رجـالـيَّـةً والـغـبـارَ انـتـحَـبْ

أضـاعـت (أزالٌ)[1] بـنـيـهـا، غَـدَتْ
لـكُـلِّ دعـيٍّ كـأمٍّ وأبْ

---

(1) أزال: أحد أسماء صنعاء قديماً.

وأقْعَتْ، لها قلبُ فاشيَّةٍ
ووجهٌ عليه سِماتُ العربْ

فهل تِلكَ صَنعا؟ يَفِرُّ اسمُها
أمامَ التَّحرّي، ويعوي النَّسَبْ

وراءَ السُّتارِ الظَّفاري عيونٌ
صليبيَّةٌ وفَمٌ مُكتَسَبْ

عجوزٌ تَئِنُّ بعصرِ الجليدِ
وتلبسُ آخر ما يُجتَلَبْ

* * *

لماذا الذي كانَ ما زالَ يأتي؟
لأنَّ الذي سوفَ يأتي ذَهَبْ

لأنَّ الوجوهَ استحالت ظُهوراً
تفتِّشُ عن لونِها المُغتَصَبْ

لأنَّ المغنِّي أحبَّ كثيراً
كثيراً، ولم يَدْرِ ماذا أحَبّ

لماذا تُمنِّي الظروفُ الحنينَ
فتُغري وتعرضُ غيرَ الطَّلَبْ؟

تَغِلُّ العواسجُ في كُلِّ آنٍ
وفي كُلِّ عامٍ يَغِلُّ العنَبْ

لماذا؟ لماذا؟ ركامٌ يمُرُّ
ركامٌ يلي دون أدنى سَبَبْ!

ويَستَنفِرُ الغَضَبُ الحَمْحَمَاتِ
قليلاً، ويعتادُ.. يَعيا الغَضَبْ

ويُحصي الطريقُ.. جدارٌ مَشَى
جدارٌ سيمشي، جدارٌ هَرَبْ

ولا شيءَ غيرُ جدارٍ يقومُ
بوجهي وثانٍ يعدُّ الرُّكَبْ

وتحكي، أعاجيبَ مَنْ أدبَروا
وجاؤوا ـ شبابيكُ (بئرِ العَزَبْ)[1]

ولم يَمضِ شيءٌ يُسَمَّى غريباً
ولم يأتِ شيءٌ يُسَمَّى عَجَبْ

لأنَّ الصَّباح دُجَىً، والدُّجى
ضُحَىً، ليسَ يَدري لماذا غَرَبْ؟

فلا الصِّدقُ يبدو كصدقٍ ولا
أجادَ أكاذيبَهُ مَنْ كَذَبْ

* * *

لماذا؟ ويمحو السؤالُ السُّؤالَ
وينسى الجوابُ اسْمَهُ واللَّقَبْ

ويُضني المُغَنِّي يديهِ وفاهُ
وشيءٌ يُجَلْمِدُ حِسَّ الطَّرَبْ

---

(1) بئر العزب: أحد الأحياء الراقية في صنعاء.

فــتــمــضــي الــقــواربُ مــقــلــوبــةً
وتــأتــي ويَــنــسـى الــمــحــيــطُ الــصَّــخَــبْ

ويــصــحــو الــغــرامُ يَــرى أنَّــهُ
عــلــى ظــهــرِ أغــنــيــةٍ مِــنْ خَــشَــبْ

❁❁❁

من بلادي عليها

فبراير 1974م

قُلْ لها قبلَ أن تَعَضّ يديها
هَلْ غرامُ الذِّئابِ يحلو لَدَيْهَا؟

وهي ليست شاةً ولكن لماذا
تتوالى هذي الهدايا إليها؟

مُقلتاها أظما من الرَّملِ.. ماذا
يَرشفُ المُرتَوونَ مِنْ مُقلَتيْها

* * *

عشقُ هذا الزَّمانِ يَخلعُ وجهاً
ويُغطّي وجهاً ويُبْدي وُجَيْها

إنَّهم عاشقونَ.. فلْيخدعوها
لَنْ يُلاقوا أعزَّ مِنْ جانبَيْها

تحتسي منهمُ الجُنيهاتِ لَكِنْ
لا ترى عشقَهُمْ يُساوي الجُنيها

تمتطي كفُّها الهدايا، ولكن
كلُّ مُهدٍ لا يمتطي مَنْكِبَيها

فهي أشقى من عاشِقَيها وأقوى
غيرَ أنّي أخافُ مِنها عليها

❂ ❂ ❂

أحزان وإصرار

مايو 1973م

شـوطُـنـا فـوقَ احـتـمـالِ الاحـتـمـالْ
فـوقَ صـبـرِ الـصَّـبـرِ، لـكـن لا انـخـذالْ

نـغـتـلـي، نـبـكـي عـلـى مَـنْ سَـقَـطـوا
إنَّـمـا نـمـضـي لإتـمـام الـمَـجَـالْ

دمُـنـا يَـهـمـي عـلـى أوتـارِنـا
ونُـغَـنِّـي لـلأمـانـي بـانـفـعـالْ

مُـرَّةٌ أحـزانُـنـا، لـكـنَّـهـا
يـا عـذابَ الـصَّـبْـرِ أحـزانُ الـرِّجـالْ

نـبـلـعُ الأحـجـارَ، نـدمـى إنَّـمـا
نـعـزفُ الأشـواقَ، نـشـدو لـلـجَـمـالْ

نـدفـنُ الأحـبـابَ، نـأسـى إنَّـمـا
نـتـحـدَّى نـحـتـذي، وجـهَ الـمُـحَـالْ

مُـذْ بـدأنـا الـشَّـوطَ جَـوْهَـرنـا الـحَـصـى
بـالـدَّمِ الـغـالـي وفَـرْدَسْـنـا الـرِّمـالْ

وإلـى أيـنَ؟ عَـرفْـنـا الـمُـبـتـدا
والـمـسـافـاتُ، كـمـا نـدري طِـوالْ

وكـنـيـسـانَ انـطـلـقـنـا فـي الـذُّرا
نـسـفـحُ الـطِّـيـبَ يـمـيـنـاً وشِـمَـالْ

نـبـتـنـي لـلـيـمـنِ الـمـنـشـودِ مِـنْ
سُـهْـدِنـا جـسـراً ونـدعـوهُ: تـعـالْ

* * *

وانـزرعْـنَـا تـحـت أمـطـارِ الـفَـنَـا
شـجـراً مِـلءَ الـمَـدى أعـيـا الـزَّوالْ

شـجـراً يَـحـضُـنُ أعـمـاقَ الـثَّـرى
ويُـعـيـرُ الـرِّيـحَ أطـرافَ الـظِّـلالْ

واتَّـقـدنـا فـي حـشـا الأرضِ هـوَىً
وتـحـوَّلْـنـا حـقـولاً وتِـلالْ

مِـشْـمِـشـاً، بُـنّـاً، وروداً ونـدىً
وربـيـعـاً ومَـصِـيـفـاً وغِـلالْ

نـحـنُ هـذي الأرضُ، فـيـهـا نـلـتـظـي
وهـي فـيـنـا عـنـفـوانٌ واقـتـتـالْ

مـن روابـي لـحـمِـنـا هـذي الـرُّبـا
مـن رُبـا أعـظُـمِـنـا هـذي الـجـبـالْ

* * *

لـيـسَ ذا بـدءَ الـتَّـلاقـي بـالـرَّدى
قـد عـشـقـنـاهُ وأضـنـانـا وِصـالْ

وانـتـقـى مِـنْ دَمِـنَـا عِـمَّـتَـهُ
واتَّـخـذنـا وجـهَـهُ الـنَّـاري نِـعـالْ

نَعرِفُ الموتَ الذي يَعرِفُنا
مَسَّنا قتلاً ودُسْناهُ قِتالْ

وتَقَحَّمْنا الدَّواهي صُوَراً
أَكَلَتْ مِنَّا، أَكَلْناها نِضالْ

موتُ بعضِ الشَّعبِ يُحيي كلَّهُ
إنَّ بعضَ النَّقصِ روحُ الاكتمالْ

* * *

هاهُنا بعضُ النُّجوم انطفأتْ
كي تزيدَ الأنجمُ الأُخرى اشتعالْ

تفقدُ الأشجارُ من أغصانِها
ثُمَّ تزداد اخضراراً واخضلالْ

إنَّما ياموتُ هل تدري متى
ترتخي فوقَ سريرٍ من مَلالْ؟

في حنايانا سؤالٌ، ما لَهُ
من مُجيبٍ وهو يَغلي في اتِّصالْ

ولماذا ينطفي أحبابُنا
قبلَ أن يستنفدَ الزَّيتَ الذُّبالْ؟

ثُمَّ ننسى الحُزنَ بالحُزنِ، ومَنْ
ـ يا ضياعَ الرَّدِّ ـ يُنسينا السُّؤالْ؟

❁❁❁

ورقة من التاريخ

مسافرة بلا مُهِمَّة

يولية 1973 م

يـا رؤى الـلَّـيـل يـا عـيـونَ الـظَّـهـيـرةْ
هـل رأيـتُـنَّ مـوَطـنـي والـعـشـيـرَةْ؟

هـل رأيـتُـنَّ (يَـحْـصُـبـاً) أو (عَـسـيـراً)؟
كـان عـنـدي هـنـاكَ أهـلٌ وجِـيـرَةْ

ودوالٍ تَـشْـقَـرُّ فـيـهـا الـلَّـيـالـي
ويـمـدُّ الـضُّـحـى عـلـيـهـا سـريـرَهْ

ورواب عـيـونُـهُـنَّ شـمـوسٌ
وعـلـيـهـنَّ كُـلُّ نـجـمٍ ضَـفـيـرَةْ

وسـفـوحٌ تَـهْـمـي ثُـغـاءً وحـبّـاً
وحـقـولٌ تَـروي نـبـوغَ الـحَـظـيـرَةْ

وبـيـوتٌ يـنـسـى الـضُّـيـوفُ لـديـهـا
قـلـقَ الـدَّارِ وانـتـظـارَ الـمُـديـرَةْ

يـا رؤى، يـا نـجـومُ أيـن بـلادي؟
لـي بـلادٌ كـانـت بـشـبـهِ الـجـزيـرَةْ

أخـبـرَوا أنَّـهـا تَـجـلَّـتْ عـروسـاً
وامْـتَـطَـتْ هُـدهـداً، وطـارت أسـيـرَةْ

وإلى أينَ يا نجومُ؟ فَتُومي
ما عرفنا، يا أختُ بدءَ المسيرَةْ

مَنْ أنا يا مدى؟ وأُنكرُ صوتي
ويَعُبُّ السّفارُ وجهَ السّفيرَةْ

مَنْ أشاروا عليَّ كانوا غباءً
ليتَهُمْ موضعي وكنتِ المُشيرَةْ

كيفَ أختارُ.. كيفَ؟ ليسَ أمامي
غيرُ دربٍ، فليسَ في الأمرِ خيرَةْ

رحلَتْ مثلما يَحُثُّ سُراهُ
موكبُ الرِّيحِ في اللَّيالي المَطيرَةْ

وارتدى(السفارُ) ناهديْها وأنسَتْ
هجرةُ المُنحنى خُطاها الأخيرَةْ

ورَووْا: أشْأمَتْ على غيرِ قَصدٍ
ثُمَّ أمسَتْ على (دمشقَ) أميرَةْ

قلعَتْني، يا شامُ ريحٌ وريحٌ
زرعَتْني هُنا كُروماً عصيرَةْ

وبرغْمي نزلْتُ غيرَ مكاني
مثلما تلتقي العظامُ النَّثيرَةْ

وبلا موسمٍ تَنَامَتْ وحَيَّتْ
بالرياحينِ والكؤوسِ النَّضيرَةْ

«وسقت من أتى البريصُ إليها
بَرَدَى خمرةً» ونُعمى وفيرَةْ

وعَلَتْ جبهةُ (الخورنَقِ) تاجاً
يا (سِنِمَّارُ) أيُّ عُقبى مُثيرَةْ؟!

وهَمَتْ كالنُّجومِ سَعْداً ونحساً
وعطايا وحشيَّةً ومُجيرَةْ

«أنتِ كالَّليلِ مُدركي» من أمامي
وورائي.. كلُّ النَّواحي ضريرَةْ

* * *

وحكَوْا: أنَّها ثيابُ سواها
جمَّلَتْها وأنَّها مُستعيرَةْ

فرأوْها وصيفةً عندَ (روما)
ورأوْها في بابِ (كِسرى) خفيرَةْ

وبعيراً لبنتِ (باذانَ) حيناً
وأواناً تحتَ (النَّجاشي) بعيرَةْ

عندما أحرقَتْ بـ(نجرانَ) غزواً
كان ينوي، صارت رمادَ الجزيرَةْ

أطفأت بالثُّقابِ مدَّ جحيم
أتراها ملومَةً أم عذيرة؟

فتهاوَتْ حصَىً وطارتْ عُيوناً
هربَتْ من وجوهِها مُستجيرَةْ

وإلى أينَ ثانياً يا منافي
والإجاباتُ كالسُّؤالِ مريرَةْ؟

* * *

نزلَتْ (يَثْرباً) هشيماً فكانَتْ
بالعناقيدِ والرَّفيفِ بشيرَةْ

فتناغى النَّخيلُ: من أينَ جاءتْ
هذه الكَرْمةُ العجوزُ النَّكيرَةْ؟

جِئتُ يا عمُّ من جذوري أرجِّي
تربةً من رمادِ حُزني قريرَةْ

وتجلَّتْ في ذلكَ القَفْرِ دُوراً
وقطوفاً تومي بأيدٍ مُنيرَةْ

ونخيلاً من السُّيوفِ المَواضي
وسيوفاً من القوافي الجَهيرَةْ

وارتمتْ في (حِرا) طريقاً وكهفاً
ثم أَضْحَتْ مَنذورةً ونذيرَةْ

ومصَلَّى وخندقاً وحصوناً
ونبيّاً وسورةً مُستطيرَةْ

وليالٍ مَضَتْ وجاءت ليالٍ
وانقضَتْ عُشْرةٌ وجاءتْ عسيرَةْ

فانتضَتْ في يدِ (السَّقيفةِ) (سعداً)
أكبرُ القومِ للأمورِ الكبيرة

* * *

يـا قـريـشُ اذكـري نَـمَـتْـنـا جـمـيـعـاً
صُـحـبـةٌ سَـمْـحـةٌ وقُـربـى أثـيـرَةْ

فـلـكِ الـسَـبـقُ والـجـبـيـنُ الـمُـحـلَّـى
وأنـا الـجـبـهـةُ الـشَّـمـوخُ الـنَّـصـيـرَةْ

أنـتِ أمَّـارةٌ . . أنـا ـ ثُـمَّ قـالـوا:
سَـكَـتَـتْ قـبـلَ أن تـقـولَ ـ وزيـرَةْ

دهـشـةُ الـبـدءِ ضـيَّـعَـتْ مـن خُـطـاهـا
أوّلَ الـدَّربِ وهـي حَـيْـرى حـسـيـرَةْ

وجـهُـهـا غـاصَ فـي غُـبـارِ الـمـرايـا
واسْـمُـهـا ضـاعَ فـي الأمـاسـي الـغـفـيـرَةْ

أيـنَ (سـعـدٌ)؟ قـالـوا: رمـاهُ عِـشـاءً
مـاردٌ مـن (قُـبـا) يُـسـمَّـى (بـجـيـرَةْ)

وحـكَـوْا: أنَّـهـا اسـتـعـارتْ وجـوهـاً
خـبَّـأتْ تـحـتَـهـا الـوجـوهَ الـكـسـيـرَةْ

* * *

وإلـى أيـنَ ثـالـثـاً؟ هـل لـسَـيْـري
وانـثـنـائـي مـهـمَّـةٌ بـي جـديـرَةْ؟

أصـبـحَ الـصَّـارمُ الـيـمـانـي بـكَـفِّـي
(مِـزْوداً) فـي يـدَيْ فـتـاةٍ غـريـرَةْ

وطَـغَـتْ رِدَّةٌ فـعـادتْ نـبـيّـاً
ونـخـيـلاً مـن الـسُّـيـوفِ الـشَّـهـيـرَةْ

وإلــــى أيـــنَ رابِــعــاً؟ لــقــتــالِ
جَـنَّـحـتْ خـيـلُـهُ وشَـبَّـتْ نـفـيـرَةْ

مَـنْ رآنـي خُـضْـتُ الـفـتـوحـاتِ، لـكِـنْ
عُـذْتُ مِـنـهـا إحـدى الـسَّـبـايـا الـطَّـريـرَةْ

* * *

وإلــى أيـنَ خـامِـسـاً، يـا قـوافـي
هـاجـرَ الـحـبُّ والـرَّوابـي الـخَـضـيـرَةْ؟

فــأتَـتْ ثـانـيـاً (دمـشـقُ) غـرامـاً
قَـمَـريَّ الـجـبـيـنِ، بـاكـي الـسـريـرَةْ

قـصـرُ (أُمِّ الـبـنـيـنَ) هـذا، عـلـيـه
- حـسـبـمـا أخـبـرَتْ - سِـمـاتٌ كـثـيـرةْ

جـرَّبَـتْ أعـسـرَ الـفـتـوحِ خـيـولـي
فـلأُجـرِّبْ هـذي الـفـتـوحَ الـيَـسـيـرَةْ

لـم أجـدْ (روضـةً) فـأدركـتُ أزهـى
لـعـبـةٍ حـلـوة ولـكـنْ خـطـيـرَةْ

وعـلـى مـوعـدٍ رقَـتْ فـي ثـوانٍ
كـتِـفَ الـقـصـرِ بـالـهـوى مُـسـتـنـيـرَةْ

فِـتَـنٌ فـوقَ مـا يـظـنُّ الـتـمـنِّـي،
غـرفـةٌ فـوقَ وصـفِـهـا بـالـوثـيـرَةْ

لـحـظـةٌ والـتـوى الـسـريـرُ ضـريـحـاً
خـشـبـيّـاً يـمـوتُ، يـطـوي زفـيـرَهْ

إيــهِ (وضَّــاحُ) دونــكَ الــبــئــرَ فــانــزِلْ
قــطــعــةً دونَ وصــفِــهــا بــالــحــقــيــرَهْ

ولــهَــتْ (ديــدَمُــونــةٌ) فــي عُــلاهــا
(وعــطــيــلُ) الــهــوى صريــعُ الــحــفــيــرَةْ

هــكــذا أخــبــرُوا، لأنَّ بــلادي
خــنــجــرُ الآخــريــنَ وهــي الــعَــقــيــرَةْ

* * *

مــا الــذي جــدَّ؟ أعــولَ الــثَّــأرُ حــتَّــى
لــيــسَ يــدري قَــبــيــلَــهُ ودَبــيــرَهْ

فــارتــقــى (هــاشــمٌ) و(مــروانُ) ولَّــى
وهــي مــلــغــيَّــةُ الــحــســابِ هــجــيــرَةْ

مَــنْ أنــا؟ وانــجــلَــتْ لــهــا مــن بــعــيــدٍ
لــوزُ (هــمــدانَ) كــالــنُّــجــومِ الــصَّــغــيــرَةْ

ذكــرَتْ أن مــوطــنــاً كــان فــيــهــا
نــســيَــتْ بَــدْأهُ وتــنــســى مــصــيــرَهْ

فــانــثَــنَــتْ (هــاديــاً) وقــالــت: تُــرابــي،
يــا كــنــوزَ الــرَّشــيــدِ أغــلــى ذخــيــرَةْ

* * *

حِــقــبــةٌ، والــتَــوتْ رُبــاً مــن أفــاعٍ
غــادراتٍ وهــي الــضَّــحــايــا الــغــديــرةْ

تَــوَّجَــتْ، أســقــطَــتْ عــلــى غــيــرِ هَــدْيٍ
وانــتــقَــتْ دون رؤيــةٍ أو بَــصــيــرَةْ

فانتهَتْ (فاطميَّةً) وهي (أروى)
ظاهِراً، خلفَهُ سِجلٌ وسيرَة

وتسمَّتْ بـ(القرمطيِّ) ولكن
أنقصتْها الممارساتُ القديرَة

فنفَت وادَّعَتْ، كما شاء داعٍ
لبِست وجهَها وأخفَتْ ضميرَة

وأسرَّتْ قُدساً وأبدَتْ شِعاراً
خلفَهُ - لو علِمْتَ - ألفُ شَعيرَة

واستحرَّتْ خلفَ (النجاحي) وأدمى
في رُباها خيولَهُ وحميرَة

* * *

ثُمَّ صارَتْ (مهديَّةً) و(رسولاً)
نزلَتْ وادياً أضاعَتْ شفيرَة

فأقامت في كُلِّ صقعٍ إماماً
هيَّأتْ نعشَهُ وحاكَتْ حريرَهْ

وتساقَتْ دماً وشوقاً إليهِ
وهي أظما إلى المياهِ النَّميرَة

من أتى؟ عاصفٌ من التُّركِ طاغٍ
فلأمزِّقْ حلوقَهُ وهديرَه

إنَّهُ يقذفُ السَّعيرَ المُدوِّي
فلأردُدْ إلى حشاهُ سَعيرَه

وأعـــدَّتْ لَـــهُ الـــقـــبـــورَ إلـــى أنْ
دَفَـــنَـــتْ عـــهْـــدهُ، أجَـــدَّتْ نـــظـــيـــرَهْ

* * *

وتـــراخـــى عـــهـــدٌ عـــثـــيـــرُ الـــلَّـــيـــالـــي
وارتَـــخَـــتْ تـــحـــتَ رُكـــبـــتـــيْـــهِ عـــثـــيـــرَةْ

وبـــلا يـــقـــظـــةٍ أفـــاقَـــتْ ومـــدَّتْ
(حـــزْيَـــزاً) شُـــعـــلـــةً إلـــى (ضُـــبْـــرِ خِـــيْـــرَةْ)

* * *

وهـــنـــاكَ انـــطـــفَـــتْ وأطـــفَـــتْ وقـــالـــوا:
خـــبـــزَتْ لـــلـــخُـــلـــودِ أشـــهـــى فـــطـــيـــرَةْ

وحَـــكَـــوْا: أنَّـــهـــا أرادت ولـــكـــن
جـــيـــدُهـــا الـــمُـــنـــحـــنـــي قـــدِ اعْـــتـــادَ نِـــيْـــرَهْ

وطَـــوَتْ أربـــعـــاً وعـــشـــراً، مُـــنـــاهـــا
مُـــســـرعـــاتٌ؛ لـــكـــنْ خُـــطـــاهـــا قـــصـــيـــرَةْ

رُبَّـــمـــا تـــخـــدعُ الـــبـــروقُ عـــيـــونـــي
رُبَّـــمـــا تـــحـــتَـــهـــا غـــيـــوثٌ غـــزيـــرَةْ

أيَّ شـــيءٍ أريـــدُ؟ مـــا عـــدتُ أغْـــفـــو
أقـــلـــقَ الـــعـــصـــرُ مـــرقـــدي وشـــخـــيـــرَهْ

وهـــنـــا أنـــهـــتِ الإمـــامـــاتِ، هَـــبَّـــتْ
مِـــنْ أســـاهـــا تـــقـــودُ أبـــهـــى مـــســـيـــرَةْ

هَـــلَّ (أيـــلـــول) مـــولـــداً وربـــيـــعـــاً
لـــم تَـــزَلْ تـــحـــمـــلُ الـــفـــصـــولُ عـــبـــيـــرَهْ

وقِلاعاً تَثْني المغيرين صَرْعى
وتلالاً مدجَّجاتٍ مُغيرَةْ

* * *

ثُمَّ ماذا؟ أَسْمَتْ (سعيداً) (نبيلاً)
ودعَتْ (شُعلةً) (هدى) أو (سميرَةْ)

غيَّرتْ شَعْرَ جلدِها وهي لمَّا
تتغيَّرْ ولَمْ تُغيِّرْ وتيرَةْ

فترةً واجتلَتْ قِناعاً يُحلِّي
جَبَهاتٍ إلى القَفا مُستديرَةْ

أصبحَتْ أطوعَ المطايا ولكِنْ
بالتواءِ الدُّروبِ ليستْ خبيرَةْ

فلأُسافرْ كعادتي، كلُّ قفرٍ
ذبْتُ في نبتِهِ، سكنْتُ صفيرَهْ

ورمادي خلفي يعدُّ رجوعي
يعجنُ الرِّيحَ باحثاً عن خميرَةْ

رحلَ النَّبعُ من جذوري فهيَّا
يا هشيمَ الغُصونِ نَتْبَعْ خريرَهْ

وإلى أين، يا منافي أخيراً؟
وتشظَّتْ في كُلِّ مَنفى أجيرَةْ

هكذا ما جرى لأنَّ بلادي
ثروةُ الآخرينَ، وهي الفقيرَةْ

❁ ❁ ❁

الغزو من الداخل

نوفمبر 1973م

نُشرت هذه القصيدة في أكثر من جريدة ومجلة ومنشور، وكانت مليئة بالاغلاط نتيجة اختلاف الخط النسخي والاستعجال، وهي الآن في صيغتها الصحيحة باستثناء زيادة أربعة أبيات في كل مقطع.

فظيعٌ جهلُ ما يجري وأفظعُ مِنهُ أنْ تَدري
وهل تدرينَ يا صنعا مَنِ المُستعمرُ السِّرِّي؟
غُزاةٌ لا أُشاهِدُهمْ وسيفُ الغزو في صدري
فقد يأتونَ تِبْغاً في سجائرَ لونُها يُغري
وفي صدقاتِ وحشيٍّ يُؤنسِنُ وجهَهُ الصَّخري
وفي أهدابِ أُنثى، في مناديلِ الهوى القَهْري
وفي سروالِ أُستاذٍ وتحتَ عِمامَة المُقْري
وفي أقراصِ مَنْعِ الحَمْـ ـلِ في أنبوبَةِ الحِبْرِ
وفي حُرِّيَّةِ الغثَيا نِ في عَبَثِيَّةِ العُمْرِ
وفي عَوْدِ احتلالِ الأمْـ ـسِ في تشكيلِهِ العَصْري
وفي قنِّينةِ (الويسكي) وفي قارورة العِطْرِ
ويسْتَخْفُونَ في جِلْدي وينسلُّونَ مِنْ شَعْري
وفوقَ وجوهِهِم وجهي وتحتَ خيولِهِمْ ظهري
غُزاةُ اليومِ كالطَّاعو نِ يخفى وهو يستشري
يُحَجِّرُ مولدَ الآتي يُوَشِّي الحاضرَ المُزْري

فـظـيـعٌ جـهـلُ مـا يـجـري وأفــظَــعُ مِــنــهُ أنْ تــدري

* * *

يـمـانـيُّـونَ فـي الـمَـنـفـى ومَـنـفـيُّـونَ فـي الـيـمَـنِ

جـنـوبـيُّـونَ فـي (صَـنـعـا) شـمـالـيُّـونَ فـي (عَـدَنِ)

وكـالأعـمـامِ والأخْـوا لِ فـي الإصـرارِ والـوَهَـنِ

خُـطـى (أكـتـوبـرَ) انـقـلـبَـتْ حُـزَيـرانـيَّـةَ الـكَـفَـنِ

تَـرَقَّـى الـعـارُ مـن بـيـعٍ إلـى بـيـعٍ بـلا ثـمـنِ

ومِـنْ مُـسـتـعـمـرٍ غـازٍ إلـى مُـسـتـعـمـرٍ وطَـنـي

لـمـاذا نـحـنُ يـا مَـرْبـى ويـا مـنـفـى بـلا سـكَـنِ

بـلا حـلـمٍ بـلا ذِكـرى بـلا سـلـوى بِـلا حَـزَنِ؟

يـمـانـيُّـونَ يـا (أروى) ويـا (سـيـفَ بـن ذي يـزنِ)

ولـكِـنَّـا بـرغْـمِـكُـمـا بـلا يُـمْـنٍ بـلا يَـمَـنِ

بـلا مـاضٍ بـلا آتِ بـلا سـرٌّ بـلا عَـلَـنِ

أيـا (صـنـعـا) مـتـى تـأتـيـنَ مِـنْ تـابـوتِـكِ الـعَـفـنِ؟

تُـسـائِـلُـنـي: أتـدري؟ فـاتَ قـبـلَ مـجـيـئِـهِ زمَـنـي

مـتـى آتـي؟ ألا تَـدري؟ إلـى أيـنَ انـثـنَـتْ سُـفُـنـي

لـقـد عـادَتْ مـن الآتـي إلـى تـاريـخِـهـا الـوثـنـي

فـظـيـعٌ جـهـلُ مـا يـجـري وأفـظـعُ مـنـهُ أنْ تـدري

* * *

شـعـاري الـيـومَ يـا مـولا يَ نـحـنُ نـبـاتُ إخـصـابِـكْ

لأنَّ غِـنـاكَ أركَـعَـنـا عـلـى أقـدامِ أحـبـابِـكْ

فـألْـهَـنَـاكَ قُـلـنـا: الـشَّـمْـ ـسُ مـن أقـبـاس أحـسـابِـكْ

فـنَـمْ يـا (بـابـكُ الـخَـرْمـي) عـلـى (بـلـقـيـسَ) يـا (بـابِـكْ)
ذوائـبُـهـا سـريـرُ هـوا كَ بـبـعـضُ ذيـولِ أربـابِـكْ
وبـاسـم الـلـهِ - جـلَّ الـلَّـ ـهُ - نـحـسـو كـأسَ أنـخـابِـكْ
أمـيـرَ الـنِّـفـطِ نـحـنُ يـدا كَ نـحـنُ أحـدُّ أنـيـابِـكْ
ونـحـنُ الـقـادةُ الـعَـطـشـى إلـى فـضـلاتِ أكـوابِـكْ
ومـسـؤولـونَ فـي (صَـنـعـا) وفـرَّاشـون فـي بـابِـكْ
ومـن دَمِـنـا عـلـى دَمِـنـا تُـمَـوْقِـعُ جـيـشَ إرهـابِـكْ
لـقـد جِـئْـنـا نـجـرُّ الـشَّـعْـ ـبَ فـي أعـتـابِ أعـتـابِـكْ
ونـأتـي كُـلَّ مـا تـهـوى نُـمَـسِّـحُ نـعـلَ حُـجَّـابِـكْ
ونـسـتـجـديـكَ ألـقـابـاً نُـتـوِّجُـهـا بـألـقـابِـكْ
فـمُـرْنـا كـيـفـمـا شـاءتْ نـوايـا لـيـلِ سـردابِـكْ
نـعـم يـا سـيِّـدَ الأذنـا بِ إنَّـا خَـيـرُ أذنـابِـكْ
فـظـيـعٌ جـهـلُ مـا يـجـري وأفـظَـعُ مِـنـهُ أن تـدري

❁ ❁ ❁

قبل الطريق

أكتوبر 1973م

قبلَ الطَّريقِ أبتدي سيري رحيلَ أحرُفي
أجيءُ قبلَ مولدي بعدَ مدى تخلُّفي
مُفتِّشاً عن جبهتي وعن عروقِ مِغْزَفي
وعن عيونِ مَرْبعي وعن نُهودِ مَضيَفي
أصيحُ للرُّبا: اقفزي وللحدائقِ: ازحفي
وللضِّفافِ: أبحري وللبحارِ: كَفْكِفي
وللغُصونِ: سافري وللعروقِ: رَفْرِفي
وللحقولِ: حَلِّقي وللمقابرِ: اهْتفي
وللعواصفِ: ارقدي وللحجارةِ: اعْصِفي

* * *

أُحِسُّها جميعَها تَذوي: سئِمتُ مَوقفي
مللتُ طولَ وقفتي ومَلَّني توقُّفي
هل أبتدي تحرُّكي؟ تعلَّمي أنْ تَعرفي
وَجرِّبي أن تَرفُضي وحاولي أن تجرِفي
تغيَّري وغيِّري تجدَّدي وفَلْسِفي
وأخرِقي ما أخرجوا وأَلَّفُوا وأَلِّفي
كي تُولدي جديدةً قبلَ الولادةِ آتْلَفي

وأسْتَحِثُّ رِحلتي أضيعُ في تَقصُّفي
لا خطوةٌ تَدلُّني ولا طريقٌ يقتفي
أمدُّ صوتي مَغبَراً وأمتطي تلَهُّفي
وأجتلي عوالِماً منفيَّةً وأنتفي
مُحمَّلاً جِنِّيَّةً حُبْلى ووجهاً مَتْحَفي
جلدُ الرَّصيفِ مِئزَري لونُ الرِّياحِ مِعْطَفي
جنسيَّتي غرابتي مملَكَتي تَطَرُّفي
مدينتي قصيدَةٌ أُشْعِلها وأنطفي
حبيبَةٌ تُميتُني دقائقاً وتختفي
حريقةٌ تَشْرَبُني أشرَبُها وأشتفي

* * *

أجسُّ نبضَ نجمةٍ على جبيني تَنْكَفي
أغيبُ في تَمزُّقي كي يهتدي تَكَشُّفي

❁ ❁ ❁

السَّفَر إلى الأيّام الخُضْر

أغسطس 1974م

يــا رفــاقــي إن أحــزنَــتْ أُغــنــيــاتــي
فــالــمــآسـي حــيــاتُــكُــمْ وحــيــاتــي

إن هَــمَــتْ أحــرُفــي دمــاً فــلأنّــي
يــمــنــيُّ الــمِــدادِ، قــلــبــي دَواتــي

أمــضــغُ (الــقــاتَ) كــي أبــيــتَ حــزيــنــاً
والــقــوافــي تــهــمــي أسَــىً غــيــرَ (قــاتــي)

أنــا أُعــطــي مــا تــمــنــحــونَ احــتــراقــي
فــالــمــراراتُ بــذرُكُــمْ ونــبــاتــي

غــيــرَ أنّــي، ومُــدْيــةُ الــمــوتِ عَــطْــشــى
فــي وريــدي أشــدو فــأُلــغــي وفَــاتــي

فــإذا جِــئــتُ مُــبْــكِــيــاً فــلأنّــي
جِــئــتُــكُــمْ مِــنْ مَــمَــاتِــكُــمْ ومَــمَــاتــي

عــاريــاً، مــا اســتــعــرتُ غــيــرَ جــبــيــنــي
شــاحــبــاً، مــا حــمــلــتُ غــيــرَ سِــمــاتــي

جــائــعــاً، مــن صَــدى (ابــنِ عــلــوانَ) خُــبــزي
ظــامــئــاً، مَــنْ ذبــولِ (أروى) سُــقــاتــي

* * *

رُبَّمـا أشتـهـي وأنـعـلُ خَـطـوي
كُـلُّ قـصـرٍ يُـوْمـي إلـيـكِ فَـتـاتـي؟

أقـسـمَ الـجَـدُّ: لـو أكـلـنـا بـثـدي
لُـقـمـةً مـن يـدٍ أكـلـتُ بـنـاتـي[1]

* * *

قـد تـقـولـونَ: ذاتـيَ الـحـسُّ، لـكـنْ
أيَّ شـيءٍ أحـسُّ؟ مـن أيـنَ ذاتـي؟

كـلُّ هـذا الـرُّكـامِ جـلـدُ عـظـامـي
فـإلـى أيـنَ مِـنْ يـديـهِ انـفـلاتـي؟

يـحـتـسـي مـن رمـادِ عـيـنـيـهِ لَـمْـحـي
يـرتـدي ظـلَّ رُكـبـتـيْـهِ الـتـفـاتـي

تـحـتَ سـكّـيـنـه تـنـاءى اجـتـمـاعـي
وإلـى شِـذْقِـهِ تـلاقـى شَـتـاتـي

آخـرَ الـلَّـيـلِ.. أوَّلَ الـصُّـبـحِ، لـكـنْ
هـل أحـسَّـتْ نـهـودَهـا أُمـسِـيـاتـي؟

هـل أداري أحـلامَـكُـمْ فـأُغَـنِّـي
لـلأزاهـيـرِ والـلَّـيـالـي شـواتـي؟

عـنـدمـا يُـزهـر الـهـشـيـمُ سـأدعـو:
يـا كـؤوسَ الـشَّـذا خُـذيـنـي وهـاتـي

(١) إشارة إلى المثل الحِمْيري (تموت الحرةُ جوعاً ولا تأكُل بثدييها).

الــشِّــتــاءُ الــذي ســيــنــدى عــقــيــقــاً
يــبــتــدي مــوســمَ الــورودِ الــلَّــواتــي
لــيــسَ قَــصــدي أن تــيــأســوا، لِــخُــطــاكُــمْ
قــصَّــةٌ مِــنْ دمِ الــصُّــخــورِ الــعــواتــي

* * *

يــا رفــاقــي فــي كُــلِّ مَــكْــسَــرِ غُــصــنٍ،
إنْ تــوالــى الــنَّــدى ربــيــعٌ مُــواتــي
يــرحــلُ الــنَّــبــعُ لــلــرَّفــيــفِ ويَــفْــنــى
وهــو يُــوصــي: تَــسَــنْــبَــلــي يــا رُفــاتــي
والــرَّوابــي يَــهْــجُــسْــنَ: فــيــمَ وقــوفــي
هــاهُــنــا يــا مــدى ســأرمــي ثــبــاتــي؟
ســوفَ تــأتــي أيــامُــنَــا الــخُــضْــرُ لــكــنْ
كــي تــرانــا نــجــيــئُــهــا قــبــلَ تــاتــي

◎◎◎

صنعاء في طائرة

مايو 1974م

علـى الـمـقـعـدِ الـرَّاحـلِ الـمُـسْـتَـقـرّ
تـطـيـريـن مـثـلـي ومـثـلـي لـهـيـفَـة

ومـثـلـي أنـا، صِـرْتُ عـبـدَ الـعـبـيـدِ
وأنـتِ لـكُـلِّ الـجـواري وصـيـفَـة

كِـلانـا تُـخـشِّـبُـنـا الأمـنـيـاتُ
وتـعـصِـرُنـا الـذُّكـريـاتُ الـعـنـيـفَـة

فَـقَـدْنَـا الـخـلـيـفـةَ مُـذْ بـاعَـنـا
إلـى كُـلِّ سـوقٍ جـنـودُ الـخـلـيـفَـة

* * *

أصـنـعـا إلـى أيـنَ؟ أمـضـي أعـودُ
لأمـضـي، كَـأنِّـي أؤدّي وظـيـفَـة

مَـلَـكْـتُ الـمـطـاراتِ والـطَّـائـراتِ
وأكـلـي (جـرادٌ) لأنّـي سـخـيـفَـة

ومـمـلـكـتـي هـودجٌ مـن ريـاح
تـروحُ عَـجـولاً وتَـأتـي خـفـيـفَـة

أتـبـكـيـنَ؟ لا، لا ومـن تـؤسِـفـيـنَ
إذا أنـتِ مـقـهـورةٌ أو أسـيـفَـة؟

وماذا سيحدثُ لو تَصرُخِينَ
وتَتَّزرينَ الدُّموعَ الكَثيفَةْ

سيرنو إليكِ الرَّفيقُ الَّلصيقُ
وينساكِ حينَ تَمُرُّ المُضيفَةْ

ويُعطيكِ قُرصَيْنَ مِنْ (أسبرين)
فتىً طيِّبٌ أو عجوزٌ لطيفَةْ

وقد لا يراكِ فتىً أو عجوز
ولا يلمحُ الجارُ تلك الضَّعِيفَةْ

أتُصغينَ؟ لا صوتَ غيرُ الضَّجيج
وغيرُ اختلاج الكؤوسِ المُطيفَةْ

فقد أصبحَتْ رؤيةُ الباكياتِ
لطولِ اعتيادِ المآسي أليفَةْ

* * *

تخافين ماذا؟ على أيِّ شيءٍ
تضِنِّينَ؟ أصبحتِ أنتِ المُخيفَةْ

فلَمْ يبقَ شيءٌ عزيزٌ لديكِ
أضَعْتِ العَفافَ ووجْهَ العفيفَةْ

على بابِ (كسرى) رميتِ الجبينَ
وأسلمْتِ نهديْكِ يومَ (السَّقيفَةْ)

وبِعْتِ أخيراً لِحَى (تُبَّع)
وأهدابَ (أروى) وثَغرَ (الشَّريفَةْ)[1]

---

(1) الشريفة دَهْمى: مؤلفة وشاعرة من نوابه القرن الثاني عشر الهجري.

أتُعطيكِ (واشنطنُ) اليومَ وجهاً؟
خُذي.. حسناً جرِّبي كلَّ جِيفَةْ

فقد تُلْفِتينَ بهذا السُّقوطِ
كأخبارِ مُنتحرٍ في صحيفَةْ

* * *

أصنعا، ولكنْ متى تأنفينَ
يقولونَ: قد كُنتِ يوماً مُنيفَةْ

متى منكِ تمضينَ عَجْلى إليكِ؟
ترَيْنَ اخضرارَ الحياةِ النَّظِيفَةْ

أمِنْ قلبِ أُغنيَةٍ مِنْ دموعٍ
ستأتينَ..؟ أَمْ مِنْ حنايا قذيفَةْ

* * *

بين المُدْية والذّابِح

25/ 9/ 1974م

وحشةُ الخارجِ تَغوي حولَهُ
ثُمَّ تَنْفيهِ إلى داخلِهِ
غربةُ الدَّاخلِ تَرميهِ إلى
مائجٍ يَبْحَثُ عن ساحِلِهِ
راحلٌ منهُ إليهِ، دربُهُ
شاردٌ أضيَعُ مِنْ راحِلِهِ
بعضُهُ يسألُهُ عن بعضِهِ
ردُّهُ أَخيَرُ منْ سائِلِهِ
باحثٌ عن قتلِهِ يعدو على
مُديةِ الذَّبحِ إلى قاتِلِهِ
يأكلُ الموتُ بقايا عُمْرِهِ
ويُغَنِّي في يَدَيْ آكِلِهِ
فَمُهُ أصغرُ مِنْ صيحتِهِ
عبئُهُ أكبرُ مِنْ حامِلِهِ

شاعرٌ ووطَنُهُ في الغربة

1973 ـ 1974م

كـانَ صُـبـحُ الـخـمـيـسِ أو ظُـهْـرُ جُـمْـعَـةْ
أَذْهَـلَـتْـنـي عـنـي عـن الـوقـتِ لـوعَـةْ

دَهـشَـةُ الـراحـلِ الـذي لـم يُـجَـرِّب
طـعـمَ خـوفِ الـنَّـوى ولا شـوقَ رَجْـعَـةْ

حـيـن نـادت إلـى الـصُّـعـودِ فـتـاةٌ
مـثـلُ أخـتـي بُـنَـيَّـةُ الـصَّـوتِ، رَبْـعَـةْ

مـنـذُ صـارَتْ مُـضِـيـفـةً لِـقَّـبـوهـا
(سـوزَنـاً) واسـمـهـا الـطـفـولـيُّ (شَـلْـعَـةْ)

إنَّ عـصـريَّـةَ الأسـامـي عـلـيـنـا
جـلـدُ فـيـلِ عـلـى قـوامِ ابْـنِ سَـبـعَـةْ

هـل يُـطـرِّي لـونُ الـعـنـاويـن سِـفْـراً
مَـيِّـتـاً زوَّقَـتْـهُ آخـرُ طـبـعَـةْ

* * *

حـانَ أن يُـقـلـعَ الـجـنـاحـان، طِـرْنـا
حـفـنـةً مِـنْ حَـصَـىً عـلـى صـدرِ قـلـعَـةْ

مـقـعـدي كـانَ وشـوشـاتِ بِـلادي
وجـهُ أرضـي فـي أدْمُـعـي ألـفُ شـمـعَـةْ

ووصـلـنـا، قَـطَّرَتْ مـأسـاةُ أهـلـي
مـنْ دمِ الـقـلـبِ دمـعـةً بـعـدَ دمـعَـةْ

* * *

زعـمـونـي رفـعْـتُ بـنـدَ الـتَّـحـدّي
واتَّـخـذتُ الـقـتـالَ بـالـحـرفِ صـنـعَـةْ

فـلْـيـكُـنْ، ولأمُـتْ ثـلاثـيـنَ مـوتـاً
كُـلَّـمـا خُـضْـتُ سِـتَّـةً هـاجَ تـسـعَـةْ

كُـلَّـمـا ذُقْـتُ رائـعـاً مِـنْ مَـمَـاتـي
رُمْـتُ أقـسـى يـداً وأعـنـفَ روعَـةْ

ألأنـي يـا مـوطـنـي أتَـجَـزَّا
قِـطَـعـاً مـن هـواكَ فـي كُـلِّ رُقْـعَـةْ

نـعـتـونـي مُـخـرِّبـاً، أنـتَ تـدري
أنَّـهـا لَـنْ تـكـونَ آخـرَ خُـدْعَـةْ

عَـرَفُـوا أنَّـهُـمْ أُديـنـوا فـسَـنُّـوا
لـلـجـواسـيـسِ تـهـمـةَ الـغـيـرِ شِـرْعَـةْ

عـنـدمـا تـفـسُـدُ الـظُّـروفُ تُـسَـمَّـى
كُـلُّ ذِكْـرىً جـمـيـلـةٍ سـوءَ سُـمـعَـةْ

يُـظْـلِـمُ الـزَّهـرُ فـي الـظـلامِ ويَـبـدو
مـثْـلَ أصـفـى الـعـيـونِ تَـحـتَ الأشِـعَّـةْ

* * *

يـا رحـيـلـي هـذي بـلادي تُـغَـنّـي
داخـلـي، تـغـتـلـي، تَـدُقُّ بِـسُـرْعَـةْ

كـنـتُ فـيـهـا ومُـذْ تـغَـيـبـتُ عـنـهـا
سـكـنـتْـنـي مـن أرضِـهـا كُـلُّ بـقـعَـةْ

الـتَـقَـتْ فـيَّ (صـعـدةٌ) و(الـمُـعَـلَّـى)
الـقـطـاعـاتُ داخـلـي صِـرْنَ قِـطـعَـةْ

صِـرْتُ لـلـمَـوطِـنِ الـمُـقـيـم بَـعـيـداً
وطـنـاً راحِـلاً . . أفـي الأمـرِ بِـدعَـةْ؟!

أحـتـسـي مـوطِـنـي لـظَـىً، يـحـتـسـيـنـي
مـن فـمِ الـنَّـارِ جـرعـةً إثْـرَ جُـرعَـةْ

فـي هـواهُ الـعـظـيـمِ أفـنـى وأفـنـى
والـعـذابُ الـكـبـيـرُ أكـبـرُ مُـتـعَـةْ

❂❂❂

مناضلٌ في الفراش

سبتمبر 1974م

مَـنْ أنـتَ؟ مـاذا تـسـاوي؟ وكـلُّ مـا فـيـكَ خـاوي
تُـحِـسُّ جِـلْـدَكَ ثـلـجـاً مُـطـيَّـنـاً وَهْـوَ كـاوي
تَـئِـنُّ، تُـخْـفـي ضـجـيـجـاً أنـتَ الـصَّـدى وهـوَ عـاوي
الـدَّاءُ فـيـكَ عـنـيـدٌ يـقـوى ولـكِـنْ تُـقـاوي
لا تـسـتـطـيـعُ تُـوالـي ولا تُـطـيـقُ تُـنـاوي
وكـنـتَ تُـضْـنـي الـدَّواهـي تُـغـيـي حـلـوقَ الـمـهـاوي
تـنـوي قـبـورُك لـكـنْ تـجـتـازُهـا غـيـرَ نـاوي
تـدوسُ هَـولاً وتُـدْمـي هـولاً عـنـيـفَ الـمَـسـاوي
تـلـوحُ لـلـقَـبْـضِ وَهْـمـاً وتـخـتـفـي فـي الـمَـلاوي
فـمِـنْ رصـيـفَـيْـنِ تـأتـي إلـى رصـيـفَـيْـنِ تـاوي
تـبـدو بـكُـلِّ مـكـانٍ تـخـفـى بـسـحْـرٍ سَـمَـاوي

* * *

والآنَ تـسـطـو عـلـيـهِـمْ وأنـتَ وحـدَكَ ثـاوي
كـسـلانُ كـالـجِـذْعِ تَـقْـوى عـلـيـكَ أدنـى الـهَـراوي
لا تـشـتـهـي أيَّ شـيءٍ وكـلُّ مـا فـيـكَ طـاوي
تَـعُـبُّ عـشـريـنَ قُـرصـاً وأنـتَ كـالأمـسِ ذاوي
لا الـطِّـبُّ يـعـرفُ داءً ولا الـدَّواءُ يُـداوي

كُـلُّ الـقـلاعِ الـلَّـواتـي أقـلَـقْـتَـهـا فـي تَـهـاوي
فـاهْـدأ فـخـطـوُكَ مـاضٍ والـدَّربُ مُـصـغٍ وراوي

❁ ❁ ❁

غريبان.. وكانا هما البلد

سبتمبر 1974م

دلــيــل:

عزيزي القارئ، أحببت قبل أن تدخل إلى هذه القصيدة أن تحمل في يدك هذا الدليل إلى زواياها المعتمة بغبار الأحداث وأثريّة الأسماء.

1 ـ (أُمُهُ مِنْ سورةِ المَسَدْ) في البيت الثالث: إشارة إلى (حمّالَةِ الحطب) في (سورة المسد) وهي تدل على الفقر والكدح.

2 ـ (بينون) في البيت الرابع عشر: حصن من المرمر، بناه الملك (أسعد الكامل)؛ ويقع في منطقة (ثَوبان ـ الحدا)، وليس له شهرة بين الآثار على غرابته لصعوبة الوصول إليه.

3 ـ (صخرٌ من السَّدّ) في البيت الخامس عشر: إشارة إلى (سدّ مأرب) الذي تَهدَّم، وأصبحت أحجاره شريدة يسأل بعضها عن بعض.

4 ـ يشير البيت السادس عشر والسابع عشر إلى الغُربة الدائمة لليمنيين، والسفر بأسماء مستعارة وبجوازات مختلفة، يتمّ بها تغيير الاسم لملاءمة الجواز حتى يصبح للمسافر في كل بلد اسمٌ آخر؛ فقد يحمل الحي جواز الميت ويستعير المسافر جواز العائد. ويكفي أن يغير اسمه حتى لا يتكلف ثمن جواز آخر.. هذا قبل فكرة صورة المسافر على جوازه.

5 ـ (الرامي) في البيت الثامن عشر: اسم مرض يفتك بالأبقار حتى يكاد يستأصل الحظائر، ويُسمّي مجتمع القُرى هذا المرض

(أحمد الرامي)، اختصرته لطول الاستعمال؛ فسمَّته (الرامي)، وفي بعض المناطق (الطاعون). وتنسب إليه صفات غريبة بعد دخوله إلى القرى، حيث يتحدث بعضهم إلى بعض أنهم وجدوه في الطريق إلى القرية، وله أربع أرجل يمشي عليها منتصباً كالإنسان، وله عشر أيد أظفارها كالسكاكين المحمرَّة اللون. وهذا الرعب في وصفه نتيجة تأثيره في الأبقار التي تعتبر وسائل الحرث ومصادر الغذاء لبناً وسمناً. والوقت الذي يطرأ فيه هذا المرض يعتبر حدثاً يؤرِّخ به أهل القُرى.

6 ـ (الإدريسي) في البيت العشرين: هو (محمد بن علي الإدريسي) أمير (صَبْيا) الذي أتى من أفريقيا واحتلَّ المنطقة التهامية من اليمن، واشتعلت بينه وبين اليمنيين حروب عامين؛ وكانت له الجولة الأولى حتى هُزم في حرب ثالثة عام 1932م.

7 ـ (حيكان) في البيت الثاني والعشرين: اسم لأكثر من وادٍ في أكثر من منطقة حتى أصبح رمز الخصب، وفيه يقول الحكيم اليماني (علي بن زايد):

ما لذًّ لي مثل حيكان المُسْبِلي يُشبعِ انسان
والتِّلْم يِمْلي غَرارة

وهذا غاية الخصب.

8 ـ (الدودحية) في البيت الثالث والعشرين: هي بنت شابَّة وقعت في الحب في الثلاثينيات، فأدَّى بها إلى حمل صورة المحبوب في بطنها. ولأنها من طبقة غنية انتشرت الحكاية حتى وصلت إلى قاضي المنطقة، فأمر بربطها مع أبيها ومحبوبها، وشدَّ على ظهورهم الطبول وصبغهم بالقطران، ودارت بهم الجموع على

المنطقة؛ حتى أصبحت تلك الحكاية مادة الأغاني الشعبية مدة عشرين عاماً. وقد تفنَّن الشعب في هذه الأغاني، فعبّرت عن التعيير وعن الشوق إلى المليحة وعن الحسد لمن نالها. وقد امتد أثر هذه الأغنية إلى الآن، فأحيا أداءها الفنان (علي الآنسي) في أغنية (خَطَرْ غُصْنُ القَنا).

9 ـ (حرب السَّبْع) في البيت السابع والعشرين إشارة إلى حروب السنوات السبع مع القوى الاستعمارية والرجعية منذ انفجار ثورة سبتمبر 1962م إلى آخر عام 1967م.

سبتمبر 1974م

مَــنْ ذلــكَ الــوجــهُ؟ يــبــدو أنــه (جَــنَــدي)
لا، بـل (يـريـمـي) سـأدعـو.. جـدَّ مُـبـتـعـدِ

أظُـنُّـهُ (مُـكَـرِدَ الـقـاضـي) كـقـامـتِـهِ
لا.. بل (مثنَّى الرَّداعي)، (مرشدَ الصَّيَدي)

لــعــلَّــهُ (دُبَــعِــيٌّ)، أصــلُ والــدِهِ
مِـنْ (يـافِـعٍ)، أُمُّـهُ مِـنْ (سـورةِ الـمَـسَـدِ)

عـرفْـتُـهُ يـمـنـيّـاً، فـي تَـلَـفُّـتِـهِ
خـوفٌ وعـيـنـاهُ تـاريـخٌ مِـنَ الـرَّمَـدِ

مـن خُـضـرةِ (الـقـاتِ) فـي عـيـنـيْـهِ أسـئـلـةٌ
صُـفْـرٌ تَـبـوحُ كـعـودٍ نـصـفِ مُـتَّـقِـدِ

رأيـتُ نـخـلَ (الـمُـكَـلاَّ) فـي مـلامِـحِـهِ
شـمَّـيـتُ عَـنْـبَ (الـحَـشـا) فـي جـيـدِهِ الـغَـيـدِ

مِـنْ أيــنَ يــا ابْــنــي؟ ولا يــرنــو وأســأُلــهُ
أدنــو قــلــيــلاً: صــبــاح الــخــيــر يــا ولــدي

ضــمَّــيــتُــهُ مــلءَ صــدري، إنَّــهُ وَطَــنــي
يــبــقــى اشــتــيــاقــي وذُوبــي الآنَ يــا كَــبِــدي

يِــسْــعِــدْ صــبــاحُــك يــا عــمِّــي، أتــعــرفُــنــي؟
فــيــكَ اعــتــنــقــتُ أنــا قــبَّــلــتُ مــنــكَ يــدي

لاقــيــتُ فــيــكَ (بَــكــيــلاً) (حــاشْــداً) (عَــدَنَــاً)
مــا كــنــتُ أحــلــمُ أن ألــقــى هــنــا بــلــدي

رأيــتُ فــيــكَ بــلادي كــلَّــهــا اجــتــمــعَــتْ
كــيــفَ الــتقــى الــتِّــسعــةُ الــمــلــيــونَ فــي جــســدِ؟

عــرفــتُ مَــنْ أنــتَ يــا عــمِّــي، تــلالُ (بَــنَــا)
(عــيــبــانُ) أثــقــلَــهُ غــابٌ مــن الــبَــرَدِ

(شــمــســانُ) تــنــســى الــثــريَّــا فــوقَ لــحــيــتِــهِ
فــاهــاً ويــنــســى ضــحــىً رجــلــيــهِ فــي الــزَّبَــدِ

(بَــيْــنــونُ) عــريــانُ يــمــشــي مــا عــلــيــه ســوى
قــمــيــصِــهِ الــمــرمــريِّ الــبــاردِ الأبــدي

صــخــرٌ مِــنْ الــسَّــدِّ يــجــتــازُ الــمُــحــيــطَ إلــى
ثــانٍ، يُــنــادي صــداهُ: مَــنْ رأى عُــمُــدي؟

* * *

مــا اسْــمُ ابــنُ أمــي؟ (ســعــيــدٌ) فــي (تــبــوكَ) وفــي
(ســيــلانَ) (يــحــيــى) وفــي (غــانــا) (أبــو ســنــدِ)

وأنتَ يا عمُّ؟ في (نيجيريا) (حسنٌ)
وفي (الملاوي) دَعَوني (ناصرَ العَنَدي)

سافرْتُ في سنة (الرَّامي)، هربتُ على
عَمِّي غداةَ قَبَرْنا (ناجيَ الأسَدي)

مِنْ بعدِ عامينِ من أخبارِ قتلِ أبي
خلفَ (اللُّحيَّةِ) في جيشٍ بلا عَدَدِ

أيامَ صاحوا: قُوَى (الإدريسيَ) احتشَدَتْ
وقابلوها بجيشٍ غيرِ مُحتَشدِ

رحلتُ في ذلكَ التَّاريخِ أذكُرُهُ
كأنَّها ساعةٌ يا (سعدُ) لم تَزِدِ

صباحَ قالوا: (سُعودُ) قبلَ خِطْبتِها
حُبلى، و(حَنْكانُ) لم يحبلْ ولم يلدِ

و(الدَّودحيَّةُ) تَهْمي في مراتِعِنا
أغانيَ العارِ والأشواقِ والحَسَدِ

ودَّعتُ أغناميَ العشرينَ (مُخصَنَةً)
حتى أعودَ، وحتى اليومَ لم أعُدِ

* * *

مَنْ ماتَ يا ابني؟ مَنِ الباقي؟ أتسأُلني!
فصولُ مأساتنا الطُّولى بلا عَددِ

ماذا جرى في السنينَ السِّتِّ من سَفَري؟
أخشى وقوعَ الذي ما دارَ في خَلَدي

مــارسْــتُ يــا عــمُّ حَــربَ الــسَّــبــع مُــتَّــقِــداً
تــقــودُنــي فــطــنــةٌ أغــبــى مــن الــوَتَــدِ

كــانــت بِــلا أرجُــلٍ تَــمــشــي بــلا نــظــرٍ
كــانَ الــقــتــالُ بــلا داعٍ ســوى الــمَــدَدِ

وكــيــفَ كُــنْــتُــمْ تــنــوحــونَ الــرِّجــالَ، بــلا
نَــوحٍ، نــمــوتُ كــمــا نــحــيــا بــلا رشَــدِ

فــوجٌ يــمــوتُ ونــنــســاهُ بــأربــعَــةٍ
فــلَــمْ يَــعُــدْ أحــدٌ يــبــكــي عــلــى أحــدِ

وفــوقَ ذلــكَ ألــقــى ألــفَ مُــرتــزقٍ
فــي الــيــومِ يــسألُــنــي: مــا لــونُ مُــعــتَــقَــدي؟

بــلا اعــتــقــادٍ، وهُــمْ مِــثــلــي بــلا هــدفٍ
يــا عــمُّ مــا أرخَــصَ الإنــســانَ فــي بَــلَــدي

والآنَ يــا ابْــنــي؟ جــوابٌ لا حــدودَ لَــهُ
الــيــومَ أُدْجــي لــكــي يــخــضــرَّ وجــهُ غَــدي

❁ ❁ ❁

ابنُ فُلانة!

فبراير 1974م

لا تَسلْ مَنْ أنا؟ فلاِسْمي صِلاتٌ
بالتّي أرضعَتْهُ ذوبَ المهانةْ

كيف أحكي: فُلاناً ابنَ فُلانٍ
ورِفاقي يدعونني: ابنَ فُلانةْ!

إن رأوْني أبدو رصيناً أشاروا
علَّمَتْهُ تلكَ البتولُ الرَّصانةْ

وإذا لاحظوا قميصي جديداً
ردَّدوا: فوقَ رُكبتيْها خزانةْ

دخلُها كلَّ ليلةٍ نصفُ ألفٍ
أحسنوا الظَّنَّ.. تُهمةٌ لا إدانَةْ

ولدَيْها، كما يقولونَ جَيْشٌ
درَّبَتهُ خبيرةٌ في المجانةْ

وهي سِمسارةٌ لكُلِّ دعيٍّ
فوقَ هذا وللعِدا قهرمانَةْ

أعجبَتْ سادةَ النُّقودِ فأعطَوْا
وجدُوا عندَها أحطَّ استكانةْ

حَسَناً، إنَّها عليهِمْ دليلٌ
إن تَخَفَّوْا دلَّتْ بأخزى إبانَةْ

نحنُ ندري، هل أبدعوا غيرَ هذا
وانتزافَ البلادِ في كُلِّ حانَةْ

كان يحكي هذا وهذا يليهِ
ويُداجي هذا بُخبثِ الرَّزانَةْ

ألفُ أمٍّ روَتْ حكاياتِ أُمِّي
لبنيها فَردَّدوا في أمانَةْ:

بيتُها أشهرُ البيوتِ جميعاً
ولَهُ دونَ كُلِّ بيتٍ حَصانَةْ

* * *

إنَّني ساقطٌ لأنَّ لأُمِّي
عند أغنى الرجالِ أعلى مكانَةْ

لا تَلُح لي يا اسْمي فإني جبانٌ
حينَ تبدو بفضلِ تلكَ الجبانَةْ

يا التي يخبرونَ عَنْها كثيراً
اتركيني.. ودَّعْتُ دارَ الإهانَةْ

صِرتُ غَيري، رميتُ باسْمي ورائي
وسأعتادُ جِدَّتي بالمِرانةْ

⚬⚬⚬

الهدهدُ السادس

فبراير 1974م

مـن أيـنَ لـي يـا (مَـذْحَـجِـيَّـةْ) وتـرٌ كـقِـصَّـتِـكِ الـشَـجِـيَّـةْ؟
أيـنَ انـطـفَـتْ عـيـنـاكِ؟ اسْـــكُـتْ . . أيـنَ جبهتُكِ الأبيَّةْ؟
اسْـكُـتْ، أتـبـتـدعـيـن يـومـاً جـبـهـة أعـلـى طـريَّـةْ؟
اسْكُتْ، رجعتُ إلى التَّعقُّـلِ، لا أريـدُ الـعَـبـقـريَّـةْ
أوَلـيـسَ فـلـسـفـةُ الـهَـزِيْـمـةِ أن أمـوتَ تـعـقُّـلِـيَّـةْ؟
وهَـلِ الـعـمـالـةُ حـكـمـةٌ؟ وهـلِ الشَّجاعـةُ موسـميَّةْ؟
اسْـكُـتْ، ولـكـنْ لـسـتَ مـن أبـطـالِ تـلـكَ الـمـسـرحـيَّـةْ
بـعـدَ الـغـروبِ سـتَـبـزُغِـيْـنَ كـشـمـسِـكِ الـبـكـرِ الـجـريَّـةْ
اسْـكُـتْ، لأنَّ الـجـوَّ أحْـجـارٌ حـلـوقٌ بـربـريَّـةْ

* * *

الـشُّـعْـرُ أقـوى فـاعـزفـي رِئـتَـيْـكِ أو مـوتـي شـقـيَّـةْ
الـصَّـمـتُ يُـعـشِـبُ طُـحْـلُـبـاً حُـمَّـى، ذيـولاً عـوسـجـيَّـةْ
وقـرونَ أشـبـاحٍ كـأبـوابِ الـسُّـجـونِ الـعَـسـكـريَّـةْ
سـقـفٌ مِـنَ الـحـيَّـاتِ والْـأيـدي وألـوانِ الـمَـنـيَّـةْ
يـطـفـو ويـركـضُ، يَـمـتـطي عـيـنـيْـهِ، يـسـقـطُ كـالـمـطـيَّـةْ

* * *

مـاذا هُـنـا؟ شـيءٌ كـلا شـيءٍ، شـظـايـا مـتـحـفـيَّـةْ
الـلَّـيـلُ يـبـحَـثُ عَـنْ ضُـحَـىً والـصُّـبـحُ يـبـحـثُ عـن عـشـيَّـةْ

هــرب الــزَّمــانُ مــن الــزمــا ... نِ، خــوَتْ ثــوانـيـهِ الـغـبـيَّـةْ
مـن وجـهـهِ الـحـجـري يـفـرُّ ... إلــى شـنـاعـتِـهِ الـخـفـيَّـةْ
حــتــى الــزَّمــانُ بــلا زمــا ... نِ، والـمـكـانُ بـلا قـضـيَّـةْ
الــتَّــابــعــونَ بــلا رُؤو ... سٍ والـمـلـوكُ بـلا رعـيَّـةْ
والـمُـسـتـغِـلُّ بـلا امـتـيـا ... زِ والـفـقـيـرُ بـلا مـزيَّـةْ

* * *

مَـنْ ذا هُـنـا؟ (صـنـعـا) بـلا ... صـنـعـا، وجـوهٌ أجـنـبـيَّـةْ
مـتـطـوِّعـونَ وطـيِّـعـا ... تٌ، أوصـيـاءُ بـلا وصـيَّـةْ
حُـزَمٌ مِـنَ الـشَّـعْـرِ الـمُـسـرَّ ... حِ والـعـيـونِ الـفـوضـويَّـةْ
خـبـراءُ فـي عُـقْـمِ الإدا ... رةِ، وافـدونَ بِـلا هُـوِيَّـةْ
ومـسـافـرونَ بـلا ودا ... عٍ، واصـلـون بـلا تـحـيَّـةْ
ومُـؤَمْـرَكـونَ إلـى الـعـظـامِ ... لـهـم وجـوهٌ فـارسـيَّـةْ
ومُـؤَمْـرَكـاتٌ يـرتـديـن ... قـمـيـصَ (لـيـلـى الـعـامـريَّـةْ)
كـتـلٌ مـن الإسـمـنـتِ لا ... بـسـةٌ جـلـوداً آدمـيَّـةْ
تـسـعـونَ فـوجـاً والـمـسـا ... فـةُ فـي بـدايـتِـهـا الـقَـصِـيَّـةْ
يـا (هـدهـدُ) الـيـومَ الـحـمـو ... لـةُ فـوقَ طـاقـتِـكَ الـقـويَّـةْ
هـذي حـقـائِـبُـكَ الـكِـبـا ... رُ تَـنِـمُّ عـن خُـبْـثِ الـطَّـويَّـةْ

* * *

هـل جِـئْـتَ مـن سـبـأٍ؟ وَكَـيْـ ... ـفَ رأيـتَـهُ؟ أضـحـى سَـبـيَّـةْ
ولَّـى، عـلـيـهِ عـبـاءةٌ ... مِـنْ أُغـنـيَـاتِ (الـدَّودَحـيَّـةْ)
سـقـطَ الـمُـتـاجِـرُ، والـتِّـجـا ... رةُ والـمُـضَـحِّـي والـضَّـحـيَّـةْ
حـتـى الـبـقـاعُ هَـرَبْـنَ مِـنْ ... أسـمـائِـهـنَّ (الـحِـمْـيـريَّـةْ)

هـل لـلـقَـضـيَّـةِ عَـكْـسُـهـا؟ هـل لـلـحـكـايـةِ مـن بـقـيَّـةْ؟
كـلُّ الـحـلـوقِ أقـلُّ مـنْ هـذي الـجـبـالِ (الـيَـحْـصُـبِـيَّـةْ)
كـلُّ الـسِّـلاحِ أقـلُّ مِـنْ هـذي الـمـلايـيـنِ الـعـصـيَّـةْ

***

(صـنـعـاءُ) مـن أيـنَ الـطَّـرِيْـقُ إلـى مـجـالـيـكِ الـنَّـقـيَّـةْ؟
وإلـى بَـكـارتِـكِ الـعـجـوزِ، إلـى أنـوثـتِـكِ الـشَّـهـيَّـةْ
يـا زوجـةَ الـسَّـفَّـاحِ والـسِّـمـسـارِ يـا وجـهَ الـسَّـبِـيَّـةْ
سـقـطَـتْ لَـحَـى الـفُـرسـانِ والـتـحَـتِ الـمُـسِـنَّـةْ والـصَّـبـيَّـةْ

❁❁❁

يوم 13 حزيران

1974م

جـــبـــيـــنُـــهُ دبَّـــابـــةٌ واقـــفَـــةْ
أهـــدابُـــهُ دبَّـــابـــةٌ زاحـــفـــةْ

لـــيـــس لـــهُ وجـــهٌ . . لـــه أوجـــهٌ
مـــمـــســـوحـــةٌ كـــالـــعـــمـــلـــةِ الـــتَّـــالـــفَـــةْ

ســـاقـــاهُ جـــنـــزيـــران، أعـــراقُـــهُ
إذاعـــةٌ مـــبـــحـــوحـــةٌ راجـــفَـــةْ

تـــلـــغُـــو كـــمـــا تـــســـقـــي الـــريـــاحُ الـــحـــصـــى
تَـــخْـــمَـــرُ كـــالـــجِـــنْـــيَّـــةِ الـــرَّاعِـــفَـــةْ

بـــعـــدَ قـــلـــيـــلٍ مِـــئـــتـــا مـــرَّةٍ
وعـــدٌ كـــسُـــكْـــرِ الـــلَّـــيـــلـــةِ الـــصـــائـــفـــةْ

ويـــعـــدَ عـــشـــريـــنَ احـــتـــمـــالاً بَـــدَتْ
ولادةٌ مـــكـــرورةٌ زائـــفَـــةْ

حـــمـــاسَـــةٌ صـــفـــراءُ مـــعـــروقـــةٌ
أنـــشـــودةٌ مـــســـلـــولـــةٌ واجِـــفَـــةْ

شـــيءٌ بـــلا لـــونٍ، بـــلا نـــكـــهـــةٍ
مـــاذا تُـــسَـــمِّـــيـــهِ؟ الـــلُّـــغَـــى الـــواصـــفَـــةْ

يــا عــمُّ دبَّــابــاتُ. . إنِّــي أرى
هــذا انــقــلابٌ. . جــدَّتــي عــارفَــةْ

نــفــسُ الــذي جــاء مــراراً كــمــا
تــأتــي وتــمــضــي دورةُ الــعــاصــفَــةْ

وســوفَ يــأتــي ثُــمَّ يــأتــي إلــى
أن تــســتــفــيــقَ الــثَّــورةُ الــوارفــةْ

* * *

لا يــركــبُ الــشَّــعــبُ إلــى فــجْــرِهِ
دبَّــابَــةً، لا يــمــتــطــي قــاذفَــةْ

الــشَّــعْــبُ يــأتــي لاهِــثــاً، صــابِــراً
مُــمــتــطــيــاً أوجــاعَــهُ الــنَّــازفَــةْ

يــأتــي، كــمــا تــأتــي ســيــولُ الــرُّبــا
نــقــيَّــةً خــلاَّقــةً جــارِفَــةْ

يــبــرعِــمُ الــشَّــوقُ الــحَــصَــى تــحــتَــهُ
والــشَّــمــسُ فــي أجــفــانِــهِ هــاتِــفَــةْ

وتَــهــجِــسُ الأعــشــابُ فــي خــطــوِهِ
هــجْــسَ الــمَــجــانــي لــلــيــدِ الــقــاطِــفَــةْ

* * *

يــا عــمُّ: دبَّــابــاتُ. . قُــلْ لُــعــبــةٌ
ســخــيــفَــةٌ كــالــلُّــعــبــةِ الــسَّــالِــفَــةْ

لــكــنْ لِــمــاذا لــمْ تُــثِــرْ لــفــتــةً
ولا اســتــفــزَّتْ لــمــحــةً كــاشــفَــةْ؟

لأنَّ مَــنْ كــانــوا مــضَــوْا وانــثــنــوْا
طــائــفــةٌ ولَّــتْ، بَــدَتْ طــائــفَــةْ

الــمُــنــتــهــي أمــســى هــو الــمُــبــتــدي
والــصُّــورةُ الــمــخــلــوفــةُ الــخــالِــفَــةْ

قــد يــســتــعــيــرُ الــعــزفُ غــيــرَ اسْــمِــهِ
لــكــنــهــا نــفــسُ الــيــدِ الــعــازفَــةْ

***

دبَّــابــةٌ أُخــرى وأُخــرى، ولا
ألــقــى رصــيــفٌ نــظــرةً خــاطــفَــةْ

لــم تــلــتــفِــتْ دارٌ ولا بُــقــعــةٌ
بــدَتْ عــلــى أمــنٍ ولا خــائــفَــةْ

شــيءٌ جــرى، لــم يــســتــدِرْ شــارعٌ
ولا انــجــلَــتْ زاويــةٌ كــاسِــفَــةْ

مــاذا جــرى؟ لــم يَــجْــرِ شــيءٌ هــنــا
صــنــعــاءُ لا فَــرْحَــى ولا آســفَــةْ

(الــقــاتُ) ســاهٍ والــمــقــاهــي عــلــى
أكــوابِــهــا مــحــنــيَّــةٌ عــاكِــفَــةْ

مــاذا جــرى؟ لا حِــسَّ عــمَّــا جــرى
ولا لــدَيْــهِ ومــضــةٌ هــادفَــةْ

مــاذا يــعــي الــتــاريــخُ؟ مــاذا رأى؟
ولَّــى بــلا ذكــرى، بــلا عــاطــفَــةْ

❁❁❁

بين ضياعَيْن

يناير 1974م

كُــلُّ مــا عِــنْــدَنــا يــزيــدُ ضــيــاعــا
والــذي نــرتــجــيــهِ يَــنْــأى امــتــنــاعــا

نــتــشَــهَّــى غــداً، يــزيــدُ ابــتــعــاداً
نُــرجِــعُ الأمــسَ، لا يــطــيــقُ ارتــجــاعــا

بــيــن يــومٍ مَــضَــى ويــومٍ ســيــأتــي
نــزرعُ الــريــحَ نــبــتَــنــيْــهــا قِــلاعــا

والــذي ســوف نــبــتَــنِــيْــهِ يُــوَلِّــي
هــارِبــاً والــذي بــنَــيْــنــا تــداعــى

نــمــتــطــي مــوجــةً إلــى غــيــرِ مَــرْسَــى
إن وجــدنــا ريــحــاً فــقــدْنَــا الــشِّــراعــا

وإلــيــنــا جــاءَ الــشُّــراةُ تِــبــاعــاً
حــبِــلَــتْ أخــصــبُ الــجــيــوبِ تِــبــاعــا

لا يُــحِــسُّ الــذي اشــتَــرانــا لِــمَــاذا
والــذي بــاعَ مــا دَرى كــيــف بَــاعــا!

فَــتَــهَــاوى الــذي تَــلــقَّــى وأعْــطَــى
وشــمَــخْــنَــا مــســتــهــزئــيــنَ جِــيــاعــا!

●●●

أصيل من الحبّ

19/ 2/ 1974م

قد كان لا يصحو ولا يَزوى
واليومَ لا يسلو ولا يَهوَى

ينسى، ولكنْ لم يزلْ ذاكراً
حبيبةً كانتْ لَهُ السَّلوى

وكان إنْ مَرَّ اسْمُها أزهَرَتْ
في قلبِهِ الأشواقُ والنَّجْوَى

وانثالتِ السّاعاتُ من حولِهِ
أحلامَ عُشَّاقٍ بلا مَأوَى

وكانتِ الحلوى لطفلِ الهَوَى
والآنَ لا خلاًّ ولا حَلْوَى

وكانَ يشكُو إن نَأتْ أو دَنَتْ
لأنَّهَا تَستعذبُ الشَّكوى

* * *

كانت لديهِ الكلّ، لا مثلُها
لا قبلُها، لا بعدَها حَوَّا

فأصبحَتْ واحدةً، لا اسْمُها
أحلى ولا مجنونُها أغوَى

يــودُّ أن يَــهْــوَى فــيــخــبُــو الــهَــوَى
ويــشــتــهــي يَــنْــسَــى فــلا يَــقْــوَى

فــلــمْ يــعــدْ فــي حــبِّــهِ صــادقــاً
ولــيــس فــيــهِ كــاذبَ الــدَّعْــوَى

أصــيــلُ حــبٍّ يــســتــعــيــدُ الــضُّــحَــى
ويــنــطــوي فــي الــلَّــيــلــةِ الــعَــشْــوَى

⊛⊛⊛

ألوان من الصمت

أغسطس 1974م

مثلُ طفلٍ حالمٍ يصحُو ويغفُو
يرسبُ الصمتُ بعينيْهِ ويطفُو

ينطوي خلفَ تلوِّي جِلْدِهِ
كعُقابٍ ينتوي الفتكَ ويعفُو

يهمسُ الإنشادَ، ينسى صوتَهُ
يتزيَّا بالهَوَى، يحنو ويجفُو

يحتسي أنفاسَهُ، يرسِلُهَا
زُمَراً كالنَّخلِ ترتدُّ وتَهْفُو

ينحني، يرحلُ في لِحيتِهِ
جاثِياً ينْجَرُّ، يغبرُّ ويصفو

بعضُهُ ينسلُّ مِنْهُ، بعضُهُ
يمتطي أطرافَ كفَّيْهِ ويقفُو

* * *

صرخةُ المذياعِ تُدْمي هجسَهُ:
قاتلوا في (قبرصَ) اليومَ وكفُّوا

(الفَيَتْكِنْجَ) اسْتَحالوا شَجَراً
هبطوا كالجمرِ، كالعُقبانِ خَفُّوا

ارتــدى أبــطــالُ (سَــيْــجُــونَ) الــحــصــى
دخــلــوا الأعــشــابَ كــالأعــشــابِ جَــفُّــوا

حــشَــدَتْ (واشــنــطــن) الــمــوتَ سَــدَىً
ركــضَ الأمــواتُ أخــطــاراً وحــفُّــوا

أنــبــتَــتْ كُــلُّ حــصــاةٍ مــوكــبــاً
كــعــفــاريــتِ الــرُّبــا اصــطــفُّــوا وصَــفُّــوا

وثَــبُــوا كــالــسَّــيــلِ، كــالــسَّــيــل انــثــنَــوْا
تــحــتَ أمــطــار الــلَّــظــى احــمــرُّوا ورَفُّــوا

قــررَّ الأقــطــابُ حــلّاً حــاســمــاً
لــلــمــآســي، لــحــظــةً تَــابُــوا وعَــفُّــوا

اســتــشــفُّــوا أنَّ إقــلاقَ الأَســى
يــطــلــقُ الأطــفــالَ.. هــذا مــا اســتــشــفُّــوا

انــتــهَــتْ أخــبــارُنــا فــانــتــظــروا
واســتــراحُــوا ســاعــةً، غَــنَّــوْا وزفُّــوا

يَــخْــلــعُ الــصَّــمــتُ هــنــا ألــوانَــهُ
يــتــعــبُ الــتــمــزيــقُ فــيــهــا ثُــمَّ يــرفُــو

❁ ❁ ❁

ثرثرات محموم

يناير 1974م

كـان يـحـكـي، يـبـكـي، يـجـيـبُ، يُـنـادي
يـدَّعـي، يـشـتـكـي، يـصـافـي، يُـعـادي

مـرحـبـاً يـا (سـعـيـدُ)، خـذْ نـورَ يـنـي
اسـكـتـي، هـاتِ بُـنْـدُقـي يـا (عُـبـادي)

غـادَرتْ عُـمْـقَـهَـا الـبـحـارُ وجـاءَتْ
ركـبـتْ ظِـلَّـهَـا الـرِّمـالُ الـحَـوادي

* * *

هـل تـخـافـيـنَ أن أمـوت؟ حـيـاتـي
لـم تـحـقِّـقْ شَـيـئـاً يـثـيـرُ افْـتِـقـادي

كـنـتُ كـالآخـريـنَ، أمـشـطُ شَـعْـري
أنـتـقـي بـزَّتِـي، أبـيـعُ كَـسـادي

أشـتـري (ربـطـة)[1] وأصـحـو بـكـأس
وبـكـأسٍ أُطـفـي شـمـوع سـهـادي

وأُوالـي بـلا اعـتـقـادٍ وأنـوي
سـحـقَ مَـنْ لـم يـتـاجـروا بـاعـتِـقـادي

---

(1) رَبطةً: حزمة قات

كُلُّ هذا عُمْري، وعمرٌ كَهذا
لا يُساوي عذابَ يومِ وِلادي

* * *

اسقِني يا (صلاح)، زدْ، مَنْ دعَاني؟
يا عيالَ الكلابِ ردُّوا جَوادي

كيف أقضي دَيْني وليس ببيتي
غيرُ بيتي ومِعْزفٌ غيرُ شادي؟

والَّذي كانَ والدي صَارَ طفلي
مَن أُداري.. عِنادَهُ أو عِنادي؟

لبسَتْ قامةُ الرِّياحِ جَبيني
نسيَ اللَّيلُ رجلَهُ في وِسَادي

* * *

زَوَّجتْ بنتَها بعشرين ألفاً
باعَ (ناجي سعيدُ) (زيدَ الجَرادي)

كلُّ آتٍ مَضَى، أتى كلُّ ماضٍ
ضاع في كلِّ رايحِ كلُّ غَادي

(ما كَفَى واحِداً كَفى اثْنينِ) قالوا
أكلوني ويحذرونَ ازدرادي

ولأنّي مُجوَّفٌ مثلُ غيري
بِعْتُ وجهي لوجهِ مائي وزادي

اليساريُّ رزقُ اليميني، وقالوا:
اجْودُ الخُبزِ مِنْ طحينِ التَّعادي

مَن سيعطي (سعداً) حُساماً بصيراً
ثالثُ السَّاعدَيْنِ ذيلٌ جِيادي

* * *

ذاتَ يومٍ كانتْ ممرّاتُ (صنعا)
من نبيذٍ ومِنْ زهورٍ نوادي

تَتَهَادى النُّجومُ في كلِّ دَرْبٍ
كالغَواني.. فأينَ ذاكَ التَّهَادي؟

سألوا من أَنَا، وصرَّحتُ باسْمي
كاملاً، أنكروا بأنّي (مُرادي)

قلت: (إبِّي)، (عَنْسي)، (زبيدي).. أشاروا
الرِّيالاتُ نسبتي وبلادي

أضحكتْهُمْ كتابةُ اسْمي وفوْراً
بَيَّضَتْ خضرةُ النُّقودِ مِدادي

* * *

عندهُ نعجةٌ فأمسى مديراً!
نهدُ أنثى مؤهَّلٌ غيرُ عَادي

الحليبُ الذي يُسمَّى جلوداً
طازجاتٍ أمسى سريرَ (ابْنِ هادي)[1]

قَبْلَ بدءِ الزَّواجِ طُلِّقْتُ.. صَارَتْ
كلُّ زوجاتِهِمْ خيولَ رُقادي

(1) ابن هادي: اشتهر بالرشوة فسمِّيت باسمه.

كـانَ يـخـشـى أبـي فَـسـادي ويـبـنـي
يـومَ عُـرْسـي رفـضـتُ.. عـاشَ فـسـادي

كـنـتُ أعـتـادُهَـا (غَـزالاً) فـأضـحَـتْ
(فـاتـنـاً).. ودِّعِ الـهَـوَى يـا فُـؤادي

* * *

مـن أرادَ الـنَّـجـاةَ مـاتَ لـيـحـيـا
والـذي لـم يَـمُـتْ إلـى الـموتِ صـادي

سَـلَّـحُـونـا (شـيـكـي)[1] وقـالـوا عـلـيـكُـمْ
وعـلـيـكـم.. حَـسْـبَ الـقَـرارِ الـقـيـادي

كـانَ (يـحـيـى) كـالـتَّـيْـسِ يـعـدو ويـثْـغُـو
و(مـثـنَّـى) يُـلـقـي خِـطـابـاً (زيـادي)[2]

وهَـجَـمـنـا.. مِـتْـنـا قـلـيـلاً، أفـقـنـا
مـوتُـنَـا كـانَ مـولِـداً لا إرادي

ورجـعـنـا ولـلـصـخـورِ عـيـونٌ
كـالـصَّـبـايـا ولـلـرَّوابـي أيـادي

انَّ تـحـتَ الـقـنـاعِ والـوجـهِ وجـهـاً
يـخـتـفـي تـحـتَ ظـهـرِهِ وَهْـوَ بـادي

صـاحـبُ الـواديَـيْـنِ دونَ تَـمَـنٍّ
نَـالَ ألـفـاً وبـاعَ مـلـيـونَ وادي

* * *

(1) شيكي: نوع من البنادق يكشف للعدو بإضاءته مصدر الرماية الليلية.

(2) زيادي: نسبة إلى زياد بن أبيه صاحب الخطبة الشهيرة (البتراء).

بــدءُ لــيــلــي حــبٌّ بــدونِ عــشــاءٍ
نــصــفُ يــومــي هــوىً وخــبــزٌ مُــعــادي

هــل ســأعــتــاد وجــهَ غــيــري بــوجــهِــي؟
زَعَــمُــوا، ربَّــمَــا أخــونُ اعــتــيــادي

قــلــتَ لــي: أنَّ ذا (أكــيــدٌ) ولــكــنْ
أيُّ شــيءٍ مــؤكَّــدٌ يــا (حَــمــادي)؟

آه مَــاذا أريــدُ؟ أدري وأنــســى
ثــم أنــســى أنّــي نــســيــتُ مُــرادي

* * *

كــان يــحــكــي وفَــتْــحَــتــا مُــقْــلــتَــيْــهِ
مــثــلُ ثــقــبــيْــنِ فــي جــدارِ رمــادي

⊛⊛⊛

الشاطئ الثاني

دمشق، أكتوبر 1974م

يـا وجْـهَـهَـا فـي الـشـاطـئ الـثّـانـي
أسـرجْـتُ لـلإبـحـارِ أَحْـزانـي

أشـرغـتُ يـا أمـواجُ أوردَتـي
وأَتـيـتُ وخـدي فـوقَ أشـجَـانـي

ولـمـا أتـيـتُ.. أتَـيْـتُ مـلـتـمـساً
فـرحـي وأشْـعـاري وإنـسَـانـي

* * *

مِـنْ أيـنَ؟ لا أرجـوكِ لا تَـسَـلـي
تـدريـنَ.. وجـهُ الـرِّيـحِ عـنْـواني

لـو كـانَ لـي مـن أيـن؟ قـبـلَ هـنـا
قـدّرتُ أنَّ الـتّـيـهَ أنـسـانـي

مِـنْ أيـنَ ثـانـيـةٌ وثـالـثـةٌ؟
أضـنـيـتُ بـحـثَ الـرَّدِّ، أضـنـانـي

مـن قـبـريَ الـجـوَّالِ فـي جـسـدي
مـن لا مـتـى، مـن مـوتِ أزمـانـي

مـن أخـبـرتْـنـي عـنـكَ؟ لا أحـدٌ
مَـنْ دلَّـنـي؟ عـيـنـاكِ، شـيـطـانـي

قـلـقـي، حـنـيـنُ الـعـمـرِ، عَـفْـرَتَـتِـي
فـي الـبـحـثِ عـن تَـرْبِـيْـتِـكِ الـحـانـي

عـن نـبـضِ أعـراقـي وعـن لـغـتـي
عـن مـنـبـتـي مـن عـقـمِ أكـفـانـي

أَعَـلَـيَّ أفـنـى هـاهُـنَـا عـطـشـاً،
جـوعـاً وفـي كَـفَّـيْـكِ بُـسْـتـانـي؟

* * *

حـانَ اقـتـرابـي مـنـكِ. . أيـنَ أنـا؟
الـشَّـوقُ أقـصـانـي وأدنـانـي

مـن أيـنَ لـي، يـا ريـحُ مـعـجـزةٌ؟
يـا مـوجُ أيـنَ رأيـتَ رُبَّـانـي؟

يـا صُـبْـحَـهـا مِـنْ أيـنَ؟ مُـدَّ يَـداً
يـا عـطـرهَـا مِـنْ أيـنَ؟ نـادانـي؟

الـشـاطـئُ الـلَّـهْـفَـانُ يـدفـعُـنـي
وأخـافُ هـذا الـمـعـبـرَ الـقـانـي

مِـنْ أيـنَ، يـا جَـذْلـى أمـدُّ فَـمـي
ويـدي إلـى بـسـتـانِـكِ الـهـانـي؟

مِـنْ أيـنَ؟ إنَّ الـبـعـدَ قـرَّبـنـي
مِـنْ أيـنَ؟ إنَّ الـقـربَ أقـصـانـي

* * *

اليومَ كانَ البدءُ يا سَفَري
وغداً سألقاها وتلقاني

فلْتَنْتَظِرْني حيثُ أنتَ غداً
يا وجهَها في الشاطئ الثاني

⊛⊛⊛


وجـوهٌ
دخانيَّة في مرايا
اللَّـيل

بين الرجل والطريق

(نوفمبر 1975م)

كــان رأســي فــي يَــدي مــثــلَ الــلُّــفــافَــةْ
وأنــا أمــشــي كــبــاعــاتِ الــصَّــحــافَــةْ

وأُنــــادي: يــــا مـــمـــرّاتُ إلـــى
أَيْــنَ تَــنْــجــرُ طَــوابِــيــرُ الــسَّــخــافَــةْ؟

يــا بــرامــيــلَ الــقــمــامــاتِ إلــى
أيــنَ تــمــضــيــنَ؟ إلــى دُورِ الــثَّــقــافَــةْ

كُــلُّ بــرمِــيــلٍ إلــى الــدُّورِ؟ نــعــم
وإلــى الــمــقــهــى جــواســيــسُ الــخِــلافَــةْ

ثــم مـــاذا؟ ورصـــيـــفٌ مـــثـــقـــلٌ
بــرصــيــفٍ، يــحــسَــبُ الــصَّــمــتَ حَــصــافَــةْ

* * *

هــاهُــنــا قــصــفٌ، هــنــا يَــهْــمــي دمٌ
ربَّــمَــا ســمَّــوْهُ تــوريــدَ الــلَّــطــافَــةْ

مــا الــذي...؟ مَــنْ أطــلــقَ الــنَّــارَ؟.. سُــدَى
زادتِ الــنــيــرانُ والــقَــتْــلَــى كَــثــافَــةْ

وزحـــامُ الـــسُّـــوقِ يـــشْـــتَـــدُّ بِـــلا
نــظــرةٍ عَــجْــلَــى، بــلا أيِّ انْــعِــطــافَــةْ

لــم يَــعُــدْ لــلــقــتــلِ وقــعٌ؟ رُبَّــمَــا
لــمْ تَــعُــدْ لــلــشَّــارعِ الــدّاوي رَهــافَــةْ

لا فــضــولٌ يَــرْتَــئــي لا خــبــرٌ . .
خــيــفــةٌ كــالأمــن، أَمْــنٌ كــالــمَــخَــافَــةْ

مــا الــذي . . ؟ مــوتٌ بــمــوتٍ يــلــتــقــي
فــوقَ مــوتــي . . مَــنْ رَأى فــي ذا طَــرافَــةْ؟

نــهــضَ الــموتَــى، هــوى مَــنْ لَــمْ يَــمُــتْ
كــالــنُّــعــاسِ الــمــوتُ . . لا شــيءَ خُــرافَــةْ

* * *

يَــا عَــشَــايــا، يــا هُــنــا، يــا رِيــحُ مَــنْ
يــشْــتَــري رأســي بــحــلــقــومِ (الــزَّرافَــةْ)؟

بــيــن رِجْــلــي وطــريــقــي جُــثَّــتــي
بــيــن كــفِّــي وَفَــمــي عــنــفُ الــمَــسَــافَــةْ

الــمُــحــالُ الآنَ يَــبْــدُو غــيــرَهُ
كــذَّبــتْ (عــرَّافــةُ الــجــوفِ) الــعَــرافَــةْ

هــاهُــنَــا أُلــقــي حُــطــامــي . . حــســنــاً
رُبَّــمــا تُــلــفــتُ عــمّــالَ الــنَّــظَــافَــةْ؟

ربَّــمــا تــســألُــنــي مــكــنــسَــةٌ:
مــا أنــا أَوْ تــزدري هــذي الإضــافَــةْ

ذيــل:

ـ في البيت الخامس عشر (عرّافة الجوف) وهي رَبْعَة بنت سنان، وكانت تتهم النجوم إذا فشلت في تنبُّؤِها عن المستقبل.

❁ ❁ ❁

زامر القفر العامر

مايو 1976م

تـغـنّـي؟ أغـانِـيـكَ بـيـنَ الـرُّكـامْ
عـيـونٌ يـفـتّـتُـهُـنَّ الـزِّحـامْ

نُـهـودٌ تَـسـاقَـطُ مـثـلُ الـحَـصَـى
جـبـاهٌ يـمـزِّقُـهـا الارْتِـطـامْ

وأنـتَ تُـغَـنّـي بـلا مـبـتَـدا
بـلا خـبـرٍ عـن دُنُـوِّ الـخِـتـامْ

ووجـهُـكَ فـعـلٌ لَـهُ فـاعـلانِ
مـضـافٌ إلـى جـرِّ مـيـمٍ ولامْ

لـهـذا تُـغَـنّـي بـدونِ انـقـطـاع
يَـثـورُ عـلـى وجـهِـكَ (ابْـنُ الـحَـرامْ)

عـلـى جـلـدِكَ الـبـنـكـنـوتـي عـلا
سُـعـالُ الـعَـشـايـا وبـيـعُ الـمَـنـامْ

وسـوفَ تُـغَـنّـي إلـى أَنْ يـرفَّ
صـداكَ ربـيـعـاً ويـهـمـي حَـمـامْ

لأنَّـكَ أشـواقُ راعٍ بـ(إبِّ)
وأحـلامُ فـلّاحـةٍ فـي (شِـبـامْ)

وأعــــراسُ كـــاذيـــةٍ فـــي (حَـــرازِ)
وأفــراحُ سُــنْــبُــلَــةٍ فــي (مَــرامْ)

لأنَّ حـــروفَــكَ عُــشْــبِــيَّـــةٌ
كـعـيـنـيْـكَ يـا نـبـيَّ الاهـتَـمـامْ

تُــزَمِّــرُ لـلـسـهـلِ كـي يَـشْـرَئِـبَّ
ولـلـسَّـفـحِ كـي يـخـلـعَ الاحـتِـشـامْ

ولـلـمُـنْـحَـنَـى كـي يـمـدَّ يَـديْـهِ
ويُـعـلـي ذَوائـبَـهُ لـلـيَـمـامْ

ولـلـبـيـدرِ الـمُـنْـطَـفـي كـي يُـشِـعَّ
ويـورقَ فـي الـمِـنْـجَـلِ الابـتِـسـامْ

ولـلـشَّـمْـسِ كـي تـجْـتـلـي أوجـهـاً
دُخـانِـيَّـةً، فـي مَـرايـا الـظَّـلامْ

مِـنَ الـحَـقْـلِ جـئـتَ نـبـيّـاً إلـيـهِ
ومـا جـئـتَ مِـنْ (هـاشـمٍ) أو (هِـشـامْ)

أغـانِـيـكَ بَـوْحُ رَوابـي (الـعُـدَيْـنِ)
مُـنَـاكَ تَـشـهِّـي دَوالـي (رِجـامْ)[1]

لأنَّ بـقـلـبـكَ صـومَ الـحُـقُـولِ
تُـغَـنِّـي لِـتَـسْـوَدَّ صـفـرُ الـغَـمـامْ

---

(1) إبّ، شبام، حراز، مرام، العدين، رجام: أسماء مناطق من مختلف جهات اليمن.

هــواكَ اعــتــنــاقُ الــنَّــدَى والــغُــصــونِ
لأنَّ غَــرامَــكَ غــيــرُ الــغَــرامْ

تــمــوتُ أسَــىً كــي تُــشــيــعَ الــسُّــرَورَ
تُــغــنِّــي، وأَنــتَ الــقــتــيــلُ الــسَّــلامْ

❁ ❁ ❁

صياد البروق

نوفمبر 1976م

وَحْدي، نعم كالبحرِ وحدي ... منّي ولي جَزْري ومَدّي
وحــدي وآلافُ الــرُّبــا ... فوقي، وكلُّ الدّهرِ عندي
من جِلْدِيَ الخَشَبيِّ أَخْـ ... ـرُجُ، تدخلُ الأزمانُ جِلْدي
مِنْ لا مُتى آتي، أعو ... دُ مضيّعاً قَبْلي وبعدي
كحقيبةٍ مَلأى ولا ... تدري، كبابٍ لا يُؤدّي
مشروعُ أغنيةٍ بلا ... صوتٍ، كتابٌ غيرُ مُجْدي
شيءٌ يُخَبِّئُني الدُّجى ... في زرعِ سُرَّتِهِ وَيُبْدي
مَنَ تَشْتَهي؟ مَنْ أنتَ يا ... جُنْدي؟ هَل اسْمي غيْرُ جُنْدي؟
حاولْتُ مثلكَ مرَّةً ... أبدُو ذكيّاً.. ضاعَ جُهْدي
من أنتَ يا مَجْدي أفنْـ ... ـدي؟ قال لي: (مَجْدي أفَنْدي)
ماذا تُضيفُ إلى الغُرُو ... بِ إذا وصفتَ اللَّونَ وَرْدي؟
هل أنتَ مِثْلي؟ أكْشِفُ الْـ ... ـمَكْشُوفَ حينَ يغيمُ قَصْدي؟
مثلي ركبتَ ذُرا المَشِيْـ ... ـبِ وَما وصلتَ سفوحَ رُشْدي

* * *

أسرعْ، وينجرُّ الطَّريْـ ... ـقُ وينثني.. يَعْمَى ويَهْدي
قِفْ عندَ حَدِّكَ حيثُ أنْـ ... ـتَ وهَلْ هُنا حدٌّ لِحَدّي؟
كانوا هُنالِكَ يضْحَكُو ... نَ، يُوَدِّونَ فمَ التَّعَدّي

بــاسْــمــي يُــوَشُّــونَ الــخِــيــا نَــةَ يــســفَــحُــونَ دَمــي بِــزَنْــدي
بــي يــرفــلــونَ لــيَــحْــفِــرُوا بــيــديَّ فــي فــخْــذيَّ لَــحْــدي
فــأَمُــوتُ، لــكــنْ يــغــتَــلــي فــي كــلِّ ذرَّاتــي الــتَّــحَــدِّي
أهــوي بــلا كــفَّــيْــنِ، تَــزْ فَــعُ جــبــهَــتــي لــلــشَّــمــسِ بَــنْــدي
مــاذا؟ وأيــنَ أنــا؟ وَأَصْــ ـعَــدُ مــن قــراراتِ الــتَّــردِّي
بــعــدَ اعــتــصــارِ الــكَــرْمِ يُــنْــ ـشِدُكَ الــرحــيــقُ: بــدأتُ عَــهْــدي
ســتــصــيــرُ يَــا هــذا الَّــذي أدعــوهُ قَــبــري الآنَ مَــهْــدي
وأجــيءُ مــن نــارِ الــبُــرُو قِ يُــسَــنْــبِــلُ الأشــواقَ رَغْــدي

❁ ❁ ❁

مأساة حارس الملك

أكتوبر 1976م

سـيِّـدي هـذي الـرَّوابـي الـمُـنـتِـنَـةْ
لَـمْ تَـعُـدْ كـالأَمـسِ كـسـلـى مُـذْعِـنَـةْ

(نُـقُـمٌ)[1] يـهـجـسُ، يُـغـلـي رَأْسَـهُ
(صَـبِـرٌ)[2] يَـهْـذي، يـحـدُّ الأَلْـسِـنَـةْ

(يَـسْـلَـحٌ) يُـومـي، يـرى مـيـسـرةً
يَـرْتَـئـي (عـيـبـان)، يَـرْنُـو مـيـمـنَـةْ

لِـذُرا (بَـغْـدانَ) أَلْـفـاً مُـقْـلَـةٍ
رفَـعَـتْ أنـفـاً كَـأَعْـلَـى مِـئْـذَنَـةْ

اقـتـلـوهـم واسْـجُـنُـوا آبـاءهـم
واقـتُـلـوهُـمْ بَـعْـدَ تـكـبـيـلِ سَـنَـةْ

أمـرُكُـمْ، لـكـنْ، ولـكـنْ مـثـلُـهُـمْ
سَـيِّـدي هـذي أسـامـي أمْـكِـنَـةْ

هَـمْ شـيـاطـيـنُ، أنـا أعـرِفُـهُـمْ
حـيـنَ أَسْـطُـو يَـدَّعُـونَ الـمَـسْـكَـنَـةْ

(صَـبِـرٌ) وغـدٌ، أنـا رقَّـيْـتُـهُ
كـانَ خَـبَّـازاً، أَحِـلْـهُ مِـعْـجَـنَـةْ

---

(1) نقم وعيبان: جبلان مطلان على (صنعاء).

(2) صبر: جبل مطل على (تعز)، يسلح: ربوة بين منطقة (صنعاء) والمناطق الوسطى.

(نُــقُــمٌ) كــانَ حِــصــانــاً لأبــي
اطــحــنــوه عــلَــفــاً لــلأخــصِــنَــة

أقــتــلــوا (يَــسْــلَــحَ) أَلــفَــيْ مَــرّةٍ
اسْحَبُوا (عــيــبــانَ) حَــتَّــى (مــوسِــنــةْ)[1]

اقــلــعــوا (بَــغــدانَ)[2] مــنْ أغــراقِــهِ
انــقــلــوا نــصــفَ (بــكــيــلٍ) (مَــقْــبَــنَــةْ)[3]

* * *

أمــرَكُــمْ لــكــنْ، ولــكــنْ اقــطــعــوا
رأسَــهُ دَعْ عَــنْــكَ هــذي الــلَّــكْــنَــنَــة

عــنْ أبــي، عــن جــدّه مــمــلــكــتــي
طــلــقــةٌ بــثَّــتْ خُــيُــوطَ الــعَــنْــعَــنَــة

ســيِّــدي إطــلاقُ نــارٍ.. رُبَّــمــا
ثــورةٌ، قُــلْ تــســلــيــاتٌ مُــخــزِنَــة

* * *

هــاجــسٌ فــي صــدرِ مَــوْلانــا أتــتْ
مَــنْ تَــخَــوَّفْــتَ.. أكــانــتْ مُــمْــكِــنَــةْ؟

آخــرُ الــهــمــسِ ســكــوتٌ أَوْ لَــظَــى
أوّلُ الــعَــزْفِ الــمُــدَوِّي دَنْــدنَــة

(1) موسنة: منطقة تبعد عن (عيبان) بأكثر من 100 كيلو متر، وهي في (حراز).
(2) بعدان: مجموعة جبال محزّمة بالقرى والحقول.
(3) مقبنة: منطقة قريبة من (تعز)، كانت تخضعها وما حولها رجال منطقة (بكيل) الواقعة شمال (اليمن).

الـجـهـاتُ الأربـعُ احـمـرَّت، عَـوَتْ
الـسـمـاءُ الآنَ صـارَتْ مِـدْخَـنَـةْ

مـهـرجـانٌ دمـوِيٌّ.. مـا الَّـذي
شَـبَّ عـيـنَـيـهِ؟ وَمَـنْ ذا لَـوَّنَـهْ؟

الـشـيـاطـيـنُ الـذيـنَ انـفـلـتُـوا
عـرفُـوا أدْهَـى فـنـونِ الـشَّـيـطَـنَـةْ

* * *

امْـضِ يـا جُـنْـدي ومـزِّقْـهُـمْ.. نـعـم
فـرصـةٌ أخـرجُ، أرْمـي الـسَّـلْـطَـنَـةْ

أُشْـعِـرُ الـثُّـوارَ أنـي مـنـهـمـو
سَـوفَ تـبـدُو سـيِّـئـاتـي حَـسَـنَـةْ

لـسـتُ مـن عـائِـلـةِ الأَسْـيـاد يـا
إخـوتـي.. إنـي (مـثـنَّـى مُـخْـصَـنَـةْ)

إنـنـي سـيـفٌ لِـمَـنْ يـحـمِـلُـنـي
خـادمُ الأسـيـادِ كـلَّ الأزمـنَـة

كـنـتُ فـي كَـفَّـيْ (أَبـي جَـهْـلٍ) كَـمـا
كـنـتُ فـي تِـلـكَ الأَكُـفِّ الـمُـؤمِـنَـةْ

فـي فـمـي (أُرْجَـوزَتـا هـنـدٍ) كَـمـا
فـي فـمـي (الأعـرافُ) و(الـمـمـتَـحَـنَـةْ)

كـنـتُ فـي كَـفَّـيْ (يَـزِيـدٍ) شـعـلـةَ
فـي يـدِ (الـسِّـبْـطِ) شَـظـايـا مُـثْـخَـنَـةْ

وتَمَضْعَبْتُ بكفّيْ (مُضْعَبِ)
و (لمروانْ) حَذِقْتُ المَرْوَنَةْ

أعرفُ الموتَ (مقاماتٍ) هُنا
هاهُنا أشدوُ المَنايا (المَيْجَنَةْ)

ينتضيني مَنْ يُسَمَّى سَيِّداً
أو هجيناً، واليدُ المستهْجَنَةْ

إنَّني للمُغتَدي، بي يَغتَدي
للمُضَحّي، بي يُفَدِّي مَوْطِنَهْ

حينَ قُلْتُمْ: ثورةٌ شَعْبِيَّةٌ
جئتُكُمْ أشتاقُ كَفّاً مُتْقِنَةْ

رافِضاً كالشَّعبِ أنْ يُدمِيَني
(أَخْزَمٌ) ثانٍ جديدُ (الشِّنْشِنَةْ)[1]

عَلَّمتْ خطوي حماساتُ الذُّرا
قلقَ الرِّيحِ وفَنَّ المكننةْ

لا عِيالي شَكَّلُوا مبخلةً[2]
لِيَدَيَّ، لا بناتي مَجْبَنَةْ[3]

* * *

صِرتُ غيري، ولعَينيْ موطِني
صغتُ جُرحي أنجماً مستوطِنَةْ

---

(1) الشنشنة: الطبيعة أو العادة السيئة، وفيها إشارة إلى المثل العربي (شنشنة أعرفها من أخزم) تعبيراً عن العقوق.

(2) مبخلة: أسباب البخل

(3) مجبنة: أسباب الجبن وفي الأثر (الأولاد مجبنة مبخلة).

عــن مَــمــاتــي وردةٌ تــحــكــي، وعــن
مَــوْلــدي فــي الــمــوتِ تُــنْــبــي سَــوسَــنَــةْ

* * *

فــتــرةً، وارتــدَّ مــولانــا إلــى
ألــفِ مَــوْلــى، ســلــطــنــاتِ (كَــوْمَــنَــةْ)[1]

أيَّ نَــفْــعٍ يــجَــتــنــي الــشَّــعْــبُ إذا
مــاتَ (فــرعــونُ) لــتَــبْــقَــى الــفَــرْعَــنَــةْ؟

نَــفْــسُ ذاكَ الــطَّــبْــلِ أَضْــحَــى ســتَّــةً
إنَّــمــا أَخْــوى وأعــلــى طَــنْــطَــنَــةْ

يَــمَّــنُــونــي، يَــسَّــرُونــي، تَــوَّجُــوا
مَــنْ دَعَــوْهــا الــوسَــطَ الــمُــتَّــزِنَــةْ

جــاءَنــا الــمــحــتــلُّ فــي غــيــرِ اسْــمِــهِ
لــبِــسَــتْ وجــهَ الــنــبــيِّ الــقَــرْصَــنَــةْ

ســادتــي عَــفْــواً، سَــتَــبْــدُو قــصَّــتــي
عــنــدَكُــمْ عــادِيَّــةً مُــمْــتَــهَــنَــةْ:

كــنــتُ سَــجّــانــاً أدقُّ الــقــيــدَ عَــنْ
خــبْــرةٍ؛ صــرتُ أُجــيــدُ الــزَّنْــزَنَــةْ

أقــتــلُ الــمــقــتــولَ، أُدْمــيــهِ إلــى
أن أرى الأســرارَ حُــمْــراً مُــعْــلَــنَــةْ

(1) الكومنة: ادّعاء الشجاعة في اللهجة المحلية.

قَــدَ تَــطَــوَّرْتُ عــلــى تــطــويــرِهِــمْ
وأَنَــا نــفــسُ الأَداة الــمُــوْهَــنَــةْ

مِــخْــنَــتــي أَنّــي، كَــمــا كــنــتُ لــمــنْ
هــزَّنــي، مــأســاةُ عُــمْــري مُــزْمِــنَــةْ

⊙⊙⊙

الأخضر المغمور

يناير 1976م

لـكـي يـسـتـهـلَّ الـصـبـحُ مـن آخـرِ الـسُّـرى
يـحـنُّ إلـى الأسـنـى ويـعـمـى لـكـي يَـرَى

لـكـي لا يـفـيـقَ الـمـيِّـتـونَ، لـيـظْـفَـرُوا
بـمـوتٍ جـديـدٍ؛ يُـبْـدعُ الـصـحـوَ أغْـبَـرا

لـكـي يُـنـبِـتَ الأشـجـارَ يـمـتـدُّ تُـربـةً
لـكي يـصـبـحَ الأشـجارَ والـخـصـبَ والـثَّرَى

لـكـي يـسـتـهـلَّ الـمـسـتـحـيـلُ كـتـابَـهُ
يـمـدُّ لَـهُ عـيـنـيْـهِ حِـبْـراً ودفـتَـرا

لأنَّ بـهِ كـالـنَّـهـرِ أشـواقَ بـاذِلٍ
يـعـانـي عـنـاءَ الـنَّـهـرِ، يـجـري كـمـا جَـرَى

يـروي سـواهُ وهـو أظـمـا مـن الـلَّـظَـى
ويـهـوي لـكـي تـرقَـى الـسـفـوحُ إلـى الـذُّرا

لـكـي لا يـعـودَ الـقـبـرُ مـيـلادَ مـيِّـتٍ
لـكـي لا يُـوالـي قـيـصـرٌ عَـهْـدَ قَـيْـصَـرا

لأنَّ دمَ (الـخـضـراءِ) فـيـهِ مـعـلَّـبٌ
يـذوبُ نـدَىً، يـمـشـي حـقـولاً إلـى الـقُـرَى

لأنَّ خطاهُ تُنبِتُ الوردَ في الصفا
وفي الرَّملِ أضحى يعشقُ الحسن أحمرا

هُنا أَوْ هُنا يَنمُو، لأنَّ جذورَهُ
بكلِّ جُذورِ الأرضِ ورديَّةُ العُرَا

وعن أعينِ (الغِيلانِ) يركضُ حافِياً
ويجترُ من أحجارِ (عيبانَ) مئزَرا

يقولونَ: من شكلِ الفوارسِ شكلُهُ
نَعَمْ، ليس (تكسيّاً) لِمَنْ قاد واكتَرَى

له (عبلةٌ) في كلِّ شبرٍ ونسْمَةٍ
وما قالَ: إنّي (عَنتَرٌ) أو تَعَنْتَرا

ولا كانَ دلاّلَ المَنايا حصانُهُ
ولا باعَ في سوقِ الدَّعاوى ولا اشْتَرَى

يحبُّ لذاتِ البذلِ، بالقلبِ كلِّهِ
يحبُّ ولا يدري ولا غيرُهُ دَرَى

لأنَّ بِهِ سِرَّ الحُقُولِ تُحِسُّهُ
يشعُّ وينْدَى، لا تعي كيفَ أَزْهَرا

حكاياتُهُ لونٌ وضوءٌ، عرفتُهُ
كشعبٍ كبيرٍ وهوَ فَردٌ من الوَرَى

بسيطٌ كـ(قاعِ الحقلِ)، عالٍ كـ(يافعٍ)
عميقٌ، كما تكسو العناقيدُ (مِسْوَرا)[1]

---

(1) قاع الحقل، يافع، مسور: مناطق يمنية خصبة.

ومــن أيــنَ؟ مــن كــلِّ الــبِــقــاعِ، لأنَّــهُ
يــجــودُ، ولاَ يــدرونَ مِــنْ أيــنَ أَمْــطَــرا

يــغــيــمُ، ولا يــدرونَ مــن أيــنَ يَــنْــجَــلــي
يــغــيــبُ، ولا يــدرون مــن أيــنَ أَسْــفَــرا

وقــد يــعــتــريــهِ الــمــوتُ مــلــيــونَ مــرَّةٍ
ويــأتــي ولــيــداً نــاســيــاً كُــلَّ مــا اعــتَــرَى

تَــدُلُّ عــلــيــهِ الــرِّيــحُ هَــمْــســاً إلــى الــضُّــحَــى
وتــروي عَــطــايــاه الــعَــشــايــا تَــفَــكُّــرا:

هُــنــاكَ شَــدا كــالــفــجــرِ، أورقَ هــاهُــنَــا
هُــنــا رفَّ كــالــمَــرْعَــى، هــنــالــك أثْــمَــرا

لأنَّ خُــطــاهُ بــرعَــمَــتْ شــهــوةَ الــحَــصَــى
لأنَّ هــواهُ فــي دمِ الــبــذرِ أقــمَــرا

تُــرَى مــا اسْــمُــهُ؟ لا يـ ـعرفُ الــنــاسُ مــا اسْــمُــهُ
وســوفَ تــســمِّــيــهِ الــعــصــافــيــرُ أَخْــضَــرا

⊛⊛⊛

المحكوم عليه

أغسطس 1975م

قيلَ عن (ميمَ نونَ) أضحى مُهيلا
هل تَحرَّيتَ أنتَ؟ ما نَفْعُ قيلا!

اشترى مرَّةً أمامي كتاباً
اسْمُهُ (كيف تقهرُ المُسْتَحِيلا؟)

ومَضى شاهراً لهُ كأميرٍ
أُمويٍّ يَهُزُّ سيفاً صقيلا

راح يُومي إلى الوزاراتِ، يحكي
لصديقَيْنِ: سوفَ نَشفي الغَليلا

قلتُ: هَلْ صارَ ثائراً؟ وعلى مَنْ؟
وهوَ مِنّا.. هل يصبحُ الهرُّ فيلا؟

ذاتَ يومٍ رأيتُهُ وَسْطَ مقهَىً
ورآني، أغضى ومالَ قليلا

كان في حَلْقةٍ مِنَ النّاسِ، يُبْدي
مِنْ نَزاهاتِهِ شُروقاً بليلا

قسّمَ الثائرينَ صِنفيْنِ.. صنْفاً
منفعيّاً، صِنْفاً نقيّاً أَصِيلا

لاحَ لي كالمُريبِ، لا بل تبدَّى
كخطيرٍ يريدُ أمراً جَليلا

دَسَّ يَـوْمـاً فـي جـيـبِـهِ شـبـهَ ظـرفٍ
قُـرْمُـزِيٍّ، لـمـحـتُـهُ مُـسْـتَـطِـيـلا

مـرَّةً اشْـتَـرى الـجـريـدَةَ، سَـمَّـى
نـصـفَـهـا خـائـنـاً ونـصْـفـاً دَخِـيـلا

(كـي أُنَـمِّـي أُمَـيَّـتـي أَشْـتَـرِيـهـا)
أعـجـبَ الـعـابـريـنَ، أرضـى (خـلـيـلا)

صـنَّـفَ الـكـاتـبـيـنَ. . هـذا عـمـيـلاً
لـعـمـيـلٍ وذا دَعـاهُ الـعَـمِـيـلا

كـان يـرنُـو إلـيـهِ كـلُّ رصـيـفٍ
مـثـلَ مَـنْ يَـجْـتَـلـي غُـمـوضاً جَـمِـيـلا

سـكـنَ (الـقـاعَ) مـدَّةً و(شُـعُـوبـاً)[1]
نـصـفَ شـهـرٍ وحـلَّ شـهـراً (عَـقـيـلا)

أجَّـرَ الـدُّورَ بـاسْـمِ بِـنْـتِ أخـيـهِ
واكـتـرى فـي (الـمَـطـيـطِ) بـيـتـاً نـحـيـلا

وعـلـى الـذِّكْـرِ كـم لـديـه بـيـوتٌ؟
تِـسـعـةٌ. . هَـلْ تَـراهُ رَقـمـاً ضـئـيـلا؟

ابْـتَـنَـى مـنـزلـيْـنِ وهْـوَ وزيـرٌ
سـبـعـةً عـنـدمـا تـولَّـى وكِـيـلا

(1) القاع، شعوب، عقيل، المطيط: أسماء أحياء في صنعاء، ويسمّى الأخير مضافاً (شارع المطيط).

كـــان لِـــصّـــاً مـــحـــصَّـــنـــاً إن تـــولّـــى
وطـــنـــيّـــاً إذا غَـــدا مـــســـتـــقـــيـــلا

يـشـتـهـي الآن مَـنْـصِـبـاً. . ذاكَ سـهـلٌ
وهـــو يـــدري إلـــى الـــوصـــولِ الـــسَّـبِـيـلا

عـــلَّ أســـيـــادَهُ الَّـــذيـــن امـــتـــطَـــوْهُ
أنـــفـــذوهُ، بـــل واســـتَـــجـــادُوا الـــبَـــديـــلا

لـــم يـــكـــنْ ثـــائـــراً عـــلـــى أيِّ حـــالٍ
إنَّـــمـــا قَـــدْ يـــثـــوِّرُ الآن جِـــيْـــلا

يَـــسْـــتـــفِـــزُّ الـــرُّكـــودَ أيُّ ضَـــجـــيـــجٍ
أوّلُ الانـــفـــجـــارِ يـــبـــدو فَـــتـــيـــلا

* * *

خـــمـــســـةٌ يـــقـــبـــضـــونَ فـــوراً عَـــلـــيـــهِ
احـــتـــيـــاطـــاً. . لـــقـــد مَـــلَـــكْـــنـــا الـــذَّلـــيـــلا

ســـيِّـــدي، لَـــمْ نَـــجِـــدْهُ فـــي أيِّ شـــبـــرٍ
ابـــحـــثـــوا جـــيِّـــداً. . بَـــحَـــثْـــنـــا طَـــوِيـــلا

هـــاتِ يـــا (مـــيـــمُ خـــا. .) ثـــلاثـــيـــنَ عَـــيْـــنـــاً
انـــتـــخـــبْ أنـــتَ مـــن تـــراهُ كَـــفِـــيـــلا

لـــم نـــجِـــدْهُ، يـــقـــولُ عـــنـــهُ أُنـــاسٌ
إنَّـــهُ كـــالـــرِّيـــاحِ يَـــهْـــوَى الـــرَّحـــيـــلا

لـــم نـــجـــدْهُ. . صـــوتٌ: قَـــبَـــضْـــنـــا عَـــلـــيـــهِ
ألـــبـــســـوهَ ســـوْطـــاً وقَـــيـــداً ثـــقـــيـــلا

أنــــزِلـــوهُ زِنْـــزانَـــةً، أنـــتَ أَدْرى
يـا أبـا الـضـربِ كـيـفَ تَـرْعَـى الـنَّـزِيـلا

* * *

كـيـفَ نـلـقـى يـا (مـيـمَ نـونَ) خَـلاصـاً
سـاءَنـي أَنْ أَرَى الـعـزيـزَ ذَلـيـلا

أنـتَ أغْـلَـى أحِـبَّـتـي مـن زمـانٍ
كـنـتَ شَـهْـمـاً ومـا تـزالُ نَـبِـيـلا

إنَّ عـنـدي رَأيـاً، عـسـى تَـرْتَـضِـيْـهِ
لـيـسَ مِـنْ عـادَتـي أردُّ الـزَّمِـيـلا

مـنـزلاً لـلـمـديـرِ.. أُكـتـبْـه بـيْـعـاً
سـوف يُـنْـجِـيـكَ.. هَـلْ تـمـوتُ بَـخـيـلا؟

لـم يـوافـقْ.. اضـربْـهُ حَـتَّـى تُـلاقـي
نـصـفَـهُ مـيِّـتـاً ونـصـفـاً عَـلـيـلا

وهـنـا ضـجَّ حـارسٌ كـان يُـصـغـي
مـا لَـكُـمْ يـأكـلُ الـمَـثِـيـلُ الـمـثـيـلا

مـثـلُـكُـم كـان ثـائـراً، فـرجـعـتُـمْ
نـصـفَ مِـيـلٍ فـتـابَ وارتـدَّ مـيـلا

كـلُّ مـا بَـيْـنَـكُـمْ.. سـقـطـتُـمْ عُـراةً
وهَـوَى حـامـلاً رداءً غَـسِـيـلا

هَـلْ تُـريـدونَ قَـتْـلَـهُ؟ مـاتَ يـومـاً
مـثـلَـكُـمْ.. كـيـف تَـقْـتُـلـونَ الـقَـتـيـلا؟

◎◎◎

أمام المفترق الأخير

مارس 1975م

يـا شـعـرُ، يـا تـاريـخُ، يـا فـلـسـفـةْ
مـن أيـنَ يَـأتـي، قـلـقُ الـمَـعْـرِفَـةْ؟

مـن أيـنَ يـأتـي؟ كـلُّ يـومٍ لـهُ
غـرابـةٌ، رائـحـةٌ مُـرْجِـفَـةْ

نـألـفُـهُ شـيـئـاً، فـيـبـدو لـنـا
غـيـرَ الـذي نـعـتـادُ، كـي نـألـفَـةْ

لـكـنْ لَـهُ فـي كـلِّ يـومٍ فَـمٌ
ثـانٍ، يَـدٌ ثـالـثـةٌ مُـرهَـفَـةْ

حـيـنـاً لـهُ كِـبْـرٌوحـيـنـاً لَـهُ
تـواضـعٌ أغـبـى مـن الـعَـجْـرَفَـةْ

وتـارةً تـعـلـو وتـهـوي بـهِ
أجـنـحـةٌ غـيـمـيَّـةُ الـرَّفْـرَفَـةْ

أصَـمُّ كـالأحـجـارِ، لـكـنَّـهُ
يَـذوي ولا صـوتٌ لـهُ، لا شَـفَـةْ

يَـنْـوي كَـفَـنّـانٍ بـلا فـكـرةٍ
يـغـلـي كـطـيـشِ الـفـكـرةِ الُـمـلْـحِـفَـةْ

نُحِسُّ أنّا مأساويُّونَ، لا
نملكُ للمأساةِ غيرَ الصِّفَةْ

يَجترُّنا الخبزُ فتقتاتُنا،
من قبلِ أن نشتمَّها الأرغِفَةْ

نموتُ ألفَيْ مرَّةٍ كي نَرَى
كلَّ يدٍ مشبوهةٍ مُسعِفَةْ

* * *

يا دورُ، يا أسواقُ ماذا هُنا؟
موتٌ تُغاوي وجْهَهُ الزَّخْرَفَةْ

رعبٌ صليبيٌّ، لهُ أعينٌ
خضرٌ وأيدٍ بَضَّةٌ متلِفَةْ

يا (فُندقَ الزهرا) مُحالٌ تعي
قضيَّةَ (المَنْصُورةِ) المُؤسِفَةْ

ويا (مَخا)[1] ماذا سَيبدُو إذًا
تقيَّأتْ أسرارَها الأغلِفَةْ؟

تَفنَّنَ الموتُ فأَضحَى لَهُ
جلدٌ أنيقٌ، مُدْيَةٌ مُترَفَةْ

يَمتَصُّ بالقَتْلِ الحريري كَما
يجتاحُ بالوحشيَّةِ المُسرِفَةْ

---

(1) المخا: فندق بصنعاء، والمنصورة: حي شعبي جوار (فندق الزهراء) بصنعاء أيضاً.

يُـــلَـــمِّـــعُ الأوبـــاءَ كـــي تـــرتـــدي
بـــراءةَ أظـــفـــارُهـــا الـــمُـــجْـــحِـــفَـــةْ

* * *

مـــن أيـــنَ نـــمـــشـــي يـــا طـــوابـــيـــرُ، يـــا
ســـوقـــاً مِـــنَ الأَثْـــيـــابِ والـــهَـــفْـــهَـــفَـــةْ؟

مِـــنْ أيـــنَ يـــا جـــدرانُ، يـــا خِـــبـــرةً
تُـــزَوِّقُ الـــتـــمـــويـــتَ، والـــسَّـــفْـــسَـــفَـــةْ؟

مـــن هـــاهُـــنـــا أو مِـــنْ. . وتَـــجْـــتـــازُنـــا،
مـــن قـــبـــلِ أن نـــجـــتـــازَهـــا الأرصِـــفَـــةْ،

هـــل نـــنـــثـــنـــي يـــا شَـــوْط؟ هـــل يـــنـــثـــنـــي
نـــهـــرٌ يُـــريـــدُ الـــعُـــشْـــبُ أن يـــوقِـــفَـــهْ؟

هُـــنـــا طـــريـــقٌ لا يُـــؤدِّي، هُـــنـــا
دربٌ إلـــى الـــرّابـــيَـــةِ الـــمـــشـــرِفَـــةْ

هـــذا عـــنـــيـــفٌ ولـــهُ غـــايـــةٌ
وذا بـــلا قـــصـــدٍ ومـــا أعـــنَـــفَـــهْ

⊛⊛⊛

هاتف وكاتب

مايو 1975م

اكْـــتُـــبْ، لا تَـــتَـــعـــطَّـــلْ ... مـــا أقـــســـى أَنْ أَفْـــعَـــلْ
صـــارت كـــفِّـــي رِجْـــلاً ... مـــا جـــدوى أن تَـــكْـــسَـــلْ؟
لـــمْ أســـتَـــولِـــدْ حَـــرْفـــاً ... جـــدِّدْ حـــرفـــاً مُـــهْـــمَـــلْ
تـــدري، لـــلـــحـــرفِ صـــبـــاً ... يـــفـــنـــى وصـــبـــاً يـــحـــبـــلْ

* * *

مـــن يُـــخْـــرِجُـــنـــي مـــنِّـــي؟ ... الـــبـــحـــثُ عـــنِ الـــمَـــدْخَـــلْ
الـــخـــفـــضُ إلـــى الأعـــلَـــى ... الـــرفـــعُ إلـــى الأســـفَـــلْ
الـــتَّـــوقُ إلـــى الأَقْـــسَـــى ... الـــصـــدُّ عَـــنِ الأسْـــهَـــلْ
الـــمـــوتُ إلـــى الأَنْـــهَـــى ... الـــبـــدءُ مـــنَ الأَأْصـــلْ

* * *

اكْـــتُـــبْ شِـــعْـــراً، فـــكـــراً ... أنـــفـــاســـاً تَـــتَـــشَـــكَّـــلْ
تـــمـــهـــيـــداً، عـــنـــوانـــاً ... تـــفـــعـــيـــلاتِ أفـــعـــلْ
اهْـــمِـــسْ شـــيـــئـــاً، حـــتَّـــى ... كـــالـــقـــمـــح إلـــى (الـــمِـــنـــجـــلْ)
هـــمـــسُ الأرضِ الـــوَجْـــعـــى ... فَـــنٌّ عـــنـــدَ الـــجَـــدْوَلْ
ولِـــخـــفـــقِ الـــبـــذرِ صـــدًى ... فـــي إبـــداعِ الـــمَـــشْـــتَـــلْ

* * *

أَتَـــرانـــي مـــخـــنـــوقـــاً؟ ... اهْـــمِـــسْ، لا تَـــتَـــمَـــهَّـــلْ
جَـــرِّبْ، فـــلـــديْـــكَ فَـــمٌ ... وجـــنـــونٌ يَـــتَـــعَـــقَّـــلْ

قَـتَـلـونـي، مـرَّاتٍ اكـتـبْ كـي لا تُـقـتَـلْ
بـدمِ الـمَـوْتِ الـثّـانـي تـمـحـو الـموتَ الأوَّلْ
حـاولْ. حـاولـتُ بـلا جَـدْوَى. . مـاذا أَعْـمَـلْ؟

* * *

اشْـتَـقْـتَ كـمـا يـبـدو مـاذا؟ طـفـحَ الـمِـرْجَـلْ
شـهـواتُ الـحـبـرِ عـلـى شَـفَـتـيْـكَ دَنَـتْ تَـسـألْ
تَـتَـشَـكَّـلُ أقـبـاسـاً أكـواخـاً تَـتَـأَمَّـلْ
مَـشْـرُوعـاً جـذريّـاً يـنـسـى أَنْ يَـتَـأَجَّـلْ
أطـفـالاً، أبـطـالاً أشـجـاراً تـتـهـدَّلْ

* * *

أظَـمِـئْـتَ الآنَ، ولا تَـدْري مـاذا تَـنْـهَـلْ؟
اسـتـقـبـلْ مـا يَـأتـي وتَـخَـيَّـرْ مـا تَـقْـبَـلْ
آتـي الـمـاضـي أدهـى مـاضـي الآتـي أعـضَـلْ!
فـلـتَـكْـتُـبْ تـحـقـيـقـاً عـن مـاضـي الـمُـسْـتَـقـبَـلْ
عـن أحـجـارِ طـارتْ وصـقـورِ تَـتَـرَجَّـلْ
عـن مـاءٍ صـارَ دَمـاً ودمِ أمْـسَـى مـخـمَـلْ
عـن تـاريـخِ ثـانِ عـن أشـغـالِ تُـشْـغَـلْ
عـن (صـنـعـا) ثـانـيـةً مـن ضُـرَّتِـهـا تـرْحَـلْ
عـن وجـهِ (يَـزَنِـيٍّ) ولَّـى وأتـى أجـمـلْ
عـن مـعـنًـىً لا يـعـنـي عـن خَـجَـلٍ لا يَـخْـجَـلْ
عـن حـيٍّ لا يـحْـيَـا عـن قَـبـرِ يَـتَـغَـزَّلْ
عـن مَـيْـتِ يـتَـنَـدَّى مـولـوداً مُـسْـتَـعْـمَـلْ

عــــن زوايــــةٍ وَلَــــدَتْ ثــوريّــاً مُــســتــعــجَــلْ

* * *

مَــنْ يُــعــطــيــنــي لــغــةً أعــلَــى ويــداً أطــوَلْ؟
لــوْ لــي صــوتٌ أعــتــى لــوْلــي حــبــرٌ أَقْــتَــلْ
اكْــتُــبْ عَــمّــا تَــدْري تــســتــكْــشِــفْ مَــا تَــجْــهَــلْ

⊚⊚⊚

مُغَنٍّ تحت السَّكاكين

يناير 1975م

بعينيهِ حُلْمُ الصَّبايا وفي
حناياه مقبرةٌ مستريحَة

لِنيسانَ يشدو وفي صدرِهِ
شتاءٌ عنيفٌ، طيورٌ جريحَة

بلادٌ تهُمُّ بميلادِها
بلادٌ تموتُ وتمشي ذبيحَة

بلادانِ داخلَهُ.. هذهِ
جنينٌ وهذي عجوزٌ طريحَة

وآتٍ إلى مهدِهِ يَشْرَئِبُّ
وماضٍ يَئِنُّ كشكلى كَسيحَة

زمانانِ داخِلَهُ.. يغتلي
دجَىً كالأفاعي وتندى صبيحَة

ورُغْمَ صريرِ السَّكَاكِينِ فيهِ
يُغنِّي، يُغنِّي وينسى النَّصيحَة

فتخضرُّ عافيةُ الفنِّ فِيهِ
وأوجاعُهُ وحدَهُنَّ الصَّحيحَة

أيــا شــمــعــةَ الــعُــمْــرِ ذوبــي، يُــلِــحُّ
فَــتَــشْــخُــو وتــومــي: أأبــدُو شَــحــيــحَــةْ؟

فــيُــولَــدُ فــي قــلــبــهِ كــلَّ يــوم
ويــحــمــلُ فــي شَــفَــتَــيْــهِ ضــريــحَــةْ

يُــوالــي، فــيــرفــضُ نــصــفَ الــولاءِ
ويُــبــدي الــعــداواتِ جَــلْــوَى صــريــحَــةْ

لــهُ وجــهُــهُ الــفــرْدُ، لا يــرتَــدي
وجــوهــاً تُــغــطِّــي الــوُجُــوهَ الــقَــبــيــحَــةْ

يُــعــرِّي فــضــائــحَ هــذا الــزَّمــانِ
ويــعــرى، فــيــبــدو كــأنــقــى فَــضِــيــحَــةْ

تَــرَى وجــهــهــا الــشــمــسُ فــيــهِ، كــمــا
تــرى وجْــهَــهــا فــي الــمَــرايــا الــمــلــيــحَــةْ

●●●

بعد سقوط المكياج

إلى (ف. ح)

غـيـرَ رَأْسـي، اعـطـنـي رأسَ (جَـمَـلْ)
غـيـرَ قـلـبـي، اعـطـنـي قَـلـبَ (حَـمَـلْ)

رُدَّنـي مـا شـئـتَ.. (ثـوراً)، (نـعـجـةً)
كـي أُسَـمِّـيـكَ يـمـانـيّـاً بَـطَـلْ

كـي أُسَـمِّـيـكَ شـريـفـاً أو أرى
فـيـكَ مـشـروعَ شـريـفٍ مُـحْـتَـمَـلْ

سَـقَـطَ الـمـكـيـاجُ، لا جـدوى بـأنْ
تَـسْـتَـعـيـرَ الآنَ وجْـهـاً مـفـتَـعَـلْ

* * *

كُـنـتَ حـسـبَ الـطَّـقـسِ تـبـدو ثـائـراً
صـرتَ شـيـئـاً مـا اسْـمُـهُ؟ يـا لَـلْـخَـجَـلْ

يـنـقُـشُ الـبـولـيـسُ مـا حـقَّـقـتَـهُ
مـن فـتـوحٍ بـ(الـمـواسـي) فـي الـمُـقَـلْ

بـ(الـهْـرَاوي)، بـ(الـسّـكـاكـيـنِ)، بِـمـا
يـجـهـلُ الـشـيـطـانُ مـن أخـزى الـحِـيَـلْ

تـقـتُـلُ الـمـقـتـولَ كـي تـحـكُـمَـهُ
ولـكـي تـرتـاح تـشـوي الـمـعـتـقَـلْ

هــل أُسَــمِّـيــكَ بــهــذا نــاجــاً؟
إن يــكــن هــذا نــجــاحــاً، مــا الــفَــشَــلْ؟

إنَّـــمـــا أرجـــوك، غـــلِّـــطْـــنـــي ولـــو
مَـــــرَّةً كـــــنْ آدمـــــيّـــــاً، لا أقَـــــلّ

قـــلْ أنـــا الـــكـــذَّابُ وامـــنـــحْـــنـــي عـــلـــى
حِـــسِّـــكَ الانـــســـانـــيَ الـــشـــعـــبـــي مَـــثَـــلْ

فـــلـــقـــد جـــادلـــتُ نَـــفْـــســـي بـــاحـــثـــاً
عَـــنْ مَـــزايـــاك، فـــأغْـــيـــانـــي الـــجَـــدَلْ

أنـــتَ لا تَـــقْـــبَـــلُ جَـــهْـــلـــي، إنَّـــمـــا
لـــيـــسَ عِـــنْـــدي لـــلـــخـــيـــانـــاتِ غَـــزَلْ

أيُّ شـــيءٍ أنـــتَ؟ يـــا جـــســـرا الـــعِـــدا
يـــا عـــمـــيـــلاً، لـــيـــس يـــدري مـــا الـــعَـــمَـــلْ

ردَّنـــي غَـــيْـــري لـــكـــي تـــبـــصـــرنـــي
لـــلـــذُّبـــابِ الآدمـــي نَـــهْـــرَ عَـــسَـــلْ

●●●

سندباد يمني
في مقعد التحقيق

يولية 1975م

كَما شئتَ فَتِّشْ.. أينَ أُخفي حَقائبي
أتسألني: من أنتَ؟ أعرفُ واجبي

أجِبْ، لا تُحاولْ، عُمْرَكَ، الاسمُ كاملاً
ثلاثونَ تقريباً، (مثنّى الشواجبي)

نَعَمْ، أينَ كنتَ الأمسِ؟ كنتُ بمرقَدِي
وجمجُمَتي في السجنِ، في السُّوقِ شاربي

رَحلْتَ إذنْ.. فيمَ الرّحيلُ؟ أظنُّهُ
جَديداً، أنا فِيهِ طريقي وصاحِبي

إلى أينَ؟ من شعبٍ لثانٍ بداخِلي
متى سوفَ آتي؟ حين تَمضي رَغائبي

جوازاً سِياحيّاً حَمَلْتَ؟.. جَنازَةً
حملتُ بجلدي، فوقَ أيْدي رَواسِبي

من الضِفَّةِ الأُولَى رحلتُ مُهَدَّماً
إلى الضفةِ الأخرى حَمَلتُ خَرائِبي

هُراءٌ غريبٌ لا أعيهِ، ولا أنا
متى سوفَ تدري؟ حينَ أنسَى غَرائِبي

* * *

تـحـدَّيـتَ بـالأمـسِ الـحـكـومـةَ، مـجـرمٌ
رهـنـتُ لَـدَى الـخَـبّـازِ أمـسِ جَـوارِبـي

مـنِ الـكـاتـبُ الأدنـى إلـيـكَ؟ ذَكَـرْتُـهُ
لَـدَيـهِ كَـمـا يـبـدو كِـتـابـي وكـاتِـبـي

لـدى مَـنْ؟ لـدى الـخـمّـارِ، يـكـتـبُ عـنـدَهُ
حـسـابـي ومَـنْـهـى الـشـهـرِ يَـبْـتَـزُّ راتِـبـي

قـرأتَ لـهُ شـيـئـاً؟ كـؤوسـاً كـثـيـرةً
وضـيَّـعـتُ أجْـفـانـي لـديـهِ وحـاجِـبـي

قـرأتَ - كـمـا يـحـكـونَ عَـنـكَ - قَـصـائِـداً
مـهـرَّبـةً.. بـل كـنـتُ أَوَّلَ هـاربِ

أمـا كـنـتَ يـومـاً طـالـبـاً؟ كـنـتُ يـا أخـي
وقـدْ كـانَ أسـتـاذُ الـتَّـلامـيـذِ، طـالـبـي

قـرأتُ كـتـابـاً مـرَّةً، صـرتُ بـعـدَهُ
حـمـاراً، حـمـاراً لا أرَى حَـجْـمَ راكِـبـي

* * *

أحَـبَـبْـتَ؟ لا بـل مِـتُّ حُـبّـاً مـن الـتـي؟
أحـبَّـيـتُ حَـتَّـى لا أَعـي، مَـنْ حَـبـائـبـي

وكَـمْ مِـتَّ مـرّاتٍ؟ كـثـيـراً كَـعـادتـي
تـمـوتُ وتـحـيـا؟ تـلـكَ إحـدى مَـصـائِـبـي

ومـاذا عـنِ الـثُّـوّارِ؟ حـتـمـاً عـرفـتَـهُـمْ!
نَـعَـمْ، حـاسَـبُـوا عَـنّـي، تـغـدَّوْا بِـجـانِـبـي

ومـاذا تـحـدَّثـتُـمْ؟ طـلـبـتُ سـجـارةً
أظـنُّ وكـبـرِيـتـاً.. بـدوْا مِـنْ أقـارِبـي

شـكـوْنـا غَـلاَءَ الـخُـبـزِ، قُـلـنـا ستـنْـجَـلـي
ذكـرنـا قـلـيـلاً مـوتَ (سَـغْـدانَ مـارِبـي)

ومـاذا؟ وأنـسـانـا الـحـكـايـاتِ مُـنْـشِـدٌ:
«إذا لـم يـسـالِـمْـكَ الـزَّمـانُ فَـحـارِبِ»

وحـيـنَ خـرَجْـتُـمْ أيـنَ خـبَّـأْتَـهُـمْ بـلا
مـغـالـطـةٍ؟ خـبَّـأْتُـهُـمْ فـي ذَوائِـبـي

لـديـنـا مَـلَـفٌ عـنـكَ.. شـكـراً لأنَّـكُـمْ
تـصـونـونَ مـا أهـمَـلْـتُـهُ مـن تَـجـارُبـي

لـقـد كـنـتَ أمِّـيّـاً حِـمـاراً وفـجـأةً
ظـهـرتَ أديـبـاً.. مُـذْ طَـبَـخْـتُـمْ مَـآدِبـي

خـذُوهُ.. خـذونـي لَـنْ تَـزِيـدوا مَـرارتـي
دَعُـوهُ.. دَعُـونـي لَـنْ تَـزِيـدُوا مَـتـاعـبـي

❁ ❁ ❁

الآتون من الأزمة

نوفمبر 1974م

يـا حَـزانَـى، يـا جـمـيـعَ الـطـيِّـبـيـنْ
هــذِهِ الأخــبــارُ مــن دارِ الــيَــقــيــنْ:

قــرَّروا الــلَّــيــلــةَ أن يــتَّــجِــرُوا
بـالـعَـشـايـا الـصُّـفْـرِ، بـالـصبـحِ الـحَـزيـنْ

فـافـتَـحُـوا أبـوابَـكُـمْ واخـتَـزِنُـوا
مـن شُـعـاعِ الـشَّـمـسِ مـا يـكـفـي سِـنِـيـنْ

وَقَّـعُـوا مـشـروعَ تـقـنـيـنِ الـهَـوَى
بـالـبـطـاقـاتِ لـكـلِّ الـعـاشِـقِـيـنْ

مـا أَلِـفْـتُـم مـثْـلَـهُـمْ أن تَـعْـشَـقُـوا
خَـدَرَ الـدفْءِ.. لَـكُـمْ عـشـقٌ ثَـمِـيـنْ

* * *

قــرَّروا بــيــعَ الأمــانــي والــرُّؤى
فـي الـقَـنـانـي، رَفَـعُـوا سِـعْـرَ الـحَـنـيـنْ

فَـتَـحُـوا بَـنْـكَـيـنِ لـلـنَّـوْمِ، بَـنَـوا
مـصْـنَـعـاً يـطـبـخُ جـوعَ الـكـادِحـيـنْ

إنَّــكُــمْ أجــدرُ بــالــسُّــهْــدِ الَّــذي
يَـعِـدُ الـفـجـرَ بـوصـلِ الـثـائِـريـنْ

بَـدَأُوا تـجـفِـيـفَ شـطـآنِ الأسَـى
كـيَ يـبـيـعُـوهـا كـأكـيـاسِ الـطَّـحِـيـنْ

عـلَّـبُـوا الأمْـراضَ، أعـلَـوْا سِـعْـرَهـا
كـي يـصـيـرَ الـطـبُّ سِـمْـسـاراً أمـيـنْ

حـسـنـاً . . تـجـويـعُـكُـمْ، تـعـطـيـشُـكُـمْ
إنَّـمـا الـخـوفُ عـلـى الـوَحْـشِ الـسَّـمِـيـنْ

شَـيَّـدوا لـلأمـنِ، سِـجـنـاً راقِـيـاً
تـسـتَـوي الـسِّـكِّـيـنُ فِـيـهِ والـطَّـعِـيـنْ

إنَّ مَـجّـانِـيَّـةَ الـمَـوْتِ عَـلَـى
رأيِـهِـمْ حـقٌّ لـكـلِّ الـعـالَـمِـيـنْ

أزمَـةُ الـنَّـفْـطِ لَـهَـا مـا بـعـدَهـا
إنَّـكُـم فـي عـهـدِ (تـجّـارِ الـيَـمِـيـنْ)

فـاسْـبِـقُـوهُـمْ يـا حَـزانَـى وارْفَـعُـوا
عَـلَـمَ الإضْـرارِ وَرْدِيَّ الـجـبـيـنْ

واحْـرُسُـوا الأجْـواءَ مِـنْـهُـمْ، قـبـلَ أنْ
يُـعـلِـنُـوهـا أزمـةً فـي الأوكْـسِـجِـيـنْ

* * *

إنَّـهُـمْ أقْـسَـى وأدْرَى . . إنَّـمَـا
جَـرَّبُـوا مـعـرفـةَ الـسِّـرِّ الـكَـمِـيـنْ

عـنـدَمـا تَـدْرُونَ مَـنْ بـائِـعُـكُـم
يـسـقـطُ الـشّـاري وسـوقُ الـبـائِـعـيـنْ

عــــنـــدَمـــا تَـــدرُونَ مَـــنْ جَـــلاّدُكُـــمْ
يُــحــرقُ الــشَّــوكُ ويَــنْــدى الــيــاسَــمــيــنْ

عَــنْــدَمــا تــأتــونَ فــي صَــحْــو الــضُّــحَــى
تــبــلــعُ الأنــقــاضُ كَــلَّ الــمُــخْــبِــريــنْ

إنَّــكُــمْ آتــونَ، فـــي أعـــيــنِــكُــمْ
قَـــدَرٌ غـــافٍ وتَـــاريـــخُ جَـــنـــيـــنْ

●●●

في وجه الغزوة الثالثة

(فبراير 1975م)

حَسَناً . . إنَّما المهمَّةُ صَعْبَةْ
فلْيكنْ، ولْنَمُتْ بكلِّ مَحَبَّةْ

يُصبح الموتُ مَوطِناً حينَ يُمْسي
وطنٌ أنتَ منهُ أوحشَ غُرْبَةْ

حين تُمسي من هَضْبةٍ بعضَ صَخْرٍ
وهي تَنْسَى أنَّ اسْمَهَا كانَ هَضْبَةْ

فلْتُصلِّبْ عِظامَنا الأرضُ . . يدري
كلُّ وحشٍ أنَّ الفريسةَ صَلْبَةْ

ولْنَكُنْ للحِمَى الذي سوفَ يأتي
من أخاديدِنا جُذوراً وتُربَةْ

مبدعاتٌ هِيَ الولاداتُ، لكنْ
موجعاتٌ . . حقيقةٌ غيرُ عَذْبَةْ

ولماذا لا تبلغُ الصوتَ؟ عفواً
من توقِّي إرهابَهُمْ زادَ رَهْبَةْ

كيف نستعجلُ الرَّصاصَ ونخشى
بَعْدَ هذا نباحَ كَلْبٍ وكَلْبَةْ

هــل يــردُّ الـسـيـولَ وحـلُ الـسـواقـي؟
هــل تـدمّـي قـوادمَ الـرِّيـحِ ضَـرْبَـةْ؟

أنــتَ مــن مـوطـنٍ يـريـدُ، يـنـادي
مِـنْ دمِ الـقَـلـبِ لـلـمُـهِـمّـاتِ شَـغْـبَـهْ

* * *

اتَّـفـقْـنـا . . مـاذا هـنـاكَ؟ جـدارٌ
بـل جـبـيـنٌ، عـلـيـهِ شـيءٌ كـقُـبَّـةْ

ربَّـمـا (هِـرَّةٌ) تُـلاحـقُ (فـأراً)
ربـمـا كـانَ طـائـراً خَـلْـفَ حَـبَّـةْ

إنَّـمـا هـل يَـرَى الـتَّـفـاهـاتِ حـيٌّ؟
تـلـتـقـي أحـدَثُ الـخُـطُـوراتِ قُـرْبَـهْ

هـل تـرى مَـنْ هُـنـاك؟ غـزواً يُـقَـوّي
قَـبْـضَـتَـيْـهِ، يـحـدُّ مـلـيـونَ حَـرْبَـةْ

يـحـتَـذي (الـبـنـكـنـوتَ). يـومـي إلـيـهِ
وعـلـيـهِ مـن الـبَـرامـيـلِ جُـبَّـةْ

إنَّـهُ ذلـك الَّـذي جـاءَ يـومـاً
وإلـى الـيـومِ فـوقَـنـا مِـنْـهُ سُـبَّـةْ

* * *

قـبـل عـامٍ وأربـعـيـنَ اعـتَـنَـقـنـا
فـوقَ (أبـهـا) عـنـاقَ غـيـرِ الأَحِـبَّـةْ

والـتـقـيْـنـا بـهِ بـ(نـجـرانَ) حـيـنـاً
والـتـقـيـنـا بـقـلـبِ (جـازانَ) حِـقْـبَـةْ

والتقينا على (الوديعةِ) يوماً
والمَنايا على الرُؤوسِ مُكبَّةْ

جاءَ تلكَ البقاعَ، خُضْنا هَرَبْنا
وهي تعدُو وراءَنا مُشْرئِبَّةْ

إنَّها بعضُ لَحْمِنا، تَتَلوَّى
تحتَ رجلَيْهِ كالخُيولِ المُخِبَّةْ

في حَشاها مِنَّا بذورٌ حَبالى
وجذورٌ ورديَّةُ النَّبضِ خِضَبَةْ

* * *

ما لهُ لا يَكُرُّ كالأمسِ؟ أضحَتْ
بينَ مَنْ فوقَنا ونعْليْهِ صُحبَةْ

إنَّهُم يَطْبُخُونَنا كي يذُوقُوا
عندما يُنضِجُوننا شَرَّ وَجْبَةْ

خَصْمُنا اليومَ غيرُهُ الأمسَ طَبْعاً
البراميلُ أمرَكَتْ (شيخَ ضَبَّةْ)

عِنْدَهُ اليومَ قاذفاتٌ ونفطٌ
عندَنا مَوْطِنٌ يَرَى اليومَ دَرْبَةْ

عندهُ اليومَ خِبْرةُ الموتِ أغلى
عندنا الآنَ مهنةُ الموتِ لُعْبَةْ

صارَ أغنَى، صِرْنا نَرَى باحتقارٍ
ثروةَ المعتَدي كسروالِ (قحبَةْ)

صار أقوى، فكيفَ نقوى عليهِ
وهو آتٍ؟ نمارسُ الموتَ رَغْبَة

ونُدمّي التِّلالَ، تغلي فَيَمْضي
كلُّ تلٍّ دامٍ بألفينِ رُكْبَة

ويُجيدُ الحَصَى القتالَ، ويذري
كلُّ صَخرٍ أنَّ الشجاعةَ دُرْبَة

يَضْعُبُ الثائرُ المضَحّي ويقوَى
حينَ يدري أنَّ المُهمَّةَ صَعْبَة

⁂

أمسية حجرية

يونية 1975م

كـــغـــرابٍ يـــرتَـــمـــي فَـــوقَ جَـــرادةْ
سـقـطـتْ وَجْـعَـى، تَـدَلَّـتْ كـالـوِسـادَةْ
كـنـسـيـجِ الـطُّـحْـلُـبِ الـصـيـفـي نَـمَـتْ
أغْـشَـبـتْ فـيـهـا وفـي وَجْـهـي الـبَـلادَةْ
وعـلـى الـجـدرانِ والـسـقـفِ ارتَـخَـتْ
مـثـلَ فَـخْـذَيْ مَـرْأةٍ بـعـدَ الـوِلادَةْ
تـحـتَـسِـيـنـي، تـحـتـسـي هـادئـةً
مـثـلَ مَـنْ صـارَ لـديـهِ الـقَـتـلُ عـادَةْ
تَـرْتَـدي الأنـقـاضَ والـشَّـوكَ عـلـى
جـيـدِهَـا مـن أعـيـنِ الـمـوْتَـى قِـلادَةْ

* * *

كـنـتُ أَذْوي بـاحـثـاً عـن مـطـلـعٍ
كـانَ يـهـذي عـابـرٌ، (فـرحـانُ عَـادَةْ)
سـأُسَـمّـيـهِ (ظـفـاراً) (مَـذْحَـجـاً)
لـو أتَـتْ أُنـثـى أُسـمِّـيـهـا (سَـعـادَةْ)
هَـلْ لَـهـا، أو هَـلْ لـهُ مُـسْـتَـقْـبَـلٌ؟
هـل وُلِـدْنـا نـحـنُ فـي حـضـنِ الـرَّغـادَةْ؟

أمِـنَـتْ (سَـيْـجُـونُ)، (بَـيْـروتُ) ابـتـدَتْ
تَـرْتَـمـي، تـرمـي بـلا أدْنَـى هَـوادَةْ

نَـفْـسُ ذَاكَ الـدُّورِ.. (يـحـيـى) قـالَـهـا
كـيـف أضـحَـى نـابُـهـا كـيـرَ الـحِـدادَةْ؟

* * *

كـنـتُ أصْـغـي يـا دُجَـى قـافـيـةً
لـمـحـةً، يُـعـطـي حـكـايـاتٍ مُـعـادَةْ

كـان مـخـمـورٌ يُـدَوّي: مـن أنـا
إنَّـنـي (عـنـتـرةٌ) هـاتـوا الـقِـيـادَةْ

ردَّنـي (إبـلـيـسُ) عـن أبـوابِـهِ
وثـنـانـي الـشـيـخُ عـن بـيـتِ الـعِـبـادَةْ

كـنـت أَفْـنَـى، كـان يـغـزو جـارةً
فـارسٌ يَـزوي أعـاجـيـبَ الإرادَةْ

بَـعْـدَ مَـضْـغِ (الـقـاتِ)، ـ فـيـمـا يـدَّعـي ـ
يـغـتـدي (كَـبْـشـاً)، يـعـبُّ الـشّـايَ (سـادَةْ)

يـخـطـفُ الـبِـكْـرَيْـنِ مـن بُـرجَـيْـهِـمـا
لـبـطـولاتِ الـهَـوَى طـبـعـاً ريـادَةْ

* * *

حـارسٌ يـبـتـزُّ مـا يـحـرسُـهُ
ويَـديـنُ الـصـبـحَ (سَـعْـداً) أو (قَـتـادَةْ)

راحَ يَـحْـكـي: أنَّـهُ يَـلـقَـى الـذي
كـابَـدَ (الـفـاروقُ) فـي (عـامِ الـرَّمـادَةْ)

يــا دكــاكــيــنُ . . ويــومــي رشــوةٌ
فــي عُــهــودِ الــمــالِ تَــزْدادُ الــنَّــكــادَةْ

كــنــتُ أُنــهــي الــشــطــرَ، جــارٌ يــبــتَــدي
خَــصْــمَــهُ، أشــبــعــتَ لــلــقــاضــي الــمَــزادَةْ

شــاهــدٌ مــخــتَــرِفٌ ألــبَــسَــهُ
حــضــرَةُ الــقــاضــي قــمــيــصــاً مــن زَهــادَةْ

يــســتَــوي فــي الــزَّمــنِ الــسِّــمْــســارِ مَــنْ
يُــلْــهَــمُ الــهــجــوَ ومَــنْ يُــغْــري الإشــادَةْ

قــالَ لــي : مــن أنــتَ؟ نــذلٌ إنَّــنــي
مــثــلُــهُ مُــســتَــعْــمَــرٌ بــاسْــمِ الــسِّــيــادَةْ

طــفــلُ جــاري كــان يــســتــســقــي، أنــا
كــنــتُ أرجُــو لــحــظــةً حُــبْــلــى جَــوادَةْ

* * *

مَــنْ هُــنــا؟ كَــلْــبٌ يُــهَــوْهــي، هِــرَّةٌ
تَــتَــنَــزَّى، مــنــزلٌ يــشْــدُو (حَــمــادَةْ)

شــارعٌ يَــبْــكــي الــضَّــحــايــا، مــكــتــبٌ
يــمــنــحُ الــجــانــي وِســامــاً وشَــهــادَةْ

جُــثَــثٌ تَــهْــوي بــلا فــائــدَةٍ
خــنْــجَــرٌ دامٍ لــهُ كــلُّ الإفــادَةْ

* * *

زادتِ الأمــســيــةُ الــوَجْــعَــى أسَــىً
مــثــلَ غــيــري لــم أزِدْ، أنــتَ الــزِّيــادَةْ

أتَــرَى الــصَّــرْعَــى؟ لــهــمْ بَــدءٌ، مَــتَــى؟
يــنــضــجــونَ الآنَ فــي جــوفِ الإبــادَةْ

كُــنْــتُ أَفْــنَــى.. لــم تُــجِــبْ، كــنــتُ عــلــى
زَغــمِــهــا أَزدادُ نُــضْــجــاً وإجــادَةْ

⊛⊛⊛

في الغرفة الصَّرعى

ديسمبر 1975م

شـيءٌ بـعـيـنَـيْ جـدارِ الـحـزنِ يـلـتَـمِـعُ
يَـهِـمُّ.. يـخـبـرُ عـن شـيءٍ ويـمـتـنِـعُ

يـريـدُ يَـصـرخُ، يُـنـبـي عَـنْ مَـفـاجـأةٍ
لـكـنَّـهُ، قـبـلَ بـدءِ الـصـوتِ يـنـقـطـعُ

يـغـوصُ، يـبـحـثُ فـي عـيـنـيْـهِ عـن فَـمِـهِ
تـغـوصُ عـيـنـاهُ فـيـهِ، يـقْـتـفـي، يَـدَعُ

عَـمَّـا يُـفَـتِّـشُ؟ لا يـدري، يـضـيـع هـنـا
يـقـومُ، يـبـحـثُ عـنـهُ وهـو مـضـطـجِـعُ

يـومـي إلـى الـسَّـقـفِ، تـسـتـرخـي أَنـامـلُـهُ
تـمـتَـدُّ كـالـدُّودِ، كـالأجـراسِ تَـنْـزَرِعُ

* * *

مِـنْ أيـنَ يـا بـابُ يـأتـي الـرعـبُ؟ تـلـمـحُـهُ
مِـنْ أيِّ زاويـةٍ يَـغـشـوشِـبُ الـوَجَـعُ؟

يـمـشـي عـلـى فَـمِـهِ هـذا الـسـكـونُ، عـلـى
أطـرافِ أرجُـلِـهِ يـهـوي ويَـرْتَـفِـعُ

يـصـفـرُّ كـالـسِّـلِّ، يـهـمـي مـن عَـبـاءَتِـهِ
يـنـحـلُّ كـالـقـشِّ، كـالأسـمـالِ يـجـتَـمِـعُ

كـمـومـسٍ بـاغـتَ الـبـولـيـسُ مَـرْقَـدَهـا
كـمُـقـبـلـيـنَ، عـلـى أشـلائِـهـمْ رجـعـوا

كـمـيِّـتـيـنَ، يـمـدُّونَ الأكـفَّ إلـى
مـوت جـديـدٍ، يـمـنِّـي وهْـوَ يـبـتَـلِـعُ

* * *

الـصـمـتُ يـسـقُـطُ كـالأحـجـارِ بـارِدةً
عـلـى الـزَّوايـا، ولا يـشـعـرْنَ مـا يـقَـعُ

تُـصـغـي إلـى بـعـضِـهـا الـجـدران واجـفـةً
تـئـنُّ، تَـخْـمَـرُ كـالـقـتـلـى وتـمـتَـقِـعُ

فـي هـذهِ الـغـرفـةِ الـصَّـرْعـى، أسَـىً قـلـقٌ
يـطـولُ كـالـعـوْسَـجِ الـنّـامـي ويـتَّـسِـعُ

الـحـزنُ يـحـزَنُ مـن فـوضـى غَـرابـتِـهِ
فـيـهـا ويـفـزَعُ، مـن تـهـويـشِـهِ الـفَـزَعُ

❁ ❁ ❁

وجوهٌ دخانيَّة في مرايا الليل

أبريل 1975م

الـدُّجـى يَـنهـمـي وهـذا الـحـزنُ يـنهـمـي
مـطـراً مـن سُـهـدِهِ يـظـمـا ويُـظـمـي

يـتـعـبُ الـلَّـيْـلُ نـزيـفـاً وعـلـى
رُغـمِـهِ يَـدْمـى ويـنـجـرُّ ويُـدْمـي

يـرتَـدي أشـلاءَهُ، يـمـشـي عـلـى
مُـقْـلـتَـيْـهِ حـافـيـاً، يَـهـذي ويُـومـي

يـرتَـمـي فـوقَ شَـظـايـا جـلـدِهِ
يـطـبـخُ الـقَـيْـحَ بـشـدقَـيْـهِ ويَـرمـي

* * *

أيُّـهـا الـلَّـيـلُ . . أُنـادي إنَّـمـا
هـل أُنـادي؟ لا، أظـنُّ الـصـوتَ وهـمـي

* * *

إنَّـهُ صَـوْتـي ويـبـدو غَـيْـرُهُ
حـيـن أُصـغـي بـاحِـثـاً عـن وجـهِ حُـلْـمـي

مـن أنـا؟ أسـألُ شـخـصـاً داخـلـي:
هـل أنـا أنـتَ؟ ومـن أنـتَ؟ ومـا اسْـمـي؟

* * *

أيُّـهـا الـحـارسُ تَـدْري مـن أنـا؟
اشـتـروا نـومـي . . طـويـلٌ لـيـلُ هَـمّـي

ألأنّي حارسٌ يا سيّدي
زوّجوها ثانياً. المالُ يُغمي

من أنا؟ الليلُ يبني للرؤى
قامةً كالرُمحِ من جِلدي وعَظمي

لا تَعي.. سكرانَ؟ تسعٌ أعلنَتْ
أوّلَ الأخبارِ ما سَمَّوْهُ رَسْمي

من أنا؟ صار ابنُ عَمّي تاجراً
واشترى شيخٌ ثريٌّ بنتَ عَمّي

هَلْ تَنامُ الصُّبْحَ؟ سيّارتُها
عبرتْ قُدّامَ عَيْني، فوقَ لَحمي

أضغِ لي أرجوكَ؟ أغرى أُمَّها
شيَّدَتْ قصرَيْنِ من أشلاءِ هَدْمي

* * *

من أنا يا (تكْسِ)؟ أفلستُ وما
شَبِعُوا.. مَنْ مِنْ حُماةِ الأمنِ يَحْمي؟

مِنْ هُنا سِرْ، هاهُنا قِفْ، رخْصَتي
ما الذي حمَّلتَ؟ فتِّشْ.. هاتِ قسمي

خمسةٌ لـ(القاتِ)، خمسونَ لَهُمْ
وانتَهَى دَخْلي وأنْهَى السّلُّ أُمّي

* * *

عاجِنَ الفرنِ.. أتدري؟ سَنَةً
وأنا أعْجِنُ أحزاني وَغَمّي

مــن أنــا؟ كــانَــتْ تــرى والــدتــي
ذُلَّ بـعـضِ الـنـاسِ، تـحـتَ الـبَـغْـضِ خَـتْـمي

غِـبْـتَ عــن قـصْـدي! رفـيـقـي غـائـبٌ
مـن لـيـالٍ، رأيُـهُ فـي الـحـبسِ (جَـهْـمي)[1]

* * *

مــا الَّــذي أفــعــلُــهُ؟، كــلٌّ لَــهُ
شــاغــلٌ ثــانٍ وفــهــمٌ غــيــرُ فَــهْــمــي

داخــلــي يَــسْــقُــطُ فــي خــارجِــهِ
غُــرْبَـتـي أكـبـرُ مِـنْ صَـوْتـي وحـجـمـي

(نُــقَّــمٌ) يــرنُــو بــعــيــداً . . ســيِّــدي
هــل تــرى فــي ضــائـعِ الأرقـامِ رَقْــمــي؟

طــحــنَــتْ وَجْــهــي، لأنّــي جَــبَــلٌ
خـيـلُ كِـسْـرَى، عـجـنـتْـهُ خيـلُ نَـظْـمـي[2]

أعــشــبَــتْ أرمِــدَةُ الأَزْمــانِ فــي
مُـقْـلـتـيَّ، جـلـمـدَتْ شَـمـسـي ونَـجْـمـي

تــذهــبُ الــرِّيــحُ وتَــأْتــي وأَرَى
جـبـهَـتـي فـيـهـا وهـذا حَـدُّ عِـلْـمـي

* * *

---

(1) نسبة إلى قصيدة الشاعر العباسي علي بن الجهم:
قــالــوا حــبــسْــتَ فــقــلــت لــيــس بــضــائــري
حــبــســي وأيُّ مــهــنَّــدٍ لا يــغــمــدُ؟

(2) إشارة إلى الاستعمارَيْن . . الفارسي والتركي.

مَــنْ هُــنــا أســألُــه؟ مَــنْ ذا هُــنــا
غــيــرَ ثــوبٍ فــيــهِ مــا أدعــوهُ جِــسْــمــي؟

مــن أنــا والــلــيــلــةُ الــجَــزْحَــى عــلــى
رُغـمِـهـا تَـهْـمي، كَـمـا أهـمي بِـرُغْـمـي؟

هــل كَــفــى يــا أرضُ غَــيْــثــاً؟ لــم تَــعُــدْ
تــغــسِــلُ الأمــطــارُ أَوْجــاعــي وعُــقْــمــي

●●●

خوف

مارس 1976م

هـذي الأكـاذيـبُ الـجـديـدةْ مـوتٌ لَـهُ أيـدٍ عَـديـدَةْ
تَـنْـبَـتُّ أوكـاراً، طـوا بـيـراً عـمَـاراتٍ مَـديـدَةْ
تُـزْدي وفـوراً تـرتَـدي وجهَ الشَّهيدِ، صِبا الشَّهيدَةْ
حلْقَ المرثّي تَسْتَعِيْـ ـرُ وتختَذي لحمَ القَصيدَةْ
تـهـمي مُؤكَّدةَ الخطو رةِ وهي لا تبدو أكيدَةْ
غيرَ الَّذي تُبْدي تريـ ـدُ ولا تَراها كالمُريدَةْ
يدعونها (دَعماً)، مُسَا عدةً مبادرةً حَميدَةْ
وحقيبةً رَحَالةً بين (الرشيدَةِ) و (الرَّشيدَةْ)
وعداً، موافقةً، مُنَا وَرَةً، زياراتٍ مُفيدَةْ
هـبـةً بـلا عِـوَضٍ، قـرو ضاً ذاتَ آجالٍ بَعيدَةْ
لكنْ لِماذا يُغدِقُو نَ؟ أشمُّ رائحةَ المَكِيدَةْ
وأرى مؤامرةً، لَها شكْلُ الأُخوَّةِ والعَقيدَةْ
تَدْنُو كمشفِقَةٍ، كعاشقةٍ، كَقاتِلةٍ عَتِيدَةْ
ماذا؟ أُسَمِّيها؟ تُبَلِّـ ـدُني، أسمِّيها البَليدَةْ
وتزيدُ مِنْ أُمِّيَّتي هـذي الإذاعةُ والجَرِيدَةْ
هـذي الدِّراماتُ الَّتي تبْدوُ بطولتُها مَجيدَةْ
أأَخافُ من كَرَمِ المسا عِدِ أمْ أخافُ مِنَ (السَّعيدَةْ)؟

٭٭٭

التاريخ السِّرِّيّ للجدار العتيق

فبراير1976م

يُـــريـــدُ أن يَـــنْـــهـــارَ هـــذا الـــجـــدارْ
كـــي يـــنـــتـــهـــي مـــن خـــيـــفـــةِ الانـــهِـــيـــارْ

يـــريـــدُ، لـــكـــنْ، يـــنـــثـــنـــي فَـــجْـــأةً
عـــنْ رأيِـــهِ، يـــحـــسُـــو حـــلـــيـــبَ الـــغُـــبـــارْ

يَـــــهِـــــمُّ أن يَـــــرْثـــــي جِـــــداراً هَـــــوَى
يَـــــراهُ، فـــــوراً صـــــارَ ألـــــفَـــــيْ جـــــدَارْ

* * *

عـــجـــيـــبـــةٌ يـــا ريـــحُ . . مـــاذا جـــرى؟
تـــشـــابَـــهَ الـــمـــيـــلادُ والانـــتِـــحـــارْ

أخـــتـــارُ هـــذا مـــا تَـــرَى . . مـــن رأى
قـــبـــلـــي رُكـــامـــاً أحـــسَـــنَ الاخـــتِـــيـــارْ؟

الانـــفـــجـــارُ الـــمـــبـــتـــدي، عـــادةً
يُـــعـــطـــي رمـــاداً قـــد تـــســـمـــيّـــه نـــارْ

ألـــمْ تُـــجَـــرِّبْ؟ كـــلُّـــهـــمْ جَـــرَّبُـــوا
مَـــنْـــهـــى الـــتَّـــردِّي، أوَّلَ الانـــفـــجـــارْ

يـرتـدُّ مَـذْهُـوشـاً إلـى جِـلْـدِهِ
كـهـاربٍ يَـخْـشَـى سـقـوطَ الإزارْ

كـحـقـلِ دودٍ وَسْـطَ رُمّـانَـةٍ
كـشـوبِ لـصٍّ خـارجٍ مـن جِـصـازْ

يـبـدو كـإنـسـانٍ، لأشـواقِـهِ
روائـحُ الـمَـلْـهَـى وشـكـلُ الـقِـطـازْ

عـلـيـه جِـلْـدٌ وَرَقـيٌّ، لَـهُ
عـشـرونَ قـرْنـاً تـقـبـلُ الاعـتـصـازْ

كـمُـدَّعٍ، مـوطِـنُـهُ عِـنْـدَهُ
عـلـى قـمـيـصِ الـعـيـدِ أحْـلَـى زرازْ

* * *

أنـا هُـنـا. . أعـلـى الـرُّبـا قـامـةً
يـدايَ لا تَـلْـقـى الـيـمـيـنُ الـيَـسـارْ

بـلْ لـيـس لـي كـفٌّ لـسـيـفٍ. . أمـا
سِـنـانُ[1] (عـمْـروٍ) ذاك أمـضـى الـشّـفـارْ؟!

---

(1) سنان (عمرو): إشارة إلى (عمرو بن العاص)، عندما هاجمه (علي بن أبي طالب)؛ فاحتال (عمرو) تفادياً لسيف (علي)، بكشف عورته؛ فاستحيا (علي) وتراجع. وقد أشارت إلى هذه الحادثة كثير من الأشعار كقول بعضهم:

بـطـل يـصـول بـسـوأتـيـه
لا بـصـارمـه الـمـذكّـر

وكقول أبي فراس:

ولا خـيـر فـي ردّ الـردى بـمـذلـة
كـمـا ردّهُ يـومـاً بـسـوأتـه عـمـرو

فـي لـحـيـةِ (الـمِـرِّيـخِ) لـي مـكـتـبٌ
نـهـدُ (الـثـريّـا) فـوق بـابـي شِـعـاز

لـكـنَّـنـي كـالـسَّـهـلِ، لا سُـورَ لـي
مُـفَـتَّـحٌ لـلـفـتـحِ والانـجِـراز

تَـصَـوَّروا، يَـومَ اعـتـدى جـيـرتـي
أنـعـلـتُ وجـهـي خـيـلَ حُـسـنِ الـجِـواز

أهـوى الـتَّـسـاوي، قـاطـعـاً كـلَّ مَـنْ
يـبـدو طـويـلاً كـي يـسـاوي الـقِـصـاز

يَـوْمَ اشـتـكَـتْ قـمـعَ الـخِـمـارِ ابـنـتـي
أنـصـفـتُ. . ألـبـسـتُ الـبـنـيـنَ الـخِـماز

* * *

وهـاهُـنـا يُـنـهـي، لـكـيْ يَـبـتَـدي
يـقـصُّ عـنْ أصـدائِـهِ بـاخـتِـصـاز

يُـقـعـي كـجـنـديَّـيْـنِ، عـادا بـلا
نـصـرٍ يـبـولانِ دمَ الانـتـصـاز

يـشـتـاقُ لـوْ يـعـدو، كـسـيّـارةٍ
لـو يـحـمـلُ الـبـحـرَ، كـإحْـدى الـجِـراز

لـو وجـهُـهُ نـعـلا حـصـانَـيْـنِ، لـو
سـاقـاهُ (مَـبْـغـيّ) فـي قـمـيـصِ الـنَّـهـاز

لـو تـصـبـحُ الأبـحـارُ بـيـداً، ولَـوْ
عـواصـمُ الأضـقـاعِ تـمـسـي بِـحـاز

يــطــيــرُ، لــكــنْ يــرتــئــي نــعــلُــهُ
تــرقــيــعَ رجــلــيْــه بــمــاءِ الــوَقــاز

لا شــيءَ غــيــرُ الــنَّــعــلِ جِــذْرٌ لــهُ
يُــلْــهــي بــهــذا الــقــشِّ ريــحَ الــقَــراز

* * *

هــلْ مــتَّ؟ يــبــدو مــتَّ، لا إنــهــا
دعــايــةٌ، زيــفٌ، دخــانٌ مُــثــاز

(مــســرور) تــدري كــيــفَ إسـكــاتُــهــمْ
لا تــبــقَ حــيًّــا، صــدقَــتْ (جُــلَّــنــاز)

تــســدُّ بــابَ الــريــحِ كــي لا تَــرَى
أنّــي دخــانٌ مــن رُؤى (شَــهْــريــاز)

الــشــعــبُ . . داءُ الــشــعــبِ تَــقــتــيــلُــهُ
أشــفــى، لــيــبــقــى الأمــنُ والازدهــاز

يــهــونُ حِــقــدُ (الــشِّــمْــر) يــا (كــربــلا)
لــو لــمْ يــكــنْ فــي كــفِّــه (ذو الــفُــقــاز)[1]

مــاذا؟ أتَــدْعــو حــكــمــتــي فُــرصَــةً
لــلــغــزوِ؟ قــلْ: صــحّــحْــتُ بــدءَ الــمَــســاز

---

(1) ذو الفقار: السيف الشهير لـ(علي بن أبي طالب). . قيل إن (معاوية) اشتراه من (الحسن بن علي) وفي معركة (كربلاء) حمله (الشِّمْر) واحتز به رأس (الحسين)، فكان يقول: (يزيد) عند ذكر مصرع (الحسين): إنما قتلته بسيف أبيه، وفي رواية: بسيف جده باعتباره هدية من (النبي) إلى (علي) يوم فتح (خيبر).

كيفَ ألاقي جبهةً خارجي
وفي قِذالي جبهةٌ من شَراز

لا لمْ أمُتْ جداً، أما رايتي
خفّاقةٌ فوقَ ظهورِ الفِرارْ!

حوافرُ المحتلِّ، في شاربي
لكنّني أُشبِعتُ منهُ الدَّمارْ

لأنّني جزّأتُهُ.. نصفُهُ
سيفي ونصفٌ داخلي مستَشارْ

وهاهنا يُنهي، يرى وجْهَهُ
مِنْ منكِبيْهِ، في مَرايا الفَخارْ

غنّي (أليزا)، (جوليانُ) اخلعي
عباءَتي، ساقي أدِرْها.. أدارْ

يودُّ لوْ ما بين فخذَيْهِ في
إحْدى يديْهِ خاتَماً أو سِوارْ

جريدةً، أخبارُها عَنْ حصَىً
ينمو وعن (ديكِ) تَغَشّى (حِمارْ)

روايةً، أبطالُها عوسجٌ
يمشي وأطيارٌ تبيعُ المَحارْ

* * *

لي جبهةٌ من موقدِ (الشَّنفَرى)
وجبهةٌ مطبوخةٌ بالبُخارْ

فـي غـيـرِ جِـلْـدي، أعـشـبـتْ قـامَـتـي
وكـان جـلـدي مـن شـمـيـمِ (الـعَـراز)

رأسـي سِـوَى رأسـي الَّـذي كـانَ لـي
يـا سـادَتـي بـيـنـي وبـيـنـي قِـفـاز

بـيـنـي وبـيـنـي مـن يُـسـمَّـى أنـا
فـوقَ الأَنـا الـثّـانـي أنـا الـمُـسْـتَـعـاز

وهـاهُـنَـا يُـضـغـي.. أقـلـتُ الـذي
أعْـنـي؟ وهـلْ أعـنـي؟ هُـنـا الابـتِـكـاز

يـودُّ لـو كـفّـاهُ، أشْـهـى صـدَىً
لـمـعْـزَفٍ، لـو مـقـلـتـاهُ (هَـزازْ)

لـو قـلـبُـهُ مـنـديـلُ (عـرّافـةٍ)
لـو أنـفُـهُ مـروحـةُ الانـتِـظـارْ

يـريـدُ مـا لـيـسَ يَـعـي، يـبـتَـدي
يَـعـي وقَـدْ فـاتَ أوانُ الـبِـذارْ

الـمـوسـمُ الـوهـمـي، لأغـبـى الـمُـنـى
يُـعـطـي، قُـبـيْـلَ الـحَـرْث وهـمَ الـثِّـمـارْ

* * *

مـاذا أَنـا؟ شـيءٌ مـسـيـخٌ بـلا
عـرقٍ، بـلا شَـيءٍ يـسـمَّـى إِطـارْ

قـد كـانَ يَـنـمُـو الـطِّـفـلُ، والـيـومَ لا
يـنـمُـو صـغـيـرٌ كـي يـطـولَ الـكِـبـارْ

يــعــودُ يُــنْــهــي الــكــأسَ مــن بــدئِــهــا
فــيــبــتــدي قــبــلَ الــشَّــرابِ الــخُــمــاز[1]

هــل كــنــتُ أحــكــي؟ مــطــلــقــاً. . مــن حــكَــى
فــي داخــلــي كــانَ يــنــامُ الــجِــواز

يُــريــدُ أن يــنــهــارَ خَــضــرُ الــضُّــحَــى
والــلَّــيــلُ، كــي يــنــهــارَ هــذا الــجِــدارْ

❁ ❁ ❁

(1) الخُمار: وجع الرأس من كثرة الشراب.

الأميرة
وتحوُّلات مرايا العشق

أبريل 1976م

كَمـا تَـرَيْـنَ، حَـوْلـي لوني، فَمي، عُمْري الوَجِيعْ
إلـيـكِ يـا أمـيـرَتـي قـلـبي يُـؤجِّـجُ الـصَّـقِـيعْ
ولْـتَـجـعَـلـي عُـشْـبَ دَمـي بـعـضَ شـوارِبِ الـرَّبـيـعْ
ولْـتَـغْـزلـيـنـي لـلـرُّبـا جَـدائِـلاً مِـنَ الـنَّـجِـيـعْ
مَـدائِـنـاً تـعـدو إلـى أبـوابِ عـالَـمٍ مُـريـعْ
حـكـايـةً قـاتـيَّـةً عـلـى مَـراتِـعِ الـقَـطِـيـعْ
خـطـورةً سـرِّيَّـةً قـبـلَ حُـدُوثِـهـا تَـشِـيـعْ
قـصـيـدةً بـلا فَـم جـنـسـيَّـةً بـلا ضَـجـيـعْ
مـحـبَّـةً فـضـيـحـةً إدانـةً بِـلا شَـفِـيـعْ
عـنـقـودَ طَـلٍّ فـي جـنـيـ ـنِ كـلِّ نـبـتَـةٍ يَـضِـيـعْ

***

مـا شـئـتِ مـولاتـي أرى مـا تـأمـريـنَ أَسْـتَـطِـيـعْ
فـلْـتُـبْـدِعـيـنـي صـيـحـةً ولادَةً، مـوتـاً فَـظـيـعْ
بـدْءاً بـلا بِـدايـةٍ نـبـوَّةً بـلا تـبـيـعْ
سَـيـفـاً لَـهُ، ألْـفـا يَـدِ مُـقـارِعـاً، بِـلا قَـرِيـعْ
طـفـولـةً بِـلا صِـبـاً أمـومـةً بـلا رَضـيـعْ

مسافراً، مِنْ نَفْسِهِ في نَفْسِ غيرِهِ يَبِيغ
شيئاً يُضَيِّعُ اسْمَهُ يَعي أسامِيَ الجَمِيغ
مِنَ الرِّياحِ يشتَري كلَّ الَّذي لَها يبيغ
جوعانُ يُطعِمُ الحَصَى لحماً ويأكلُ (الضَّريغ)[1]
درباً إلى ثلاثةٍ باباً إلى بابٍ وَسِيغ
كَما ترينَ، حَوْلي لوني، فَمِي، عمري الوَجيغ

❁❁❁

(1) الضريع: طعام سكّان جهنم.

ليلة فارس الغبار

مَلَّيْتُ مَملكةَ الجبينِ العالي
فوَقَعْتُ مِنْ رَأسي إلى سِرْوالي
كانَ المساءُ يجُرُّني كَذيولِهِ
وأجرُّ خَلفَ جَنازَتي أذْيالي
أختالُ كالسُّلطانِ، حاشيتي الحَصَى
تحتي، بلا فخرٍ حصانُ الوالي
جَيْشي عُفوناتُ الأزِقَّةِ تحتَفي
حولي، وراياتي خيوطُ سُعالي

* * *

أهلاً، وكيفَ الحالُ؟ شكراً أدَّعي
تَرَفَ الأميرِ، حَصافةَ (اللِّبْرالي)
أبدو كـ(ماليٍّ)، يُعادي مالَهُ
وأفيقُ أسخرُ، بالفقيرِ المالي
لكنَّني أزمي وراءَ حقيقتِي
وأُجيدُ تمثيلَ المحبِّ السَّالي
في طينةِ الحُمَّى أغيبُ دقائقاً
عنِّي وأصحو يَرْتَمي أمثالي

أنسى تفاصيلي كبدءِ روايةٍ
قبل البدايَةِ ينتهي أبْطالي

وأعودُ، قُدّامي ورائي جَبْهَتي
نعلي وساقي في مكانِ قِذالي

عُريانَ يلبسُني الذبابُ، أُحِسُّني
كالنعشِ، كالبئرِ العميق الخالي

كسريرِ ماخورٍ، يُجفِّفُ بعضُهُ
بعضاً وينتظرُ النَّزِيفَ التَّالي

* * *

هل كنتُ؟ أين أنا؟ أفتِّشُ لمْ أجد
شخصي الجديدَ ولا كَياني البالي

من أينَ يا جدرانُ جئتُ؟ خلالَها
أمشي وأرجُلُها تجوسُ خِلالي

كانَ الطَّريقُ بلا يدَيْنِ، يقول
خَلَطَتْ يميني حكْمَتي بشمالي

لا دربَ غيري، منتهايَ كَأَوَّلي
أنوي السؤالَ، يرُدُّ قبلَ سُؤالي

الشمسُ تبحثُ عن جبينٍ تَزْدَهي
فِيهِ فَتَهْوي، ترتدي أَوْحالي

هل غيرُ هَذا يا طريقُ تقولُ لي؟
أسألتَ؟ يمضي يحتَذي أَوْصالي

فـأفـرُّ مـن فـخـذي إلـى فـخـذي ومـن
عـرْقٍ إلـى عـرْقٍ، أجـرُّ خَـبـالـي
فـوقـي سـوى رأسـي وشـيءٌ تـحـتَـهُ
رأسـي، وفـي جـلـدي عـجـينٌ آلـي
شـيءٌ كـسـقـفِ الـسـجـنِ، يـنـفـيـنـي إلـى
غـيـري ويُـرجـعُـنـي إلـى أَشـمـالـي

* * *

والآنَ هـل خِـرسَـتْ هَـواتِـفُ أزمـتـي؟
نـامَـتْ وأشـهَـرتِ الـرُّكـامَ حِـيـالـي
كـانـتْ كـوكـرِ الـمُـخْـبِـريـنَ عَـشِـيَّـتـي
تـجـري ورايَ، تُـهَـيِّـئُ اسْـتِـقـبـالـي
وبـلا عَـشـاءٍ بـتُّ ذاكَ لأنَّـنـي
بـعـدَ الـغـروبِ، لـبـسـتُ (إمْـبْـريـالـي)
أعـطـيـتُ قـوتَ الـشَّـهـرِ، أثـمـنَ تـافـهٍ
لـيـصـيـرَ أرخـصَ مـا يـكـونُ الـغـالـي
أصـبـحـتُ مـكـتـشـفَ الـتَّـفـاهَـةِ فـاتِـحـاً
بـعـجـيـن ثـانـيـتـيْـنِ جـذبَ لَـيـالـي
جـربَّـتُ قـتـلَ الـوقـتِ، لـكـن هـا أنـا
بـتُّ الـقَـتـيـلَ ومـا قـتـلـتُ مَـلالـي
مـاذا فـعـلـتُ؟ أردتُ شُـغْـلَ بَـطـالَـتـي
لـكـنْ أردتُ ومـا عـرفـتُ مَـجـالـي

❁ ❁ ❁

ليالٍ بيروتيّة
في حقائب سائح عربي

أغسطس 1975م

سِواهَا حلوةً أَطْرَى وهاتِ زجاجةً أخرى
وثالثةً ورابعةً وأنتَ بعادَتي أدرَى

* * *

لِمسؤولٍ ملاييني أعدُّوا السَّهرةَ الكُبْرَى
لأمّيٍّ، لِلَخمِ النّا سِ مِنْ كُلِّ المُدَى ـ أقْرَى
مزاجُ السَّيِّدِ البرمِيْـ ـلِ ضارٍ، يعشقُ الأضرَى
فهاتُوا الأغنجَ الأقْوَى وهاتُوا العانسَ (الشُّعْرَى)
وهاتوا الأرشقَ الطُّوْلَى وهاتوا الأسمنَ الصُّغْرى
لأن حقائبَ السُّلطا نِ من حُلْواتِنا أغْرَى
ومن أجسادنا أمْلَى.. فمَنْ بجلودِنا أحْرَى؟

* * *

لأنَّ بلادَهُ جَرْبَى بدونِ إرادةٍ أثْرَى
فأمَسى الوحْشَ في (المَبْغَى) وفي المذياعِ ما أبْرَى

* * *

وكانتْ تلبسُ اللَّحَظا تُ نهراً طائرَ المَجْرَى
وكانَ اللَّيلُ يستَلقي كسقفِ الحانَةِ السَّهْرَى
وكانَتْ غُرْفَتي العطشَى بأظفارِ الأَسَى شَجْرا

كـعـصـفـورٍ بـلا لـونٍ يـجـيءُ الـحُـلْـمُ والـذِّكْـرَى
كـأشـلاءٍ مِـنَ الأَحْـجـا رِ تـكـبـرُ، تـرتَـدي، تَـعْـرَى
كـشُـرطِـيَّـيْـنِ يَـقْـتـسـمـا نِ فِـخْـذَ أجـيـرةٍ سَـكْـرَى
وكـانَ الـسـوقُ سـيَّـافـاً حـصـانـاً مـن حُـلَـى (كِـسْـرَى)
وبـحـراً يـمـتَـطـي مُـهْـراً ومُـهـراً يـمـتَـطـي الـصَّـخْـرا
ولـلأَبْـوابِ أنـفـاسٌ كـسـجـنٍ يـطـبـخُ الأَسْـرَى
وكـانـت أنـجـمٌ تَـدْنُـو تُـواسـي الـحـانَـةَ الـحَـسْـرَى

* * *

وشـابَ الـلَّـيـلُ، والـسـلـطـا نُ فـي بَـوَّابَـةِ الـمَـسْـرَى
يـغـوصُ بـعـمـقِ رجـلـيْـهِ مـن الـيُـمْـنـى إلـى الـيُـسْـرَى
ومـن كَـبْـشٍ إلـى شـاةٍ ومـن أهْـنـا إلـى أمْـرا
لِـهـذا تـرتـجـيـهِ (الـقُـدْ سُ) يـرفـعُ بـيـرقَ الـبُـشْـرَى

❁❁❁

فـراغ..

يولية 1975م

مـــاذا هـــنـــا أفـــعـــلُـــهُ؟ يَـــشْـــغَـــلُـــنـــي أَشْـــغَـــلُـــهُ
أغـــطِـــيـــهِ نـــارَ داخـــلـــي مـــا عـــنـــدَهُ يـــبـــذُلُـــهُ
يـــجـــرحُـــنـــي، أُجِـــسُّـــهُ يـــشـــربُـــنـــي، آكُـــلُـــهُ
يـــمـــتَـــصُّـــنـــي، أذيـــبُـــهُ يـــحـــرقُـــنـــي، أُشـــعـــلُـــهُ
يُـــذهـــلُـــنِـــي عـــن عـــدمـــي عـــن عُـــقْـــمِـــهِ أُذهِـــلُـــهُ
مـــاذا هُـــنـــا أرفُـــضُـــهُ؟ مـــاذا هُـــنـــا أقـــبـــلُـــهُ؟
مـــنْ ذا هـــنـــا يـــقـــتـــلُـــنـــي؟ مـــاذا هـــنـــا أقـــتـــلُـــهُ؟
لا شـــيء غـــيـــرُ مـــيِّـــتِ ومـــيِّـــتٍ يـــحـــمـــلُـــهُ

* * *

الـــوقـــتُ لا يـــمـــضـــي ولا يـــأتـــي خـــوث أرجُـــلُـــهُ
أقـــدامُـــهُ رؤوسُـــهُ رؤوسُـــهُ أسْـــفَـــلُـــهُ
أمـــامَـــهُ وراءَهُ آخـــرُهُ أَوَّلُـــهُ
لا يَـــنْـــتَـــهـــي لـــغـــايـــةٍ لأنَّ لا بـــدءَ لَـــهُ
مـــاذا أقـــولُ يـــا هُـــنـــا؟ ومـــا الَّـــذي أَعْـــمَـــلُـــهُ؟
مـــاذا، ومـــثـــلـــي مـــيِّـــتٌ؟ هـــذا الَّـــذي أســـألُـــهُ

❂ ❂ ❂

الضَّباب
وشمس هذا الزمان

يولية 1976م

يشتهي الصمتُ أن يبوحَ فينسَى
ينتوي أن يرقَّ، يمتدُّ أَقْسَى

يَنْزَوي خلفَ ركبتَيْهِ، كحُبْلى
يرعشُ الطَّلْقُ بطنَها وهي نَغسَى

* * *

أيَّ شيءٍ تُسِرُّ يا صمتُ؟ تعلو
وجهُهُ صخرتانِ.. شعْثا ومَلْسا

ربَّما لا يُحِسُّ، أوْ ليسَ يدري
وهو يغلي بالحسِّ ماذا أحسَّا

تشرئبُّ الثُّقوبُ مثلَ أكفٍّ
فاقداتِ البنانِ، تشتاقُ لَمْسا

ينبسُ العُشْبُ بالسؤالِ كطفلٍ
يتهجَّى فخطَّ الرَّضاعةِ دَرْسا

قبلَ أن تبزُغَ البراعيمُ ترمي
لفتاتٍ، تخافُ لَمْحاً وهجْسا

يــحــذرُ الــمَــيْــتُ رمــسَــهُ، وجــنــيــنٌ
قــاذفٌ وجْــهَــهُ إلــى الــمَــهْــدِ رَمْــســا

* * *

مــا الَّــذي يــســتــجــدُّ؟ لا شــيء يُــجْــدي
كــلُّ شــيءٍ يــبــيــعُ وَجْــهَــيْــهِ بَــخْــســا

وجْــهُــكَ الــدّاخــلــي لــعــيــنــيــكَ مــنــفــى
وجــهُــكَ الــخــارجــي لــرجــلــيْــكَ مَــرْسَــى

أنــتَ مــثــلــي، بــيــنــي وبــيــنــي جــدارٌ
وجــدارٌ بــيــنــي وبــيــنــك أجْــســى [1]

أصــبــحَــتْ (عــامــرٌ) جــواداً لــ(رومــا)
وجــلــوداً سُــمْــراً يــخــبِّــئْــنَ (فُــرْســا)

بــعــدَ (بــاذانَ)[2] جــاء (بــاذانُ) ثــانٍ
(عــبــدريٌّ) ســبــى (يــريــمــاً) و(عَــنْــســا)

* * *

كــان يــســطــو (جــنــبــولَ) ثــم تَــوارَى
وانــتــقــى بــاسْــمِــهِ لــ(ذُبْــيــانَ) (عَــبْــســا)

---

(1) أشدُّ قسوة وجِدَّة.

(2) باذان قائد النجدة الفارسية التي تحولت إلى احتلال بديل للاحتلال الحبشي ويريم وعنس: أخصب المناطق اليمنية أو أكثرها عطاء، لامتدادها وكثرة سدودها في ذلك الحين.. فقد قيل: إنه كان على أوديتها ثمانون سدًا، وتسمّى عنس قديماً (مذحج) كما كانت (يريم) تسمّى (يَحْصُب) أو (يَحْضُب) وعبدري: نسبة إلى (عبد الدار) جد الأمويين. ذبيان وعبس: قبيلتان عربيتان متقاربتان، تقاتلتا نحو أربعين عاما حتى حدود الإبادة.

مـا الـذي يـسـتـجـدُّ؟ تـنـوي بـروقٌ
تـنـهـمـي، تـنـثـنـي مـن الـخـوفِ تَـعْـسـا

يـمـتـطـي نـفـسَـهُ الـضـبـابُ ويـأتـي
كـالـمـسـجَّـى، يـلـقِّـنُ الـصـمـتَ هَـمْـسـا

يـحـتـوي كـلَّ مَـغْـبَـرٍ، يـتـلـوَّى
فـي عـيـونِ الـكُـوَى رؤىً جـدَّ خُـرْسـا

يـحـتـذي سـاعـديْـهِ، عـيـنـيْـه يـهـوي
خـاسِـئـاً، يـرتـقـي أحَـطَّ وأخْـسَـى

كـجـدارٍ يـنـهـارُ فـوق جـدارٍ
كـغـبـارٍ يـسـتـنـزفُ الـرِّيـحَ جِـنْـسـا

يـتـبـدَّى عـلـيـه جـلـدُ الـصَّـحـارى
وطـلاءٌ تـشـمُّ فـيـهِ (فـرنـسـا)

وركـامٌ مـن الـتَّـلاويـنِ، حَـتَّـى
لا يُـبَـقِّـي لأيِّ (حِـزبـاءَ) لِـبْـسـا

كـجـرادٍ لـهُ حـوافـيـرُ خـيـلٍ
كـمَـلاهٍ مـن بَـولِـهـا تَـتَـحَـسَّـى

* * *

صـمـتُ، مـا الـوقـتُ؟ لا أرى مـا أُسَـمِّـي
لا الـصـبـاحُ ابـتَـدا ولا الـلَّـيـلُ أَمْـسَـى!

لـم يـعـدْ، يـا ضـبـابُ لـلـوقـتِ وقـتٌ
والـمـكـانُ انْـمَـحَـى، عـلـى الـرِّيـحِ أرْسَـى

أَنـــنـــي يـــا ضـــبـــابُ أســـمـــعُ شـــيـــئـــاً
اسْـــمُـــهُ مـــوْطِـــنـــي، يُـــغـــنِّـــي ويَـــأْسَـــى

مـــلءُ هـــذا الـــرِّحـــابِ، يـــمـــتـــدُّ يـــرمـــي
عـــنـــهُ نَـــفْـــســـاً ويـــبـــتَـــدي مـــنـــهُ نَـــفْـــســـا

ذاكَ وادي (عَـــسَـــى). . نـــعـــمْ، كـــانَ يـــومـــاً
وتـــخـــطَّـــى وادي (عـــســـى) مَـــنْ تَـــعَـــسَّـــى

أتُـــراهُ يـــحـــمـــرُّ، يـــرنُـــو بـــعـــيـــداً
ومُـــنـــاهُ تـــجـــتـــازُ عـــيـــنـــيْـــهِ حَـــدْســـا؟

مـــا الـــذي لا تُـــحِـــسُّـــهُ؟ كـــيـــف تـــدري؟
ومـــتـــى كـــنـــتَ أنـــت تـــمـــلِـــكُ حِـــسًّـــا؟

* * *

أتـــرى هَـــذِهِ الـــعـــيـــونَ الـــدَّوامـــي
تـــحـــتَ رجـــلـــيْـــكَ، ســـوف تُـــنـــبـــتُ شَـــمْـــســـا؟

شـــمـــسُ هـــذا الـــزَّمـــانِ، مـــن تَـــحْـــتُ تـــبـــدُو
ثـــمَّ تَـــغْـــلـــو، تُـــفـــجِّـــرُ الـــمـــوتَ عُـــرْســـا

❁ ❁ ❁

الوجه السبئيُّ
وبزوغُهُ الجديد

سبتمبر 1976

يقولونَ: قبلَ النجومِ ابتدَيْتْ
تضيءُ وتجتازُ لولا ولَيْتْ
وكنتَ ضُحى (مارِبِ) فاستَحَلْتَ
لكلٍّ بعيدٍ سِراجاً وزَيتْ
يقولونَ، كُنتَ وكُنتَ وكنتَ
وفي ضحوةِ العمرِ أصبحتَ مَيْتْ
ولَمْ يبقَ منكَ، على ما حكَوا
سوى عَبْرةٍ أو بقايا صُوَيْتْ
و(نُونِيَّةٌ) شَبَّها (دِعْبِلٌ)
وأصداء (بائيَّةٍ) لـ(الكُمَيْتْ)

* * *

ولكنْ متى مُتَّ، كنتَ (بُخَيْتاً)
فصِرتَ شعوباً تُسمَّى (بُخَيْتْ)
لأنَّ اسْمَكَ امتدَّ فيهم، رأوكَ
هناكَ ابتديتَ وفيكَ انتهَيْتْ

فأينَ ألاقيكَ هذا الزَّمانَ؟
وفي أيِّ حقلٍ؟ وفي أيِّ بَيْتْ؟

ألاقيكَ أرصِفةً في (الرِّياضِ)
وأوراقَ مزرعةٍ في (الكوَيْتْ)

ومكنسةً في رمالِ الخليجِ
وشَتْ عن يديْكَ وأنتَ اختفَيْتْ

وإسفلْتَ أسواقِ مُستَغمِرٍ
أضأتَ مسافاتِها وانطَفَيْتْ

وروَّيْتَها من عصيرِ الجبينِ
وأنتَ، كصحرائِها ما ارتويتْ

فكُنتَ هنالكَ سرَّ الحضورِ
و(شَيْكاً) هُنا، كلُّ فصليْنِ (كيْتْ)

بريداً: لنا شجنٌ، كيف (سعدٌ)
و(أروى)؟ وهل طالَ قَرْنا (سُبَيْتْ)؟

* * *

ولكنْ متى مِتَّ، يُنبي العبيرُ
على ساعديْكَ وعن ما ابْتَنَيْتْ

وما دُمتَ تَبْني وتهدي سواكَ
سيحكونَ: منكَ إليكَ اهتدَيْتْ

ومن تجرباتِ النِّهاياتِ جئتَ
وليداً، وقبلَ البُزوغِ انتَقَيْتْ

أمِــثْــلَ الــربــيــعِ لــبِــسْــتَ الــمــغــيــبَ
وأنــــضـــرَ مـــن كُـــلٍّ آتٍ أتَـــيْـــتْ

ذيــل:

- في البيت الخامس نونية دعبل وبائية الكميت وهما: قصيدتان شيعيتان تشيدان باليمن وإشارة إلى افتخار دعبل بالقحطانية وإلى الفكر الشيعي في بائية الكميت.
- في البيت السادس (بخيت) وهو: اسم (ابن مذحج) الذي امتدت منه قوافل العرب من الجزيرة.
- في البيت الثالث عشر لفظة كيت وهي: رمز للعدد غير المعروف.
- في البيت الرابع عشر سُبَيت وهو: اسم لكل ثور يولد يوم السبت، لأنه رمز للحراثة.

❂ ❂ ❂

طيفٌ ليليّ

مارس 1976م

هــزَّ كــفَّــيْــهِ وأرجــفْ لــحــظــةً، ثُــمَّ تــوقَّــفْ
وبـــلا داعٍ تـــأنَّـــى مــثــلَ مَــنْ يـنـوي ويـأسَـفْ
مــثــلَ مَــنْ بـالـخـوفِ يُـردي وهـــو مـــن قـتـلاهُ أخـوَفْ

* * *

مــرحــبــاً شــرَّفــتَ، لــكــنْ مــا اسْـمُـهُ؟ مـن أيـنَ شَـرَّفْ؟
فــجــأةً جــاءَ كــوحــشٍ وعــلــى الــفــورِ تــلــطَّــفْ
عــلَّــهُ شَــمَّ عــبــيــرَ (الــقــاتِ) فــاخْــضَــرَّ وفـوَّفْ[1]
وارتــدى جِــلْــداً (مَــعِــيــنــيَّــاً) وجــلــبــابــاً مُــنَــصَّــفْ[2]
وتــبــدَّى كــنــديــمٍ كــمــغــولــيٍّ تَــصَــوَّفْ!
كــطُــفَــيْــلــيٍّ قــديــمٍ خــارجٍ مــن جــوفِ مــقــصَــفْ
كــانَ فــي يــمــنــاهُ تــابــوتٌ وفــي يُــسْــراهُ مِــعْــزَفْ
لــونُــهُ مِــنْ كــلِّ وادٍ شــكــلُــهُ مِــنْ كُــلِّ مــتــحَــفْ
ولــهُ وجــهٌ شــتــائــيٌّ وســـروالٌ مُــزَخْــرَفْ
وقَـــوامٌ شِـــبْـــهُ قِـــزْمٍ وقِـــذالٌ نــصــفُ أهــيَــفْ

(1) فوّف: تكاثف وازدادت ألوان غصونه.
(2) منصّف: جلباب مقسوم إلى نصفين

وفُضولٌ يملكُ الذئـ   ـيا بدينارٍ مُزيَّفْ

* * *

هكذا يبدو، ولكنْ   سرُّ ماضيهِ مُغَلَّفْ

ربَّما كانَ أميراً   أو لِسِمْسارٍ موظَّفْ

أو لـ(ذي رَيْدانَ) سيفاً   أو لخيلِ (الفُرسِ) مِعْلَفْ

أو حِصاناً لجبانٍ   أو نبيّاً دونَ (مُصْحَفْ)

* * *

رُبَّما ماتَ مِراراً   ربما أبقى وأتْلَفْ

رُبَّما أشتى بنَيْسا   نَ وفي كانونَ صَيَّفْ

رُبَّما للرِّيحِ غَنَّى   ربّما للصمتِ أَلَّفْ

فهو يلغو كغبيٍّ   ويُرائي كالمُثَقَّفْ

مثلُ مَنْ يَغني ويَحكي   غيرَ ما يَعني مُحَرَّفْ

يعرفُ البابَ فيدنو   ثُمَّ يَنسى ما تَعَرَّفْ

حُلْمُهُ أكبرُ مِنْ عَيْـ   ـنَيْهِ، مِنْ كفَّيْهِ أعْنَفْ

يركضُ الشَّكُّ بهُدْبَيْـ   ـهِ ويستلقي كمُتْرَفْ

تسعلُ الأشياءُ كالأطْـ   ـفالِ كالفيرانِ تزحَفْ

وهو كالشُّبَّاكِ ساهٍ   وكحَدِّ السَّيْفِ مُرْهَفْ

راحِلٌ وهو قعيدٌ   طائرٌ وهوَ مُسَلْحَفْ

بِيَدٍ يُومي، بأخرى   يُرعِشُ الذَّقنَ المُنَتَّفْ

* * *

ساعَةً وارْتَدَّ، لكنْ   وجهُهُ عندي تَخَلَّفْ

عندَ ذاكَ الرُّكْنِ أقْعَى   عندَ هذا الرُّكْنِ رَفْرَفْ

فــي رُؤى الــسَّــقْــفِ تــنــدًّى وعــلــى الــبــابِ تَــكَــثُّــفْ
هــاهُــنــا كــالــوعــدِ أغْــرى وهــنــا كــالــمــوتِ طَــوَّفْ
هــاهُــنــا مــثــلــي تَــشَــهَّــى وهُــنــا مــثــلــي تــفَــلْــسَــفْ

۞ ۞ ۞

الغبارُ والمَرائي الباطنيَّة

مايو 1976م

هـاهُـنـا الـجـدرانُ تَـذمـى وتُـفَـكِّـرْ
وعـلـى أرؤسِـهـا تـمـشـي وتـنـظُـرْ
بـعـضُـهـا يـزحـمُ بـعـضـاً هـاربـاً
بـعـضُـهـا يُـقْـبِـلُ كـالـخـيـلِ ويُـدْبِـرْ
بـعـضُـهـا يـمـشـي ولا يـمـشـي، يـرى
مـثـلـمـا يـسـتـقـرئ الأسـرارَ مُـخْـبِـرْ
الـمـرائـي بـاطـنـيَّـاتٌ هـنـا
تـحـجـبُ الـرّائـي وفـي عـيـنـيْـهِ تُـسْـفِـرْ
يُـجْـهَـدُ الإبـصـارُ فـي رؤيـتِـهـا
وسـوى مـا يـنـفـعُ الـتـقـريـرُ يُـبْـصِـرْ
عَـجَـبـاً، رغـمَ الـتـعـرِّي تـنـطـوي
ذاتُـهـا فـيـهـا وذاتُ الـغـيـرِ تُـظْـهِـرْ

* * *

مـا الـذي شـاهـدتُ، تـقـضـي مـهـنـتـي
أنْ أرى سِـرّاً، فـيَـخْـفَـى وأُقَـدِّرْ

الـــمِـــدادُ الأبـــيـــضُ الـــسُّـــرِّي بـــلا
أيِّ سـرٍّ. . مـا الـذي يُـبْـدي ويُـضـمِـرْ؟

تَـــبْـــذِرُ الأوراقُ، لـــكـــنْ مـــا لَـــهـــا
فـي يـديْـكَ اتَّـسَـخَـتْ مـن قـبـلِ تُـثْـمِـرْ؟

لـــمْ تَـــكُـــنْ غـــيـــرَ أجـــيـــرٍ، لا تَـــخَـــفْ
إنَّ أغـــبـــى مـــنـــكَ مَـــنْ سـوفَ يـؤجَّـرْ

مِـــنْ. . إلـــى، مـــثـــلُ ذبـــابٍ يـــرتـــمـــي
مـــثـــلُ ذكـــرى لا تُـــلاقـــي مَـــنْ تُـــذكَّـــرْ

مـــثـــلُ أفـــكـــارٍ أضـــاعَـــتْ فـــمَـــهـــا
وتُـــلاقـــيـــهِ؛ فـــتـــنـــســـى أن تـــعَـــبَّـــرْ

لا يَـــعـــي الآتـــي إلـــى أيـــنَ، ومِـــنْ؟
لـــيـــسَ يـــدري صـــادِرٌ مِـــنْ أيـــنَ يُـــصْـــدِرْ

الـــغـــبـــارُ امـــتـــدَّ ســـقـــفـــاً أزْجُـــلاً
أَغْـيُـنـاً، مـثـلَ الـحـصـى تـغـلـي وتُـمْـطِـرْ

أيْـــــدِيـــــاً رمـــــلـــــيَّـــــةً دُوديَّـــــةً
تـــكـــتـــبُ الأحـــلامَ والـــرِّيـــحُ تُـــفـــسِّـــرْ

* * *

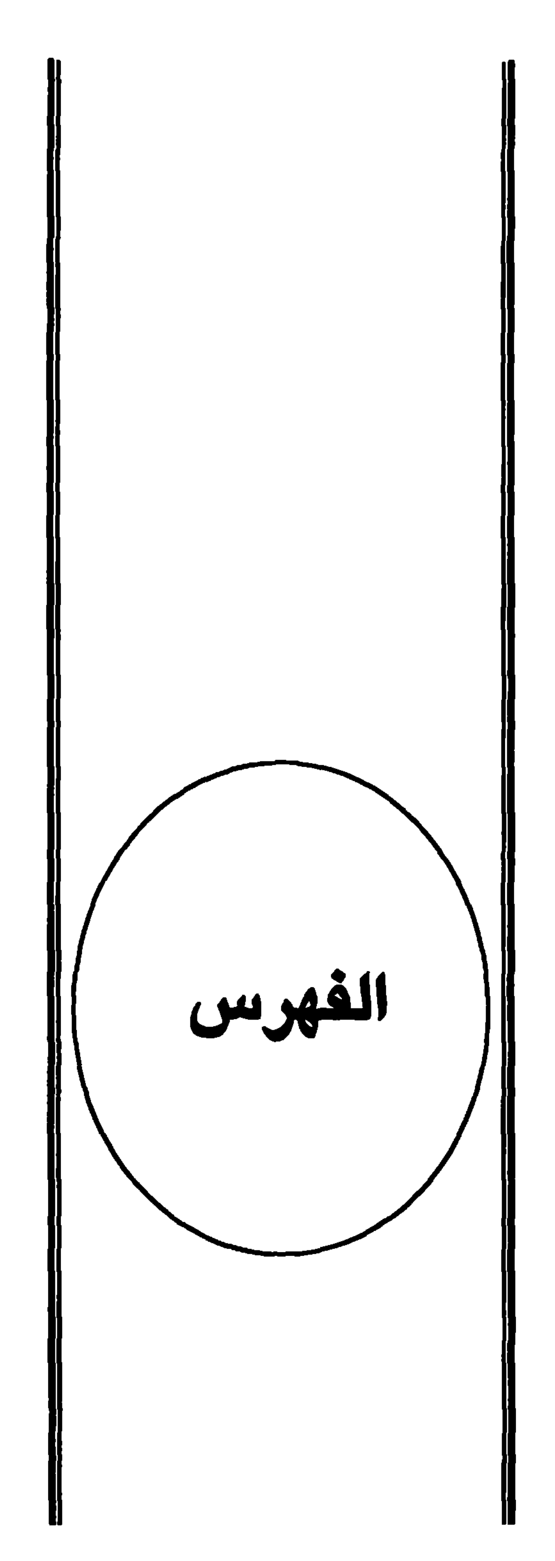
حـــســـنـــاً. . مـــاذا؟ هـــوى الـــسَّـــقـــفُ، ابـــتـــدا
وابـــتـــدَتْ بـــعـــضُ شـــقـــوقِ الأرضِ تُـــقْـــمِـــرْ

رُبَّـــمـــا عـــادَ كـــمـــا كـــانَ؟ سُـــدًى
الـــتـــقـــى الـــوجـــهُ ومـــرآةُ الـــمُـــبَـــشَّـــرْ

الــرُّفــاتُ الــمُــكْــرَمــيَّــاتُ[1] الــتَــقَــتْ
بــدأتْ، مــن تــحــتِ جــلــدِ الــمــوتِ تُــزْهِــرْ

❁ ❁ ❁

(1) المكرميّات: نسبة إلى (المُكْرَم بن أحمد) زوج الملكة (أروى) ومُفلسِف أسرار المذهب.



الفهرس

فهرس المحتويات

تنويه لازم 7
بين يَدَي البردُّوني 112
البَرَدُّوْنِي 23
شغل العديد من الأعمال
الحكومية 26
تقديم 31

من أرض بلقيس

البردوني بقلمه 55
من أرضِ بلقيس 57
هذه أرضي 59
يقظةُ الصَّحراء 61
فلسفة الفن 64
نارٌ وقلب 66
هائم 69
سحرُ الربيع 71
طائر الربيع 74
عودة القائد 77
عروس الحزن 82
أثيم الهوى 85
وهكذا قالت 88
ليالي الجائعين 89
حين يشقى الناس 92
الشاعر 93
سائل 96
الشمس 98
أنا والشعر 100
بعد الحب 102
روح شاعر 104
أمي 108
فلسفة الجراح 112
تحت الليل 114
البعث العربي 116
منبت الحب 120
محنة الفن 121
من هواها 123
راهب الفن 125
منها وإليها 126
أم الكرزم 128

نجـوى 131
في الطريق 132
الليل الحزين 133
أنـا 135
مع الحيـاة 137
من أُغنّي 141
في الليـل 143
لست أهواك 145
شعـري 147
فجر النبوة 150
حيث التقينا 155
أنا الغريب 158
ليالي السجن 160
عندما ضمَّنا اللقاء 161
وحدي هنا 163
الحب القتيل 164
كيف أنسى 166
أين مني 169
ميلاد الربيع 171
هموم الشعر 174
مالي صمت عن الرثاء 176
هو . . . وهي 177
حيرة الساري 178
مدرسة الحيـاة 181
ليلة الذكريات 183
سكرة الحب 184
لا تسل عني 188
تـائه 191
أخي يا شباب الفدا
في الجنوب 192
الربيع والشعر 195
فجران 199

في طريق الفجر

إلى قارئي 207
في طريقِ الفجر 209
صراع الأشباح 212
عتابٌ ووعيد 216
الجناح المحطم 218
لا تسألي 222
عذابٌ ولحن 227
قصة من الماضي 231
نحن والحاكمون 236
كلنا في انتظارِ ميلادِ
فجر 241
عيد الجلوس 246
رحلة النجوم 250

زحف العروبة 252
حديث نهدين 258
هكذا أمضي 261
حين يصحو الشعب 264
لا تقل لي 267
الطريق الهادر 268
حوار جارين 276
سلوى 281
أنا وأنتَ 284
وحدة الشاعر 286
لقيتها 291
جريح 295
بين ليل وفجر 298
خطرات 306
مروءات العدو 310
مصرع طفل 311
بعد الضياع 315
يوم المعاد 320
المنتحر 323
بين ذهاب ومعاد 327
بشرى النبوءة 331
مغنّي الهوى 338
شاعر الكأس والرشيد 341
ليلة 348
يومَ العِلمْ 351
في الجراح 356
تَحَدِّي 359
رحلةُ التِّيه 363
الحكم للشعب 365
من ذا هنا 368
لنعترف 369
ثائران 370
وطني 376
عازفُ الصَّمت 377
مآتم وأعراس 380
الحريقُ السَّجين 389
شمسان 391
قالت الضحية 393
لا ارتِداد 399
فارس الآمال 402
يوم المفاجأة 407

مدينة الغد

فاتحة 415
مدينةُ الغد 417
عائد 420

امرأةُ الفقيد 423
اليوم الجنين 426
أسمار القرية 428
شعب على سفينة 435
الشهيدة 437
ابن سبيل 440
صديقُ الرِّياح 444
كانت وكان 450
نهايةُ حسناءَ ريفيَّة 455
لا اكتراث 458
رائدُ الفَراغ 460
من أين؟ 462
فارس الأطياف 463
وراء الرياح 469
يا نجوم 471
أُمُّ يعرُب 473
آخر جديد 476
خدعة 480
صَدَى 482
أصيلُ القرية 484
لصٌّ في منزل شاعر 489
ذهول الذهول 490
ذكريات شيخين 494
سَبَّاحُ الرَّماد 498
كلمةُ كلِّ نَهار 500
ليلة خائف 503
أُمٌّ في رِحلة 505
سفَّاحُ العمران 508
ذات يوم 510
سيرةٌ للأيام 512
عند مجهولة 516
ضائع في المدينة 518
بينَ أُختين 520
سوفَ تَذْكُرين 522
نحنُ أعداؤنا 524
حماقةٌ وسَلام 527
ثكلى بلا زائر 528
حلوةُ الأمس 532
من رحلة الطَّاحونة إلى
الميلاد الثاني 534
كاهنُ الحرف 536
حكايةُ سنين 538

لِعَيْنَيْ أمّ بلقيس

أنسى أن أموت 555
صنعاء.. الموت والميلاد 556

من منفى إلى منفى 558
إلاّ أنا وبلادي 560
صنعاء.. الحلم
والزّمان 562
بلادٌ في المَنفى 564
عيِّنة جديدة مِن الحُزن 565
في بيتها العريق 568
لعينَيْ أم بلقيس 572
امرأةٌ وشاعِر 574
مدينةٌ بلا وجه 576
صبوة 578
يمنيٌّ في بلاد الآخرين 580
اعتيادان 583
صنعانيٌّ يبحث عن صنعاء 585
اعترافٌ بلا توبة 588
تقرير إلى عام 71
حيثُ كُنّا 590
مواطنٌ بلا وطن 592
أبو تمّام وعروبة اليوم 595
نصيحة سيِّئة 601
لافتة على طريق العيد العاشر
لثورة (سبتمبر) 603
الفاتحُ الأعزل 605
كانوا رجالاً 609
بعد الحنين 612
ساعة نقاش مع طالبة
العنوان 613

السَّفَر إلى الأيـام الخُضْر

لها.. 621
طقوس الحرف 623
لصٌّ تحت الأمطار 625
يداهـا 630
أُغنيةٌ من خَشَب 632
من بلادي عليها 636
أحزان وإصرار 637
مسافرة بلا مُهِمَّة 640
الغزو من الداخل 650
قبل الطريق 653
السَّفَر إلى الأيّام
الخُضْر 655
صنعاء في طائرة 658
بين المُدْية والذّابِح 661
شاعرٌ ووطَنُهُ في الغربة ... 662
مناضلٌ في الفراش 665

غريبان. . وكانا هما البلد 667
ابنُ فُلانة! 673
الهدهدُ السادس 675
يوم 13 حزيران 678
بين ضياعَيْن 681
أصيل من الحبّ 682
ألوان منْ الصمت 684
ثرثرات محموم 686
الشاطئ الثاني 691

وجــوهٌ دخانيَّة في مرايا الـلَّـيـل

بين الرجل والطريق 697
زامر القفر العامر 699
صياد البروق 702
مأساة حارس الملك 704
الأخضر المغمور 710
المحكوم عليه 713
أمام المفترق الأخير 717
هاتف وكاتب 720
مُغَنٍّ تحت السَّكاكين 723
بعد سقوط المكياج 725
سندباد يمني في مقعد التحقيق 727
الآتون من الأزمة 730
في وجه الغزوة الثالثة 733
أمسية حجرية 737
في الغرفة الصَّرعى 741
وجوهٌ دخانيّة في مرايا الليل 743
خـوف 747
التاريخ السِّرّيّ للجدار العـتـيـق 748
الأميرة وتحوُّلات مرايا العشق 755
ليلة فارس الغبار 757
ليالٍ بيروتيّة في حقائب سائح عربي 760
فـراغ. 762
الضُّباب وشمس هذا الزمان 763
الوجه السبئيُّ وبـزوغُـهُ الـجـديـد 767
طيفٌ ليليّ 770
الغبارُ والمَرائي الباطنيّة .. 773